حاشية شيخزادة على أنوار التنزيل واسرار التأويل، تأليف شيخزاده، محمد بن مصطفى-٩٥١هـ. بخط يوسف ابن ابراهيم سنة ١٢٤٩هـ.

١٣٨ ق ٢٥ س ٢١×١٥سم

نسخة جيدة، ضمن مجموع (ق١-١٣٨)، خطها تعليق حسن، طبع عدة طبعات آخرها سنة ١٣٠٦هـ.

تشتمل على سورة النبأ وحتى سورة الناس.

الازهرية ١: ٢٥٦ معجم المطبوعات ٢: ١١٦٦

١- التفسير، القرآن الكريم وعلومه أ- المؤلف ب- الناسخ ج- تاريخ النسخ د- حاشية شيخزادة على البيضاوي.

تفسير سورة الرحمن. لعله بخط يوسف بن ابراهيم سنة ١٢٤٩هـ.

٧ ص ١٩ س ٢١×١٥سم

نسخة حسنة، ضمن مجموع (ق ١٤١-١٤٦)، خطها تعليق حسن، يسبقها ويليها أوراق بياض.

١- التفسير، القرآن الكريم وعلومه أ- الناسخ ب- تاريخ النسخ.

حاشية شيخزادة على سورة الرحمن، تأليف شيخزاده، محمد بن مصطفى-٩٥١هـ. كتبت في القرن الثالث عشر الهجري تقديرا.

٦ ق ٢٥ س ٢١×١٥سم

نسخة جيدة، ضمن مجموع (ق ١٤٩ ب - ١٥٥ أ)، خطها تعليق وسط، يليها أوراق بياض.

الاعلام ٧: ٢٣٠

١- التفسير، القرآن الكريم وعلومه

أ- المؤلف ب- تاريخ النسخ ج- حاشية على سورة الرحمن.


7V7.



هذا شيخ زاده على البيضاوي من سورة النبا الى المعوذتين

١٦٨

المجلد الخامس

هذا شرح زاده على البيضاوي من سورة النبأ الى المعوذتين

سورة النبأ مكية وآيها اربعون

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قوله اصله عن ما على ان عن الجارة دخلت على ما الاستفهامية قلبت النون ميما وادغمت
الميم في الميم بناء على ان التقاء الطرفين المتجانسين او المتقاربين في الكلام يوجب ضربا من الثقل
فحاولوا دفعه بطريق من الطرق والادغام احد طرقه لانه يورث ضربا من الخفة واحد المتقاربين
لا يدغم في الآخر الا بعد قلبه بالآخر تحقيقا للمماثلة الموجبة للادغام قوله لما مر من ان حروف الجر
اذا دخلت على ما الاستفهامية يحذف الفها تخفيفا للفظ الكثير التداول وفرقا بين ما الاستفهامية
والاسمية وليبنئ عن شدة اتصال ما بحرف الجر حتى صارت كالجزء منه نحو لم وبم وفيم والى م
وعم وعلى م فان قلت الميم حرف شفوي مخرجه ما بين الشفتين والنون مخرجه ما بين طرفي
اللسان وفويق الثنايا العليا والثنايا جمع ثنية وهي مقدم الاسنان وهو اربعة اسنان
اثنان منها في اعلى الفم واثنان آخران منها في اسفله يطلق على كل واحد منها لفظ الثنية
ومجموع الاربعة ثنايا فاذا تقرر هذا ظهر انه لا تقارب بين الميم والنون في المخرج فما سبب
الادغام قلنا نعم الا ان فيهما غنة والغنة قد جعلتهما كالمتقاربين في المخرج قال
ابن الحاجب وادغمت النون في الميم وان لم يتقاربا لغنتهما والغنة مدة تخرج
من الخيشوم كما ان حرف العلة مدة تخرج من الفم وقيل الغنة صوت في الخيشوم
والاغن الذي يتكلم من قبل خيشومه قوله كانه لفخامته خفي جنسه فيسأل عنه يريد
ان كلمة ما سواء كانت لشرح الاسم او لطلب الحقيقة الغيبية اداة الطلب والسؤال بها
يطلب بها شرح مفهوم الاسم او كشف حقيقة الشيء المعلوم الوجود والمطلوب لا بد ان يكون
مجهولا عند الطلب لئلا يلزم تحصيل الحاصل هذا اصل تلك الكلمة ثم انها قد تطلق على الشيء
العظيم الشأن المفخم القدر وان لم يكن المتكلم على طريق الاستعارة لتشبيهه بالمجهول
المسئول عنه من حيث انه لفخامته وعظم شأنه صار كانه عجز العقل عن ان يحيط
بكنهه فيسأل عنه كالاشياء التي جهلت مفهوماتها وحقايقها فطلبت بما فلاجل هذه
المشابهة استعملت فيه كلمة ما ايضا مجازا حيث جردت عن معنى الاستفهام ولم يستعمل فيه
ومنه قوله تعالى الحاقة ما الحاقة وما ادريك ما الحاقة وما القارعة وما سجين وما
العقبة ونحوها فان كلمة ما فيها لمجرد التفخيم قوله او يسألون اي يجوز ان يكون صيغة

صيغة التفاعل على اصلها من كون اصل الفعل بين كثيرين بان يكون كل بعض منهم
فاعلا له بالبعض الآخر وان يكون بمعنى الفعل الثلاثي مثل يتداعونهم بمعنى يدعونهم
قال الامام التساؤل هو ان يسأل بعضهم بعضا كالتقاتل وقد يستعمل التساؤل ايضا في
ان يتحدثوا به وان لم يكن من بعضهم لبعض سؤال قال الله تعالى واقبل بعضهم على
بعض يتساءلون قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول ائنك لمن المصدقين فهذا على
معنى التحدث فيكون معنى الكلام عم يتحدثون وهذا قول الفراء انتهى كلامه ولم يتعرض
لكونه بمعنى يتساءلون قوله والناس عطف على قوله لاهل مكة والظاهر ان المراد
بالناس ما يعم اهل ذلك العصر من الكفار والمؤمنين اما المؤمنون فيتساءلون او يسألون
عنه ليزدادوا يقينا في دينهم واما الكفار فعلى سبيل السخرية والاستهزاء او على سبيل
ايراد الشكوك والشبهات الا ان قول المص فيما بعد كلا سيعلمون ردع للتساؤل ووعيد
عليه يقتضي ان يكون المراد من الناس ما يعم اهل مكة وغيرهم من الكفرة فقط قوله بيان
للشأن المفخم يعني ان قوله تعالى عم يتساءلون كلام تام اورد على طريق السؤال وقوله
عن النبإ العظيم جواب بيان ان ذلك الشأن المفخم بالسؤال انما هو نبأ عظيم وتقديره
الكلام يتساءلون عن النبإ العظيم الا انه حذف يتساءلون في الآية الثانية لدلالة الاول
عليه فيكون عن في عم متعلقا بيتساءلون المذكور قوله عن النبإ متعلق بالمحذوف فقوله عم
يتساءلون سؤال للتفخيم والتعظيم للمسئول عنه وقوله عن النبإ العظيم جواب وبيان له
وان كان المجيب هو السائل والفائدة في ان يذكر السؤال ثم ان يذكر الجواب معه ان هذا
الاسلوب اقرب الى التفهيم والايضاح ونظيره قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
قوله او صلة يتساءلون يريد ان قوله عن النبإ العظيم يجوز ان يتعلق بيتساءلون
المذكور فحينئذ يكون عم متعلقا بيتساءلون المضمر والمذكور يفسر ذلك المضمر فيتم الكلام بقوله
عم ويكون قوله يتساءلون عن النبإ بيانا لذلك الشأن المفخم ويدل عليه قراءة من قرأ عمه
بهاء السكت والظاهر انه وقف عمه وابتداء يتساءلون عن النبإ فيكون متعلق عمه
مضمرا مفسرا بما بعده لانه لما وقف عليه صار منقطعا عما بعده فيكون ما بعده كلاما
مبتدأ وانما وقف بهاء السكت لان الف ما الاستفهامية لما حذفت جعلت فتحة
الميم دليلا على الالف المحذوفة فوقف عليها بالهاء حفظا لتلك الفتحة عن السقوط حالة

لاثبات صحة البعث واقامة القيمة ظهر بذلك ان المراد بالنبأ العظيم هو نبأ البعث **قوله** مصدر سمي به الجوهري المهد مهد الصبي والمهاد الفراش وقد مهدت الفراش مهداً بسطته ووطأته وتمهيد الامور تسويتها واصلاحها انتهى فالمهد في الاصل مصدر بمعنى البسط سمي به مهد الصبي تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير وكذا المهاد مصدر ماهدت بمعنى مهدت كفرت بمعنى سفرت اطلق على الارض الممهودة اي الم نجعل الارض بساطاً ممهوداً ينقلبون عليها كما ينقلب على بساطه ويجوز ان يراد به المعنى المصدري اما على تقدير المضاف اي ذات مهد واما على ان وصفت الارض بالمصدر للمبالغة كما تقول رجل عدل من حيث انه كماله في تلك الصفة صار كانه عين تلك الصفة وفيه مبالغة لانه صار عينها بحيث استغنى عما عداها في صدور آثارها عنه واما اذا كان موصوفاً بها فلا اقل ان يحتاج فيه الى تلك الصفة ومهاداً مفعول ثان للجعل ان كان الجعل بمعنى التصيير وحال مقدرة ان كان بمعنى الخلق واوتاداً ايضاً يحتملهما ومعنى جعل الجبال اوتاداً للارض ارساؤها بالجبال لئلا تميد باهلها كما يرسى البيت بالاوتاد فهو من باب التشبيه البليغ **قوله** ذكراً وانثى كما قال وانه خلق الزوجين الذكر والانثى وفيه قول آخر وهو ان يحمل الازواج على معنى اخر اعم من الاول على معنى انا خلقناكم حال كونكم معروضاً لاوصاف متقابلة كل واحد منهما مزدوج بما يقابله كالفقر والغنى والصحة والمرض والعلم والجهل والقوة والضعف والذكورة والانوثة والطول والقصر الى غير ذلك ويقابلون كل واحد منكم بحسب ما فيه من الاوصاف زوجاً بما هو موصوف بما يقابل وصفه كالحسن بالقبيح والطول بالقصير الى غير ذلك من كل زوجين متقابلين كما قال ومن كل شيء خلقنا زوجين وهذا دليل ظاهر على كمال القدرة ونهاية الحكمة حتى يصح الابتلاء والامتحان فيعبد الفاضل بالشكر والمفضول بالصبر ويعرف حقيقة كل شيء بضده فان الانسان انما يعرف قدر الشباب عند المشيب وانما يعرف قدر الامن عند الخوف فيكون ذلك ابلغ في تعريف النعم **قوله** قطعاً عن الاحساس والحركة لما طعن بعض الملاحدة في هذه الآية بان قالوا السبات هو النوم فالمعنى وجعلنا نومكم نوماً اجاب عنه بوجهين الاول ان السبت في اللغة القطع يقال سبت شعره سبتاً اي قطعه وحلقه وسمي النوم قطعاً من حيث ان النائم مقطوع عن الاحساس والحركة وان النوم يقطع التعب والكلال فكان نعمة عظيمة فحسن ذكره في اثناء تعداد النعم الجليلة والثاني لانه ان السبات هو النوم بل الموت والمسبوت الميت واستدل على صحة اطلاق الموت

الموت على النوم بقوله احد التوفيين المذكوراليها بقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها اي ويتوفى التي لم تمت في منامها ويدل عليه ايضاً انه تعالى لما جعل النوم موتاً جعل اليقظة التي يكنى عنها بالنهار معاشاً اي حيوة حيث قال وجعلنا النهار معاشاً قال الامام وهذا القول عندي ضعيف لان الاشياء المذكورة في هذه الآية من جلائل النعم فلا يليق ذكر الموت بهذا المقام وايضاً ليس المراد بكونه موتاً انه موت حقيقة اذ لا ينقطع به الروح عن البدن بل المراد به انقطاع اثر الحواس الظاهرة عن البدن وهذا هو النوم فكان المعنى انا جعلنا نومكم نوماً فعاد الاشكال انتهى كلامه ويمكن ان يجاب عنه بان التنوين في سباتاً للنوعية كما في قوله وجعل على بصره غشاوة فالمعنى وجعلنا نومكم نوعاً من الموت وهو الموت الذي ينقطع ولا يدوم فان النوم بمقدار الحاجة نعمة جليلة من انفع الاشياء وامادوامه فمن اضر الاشياء للانسان ولما كان انقطاعه نعمة عظيمة لا جرم ذكره الله تعالى في معرض ذكر الانعام او يكون المعنى وجعلنا نومكم موتاً خفيفاً يمكنكم دفعه وقطعه وما جعلنا غشياً مستولياً عليكم فان ذلك مرض وذكره لا يناسب المقام **قوله** غطاء يستتر بظلمته من اراد الاختفاء اي اختفاء نفسه او غيره من الانفس والاموال عمن لا يحب اطلاعه عليها فوجه التشبيه بين الليل واللباس كونهما سبباً للاستتار وما لا يريد المرء ظهوره ووجه النعمة في ذلك ان الانسان قد يريد الاستتار عن العيون اذا اراد هرباً عن عدو او اراد ان يفعل فعلاً لا يرضى ان يطلع عليه غيره ويامن بظلمة الليل من بيات العدو ايضاً **قوله** وقت معاش يحتمل ان يكون مراده ان لفظ معاش في نظم القرآن مصدر يقال عاش يعيش عيشاً ومعاشاً ومعيشة وعيشة وعلى هذا لابد من تقدير المضاف وهو لفظ الوقت ليكون الثاني عين الاول وهو النهار والمعنى وجعلنا النهار وقت معاش ويحتمل ان يكون مراده الاشارة الى ان لفظ المعاش اسم زمان على صيغة مفعل فلا حاجة الى تقدير المضاف وقوله وقت معاش ابراز لمعنى اسم صيغة الزمان وتفصيل لمفهومها وقوله تتقلبون فيه لتحصيل ما تعيشون به في مقابلة تفسير السبات بالقطع عن الاحساس والحركة لان التقلب فيه لا يكون الا بالاحساس والحركة واشارة الى ان المعاش في قوله وقت معاش بمعنى التعيش وهو التقلب والتكلف في تحصيل اسباب المعيشة والدنيا معاش لانه مكان التعيش والنهار معاش لانه زمان له **وقوله** او حيوة تبعثون

اضربيان ع

هرباً

العدو ع

نظيراً

قفل واقفال نقل الزمخشري هذا القول عن ابن قتيبة ثم قال وما اظنه واحداً له من نحو حضر واحضار
وحمر واحمار كانه استبعد هذا القول من حيث ان نظائره لا تجمع على افعال فانه لا يجمع خضر على
على اخضار ولا احمر على احمار مع انهما جمعا لاحمر وحمراء واخضر وخضراء وفي هذا الاستبعاد نظر
لان الجمع لا يجمع بالقياس الى نظائره من الجموع بل يكفي ان يكون له نظير في المفردات فلفظ لفا
كان نظيراً لقفل وشغل من حيث الوزن صح ان يجمع على الفاف ولا يضره عدم استواء احمار واخضار
ولهذا امتنعوا من تكسير مفاعل على مفاعيل لعدم نظيرهما في المفردات حتى يحملا عليه
ثم قال الزمخشري ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها وليس هذا
باوجه مما نقل ابن قتيبة لان بناء الجمع بتقدير حذف الزوائد لا نظير له ايضا وكانه قاس الجمع
على تصغير الترخيم وهو ان يحذف الزوائد كلها من الاسم ثم يصغر على ما بقي نحو ان يقال حميد
في احمد ومحمد ومحمود ولا يبالي بالالتباس ثقة بالقرائن ويقال سويد في اسود وخريج في مخرج
ومثل هذا التصغير يسمى تصغير الترخيم لما فيه من الحذف للتخفيف فشبهوه بالترخيم المصطلح عليه
من النحاة ان يحذف زوائد الاسم ثم ان يجمع ما بقي منه وهذا الذي ذكرنا توضيح لما اورده صاحب الكشاف
على جعل الفاف جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد بقوله وفيه انه لا نظير له ايضا لان تصغير
الترخيم ثابت واما جمعه فلا انتهى ايراده وقيل يحتمل ان يكون جمع لفيف كشريف واشراف **قوله**
جنة لف وعيش مغدق وندامى كلهم بيض زهر يقال عيش مغدق اي ناعم والغدق
الماء الكثير وبناء اغدق للتصيرورة والندامى جمع ندمان يقال نادمني فلان على الشراب فهو نديمي وندماني
اي جليسي في مجلس الشراب وبيض اي حسان وزهر جمع ازهر اي ابيض مشرق اللون والاصل زهر
بسكون الهاء ونقلت حركة الراء الى الهاء قبلها في الوقف يصف انه عيش طيب الزمان والمكان
وكرم الاخوان **قوله** في علم الله تعالى او في حكمه ولما كان الاصل في كان ان تقصد الدلالة على ثبوت
خبرها في الزمان الذي يدل عليه الفعل بصيغته ماضيا كان او حالا او استقبالا فان كان للماضي ويكون
للحال والاستقبال ذلك للاستقبال ومعلوم ان ثبوت الميقاتية ليوم الفصل غير مقيد
بزمان الماضي لانه امر مقدر قبل حدوث الزمان ايضا فلذلك قيده بعلم الله تعالى او حكمه ولعل المراد
بالحكم القضاء والتقدير الازلي وهو غير العلم عند الاشعرية لانه عبارة عن الارادة الازلية
المتعلقة بالاشياء على ما هي عليه فيما لا يزال **قوله** حدا يوقت به الدنيا اي تعين به بقاء عالم الدنيا
بان ينتهي بقاؤه عند الانتهاء اليه وتوصيف الحد بما ذكر اشارة الى ان الميقات اخص من الوقت

لفظ يكون ای لفظ كان

لفاعلها

من الوقت حيث قيد بكونه حدا ينتهي عنده بقاء الدنيا او بكونه حدا ينتهي اليه الخلائق من الاشخاص والطين
كالميعاد والميلاد فان كل واحد منهما اخص من مطلق الوقت لتوقيت الاول بكونه زمان الوعد والثاني
بكونه زمان الولادة وقيل الميقات زمان مقيد بكونه وقت ظهور ما وعد الله تعالى من الثواب والعقاب
او بكونه وقتا لاجتماع الخلائق في موقف الحساب **قوله** بيان ليوم الفصل يحتمل ان يكون مراده انه
عطف بيان او انه منصوب باضمار اعني وافواجا حال من فاعل تاتون وهذا النفخ هي النفخة الاخيرة
التي عندها يكون الحشر والنفخ في الصور اما بمعنى نفخ الارواح في اجساد الاموات فيكون الصور جمع صورة
نحو بسرة وبسر واما بمعنى نفخ اسرافيل في القرن فالصور مفرد ومعناه القرن الذي ينفخ
فيه للبعث **قوله** يحشر عشرة اصناف من امتي ان قيل لم يذكر هيئة حشر المتقين من امته حتى
يكون الاصناف المحشورين من المتقين يحشرون على الصور الحسنة ثم انهم وان كانوا اصنافا كثيرة
على حسب اختلاف الاعمال الحسنة والاخلاق المرضية الا ان اهتمام الرسول لا يتعلق ببيان تفصيلهم
بحسب صورهم الحسنة وتفصيل ما ادى الى ان يحشروا عليها من الاعمال والاخلاق بل مطمح نظره
ونهاية قصده اهتمام معرفة هيئاتهم القبيحة في المحشر ومعرفة ما كان سببا لان يحشروا
عليها فلذلك فصل هيئات اهل المعاصي مع الاسباب المؤدية اليها ولم يتعرض بهيئات الصالحين
تفصيلا بل اكتفى بالاشارة الاجمالية اليها بقوله من امتي بمعنى التبعيضية والتنكيس هيئة القيام
على الرجل بان يجعل الرجل على والراس اسفل **قوله** بالقتات جمع قات وهو النمام وهو تفسير للذين
يحشرون على صورة القردة والثانية للثاني والثالث للثالث وهكذا على ترتيب اللف والنشر
وبيان المناسبة بين معاصيهم وبين الصور التي يحشرون عليها يفضي الى تطويل الكلام فليطلب
من علم التعبير **قوله** وشققت اي تصدعت بعد ان كان رتقا سدادا لا فطور فيها فيكون قوله
وفتحت السماء ههنا بمعنى اذا السماء انشقت واذا السماء انفطرت بناء على ان الفتح
والتشقق والتفطير متقاربة المعنى قال الامام هذا ليس بقوي لان المفهوم من فتح الباب
غير المفهوم من التشقق والتفطر فربما كانت من السماء ابواب ثم تفتح تلك الابواب
مع انه لا يحصل في جرم السماء تشقق ولا تفطر بل الدلائل السمعية دلت على انه
عند حصول فتح هذه الابواب يحصل التشقق والتفطر والفناء بالكلية انتهى ويمكن ترجيح
ما ذهب اليه المص بان الفاء في قوله فكانت ابوابا يدل على ان الفتح سبب لصيرورة الكل كانه

احد عشر صنفا قلت لعل الوجه فيه انه لا يخفى على احد ان الذين رضي الله عنهم صح صح

الصالحين صح

التعكيس صح

ثم فيهم صح

للسماء نسخه

انها

ابواب او ذوات ابواب فلو كان الفتح بمعنى التشقق لا يصح معنى هذه النسبة واما لو كان
مستعملا في معناه الحقيقي لكان الابواب حاصلة قبل الفتح الا انها كانت مغلقة فلا يصح
ان يقال فكانت ابوابا الا بتاويل بعيد وهو ان الابواب قبل الفتح كانها معدوم
ثم وجدت بالفتح او قرأ الكوفيون وهم ثلثة من القراء السبعة عاصم وحمزة والكسائي فانهم
قرؤا لفظ فتح بتخفيف التاء والباقون بتشديدها للتكثير ولما ورد ان يقال ان قوله تعالى
وفتحت السماء فكانت ابوابا يفيد ان نفس السماء بكليتها تصير ابوابا فكيف يكون
ذلك وان تلك الابواب في اي حائط هي اشار الى توجيه المعنى بوجهين الاول ان قوله
فكانت ابوابا محمول على المبالغة من حيث ان تلك الابواب لما كثرت جدا صارت السماء
عيونا تنفجر والثاني انه مبني على حذف المضاف اي فكانت ذات ابواب وقيل ضمير كانت للسماء
بل هو راجع الى مضمر التقدير فكانت تلك المواضع المفتوحة ابوابا لنزول الملائكة الى المحشر كما
قال وجاء ربك والملك صفا صفا فقوله تعالى وفتحت السماء معطوف على قوله فتأتون
فان قيل ينبغي ان يقال وتفتح السماء ليوافق المعطوف المعطوف عليه فما فائدة العدول
الى الماضي في المعطوف مع ان المعطوف عليه مضارع قلنا فائدته اكتساب كل واحد من المعطوف
والمعطوف عليه معنى الآخر فان كون المعطوف ماضيا دلالة على انتهاء وقوعه البتة وفي كون المعطوف عليه
مضارعا اشعار بانهما حكاية حال آتية تصويرا لتينك الحالتين في مشهد [illegible] ولو جعل
حالا على معنى فتأتون افواجا وقد فتحت السماء لكان وجها قوله مثل سرابا حمل على التشبيه البليغ
ووجه الشبه ما اشار اليه بقوله ان من يرى السراب من بعيد يحسبه ماء فاذا جاء الموضع الذي
كان يراه فيه لم يجد شيئا فكذلك الجبال اذا سيرت اي نسفت وقلعت من اصولها وقيل
اذا سيرت اي ازيلت عن وجه الارض بحيث ترى الارض تحتها بارزة وذلك بان ترسل الرياح
فتطيرها في الهواء كانها غبار فمن نظر اليها يحسبها لتكاثفها اجساما جامدة وهي في الحقيقة
مارة بسبب مرور الرياح فان الجبال في هذه الحالة وان كانت شيئا موجودا الا انها لما لم تبق
على حقيقتها صارت مثل السراب الذي هو ليس بشيء والهباء المنبث الذي يراه في البيت
من ضوء الشمس والهباء ايضا دقاق التراب كذا في الصحاح وتسيير الجبال من جملة احوالها عند
قيام الساعة ولها احوال اخر غيرها ذكرها الله تعالى في آيات متفرقة فقيل اول احوالها الانفكاك

كثرت ابوابها المفتحة الملائكة ح

ثلثة ح

قوله ح

كانها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله وفجرنا الارض عيونا اي كان الارض كلها كانها صارت عيونا

الاندكاك

الاندكاك والاندكاك ذكره في قوله وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وحالها الثانية
ان تصير كالعهن المنفوش وحالها الثالثة ان تصير كالهباء وذلك انها تنقطع وتتبدد بعد
ان كانت كالعهن كما قال فكانت هباء منبثا وحالها الرابعة ان تنسف وتقلع من اصولها
لانها مع الاحوال المتقدمة قارة في مواضعها والارض تحتها غير بارزة فتنسف عنها
بارسال الرياح عليها وهو المراد من قوله فقل ينسفها ربي نسفا وحالتها الخامسة ان الرياح
ترفعها عن وجه الارض فتطيرها في الهواء كانها غبار وهي المراد بقوله وهي تمر مر السحاب ومن
ان تلك الحركة المرود حصلت بقهره وتسخيره اياها فقال ويوم نسير الجبال وترى الارض
بارزة والحالة السادسة ان تصير سرابا بمعنى لا شيء مثله واعلم ان الاحوال المذكورة الى هنا
هي احوال عامة القيمة ومن ههنا شرع في وصف احوال جهنم واهوالها فقال ان
جهنم كانت مرصادا وفي لفظ كانت اشارة الى ان اهل النار منتظر ومطلوب لجهنم من قديم
الزمان على تقدير ان المرصاد بالمجردة في ترصد الكفرة لئلا يشذ واحد منها واما على تقدير تفسيره
بموضع ففيه اشارة الى ان اهل النار منتظر ومطلوب من قديم الزمان لخزنة جهنم يرصد
الكفار والى ان اهل الجنة منتظر ومطلوب من قديم الزمان لخزنة الجنة يستقبلونهم عند جهنم
ويرصدون عندها ليحرسوهم من فيحها لان ممر المؤمنين كان على جهنم لقوله تعالى وان منكم
الا واردها وقيل معناه كانت مرصادا في علم الله تعالى وفيه مبالغة لا تخفى قوله كالمضمار
استشهاد لكون المرصاد اسما للمكان الذي يرصد فيه الضمر الهزال وخفة اللحم وتضمير الفرس
ان تعلفه حتى يسمن ثم ترده الى القوة وذلك في اربعين يوما وهذه المدة تسمى المضمار
والموضع الذي تضمر فيه الخيل ايضا مضمار وذكر المص في المرصاد وجهين الاول ان يكون اسما
لمكان الترقب فان الرصد هو الترقب والثاني انه من ابنية المبالغة كالمعطار والمطعان
والمعمار بمعنى ان جهنم تكثر وتبالغ وتجد في ترصد اعداء الله وتشهق عليهم كما قال تعالى
تكاد تميز من الغيظ فقوله او مجدة يحتمل ان يكون بالحاء المهملة من احدت النظر اذا
توجهت بالشدة والاهتمام فيكون المرصاد بمعنى المبالغة في النظر الى الكفار لئلا يشذ
واحد منهم قوله على التعليل لقيام الساعة المدلول عليه بقوله يوم ينفخ في الصور فتأتون
افواجا والمعنى قامت القيمة لان جهنم كانت مرصادا لاقامة الجزاء لاهل النار بالتعذيب
ولاهل الجنة بتنعيمها بعد حراستهم من فيح جهنم فترصد بالجد والمبالغة وترصد الخزنة فيها

المرود ح

يفسره ح

يرصد ح

المدة ... ر

فترصد جهنم بالجد والمبالغة او ترصد الخزنة فيها لهم علة لقيام الساعة لان الترقب لا يكون الا لقيامها ثم ان كان المرصاد بناء المبالغة على معنى ان جهنم كانت تبالغ في ترصد الكفرة يكون للطاغين متعلقا بالمرصاد ويكون قوله مآبا بدلا من قوله مرصادا ولو كان المرصاد اسما لمكان ترصد خزنة النار

على قيام الساعة لان الترقب لا يكون الا لقيامها ثم ان كان المرصاد بناء المبالغة على معنى
ان جهنم كانت تبالغ في ترصد الكفرة يكون للطاغين متعلقا بالمرصاد او هو صفة لمرصادا فيتعلق
بمحذوف ويكون قوله مآبا بدلا من قوله مرصادا وكذا ان كانت المرصاد اسما للمكان بمعنى ترصد خزنة
جهنم الكفار ان يكون للطاغين متعلقا بما قبله ايضا ويكون مآبا بدلا وان كان اسما للمكان
ترصد خزنة الجنة لاهل الجنة او كان اسما للمكان الترصد مطلقا سواء كان الراصدون خزنة
الجنة او خزنة النار يكون للطاغين متعلقا بقوله مآبا كانه قيل ان جهنم كانت مرصاد المؤمنين
او مرصاد الكل ومآبا للطاغين خاصة فيكون قوله ان جهنم كانت مرصادا كلاما تاما يصح
الوقف عليه ويكون قوله للطاغين مآبا كلاما مبتداء ثم انه تع لما بين ان جهنم كانت مآبا للطاغين
بين كمية استقرارهم هنالك فقال لابثين فيها احقابا ولابثين حال مقدرة من المنوي
في قوله للطاغين اي مقدرين اللبث فيها احقابا ظرف زمان لقوله لابثين ومعمول له والحقب
الدهر وجمعه احقاب واصل الحقب من الترادف والتتابع يقال احقب اذا اردف ومنه الحقيبة
واحقبه واستحقبه بمعنى اي احتمله ومنه قيل احتقب فلان الاثم كانه جمعه واحتقبه من خلفه
والحقب المردف فلذلك فسر المص احقابا بقوله دهورا مترادفة يتبع بعضها بعضا قوله
وهو ابلغ لان الصفة المشبهة تدل على الثبوت واسم الفاعل على الحدوث فاللابث من وجد منه اللبث
ولا يقال لبث الا لمن شانه ان يستقر في المكان ولا يكاد ينفك منه قوله وليس فيه
ما يدل على خروجهم منها جواب عما قيل ان الاحقاب وان طالت الا انها متناهية وعذاب
اهل النار غير متناه بالنص نعم لو قيل الاحقاب لم يرد هذا السؤال لدلالة اللام
على استغراق جميع الاحقاب اجاب المص بوجوه تقرير الاول ان احقابا المنكر لا يدل على التناهي
وانقطاع العذاب اذ لو صح ان الحقب الواحد بضع وثمانون سنة والسنة ثلثمائة وستون
يوما واليوم الف سنة من ايام الدنيا كما روي كذلك عن ابن عباس و ابن عمر رضي الله عنهما
وكذا لو صح ان الحقب الواحد سبعون الف سنة اليوم منها كالف سنة مما تعدون كما روي
عن الحسن انه قال الاحقاب لا يدري احد ما هي ولكن الحقب الواحد سبعون الف سنة مما
تعدون فليس فيها ما يدل على تناهي تلك الاحقاب لجواز ان يكون المراد لابثين فيها احقابا
مترادفة كلما مضى حقب يتبعه حقب آخر وهكذا الى الابد وتقرير الثاني انه لو كان فيه ما يدل
على خروجهم منها فدلالته من قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار كقوله

يريدون

هنالك

اللبث وهو

كقوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم لان المنطوق راجح على
المفهوم فلا يعارضه وتقرير الثالث سلمنا ان احقابا المنكر يدل على التناهي وعدم التتابع لا
الى نهاية لكن تناهي الاحقاب انما يستلزم تناهي اللبث المقيد وذلك لا يستلزم الخروج لان
تناهي اللبث المقيد لا يستلزم تناهي مطلق اللبث وذلك اي كونه تناهي الاحقاب مستلزما
لتناهي اللبث المقيد مبني على ان لا يكون لا يذوقون كلاما مستانفا اخبر بذلك عنهم بل يكون حالا
من المنوي في لابثين اي لابثين احقابا غير ذائقين فيها شيئا سواهما فيكون حالا متداخلة ويكون
قوله احقابا ظرفا للابثين المقيد بمضمون لا يذوقون وانتهاء المقيد لا يستلزم انتهاء مطلق
اللبث وتقرير الرابع ان ما ذكرتم من ان تناهي الاحقاب يدل على تناهي اللبث المستلزم لخروجهم
عنها موقوف على ان يكون احقابا ظرفا لقوله لابثين وهو غير مسلم لجواز ان يكون ظرفا منصوبا
بقوله لا يذوقون على قول من يرى تقديم معمول ما بعد لا عليها فح لا يكون
فيه دلالة على تناهي اللبث والخروج حيث لم يكن احقابا ظرف اللبث وتقرير الخامس
ان ما ذكرتم مبني على كون احقابا ظرف لابثين وهو غير مسلم فانه ليس بظرف اصلا بل هو حال
من الضمير المستكن في لابثين بمعنى حقبين اي نكدين وقوله لا يذوقون فيها بردا تفسير لنكدهم
ولا يتوهم تناهي مدة لبثهم فيها حتى يحتاج الى التوجيه قوله والمراد بالبرد ما يروحهم
وينفس عنهم حر النار كانه اشارة الى جواب ما يقال انهم يذوقون فيها برد
الزمهرير فكيف قيل انهم لا يذوقون فيها بردا وتقرير الجواب ان تنكير بردا للنوعية اي بردا
ينتفعون به ويميلون اليه قال الزجاج لا يذوقون فيها برد ريح ولا برد ظل ولا برد نوم
فجعل البرد برد كل شيء له راحة فيكون قوله ولا شرابا بمعنى ولا ماء باردا تخصيصا بعد التعميم
كماله في الترويح ويكون قوله الا حميما وكذا غساقا مستثنى منقطعا من البرد والشراب بمعنى
المروح بمعنى ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا والحميم الماء الحار الذي انتهى حره والغساق
صديد اهل النار وان فسر بالزمهرير فاستثناؤه من البرد فقط دون الشراب لان الزمهرير
ليس مما يشرب قوله او النوم انما سمي النوم بردا لانه يبرد صاحبه الا ترى ان العطشان
اذا نام سكن عطشه ومن امثال العرب منع البرد البرد والمراد من البرد الثاني النوم وبالبرد الاول معناه
الاصلي اي اصابني من البرد ما منعني من النوم قال الامام ان فسر الغساق بالبارد كان التقرير لا يذوقون
فيها بردا الا غساقا ولا شرابا الا حميما الا انهما جمعا ليكمل انتظام الآي ومثله من الشعر قول امرئ القيس

بالزمهرير صح

كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي والمعنى كان قلوب الطير رطبا
العناب ويابسا الحشف البالي وجعل المص قوله جزاء مصدرا مؤكدا لفعل المحذوف وجعل وفاقا
صفة لجزاء بتقدير المضاف اي جزاء ذا وفاق او بان يوصف الجزاء بالمصدر مبالغة في موافقة
لا عمالهم اي جزاء موافقا او بان يكون وفاقا مصدرا مؤكدا لفعل المحذوف لجزاء فيكون الجملة صفة
جزاء والتقدير جوزوا بذلك جزاء وافق اعمالهم وفاقا ووجه الموافقة بينهما انهم اتوا بمعصية
عظيمة وهي الكفر فعوقبوا عقابا عظيما وهو التعذيب بالنار فكما انه لا ذنب اعظم من الشرك
فكذا لا جزاء اقوى من التعذيب بالنار فتوافقا وقيل انه وفاق حيث لم يزد على قدر الاستحقاق
ولم ينقص عنه واعلم انه تعالى لما بين اجمالا انهم جوزوا على حسب اعمالهم وجرائمهم شرح انواع جرائمهم
وبين اولا فساد قوتهم العملية بقوله انهم كانوا لا يرجون حسابا اي ينكرون القيمة
ولا يخافون محاسبة يوم الحساب وهو عبارة عن اقدامهم على جميع القبائح والمنكرات وعدم رغبتهم
في شيء من الطاعات والخيرات فان رغبة الانسان في فعل الخيرات وفي ترك المنكرات انما يكون بسبب
ان ينتفع به في الآخرة فمن انكر الآخرة ويوم العرض والجزاء لا يأتي بالخيرات ولا يمتنع عن المنكرات
فلما كان انكاره منبع كل فساد اكتفى بذكره عن تفصيل ما يتعلق بباب العمل ولما كان الحساب
من اشق الامور واصعبها على الانسان والشيء الصعب الشاق لا يقال فيه انه يرجى بل يقال
انه يخشى ويخاف قال مقاتل وكثير من المفسرين ان قوله لا يرجون معناه لا يخافون ونظيره
قولهم في تفسير قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا ثم بين فساد قوتهم النظرية بقوله تعالى
وكذبوا باياتنا اي كانوا منكرين بقلوبهم للحق مصرين على الباطل فظهر بذلك انهم
كانوا قد بلغوا في الرداءة والفساد الى حيث يستحيل عقلا وجود ما هو ازيد منه فلذلك
عوقبوا باهول العقاب جزاء وفاقا **قوله** تعالى وكذبوا باياتنا يدل على انهم كذبوا
بجميع دلائل الله تعالى في التوحيد والنبوة والمعاد وحقية القرآن وسائر الاحكام الشرعية
وهذا غاية الرداءة ونهاية الفساد بحسب القوة النظرية **قوله** مطردت بي مثل كلم كلاما
وحرق حراقا قال صاحب الكشاف وكنت افسر آية فقال بعضهم لقد فسرتها فسرا ما سمع
بمثله **قوله** كقوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه استدل به على ان الكذاب مصدر
كذب الثلاثي فمعناه الكذب ووجه الاستدلال ان كذابا فيه مذكور بعد ذكر الفعل الثلاثي فدل ذلك
على انه مصدر لذلك الفعل الثلاثي ويحتمل ان يكون الكذاب فيه مصدرا من باب المفاعلة للمبالغة

للمبالغة من غير النظر الى المشاركة فيكون مصدر كاذب بمعنى كذب كذابا عظيما بالغا فانه قد يخرج
الفعل الواقع من واحد في زنة المفاعلة تنبيها على قوة الفعل وكماله ووجه التنبيه ان المفاعلة
للمبالغة والفعل في المبالغة يكون اقوى وابلغ فان بنية غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه الفعل حج
اذا زاوله وحده من غير من يغالبه فيه لزيادة ما يكون بسببه لاهتمام به فانه يقال لخاشي الله
بمعنى يخشاه خشية عظيمة ولفظ المفاعلة في مثله مجاز تشبيه الفاعل الذي لا مشارك له
في الفعل بمن له مشارك فيه في كونه مبالغا في مباشرة الفعل بالجد والاهتمام فاسند اليه الفعل بصيغة
المفاعلة الموضوعة لان يسند الى الشيئين بكل منهما بالنسبة الى الآخر فان الفعل الصادر من احد
المتشاركين فيه يكون صدوره منه على جد وقوة لصدوره منه على قصد الغلبة على المشارك غالبا حج
الآخر فان استعمل فيما لا مشارك له فيه يقصد به المبالغة قيل كون كذابا بالمخفف مصدر كذب
الثلاثي لغة اهل اليمن فانهم يقولون كذب كذابا مثل كتب كتابا فان قرئ كذابا في الآية بالتخفيف
يكون انتصابه بكذبوا المشدد على انه مفعول مطلق من غير لفظ الفعل لكونه بمعنى الفعل لان كذبوا المشدد
يتضمن معنى كذبوا المخفف لان كل مكذب للحق فهو كاذب ويحتمل ان يكون انتصابه بفعل مقدر
من لفظه فكذبوا باياتنا فكذبوا كذابا **قوله** او المكاذبة عطف على الكذب في قوله بمعنى الكذب
اي يجوز ان يكون كذابا المخفف مصدر كاذب الذي هو للمشاركة او للمبالغة من غير النظر الى المشاركة
قوله ويؤيده اي يؤكد انتصاب كذابا المخفف على الحالية على المعنيين اي سواء كان بمعنى الكذب كون حج
او المكاذبة قراءة من قرأ كذابا بضم الكاف وتشديد الذال فانه كاذب كنصار جمع ناصر وانتصابه
على الحال وجوز ان يكون كذابا في هذه القراءة صيغة مبالغة للفاعل الواحد لا جمعا مثل رجل
كبار وشاب حسان فيكون كذابا صيغة واحد بالغ في الكذب وذلك الواحد هو مصدر كذبوا ما هو حج
والمعنى وكذبوا باياتنا تكذيبا كذابا اي تكذيبا مفرطا كذبه ويجوز ان يكون انتصاب كذابا
المخفف على تقدير كونه بمعنى المكاذبة على المصدرية لفعل المقدر والمعنى وكذبوا باياتنا فكاذبوا مكاذبة
او لكذبوا المذكور لاستلزامه معنى كاذبوا وفيه ان في جعله مصدر المفاعلة بناء على ان كلا من المسلمين والكافرين
كاذبون عند الآخرين نظر لان كل واحد من المشتركين في باب المفاعلة يريد ان يغلب على الآخر في ذلك
الفعل وهذا انما يكون اذا اتصف كل منهما بذلك الفعل نحو خاصم رجال المسلمين مع الكافرين وليس
كذلك لان كلا منهما ينزه نفسه عن الكذب ويسنده الى الآخر انتهى كلامه فتأمل في جوابه
قوله وقرئ بالرفع والجمهور على نصب كل شيء بالاضمار على شريطة التفسير هو الراجح لتقدم جملة

فعلية والمعنى واحصينا كل شيء لما بين الله تعالى ان افراد احوالهم بحسب قوتهم العملية والنظرية
بلغ الى اقصى الغايات بين ان تفاصيل تلك الاحوال في كميتها وكيفيتها معلومة له وكذا ان قدر ما
يستحقونه بسببها من العقاب معلوم له فيكون المقصود منه تقرير ما ادعاه من قوله جزاء وفاقا
قوله مصدر لاحصينا اما بتاويل احصينا بمعنى كتبنا واما بتاويل كتابا بمعنى احصاه بناء على
ان الاحصاء والكتابة يتشاركان في معنى الضبط عبر عن الاحصاء بالكتابة للدلالة على قوة علمه وتقرره
وتمكنه بحيث لا يتطرق الزوال فان الكتابة هي النهاية في قوة العلم وتقرره ولهذا قال عم
قيدوا العلم بالكتابة فكانه تعالى قال وكل شيء احصيناه احصاء في القوة والثبات بالعلم المقيد
بالكتابة فقوله كتابا يفيد تاكيد ذلك الاحصاء بحسب افهام الخلق والا فالعلم المكتوب يقبل الزوال
وعلم الله تعالى بالاشياء لا يقبل اصلا لانه واجب لذات الواجب **قوله** او لفعله عطف على احصيناه
وقوله او حال عطف على قوله مصدر لاحصينا فان قيل لا شك ان احصاء الله تعالى كل شيء ازلي والكتابة
في اللوح والصحف حادثة فكيف تجعل حالا من مفعول احصيناه مع ان المقارنة بين الحال
وصاحبها شرط في تلبس العامل بهما قلت الازلية لا تنافي مقارنة الحادث في بعض الازمان
الى فرمان وجوده او نقول معناه مقدرين الكتابة في اللوح او الصحف فتقدير الكتابة ازلي
كالاحصاء **قوله** مسبب عن كفرهم بالحساب يريد ان هذه الفاء جزائية دالة على ان الامر
بالذوق مسبب ومعلق بما تقدم من كفرهم وتكذيبهم فيكون قوله وكل شيء احصيناه جملة معترضة
بين السبب ومسببه يؤكد واحدا من الطرفين لانه كما يدل على كون معاصيهم مضبوطة
مكتوبة يدل على ان ما يتفرع عليها من العذاب الكائن لا محالة مقدر على حسب استحقاقهم به
فان قيل هذه الزيادة ان كانت غير مستحقة كانت ظلما وان كانت مستحقة كان تركها في اول
الامر احسانا والكريم لا يليق به الرجوع في احسانه فالجواب انها مستحقة وترك المستحق في
بعض الاوقات لا يوجب الابراء والاسقاط حتى يكون ايقاعه بعده رجوعا في الاحسان **قوله** وجيء
على طريق الالتفات حيث ذكرهم اولا بطريق المغايبة في قوله انهم كانوا لا يرجون حسابا
وفي قوله فذوقوا ذكرهم على سبيل الخطاب والمشافهة وهذا يدل على كمال الغضب فان قيل قوله تعالى
فذوقوا الخ تكرار لانه ذكر سابقا انهم لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الاية قلنا انه تكرار
لزيادة المبالغة في تقرير الدعوى فانه تعالى لما شرح اولا احوال العقاب ثم ادعى كونه جزاء وفاقا
ثم بين تفاصيل افعالهم القبيحة ظهر صحة ما ادعاه اولا من ان ذلك العقاب كان جزاء وفاقا

وفاقا فلما جرم اعاد ذكر العقاب فقال فذوقوا وهذا كما يقال في اثبات حدوث العالم مثلا العالم
حادث لانه متغير وكل متغير حادث فالعالم حادث فههنا افتتح اولا واقام الدليل ثم اعاد تلك
الفتوى بعينها مبالغة في التقرير **قوله** وفي الحديث هذه الاية اشد ما في القرآن على اهل النار
كلما استغاثوا من نوع من العذاب اغيثوا باشد منه فيكون كل مرتبة منه متناهيا في الشدة و
ان كانت مراتبه غير متناهية بحسب العدد والمدة كما اشرنا اليه سابقا **قوله** فوزا على ان يكون
المفاز مصدرا ميميا ثم الفوز قد يطلق على الظفر بالمطلوب وقد يطلق على الظفر بالنجاة عن المكروه
ولذلك يقال للفلاة اذا قل ماؤها مفازة تفاؤلا بالخلاص منها وقد يطلق على الظفر الفوز بمجموع
الامرين والظاهر ان المراد بالفوز في الاية الظفر بالمطلوب لانه تعالى فسره بما بعده وهو قوله تعالى حدائق
واعنابا فوجب ان يكون المراد من المفاز هذا القدر فان قيل الخلاص من المهالك اهم من الظفر
بالذات فلم اهمل الاهم وذكر غير الاهم قلنا لان الخلاص من المهالك لا يستلزم الفوز بالنعيم
لكونه حاصلا لاصحاب الاعراف مع انهم غير فائزين بالنعيم بخلاف الفوز بالنعيم فانه يستلزم الخلاص
من المهالك فكان ذكرها اولى **قوله** بدل الاشتمال او البعض بدل الاشتمال ظاهر على تقدير كون
مفازا مصدرا ميميا لان الفوز يدل على الحدائق والاعناب والكؤوس دلالة التزامية ولا معنى
للاشتمال الا دلالة المبدل منه على البدل بتلك الدلالة لانه حينئذ يكون المبدل منه كالمشتمل على البدل وقد
بقي في موضعه وكذا على تقدير كون مفازا اسم موضع يصح كون اعنابا وكاسا بدل الاشتمال منه
ولا يصح ذلك في حدائق لانها بعض المفاز فلا يكون بدل الاشتمال منه واما بدل البعض فلا يصح
على تقدير كون مفازا مصدرا وهو ظاهر وعلى تقدير كونه اسم موضع يصح في الحدائق لانها بعضه
ولا يصح في الاعناب والكؤوس لانها ليست بعضا منه والحق انه يجوز ان يكون شيء بدل بعض والمعطوف
على ذلك الشيء بدل اشتمال او غيره وبالعكس فكان قوله بدل الاشتمال او البعض مانعة الخلو لا الجمع
عنهما سواء كان المفاز مصدرا ميميا او اسم موضع **قوله** فلكت ثديهن اي استدارت وصارت
كالكعب في النتو يقال فلك ثدي الجارية تفليكا اي استدار كفلكة المغزل **قوله** لدات جمع
لدة ولدة الرجل تربه وقرينه في السن والميلاد والهاء في لدة عوض عن الواو الذاهبة
من اوله لانه من الولادة **قوله** ملأى انا فدهاق مصدر على وزن فعال بمعنى مدهقة اي
مملوءة وصف به الكاس للمبالغة في امتلائها اللغو من الكلام ما يلغى ويطرح لعدم الفائدة
فيه لا يسمعون فيها اي في الحدائق وقيل في الكاس وهو الخمر في غالب الاستعمال والمراد به

الطفر على المطلوب والنجاة عن المكروه

الذاهبة بيانه

ههنا القدح الذي فيه خمر بقرينة وصفه بالدهاق واهل الشرب في الدنيا تتغير عقولهم
فيجري بينهم لغو في الكاس التي تشربونها بخلاف اهل الجنة فانهم اذا شربوا لا يتغير
عقولهم فلا يتكلمون بلغو من الهذيان والصياح والعدوان ولا يكذب بعضهم بعضا حتى
يسمعوا شيئا من ذلك **قوله** بمقتضى وعده اشارة الى جواب ما قيل انه تع جعل الشيء
الواحد جزاء وعطاء وهو غير ظاهر لان كونه جزاء يستدعي ثبوت الاستحقاق وكونه عطاء
يستدعي عدم الاستحقاق والجمع بينهما جمع بين المتنافيين وتقرير الجواب ان ذلك
الاستحقاق انما يثبت بحكم الوعد لا من حيث ان الطاعة توجب الثواب على الله تع فذلك
الثواب بالنظر الى وعده تع اياه بمقابلة الطاعة يكون جزاء وبالنظر الى انه لا يجب على الله تع
لاحد شيء يكون تفضلا وعطاء وانتصاب جزاء على انه مصدر مؤكد لفعله المدلول عليه بقوله
ان للمتقين مفازا كانه قيل جازى الله المتقين بمفاز جزاء **قوله** هو بدل من جزاء اى قوله
عطاء بدل من قوله جزاء بدل الكل من الكل لان العطاء والجزاء متحدان ذاتا وان تغايرا في المفهوم
وفي جعله بدلا من جزاء نكتة لطيفة وهي ان بيان كونه عطاء وتفضلا منه تعالى
هو المقصود وبيان كونه جزاء وسيلة اليه فان حق البدل ان يكون مقصودا
بالنسبة وذكر المبدل منه وسيلة اليه **قوله** وقيل منتصب به نصب المفعول به
يعني انه قيل ان عطاء منصوب على انه مفعول به لجزاء بمعنى جزاهم عطاء على
ان العطاء بمعنى المعطى من الاعيان قيل عليه انتصاب جزاء على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي هي
قوله ان للمتقين مفازا والمصدر انما يعمل اذا كان بمعنى ان مع الفعل بل المصدر والمفعول
المطلق لا يكون كذلك اذ لا يقال ضربت ان ضربت اذ لا يؤكد الفعل بان مع الفعل بل
بالمصدر الصريح قال سيبويه في كتابه يعمل عمل فعله ماضيا كان او غيره اذا لم يكن مفعولا مطلقا
واجيب عنه بانه لا يلزم من عدم جواز تاكيد الفعل بان مع الفعل لفظا عدم كون المفعول المطلق
بمعنى ان مع الفعل يعني لا يجب ان يكون حكم صريح ان مع الفعل متحدا مع حكم ما هو بمعنى صريح ان مع
الفعل فجاز ان يؤكد الفعل بالمصدر الذي هو بمعنى صريح ان مع الفعل مع انه لا يجوز ان يؤكد بصريح
ان مع الفعل فاذا جاز ان يكون المفعول المطلق بمعنى ان الفعل جاز ان يكون عاملا **قوله** كافيا
اشارة الى ان حسابا صفة لعطاء فهو مصدر اقيم مقام محسبا اى كافيا من قولهم اعطاني
ما احسبني اى ما كفاني ومنه قول ابراهيم عليه السلام حسبي من سؤالي علمه بحالي اى كفاني من سؤالي

من سؤالي وتقول احسبت فلانا اذا اعطيته ما يكفي حتى قال حسبي **قوله** او على حسب اعمالهم
والتقدير على هذا اعطاء بحسب فحذف الجار ونصب الاسم وفي الصحاح حسبته احسبه بالضم
حسبا وحسابا اذا عددته وقدرته وتفسيره بقوله على حسب اعمالهم اى عطاء كائنا
على قدرها وعددها مبني على تلك اللغة والتفسير الاول مبني على كونه من قول الجوهري احسبني
الشيء اي كفاني واحسبته وحسبته بالتشديد بمعنى اعطيته ما يرضيه وتحسبه الى ان
حتى يقول حسبي وحسبك درهم اى كفاك وهو اسم انتهى والاظهر ان يقال على حسب ما وعد
من الاضعاف في مقابلة اعماله فانه تع قدر الجزاء على ثلثة اوجه منها على عشرة اضعاف كما قال
من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ووجه على سبعمائة ضعف كما آية السنبلة ووجه على ما لا نهاية له
كما قال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فان قول المص على حسب اعمالهم يفهم منه كون
الجزاء مثل العمل وذلك انما يكون في السيئة لا في الحسنة والكلام في جزاء المتقين وجزاؤهم لا يكون
مماثلا لاعمالهم البتة فلا بد ان يكون مراد المص كون الاضعاف الموعودة من الجزاء على حسب
اعمالهم بان يجازي كل عمل بما وعد له من الاضعاف **قوله** وقرئ حسابا بفتح الحاء وتشديد
بمعنى عطاء محسبا اي كافيا على انه صيغة المبالغة من اعطاه ما احسبه اى كفاه تدل على المبالغة
في الكفاية وقياس فعال ان يبنى من الثلاثي وان يكون مبالغة فاعل وحساب ههنا فعال
من افعل مبالغة مفعل كما يقال اجبره فهو جبار اى مجبر وادرك فهو دراك اى مدرك
وافصر عن الشيء فهو قصار اى مقصر **قوله** وقد رفعه الحجازيان وهما نافع المدني وعبد الله
بن كثير المكي انما قال على الابتداء مع احتمال كونه خبر مبتدأ محذوف اى هو رب السموات لان الابتداء
راجح لعدم احتياجه الى الحذف **قوله** الرحمن بالجر صفة له في الحمى الرب والرحمن ثلث قراءة رفع
الاسمين لابن كثير ونافع وابي عمرو وخفضهما لابن عامر وعاصم وخفض الاول ورفع الثاني
لحمزة والكسائي اما رفعهما فبان يكون كل واحد منهما خبر مبتدأ محذوف والتقدير هو رب السموات
هو الرحمن او بان يكون الاول مبتدأ والثاني خبرا عنه فيكون قوله لا يملكون خبره واما جرهما
فلما ذكره المص من كون رب السموات بدلا من ربك والرحمن صفته واما جر الاول فلكونه بدلا
من ربك ورفع الثاني فلكونه مبتدأ ولا يملكون خبره او لكونه خبر مبتدأ محذوف ولا يملكون
استيناف او خبر بعد خبر **قوله** اى لا يملكون خطابه يدل على ان من في منه زائدة والظاهر
انه متعلق بيملكون والمعنى لا يملكون من جهته تعالى خطابا واحدا اي لا يملكهم الله تع ان



او استينافا او بان يكون
الاول مبتدأ والثاني
صفة ولا يملكون خبره صح

يخاطبوه كما تقول ملكت منه درهما فيكون من لابتداء الغاية الا ان هذا الوجه وان كان ظاهرا
بحسب العبارة الا انه بعيد بحسب المعنى اذ المعنى انهم لا يستحقون من عند انفسهم مخاطبته الله تع
ومكالمته من حيث انهم في انفسهم مملوكون والمملوك لا يستحق على مالكه شيئا لا انه تع لا يمكنهم
من ان يخاطبوه كيف وانه ينبغي ان يشفعوا عنده باذنه بخلاف ما لو جعل من زائدة فان الكلام
ح يدل على نفي ان يملكوا خطابه وذلك لا ينافي الشفاعة باذنه لانها من حيث انها تحصل بفضله
واحسانه غير مملوكة لهم بحسب انفسهم والاعتراض على احد عبارة ان يتكلم في اثناء كلامه وحكمه
من لا يتعلق له بما هو فيه من المصلحة والمقصود من ايراد لفظ الاعتراض ههنا الاحتراز عن
دخول الشفاعة باذنه في الخطاب وانما قيد بقوله في ثواب وعقاب للاشارة الى وجه ارتباط هذه
الاية بما قبله من وعيد الكفار ووعد المؤمنين فالمعنى لا يملكون ان يخاطبوه فيما بين الثواب والعقاب

سبقه

قوله فان هؤلاء الذين هم افضل الخلايق اشارة الى ان في هذه الاية دلالة على ان الملائكة افضل
من البشر وذلك لان المقصود من الاية ان الملائكة والروح مع كونهم مع كونهم افضل المخلوقات
واشرفهم لما لم يقدروا ان يتكلموا في موقف القيمة اجلالا لربهم وخوفا منه وخضوعا له فكيف
يكون حال غيرهم اى عدم قدرة غيرهم عليه اولى ومعلوم ان هذا الاستدلال لا يتم الا اذا كانوا افضل الخلايق
وتقرير المص محل بحث لان المستفاد من نظم الاية اختصاص قدرة التكلم المطلق فيمن اذن له الرحمن
وقال صوابا من الروح والملك والمستفاد من تقرير المص اختصاص قدرة التكلم بالصواب بمن الاذن
به فلا مطابقة بين الاية وبين تقرير المص من وجهين احدهما ان المفهوم من الاية اختصاص قدرة
التكلم المطلق ومن تقرير المص اختصاص قدرة التكلم المقيد وثانيهما ان المفهوم من الاية اختصاص
القدرة فيمن اذن له وقال صوابا ومن تقرير المص اختصاصها فيمن اذن له فقط وجوابه
انه استفيد من الاية انه لا بد في القدرة على التكلم المطلق عنده من اجتماع ان يكون المتكلم ماذونا
منه تع وان يكون ذلك الكلام الذي تكلم به صوابا فقد استفيد منها انه لا بد في القدرة على
التكلم بالصواب من كون المتكلم به ماذونا منه تع فيه فتقرير المص بيان لمحصول معنى الاية
مطابقا لها قوله يوم ظرف لا يملكون فيه او لا يتكلمون اما حال من فاعل يقوم اى ساكتين او غير
ناطقين واما مستانف لبيان حال الروح والملائكة وعلى تقدير كونه مستانفا يكون قول المص تقرير
وتوكيد خبر القوله تع لا يتكلمون وعلى تقدير كونه حالا يكون قوله لا يملكون الى قوله صوابا كلاما
واحدا والتقرير يستدعي ان يتحقق كلامان يقرر احدهما مضمون الاخر وذلك انما يظهر اذا كان

اذا كان يوم ظرفا ليتكلمون وكانت الجملة مستانفة لبيان حال الروح والملائكة فكلامه لا يخلو عن اضطراب
واختلفوا في الروح في هذه الاية فعن ابن مسعود رضي الله عنه انه ملك اعظم من السموات والجبال وعن
ابن عباس رضي الله عنه انه ملك من اعظم الملائكة خلقا وعن مجاهد رضي الله عنه انهم خلق
على صورة بني ادم ياكلون ويشربون وليسوا بناس وعن الحسن وقتادة هم بنو ادم وعلى هذا
معناه ذو الروح وعن الضحاك والشعبي هو جبرائيل عم قيل هذا القول هو المختار لان القران يدل
على ان هذا الاسم اسم جبرئيل وثبت ان القيام صحيح من جبرئيل عم ويصح ان يتكلم ويؤذن له
فيه فكيف نصرف هذا الاسم عنه الى خلق لا نعرفه قوله تع صفا حال فيحتمل ان الروح
على الاختلاف المذكور وجميع الملائكة يقومون صفا واحدا ويجوز ان يكون المعنى يقومون صفين
على ما روي ان الروح ملك ما خلق الله تع بعد العرش اعظم منه فاذا كان يوم القيمة قام وحده
صفا وقام الملائكة كلهم صفا واحدا ويجوز ان يكون المعنى يقومون صفوفا اى مصطفين والصف
في الاصل مصدر يطلق على الواحد والجمع فان قوله تع وجاء ربك والملك صفا صفا يدل على انهم يقومون
صفوفا قوله تع الا من اذن يجوز ان يكون في موضع الرفع على البدلية من واو لا يتكلمون وهو الارجح
لكونه غير موجب والمستثنى منه مذكور وفي مثله يختار البدل وان يكون منصوبا على اصل الاستثناء
والمعنى لا يشفعوا الا من اذن له الرحمن في الشفاعة وقال ذلك الشفيع الماذون له بالشفاعة صوابا
بان يشفع لمن ارتضى او بان كان من اهل الايمان فان للمؤمنين لهم الشفاعة كما للانبياء وقيل
المعنى لا يتكلمون بالشفاعة لاحد الا لمن اذن له اى الا في حق شخص اذن الرحمن لهم في شفاعته
وكان ذلك الشخص ممن قال صوابا بمعنى حقا بان يقر بالتوحيد والرسالة وبحقية جميع
ما جاء به الرسول عليه السلام وقال ابن عباس رضي الله عنه يشفعون لمن قال لا اله الا الله فعلى هذا يكون
من اذن له الرحمن في موضع الجر على تقدير جار محذوف اى لمن اذن له وضمير قال راجع الى من
الذي اريد به المشفوع له والخطاب في قوله انا انذرناكم لمشركي العرب وكفار قريش لانهم كانوا
ينكرون البعث ويوم ظرف لمحذوف اى انذرناكم عذابا كائنا يوم ينظر المرء عمله الذي
قدمه والمرء عام للمؤمن والكافر لان كل احد يرى عمله في ذلك اليوم مثبتا في صحيفته خيرا كان
او شرا فيرجو المؤمن ثواب الله تعالى على صالح عمله ويخاف العقاب على سيئته واما الكافر فيقول
يا ليتني كنت ترابا قال ابو [illegible] لما اقتص بين الخلايق حتى للجماء من القرناء
يقال لسائر الامم من البهائم والطيور ولمؤمني الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فعند ذلك

يقول الكافر حين يراهم يا ليتني كنت ترابا حيث لا يتوقع العفو ويبقى بالخلود في العذاب
الدائم وقال ليث بن سليم مؤمنوا الجن يعودون ترابا وقال عمر بن عبد العزيز والزهري
والكلبي ومجاهد مؤمنوا الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها وهذا اصح فانهم
مكلفون مثابون ومعاقبون كبني ادم كذا في اللباب والمنادى في قوله يا ليتني محذوف اي
يا قوم وكنت ترابا في محل الرفع على انه خبر ليت ثم تفسير عم

سورة النازعات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله وهي جمع نازعة الواقعة صفة لطائفة من الملائكة انثت صفة الملائكة باعتبار
كونهم طائفة ثم جمعت تلك الصفة فقيل نازعات وناشطات كما مر في سورة والمرسلات
والنزع جذب الشيء بشدة والنشط جذبه برفق ولين والاغراق في النزع التوغل فيه والبلوغ
الى اقصى درجاته يقال اغرق النازع في القوس اذا بلغ غاية المد حتى انتهى الى النصل ذكر
المص ولا احتمال ان يكون هذه الصفات الخمس لموصوف واحد هو طوايف ملائكة الموت والعطف
لتغاير الصفات وفسر قوله غرقا بتفسيرين الاول انه مصدر بمعنى الاغراق قال الامام الغرق
والاغراق في اللغة بمعنى واحد فيكون انتصابه على انه مفعول مطلق للنازعات لان الشرط اتفاق
المصدر مع عامله في المعنى وهو حاصل هنا لان الغرق نوع من النزع قال ابو البقاء غرقا مصدر
بحذف الزوائد اي اغراقا في النزع والثاني انه مصدر بمعنى الصفة المشبهة او هو مخفف غرقا
بكسر الراء حذفت موصوفها وهو النفوس وتذكير صفتها باعتبار الجنس فيكون انتصابه على صفة
المفعول به محذوف فقول المص او نفوسا غرقة عطف على قوله اغراقا فان قيل على تقدير ان يكون
غرقا صفة للنفوس هل يكون المراد بالنفوس ما يعم نفس المؤمن والكافر او خاصا بالكافر قلنا
خاص بالكافر بقرينة النزع والنشط لان قوله تع والنازعات غرقا والناشطات نشطا قسم
بملك الموت واعوانه الا ان الاول اشارة الى كيفية قبض ارواح الكفار والثاني الى كيفية
قبض ارواح المؤمنين ووجه التخصيص ما مر من الفرق بين النزع والنشط وان نزع الشيء
جذبه من مقره بشدة والنشط جذبه منه برفق فالملائكة تنشط ارواح المؤمنين كما
تنشط الدلو من البئر وتنزع ارواح الكفرة كما تنزع الاشجار المتفرقة العروق
في اطراف الارض كما يسلخ جلد الحيوان وهو حي ولان نفوس المؤمنين ليست بغرقة
في اجسادهم من حيث انها تطير الى عالم القدس في اوقات توجههم وحضورهم **قوله**
ويسبحون في اخراجها سبح الغواص اشارة الى ان قوله والسابحات سبحا استعارة تبعية

تبعية شبه ملابسة ملائكة الموت اياهم في نزع الارواح ونشطها بسبح الغواص لاخراج
الشيء من اعماق البحر فانه يتحرك برفق ولطافة لئلا يفرق فكذا الملائكة يرفقون في ذلك
الاستخراج لئلا يتصل الم وشدة ثم استعمل لفظ السبح في تلك الملابسة ثم اشتق منه السابحات
قال قرطبي السابحات الملائكة تقبض ارواح المؤمنين يسلونها سلا رويدا ثم يدعونها
حتى تستريح ثم يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى يستريح كذا قال الكلبي والسابح في الماء
كذلك كذا في التيسير **قوله** فيسبقون بارواح الكفار الى النار ان قيل السبق لا بد له من المسبوق
فاين المسبوق هنا قلنا لعل السبق هنا كناية عن الاسراع في ايصال كل واحد من الارواح الى منزله
لان السبق من لوازم الاسراع وايضا ارواح الكفار تسبق ارواح عصاة المؤمنين في دخول النار
والظاهر ان ارواح المؤمنين تسبق ارواح الكفار بمعنى انهم يدخلون الجنة قبل دخول اهل النار
الا ان يقتضي قوله تع سبقت رحمتي على غضبي والله اعلم والفاء في قوله فالسابقات **وقوله** فالمدبرات
للدلالة على ان السبق يعقب الصفات السابقة وكذا التدبير الثواب والعقاب يعقب الادخال
في الجنة والنار واعلم ان كون هذه الصفات الخمس لموصوف واحد يقتضي ان يكون ملائكة الموت
عين ملائكة الرحمة والعذاب حيث ذكر ان ملائكة الموت بعد قبض الارواح يدخلهم الجنة
او النار وبعد الادخال يدبرون امر عقابها وثوابها ولعل قول المص بان يهيئوها اشارة
الى دفعه فتامل **قوله** او الاوليان لهم عطف على قوله هذه صفات ملائكة يعني ان الاوليين من الكلمات
الخمس وهي قوله والنازعات غرقا والناشطات نشطا صفتا ملائكة الموت والثلث الباقية لطوائف
اخرى فيكون قوله والسابحات قسما ثانيا والواو فيها للقسم والكلمات التي بعدها عطف عليها
على طريق عطف الصفة على الصفة كما ان قوله والنازعات قسم ابتداء وقوله والناشطات نشطا
عطف عليه ففي الكلام قسمان اقسم اولا بطوائف ملائكة الموت وثانيا بطوائف اخرى ينزلون
من السماء مسرعين مشتبهين في سرعة نزولهم بمن يسبح في الماء واستعارة السبح للاسراع
شايع كما يقال للفرس جواد انه السابح **قوله** او صفات النجوم عطف على قوله صفات ملائكة
الموت فالنازعات على هذا بمعنى الذاهبات وفي ديوان الادب نزع اليه اي ذهب فكانها
تطلع وتغرب بالنزوع والشروق وغرقا حال من المنوي في النازعات اي طوائف النجوم
الذاهبات من المشرق مغرقات اي متوغلات في الذهاب بالغات الى اقصى درجاتها او غرقات
اي غائبات في افق المغرب فعلى هذا يكون النازعات اشارة الى طلوعها وغرقا اشارة الى غروبها

وقوله تقطع الفلك يشعر بان النجوم تتحرك بنفسها في الفلك بحيث يكون الفلك مسافة
لحركتها مثل كون الارض مسافة للحركة الاينية الواقعة عليها والظاهر ان الامر
ليس كذلك بل ان النجوم مركوزة في الافلاك تتحرك بحركتها وانما قال في الفلك نظرا الى انا نراها
تتحرك حركة اينية وكذا الكلام في السابح قوله وتنشط من برج الى برج نقل الامام هذا
المعنى من صاحب الكشاف ثم قال واقول حاصل هذا الكلام الى ان قوله والنازعات غرقا اشارة
الى حركتها اليومية والناشطات نشطا اشارة الى انتقالها من برج الى برج وهو حركتها
المخصوصة بها في افلاكها الخاصة والعجب ان حركتها اليومية قسرية وحركتها من برج الى برج ليست
قسرية بل ملايمة لها وانها فلا جرم عبر عن الاولى بالنزع وعن الثانية بالنشط فتامل بان هذا المسلك
في هذه الاسرار قوله فتدبر امرا استنبط بها ان قيل قال الله تعالى ان الامر كله لله فكيف اثبت التدبير
في الامور ههنا لغيره والجواب انه تعالى خلق الاشياء بحيث يترتب عليها المصالح المتعلقة بها فكان الامر كله
لله وصح اسناد التدبير اليها من حيث كونها مخلوقة على الوجه المذكور فان قيل لم قال فالمدبرات امرا
ولم يقل امورا مع ان المصالح المترتبة عليها امور كثيرة والجواب المراد به الجنس فهو قائم مقام الجمع لذلك
قوله او صفات النفوس الفاضلة فانها تنزع على صيغة المجهول لان تلك النفوس منزوعة
عن الابدان فاطلاق النازعات عليها كاطلاق نحو تامر ولابن بمعنى ذات تمر ولبن او ذي تمر فان
تلك النفوس لما كانت منزوعة كانت ذوات نزع فيصح ان يقال انها نازعة على قياس لابن
وتامر وانما قيد النفوس بالفاضلة لان النشاط الى عالم الملكوت والسبح فيه والسبق الى
الى حضاير القدس وتدبير النفوس القاصرة انما يتصور من النفوس الفاضلة فان النفوس الشريفة
الخالية عن العلايق الجسمانية المتشوقة الى الاتصال بالعالم العلوي بعد خروجها من ظلمة الابدان
وتذهب اليه على اسرع الوجوه في روح وريحان فعبر عن ذهابها على هذه الحالة بالسبح ثم لا شك
ان مراتب النفوس الفاضلة في النفرة عن الدنيا ومحبة الاتصال بعالم القدس مختلفة فكلما كانت
اتم في هذه الاحوال كان سيرها الى ذلك العالم اسبق وكلما كانت اضعف كان سيرها اثقل ولا شك
ان الارواح السابقة اليه اشرف فلا جرم وقع القسم بها حيث قال والسابقات سبقا ثم ان هذه
النفوس الشريفة لا يبعد ان يظهر منها لشرفها وقوتها اثار في هذا العالم فيكون مدبرات الا ترى
ان الانسان قد يرى في المنام ان بعض الاموات يرشده الى مطلوبه قوله او حال سلوكها عطف على
المفارقة اي انها صفات نفوسها حال سلوكها قوله اقسم الله بها على قيام الساعة يريد ان

قيامه

ان جواب القسم محذوف تقديره ان الساعة واقعة يدل عليه قوله تعالى والذاريات ذروا ثم قال انما
توعدون لصادق وقوله تعالى والمرسلات عرفا انما توعدون لواقع فكذا ههنا فان القران كالسورة
الواحدة وقوله تعالى يوم ترجف منصوب بالجواب المحذوف فان قيل كيف يصح هذا مع ان القيمة
لا تقع يوم الراجفة وهي النفخة الاولى التي يموت فيها الاحياء بل انما تقع عند النفخة الثانية وبينهما
اربعون سنة قلنا المراد بيوم ترجف الراجفة الوقت الواسع الذي يحصل فيه النفختان ولا شك انها تقع
في بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الثانية ويدل على ما قلنا ان قوله تتبعها الرادفة
جعل حالا عن الراجفة فانه يستلزم كون رجفان الراجفة واقعا في حال كون الرادفة تابعة لها
وان يكونا في زمان واحد لان الحال يجب ان يكون حصولها مقارنا لحصول الفعل المقيد بها وذلك
لا يكون الا ان يكون المراد باليوم الوقت الواسع والرجفة الحركة والاضطراب لقوله تعالى يوم ترجف
الارض وترجف لكونه فعلا مضارعا يقتضي كون قيام مدلوله بفاعله على وجه الحدوث والحركة انما
تحدث في الاجرام الساكنة ففسر الراجفة بالاجرام الساكنة التي يعرض لها الحركة قوله او الواقعة
التي ترجع عندها الاجرام وهي النفخة الاولى اسند اليها الراجفة مجازا على طريق اسناد الفعل الى سببه
فان حدوث تلك النفخة سبب لاجرام الساكنة وان فسرت الراجفة بنحو الارض والجبال من الاجرام
الساكنة يكون اسناد الراجفة اليها حقيقة ويكون المراد بالرادفة الاجرام المتحركة كالسماء والكواكب
لان انشقاقها وانتثار كواكبها يحصل اثر حركة الراجفة وقوله او النفخة الثانية هذا
على تقدير ان يفسر الراجفة بالنفخة الاولى فان الرادفة كل شيء جاء بعد شيء اخر يقال ردفه اي
جاء بعده كالنفخة الثانية تجيء بعد الاولى وكتغير احوال الاجرام المتحركة كانفطار السماء وانتثار
الكواكب فانه يردف ويجيء اثر تحرك السواكن وتزلزلها قوله وهي صفة القلوب اشارة
الى وجه صحة الابتداء بقلوب وهو نكرة يعني انه وان كان نكرة لكنه موصوف بقوله واجفة والا
والنكرة الموصوفة يجوز ان يكون مبتدا فقلوب مبتدا منصوب بواجفة وابصارها مبتدا
ثان وخاشعة خبره وهو مع خبره خبر الاول واضيف الابصار الى ضمير القلوب مع ان القلوب
لا ابصار لها بتقدير المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي ابصار اصحابها ويدل على تقدير الاصحاب
ايضا قوله يقولون قال الامام خصص القلوب بالواجفة ولم يعرفها بلام الاستغراق بان يقول القلوب
يومئذ واجفة لانه ثبت بالدليل ان اهل الايمان لا يخافون بل المراد قلوب الكفرة ومما يؤكد ذلك
انه تعالى حكى عنهم يقولون ائنا لمردودون في الحافرة وهذا كلام الكفار لا كلام المؤمنين قوله ولذلك

اى ولاجل ان ذلة ابصارهم من الخوف بحيث يترقبون اى شيء ينزل عليهم من الامور العظام
اضاف الابصار الى القلوب لانها محل الخوف وهو من صفاتها واضافة لما كانت فى معنى توصيفها
بتلك الاضافة اشعرت بكونها علة للحكم بالذلة وان سبب ذلتها ما فى القلوب من الخوف ثم انه تع
حكى عن منكرى القيمة والبعث اقوالا ثلثة اولها قولهم ائنا لمردودون فى الحافرة وثانيها
قولهم ائذا كنا عظاما نخرة وثالثها قولهم تلك اذا كرة خاسرة وهذه الاقوال صدرت
عنهم فى الدنيا استبعادا للبعث وتعجبا منها **قوله** نحفرها اى اثرتها بمشيها فالحافر فى
الحقيقة هو الماشى فى تلك الطريقة وان الطريقة محفورة الا انها سميت حافرة كما قيل عيشة
راضية وماء دافق فان حق هذه الالفاظ ان يسند الى الفاعل لكنها اسندت الى المفعول على
النسبة اى منسوبة الى الحفر والرضى والدفق **قوله** وتشبيه القابل بالفاعل فى ان وجود الفعل
يتوقف على وجود كل واحد من الفاعل والقابل كما يقال صام نهاره تشبيها لزمان الفعل بفاعله
والحاصل ان الرجوع فى الحافرة فى الاصل عبارة عن الرجوع الى الطريقة التى سلكها اولا واثرتها
بمشيه عليها ثم اطلق على الرجوع فى الاحوال من آخر الحال الى اولها قال الواحدى الحافرة
عند العرب اسم لاول الشيء وابتداء الامر قال ان عاد حافرة على صلع وشيب معاذ الله من سفه
وعار يقول ارجع الى ما كنت عليه فى شبابى من الغزل والتصابى بعد ان شبت و
وصلعت ثم قال معاذ الله هذا سفه ظاهر وعار شديد فظهر ان معنى الآية انرد الى اول
احوالنا وابتداء امرنا فنصير احياء كما كنا **قوله** يقال حفرت اسنانه اى اثرت الآكال فى اصولها
تحفرت حفرا اى فصارت ذا حفر من ظاهرها وباطنها والحفر سلاق فى اصول الاسنان
والمراد بالحفرة فى هذه القراءة الارض التى تغيرت وانبتت [illegible] باجسادها وباجساد الموتى
والمعنى ائنا لمردودون ونحن فى الارض المتغيرة بموتاها واجسادها فقوله فى الحفرة على
هذا فى موضع الحال من فاعل المردودون وقيل الحفرة الحافرة ومقصودة منها وقال بعضهم
الحافرة وجه الارض التى تحفر فيها قبورهم سميت حافرة بمعنى المحفورة نحو عيشة راضية بمعنى
مرضية فيكون فى الحافرة ايضا حالا **قوله** قرأ نافع وابن عامر اذا معمول لقوله لمردودون
على قراءة من قرأ اذا على الخبر واما من قرأ ائذا على الاستفهام فعامله محذوف يدل عليه
لمردودون والتقدير انرد اذا كنا عظاما نخرة وفيه زيادة استبعاد للبعث وانما
ان العامل حينئذ محذوف لان حرف يمنع من يكون ما بعدها معمولا لما قبلها **قوله** وهى بلغتان

لان فعلا من صيغ المبالغة او لانه صفة مشبهة وآلة على الثبوت فانه لفظ فاعل انما يطلق على
صدرعنه الفعل ولفظ فعل يطلق على من كان الفعل فيه غريزة او كالغريزة فالنخرة والناخرة
لغتان بمعنى واحد كالطمع والطامع واللبث واللابث وفعل ابلغ والنخر البلى يقال نخر العظم
والخشب بكسر العين اذا بلى واسترخى وصار بحيث لو مس لتفتت وقيل النخرة غير الناخرة
اذ النخرة بمعنى البالية واما الناخرة فهى العظام الفارغة المجوفة التى تحصل فيها صوت من
هبوب الريح كنخير النائم والمجنون لا من النخر التى هى البلى واعلم ان حاصل شبهة من احتج
على انكار البعث بقوله اذا كنا عظاما نخرة ان الذى يشير اليه كل واحد بقوله انا هو هذا
الجسم والهيكل المخصوص فاذا مات فسد تركيبه فيمتنع اعادته لاختلاط كل جسم عنصرى منه باصل
فتميز تلك تلك الاجزاء عن اصل ذلك العنصر وكذا تمييز بعضها عن بعض محال ولان الاجزاء
الترابية باردة يابسة فيمتنع تولد الانسان منها لانه حار رطب فى مزاجه ولان اعادة عين
ما عدم اولا محال لان الذى عدم لا يبقى له عين ولا ذات ولا خصوصية فاذا دخل شيء آخر فى الوجود
استحال ان يقال بان هذا العائد هو عين ما فنى اولا والجواب انا نم ان ما اوشد اليه كل واحد بقوله
انا هو هذا الجسم والهيكل المخصوص فما الدليل عليه بل يجوز ان يكون امرا مجردا الذى يحكم الا جسمانى
ذهب اليه طائفة عظيمة من المسلمين والفلاسفة او يكون جسما مخالفا بالماهية للاجسام القابلة
للكون والفساد باقيا فيها كماء الورد فى الورد كالنار فى الفحم والدهن فى السمسم فاذا فسد هذا الهيكل
الهيكل بقى ذلك الجسم حيا مدركا عاقلا اما فى السعادة او الشقاوة او يكون جسمانيا وبالهذه
الاجسام فى الماهية الا ان الله تع خصها بالبقاء والاستمرار من اول عمره الى الابد وعند هذه
الاحتمالات لا يلزم من فساد البدن وتفرق اجزائه فسادها هو الانسان حقيقة ولئن سلمنا
ان الانسان هو هذا الهيكل فلا نم امتناع اعادة المعدوم **قوله** اختلط اجزاؤه العنصرية
بالعناصر فلا تمييز قلنا علم الله تع محيط بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات وانه تع قادر على كل
فيقدر على جمعها باعيانها واعادة الحيوة اليها متميزة فى علمه تع وقوله الاجزاء الترابية باردة
يابسة قلنا السمندر يعيش فى النار والنعامة تبتلع الحديد المحماة فبطل الاعتماد على الاستقراء
وقوله المعدوم ولم يبق له عين فلا يصح الحكم بان العائد عين الفانى قلنا بقاء الاعيان المتغيرة
فى علم المحيط كاف فى صحة الحكم بان الداخل فى الوجود هو عين ما فنى اولا **قوله** ذات خسران
او خاسر اصحابها يعنى ان اسناد الخسران الى الكرة ولحال انهم هم الخاسرون والكرة محسوس فيها

اما على ارادة النسب من اسم الفاعل كلابن وتامر بمعنى ذات لبن وتمر ومنسوب اليها
واما على الاسناد المجازي على طريق اسناد الفعل على ما يقارنه في الوجود كقولك تجارة رابحة
والربح فعل صاحب التجارة والربح مع التجارة متقاربان في الوجود **قوله** تلك مبتدأ اشير بها
الى الردة والرجعة في الحافرة وكرة خبرها والمعنى ان كان بعثنا بعد الموت حقا
فتلك الرجعة رجعة خاسرة وهذا المعنى افادته كلمة اذن فانها حرف جواب
وجزاء عند الجمهور والكر الرجوع يقال كره وكر بنفسه يتعدى ولا يتعدى كما يقال رجع بنفسه
ورجع غيره والكرة المرة من الرجوع والجمع كرات وقولهم هذا استهزاء منهم بالحشر حيث ابرزوا
ما قطعوا بانتفائه واستحالته في صورة المشكوك المحتمل الوقوع **قوله** متعلق بمحذوف يريد
بالتعلق التعلق بحسب المعنى وهو العطف والتقدير لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله فانها
سهلة هينة في قدرته فما هي الا صيحة واحدة يقال زجر البعير اذا صاح عليه والمراد بهذه
الصيحة النفخة الثانية وهي صيحة اسرافيل قال المفسرون يحييهم الله في بطون الارض فيسمعونها
فيقومون **قوله** فاذا احياء على وجه الارض فسر الساهرة بوجه الارض موافقا لتفسير الصحاح وذلك
يدل على ان المراد بها ارض الدنيا قال الامام واختلفوا فيها فقال بعضهم هي ارض الدنيا وقال آخرون هي
ارض الآخرة لانهم عند الزجرة والصيحة ينقلون افواجا الى ارض الآخرة ولعل هذا الوجه اقرب
انتهى وفي التيسير قال الخليل بالساهرة اي بوجه الارض بعد ان كانوا في بطنها وهو قول الاخفش
وابي عبيدة وقطرب وجميع اهل اللغة وقال الفراء سميت بها لان فيها منام الحيوان وسهرهم
فيها ووصف الارض بصفة اهلها من النوم والسهر غاية انه اكتفى بذكر احد الوصفين عن الآخر
وذلك غير بديع ونظيره قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اي الحر والبرد وهذا توضيح ما في التيسير والظاهر
ان بياض الارض عبارة عن خلوها عن الماء والكلأ والاشجار شبه جريان السراب فيها بجريان
الماء عليها فقيل لها ساهرة بمعنى جارية الماء قال ابن عمرو ساهرة يضحي السراب مجللا لاقطارها
قد جبتها متلثما مجللا اي مغطيا ومنه جل الدابة لاقطارها اي لجوانبها يقول رب ساهرة قد
غطى السراب جوانبها وقت الضحى قد قطعتها متلثما اي وانا اشد اللثام على فمي وانفي من
خوف هبوب السموم ولم الفارس يقال اضحى فلان يفعل كذا اذا كان يفعله بالضحى كما يقال ظل
يفعل كذا اذا كان يفعله بالنهار دون الليل **قوله** اولان سالكها يسهر خوفا فوصفت الارض
بصفة الارض من يسلك فيها وهي السهر لاجل الخوف قال الامام فتلك الارض يجتمع الكفار فيها

فيها في موقف القيامة يكونون فيها في اشد الخوف فسميت تلك ساهرة لهذا السبب وقال قتادة
هي جهنم والمعنى فاذا هؤلاء الكفار في جهنم وانما قيل لها ساهرة لان اهلها لا ينامون فيها **قوله**
البقرة قد اتاك حديثه اشارة الى ان هل بمعنى قد وان همزة الاستفهام قبلها محذوفة لكثرة وقوع
هل في الاستفهام بحيث صارت كانها علم الاستفهام حتى بنفسها فاستغنى بها عن الهمزة واقيمت
مقامها فكانت هل متضمنة معنى الاستفهام التقرير ومعنى تقرير الحكم المقرب من الحال فلذلك اتى في
الاستفهام في تفسير هل اتيك بهمزة الاستفهام وقد اي قد جاءك وبلغك حديثه عن قريب على ان يكون
الاستفهام لحمل المخاطب على ان يقر بامر يعرفه قبل ذلك كما في الم نشرح لك صدرك والليس الله بكاف
عبده وهذا المعنى مبني على ان يكون قد اتاه ذلك الحديث قبل هذا الكلام واما ان لم يكن قد اتاك فقد يجوز
ان يقال هل اتيك حديث موسى ام انا اخبرك به فان فيه عبرة لمن يخشى فلا يكون الاستفهام ح لحمل
المخاطب على الاقرار بل لحمله على طلب الاخبار والمص حمله على الاحتمال الاول وتقدير كلمة ليس يدل عليه
لا وجه لتقديرها سوى تنبيه ان الاستفهام استفهام تقرير وذلك ان الكفار لما اصروا على انكار البعث
حتى انتهوا في ذلك الى ان استهزؤوا بقولهم تلك اذن كرة خاسرة وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحزن بسببه جمع عم كانه لم يعلم بحديث موسى عم وانه لم يات بعد والا لما كان يتحزن به بل
يتسلى بذلك المنبئ عن تحمل موسى عليه السلام مشقة عظيمة في دعوة فرعون فناسب ان يدخل اداة الاستفهام
على كلمة النفي ولهذا فسر قوله تعالى هل اتاك بقوله اليس قد اتاك والا فلا يطابق التفسير المفسر بحسب الظاهر
وظهر بما ذكرنا وجه تفرع قوله ويهددهم على قوله فيسليك على تكذيب قومك على التفسير المذكور
وظهر ايضا ان عطف قوله ويهددهم على قوله فيسليك المستلزم لكون التهديد المذكور ايضا متفرعا
على التفسير المذكور محل بحث لان التهديد المذكور لا يظهر تفرعه على التفسير المذكور بل الظاهر انه
متفرع على ان يكون الاستفهام في هل اتاك لحمل المخاطب على طلب الاخبار بان يكون المعنى هل اتاك حديث
موسى عم ام انا اخبرك به فيهدد به المشركين ووجه التهديد ان فرعون كان اقوى من كفار
قريش واكثر جمعا واشد شوكة فلما تمرد على موسى عم اخذه الله نكال الآخرة والاولى فكذلك
هؤلاء المشركون في تمردهم عليك ان اصروا اخذهم الله وجعلهم نكالا وعبرة للعالمين **قوله**
قد مر بيانه قوله طوى وهو بالضم اسم للوادي فيكون عطف بيان للوادي وقيل ان طوى
بالضم مثل طوى بالكسر انهما بمعنى ثني بكسر الثاء وهو الشيء المثنى وفي الصحاح الثني مقصورا
الامر يعاد مرتين يقال ناديته طوى وثنى اي مرتين وعلى هذا يحتمل ان يتعلق بنودي اي نودي

ندائين وان يتعلق بالمقدس اى قدس مرتين وثنيت فيه البركة · والتقديس وقرأ نافع وابن كثير
وابو عمرو طوى بضم الطاء غير منون وقرأ ابن عامر والكوفيون بالتنوين وضم الطاء وروي عن ابي
عمرو بكسر الطاء وطوى ثنى في انهما اسمان للشيء المثنى والطي بمعنى للشيء اى ثنيت فيه البركة · والتقديس
قال الفراء طوى واد بين المدينة ومصر فمن صرفه قال كيف فيه الا العلمية لانه اسم للمكان وهو مذكر
ومن لم يصرف جعله معدولا عن جهة كعمر وزفر ثم قال والصرف احب الي اذ لم اجد في المعدول
نظرا اى لم اجد اسما من الوادي عدل عن فاعله غير طوى وقيل طوى بمعنى يا رجل بالعبرانية فكانه
قيل يا رجل اذهب الى فرعون وهو قول ابن عباس و اذ في قوله اذ ناداه ظرف منصوب بحديث
اى هل اتيك حديث الواقع حين ناداه ربه لا باتيك لاختلاف وقت الاتيان والنداء لان الاتيان لم يقع
في وقت النداء وقوله اذهب مفعول قول مضمر اى اذ ناداه ربه فقال اذهب وانه طغى اى جاوز الحد
ثم انه تع لم يبين انه تعدى في اي شيء ولهذا قال بعض المفسرين معناه تكبر على الله تع وكفر به
وقال آخرون انه طغى على بني اسرائيل بان استذلهم بكمال التذليل والتحقير والاولى على الاطلاق ويكون
المعنى انه طغى على الخالق بان كفر به وطغى على الخلق بان تكبر عليهم واستعبد فكما ان كمال العبودية
لا يكون الا بالصدق مع الحق وحسن الخلق مع الخلق فكذا كمال الطغيان يكون بسوء المعاملة
معهما وهذا اوجه من الحمل على احدهما فقط قوله هل لك ميل اشارة الى ان لك خبر مبتدء محذوف
والى ان متعلق بذلك المبتدء المضمر وقراءة تزكى بتشديد الزاء مبني على ادغام تاء التفعل في الزاء
لتقاربهما والتخفيف من حيث ان اجتماع المتقاربين كاجتماع المثلين ومن قرأ
بالتخفيف حذف احدى التائين وهو من طرف تخفيف الثقل الحاصل من اجتماع المثلين
والمتزكي الطاهر من العيوب بالسعي واللجتهاد وهذه الكلمة جامعة لكل ما يدعوه اليه لان المراد
هل لك ميل الى ان تفعل ما تصير به زاكيا عن كل ما لا ينبغي وذلك يجمع كل ما يتعلق
بالاعتقاد والعمل ثم فصل الفعل الذي يصير به زاكيا بان ذكر اول ما يجب على المكلف في باب
الاعتقاد وهو معرفة الله تعالى ثم فرع عليه ما هو ملاك الخيرات ومبناء السعادات كلها وهو
خشية الله فان من خشي الله عز وجل اتى منه كل خير ومن آمن اجترأ على كل شر كما قال عم
من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل يقال ادلج القوم اذا ساروا من اول الليل وان ساروا من
آخر الليل فقد ادلجوا بتشديد الدال قوله اذ الخشية انما يكون بعد المعرفة تعليل لكون المضاف
المقدر في قوله واهديك الى ربك هو المعرفة فلذلك قال وارشدك انه تع فرع الخشية على ما قبله



على ما قبله وهي انما يكون الا بعد المعرفة كما قال انما يخشى الله من عباده العلماء بالله فلذلك قدر المعرفة
قوله وهذا كالتفصيل اه يعني انه تع بين في موضع من كتابه الحكيم حين ارسل موسى وهارون
عليهما السلام الى دعوة فرعون امرهما بان يقولا له قولا لينا وبين ههنا انه امر موسى عليه السلام
حين ان يقول له هل لك الى ان تزكى الآية فظهر به ان المذكور في كل موضع بعض وحي به لا كله
فكانه لما قال لهما فقولا له قولا لينا رتب لهما هذا الكلام اللين الرفيق تفصيلا وبيانا لصفة
القول المأمور به فانه قول لين مشتمل على بعض التفصيل اما كونه كونه لينا فلانه ابتدأ في مخاطبة
بالاستفهام الذي معناه العرض على اسلوب الترغيب في كونه زاكيا عما لا يليق به ومتطهرا
بطهارة الايمان من غير ان يأمر به صريحا ومن غيره ان يذكر ما يتعلق بالتزكي حيث لم يقل الى
ان تتزكى الشرك والجهل وكفران نعم خالقك ورازقك واقبل ما ادعوك اليه حتى تخرج من الضلال
والطغيان ونحو ذلك مما فيه عنف وغلظة · واما اشتماله على بعض التفصيل فظاهر وظهر من هذا
انه لا بد في الدعوة الى الله من اللين والرفق وترك الغلظة · والعنف ولهذا قال الله تع لخاتم
النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فكل من سلك
في دعوة الخلق اليه سبيل الخشونة و العنف فهو على ضد ما امر الله به رسله وانبياءه قوله
اى فذهب وبلغ فاداه اشارة الى ان الفاء في قوله فاراه للعطف على محذوف يدل عليه قوله
اذهب اليه وقل كذا وكذا وهذا كقوله فاضرب بعصاك الحجر فانفجرت فضرب فانفجرت وامثال هذا
الايجاز كثيرة في القرآن قوله فانه كان المقدم والاصل اعلم انهم اختلفوا في الآية الكبرى على
ثلثة اقوال الاول انها اليد البيضاء لقوله في سورة طه وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء
من غير سوء آية اخرى لنريك من آياتنا الكبرى قاله مقاتل والكلبي وقال عطاء هي قلب العصى حية
وقال مجاهد هي مجموع اليد والعصى وذلك لان سائر الآيات دلت على ان اول ما ظهر موسى عم
لفرعون هو العصى ثم اتبعه باليد فوجب ان يكون المراد مجموعهما واختار المص القول الثاني
ثم ذكر القول الثالث واستدل على ما اختاره وهو ان يكون المراد بها قلب العصى حية
بانها كانت متقدمة في الارادة حيث ابتدأ موسى عم بها وهذه دواعية الى الاخرى
فان العصى انقلبت حية اضمر موسى عم في نفسه خيفة منها وقصد ان يتقي الحية بيده
فقيل له حين رفع يده واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء بحيث تبرق كالشمس من
غير سوء آية اخرى لنريك ذلك والصنيع من حيث انه تعالى يرض ان يخاف فلما اظهر الله عم

العصى سا

على يده معجزة فلما كانت الآية الاولى هي الداعية الى الاخرى كانت الاولى اصلا والثانية تابعة لها فسميت
الاولى لذلك كبرى ولانه ليس في البدل الا انقلاب لونه الى لون آخر وهذا المعنى كان حاصلا في العصا
ثم حصل في العصا امور آخر ازيد من ذلك منها حصول الحيوة في الجرم الجامد ومنها تزائد
اجزائه وكبر جرمه ومنها حصول القدرة الكبيرة والقوة الشديدة ومنها ابتلاع الاشياء
الكثيرة بحيث فنيت فيها ولم يزد جرمه عظم بطنها ومنها زوال ذلك اللون والشكل الذين
صارت العصا بهما حية وزوال تلك الحيوة والقدرة عنها وعودها عصا كما كانت وكل واحد
من هذه الوجوه كانت معجزا مستقلا في نفسه فعلمنا ان الآية الكبرى هي العصا **قوله**
او مجموع معجزاته وجعلها آية واحدة لاشتراك الجميع في كونها معجزة دالة على صدق من ظهرت
هي على يده فخص الجميع باعتبار وحدة القدر المشترك بينهما كالآية الواحدة وجعلها كبرى بالاضافة
الى سائر الآيات التي اعطيها النبيون قبل موسى عليه السلام **قوله** وعصى الله بعد ظهور الآية
وتحقق امر نبوة موسى عليه السلام ووجوب اطاعته عليه وهو اشارة الى انه انما عطف قوله
عصى على كذب للدلالة على ان المراد بالتكذيب احد محتمليه وهو التكذيب باللسان مع حصول الجزم
بان من كذب ممن يجب تصديقه والايمان بجميع ما جاء به فان التكذيب انما يكون معصية لله تع
اذا كان بهذا المعنى وللتكذيب قسم آخر غير هذا وهو تكذيب من لا يجب تصديقه والتكذيب بهذا
المعنى لا يكون عصيانا لله تع فان قيل قوله تع بعده فحشر فنادى يدل على ان فرعون ما اعتقد بان
ما ظهره موسى عليه السلام عليه من المعجزة فعل الله تع خلقه في يده بدليل قوله تع ليستدل على صدقه في
دعواه وذلك لانه اعتقده بامكان المعارضة حيث جمع السحرة وامرهم بمعارضته فكيف
تكذيبه من القسم الذي يكون عصيانا لله تع قلنا لا يجوز ان يكون حشره اي جمعه ونداؤه في المجمع تمردا
وعنادا للاعتقاد بانه تمكن معارضته بل هو تعلق بالباطل ودفعا للمجلس **قوله** مرغوبا
مسرعا حال من فاعل ادبر اثر ذي اي يسعى في النظم حال منه بمعنى مسرعا في مشيه قال
الحسن كان فرعون رجلا طياشا خفيفا **قوله** اعلى كل من يلي امركم يريد انه لم يرد بقوله
انا ربكم انه خالق السموات والارض والجبال والنبات والحيوان فان العلم بفساد ذلك ضروري
ومن شك فيه كان مجنونا لما جاز من الله تع بعثة الرسل اليه بل الرجل اليه كان دهريا
منكرا للصانع والحشر والنشر وكان يقول ليس للعالم اله حتى يكون له عليكم امر ونهي او يبعث
اليكم رسولا بل المربي لكم والمحسن اليكم انا لا غيري لا بمعنى انه خالق العالم وقال القاضي البا قلاني

ولم يزد به عظم بطنها
نسخه

كان ح

الباقلاني كان الاليق به عند ظهور خزيه عند انقلاب العصا حية وظهور ذله وعجزه ان لا يقول ذلك
القول الدال على تربية الخلق وعلوانه مع ظهور كونه من جملة اهل الارض في الذل والهوان فكانه
صار الرجل في ذلك الوقت كالمعتوه الذي لا يدري ما يقول **قوله** اخذا متكلا اشارة الى ان نكالا
مصدر بمعنى منكلا لان النكال بمعنى التنكيل كالكلام بمعنى التكليم والسلام بمعنى التسليم والتنكيل بمعنى
المنكل على طريق رجل عدل وانه منصوب على انه صفة لمصدر محذوف منصوب باخذه الله وان اضافة
الى الآخرة والاولى بمعنى في كضرب اليوم فان قيل معنى الاخذ المنكل هو ان يعاقب المسيء على ذنب بان
يفعل به فعل يمنع غيره على الاتيان بمثل ذنبه ويمنعه ايضا عن المعاودة الى ذلك الذنب وهذا المعنى
انما يتصور بالتنكيل في الدنيا بالاغراق واما بالتنكيل في الآخرة فلا قلنا بل يتصور فان من سمع في الدنيا
ما عوقب به المذنب في الآخرة وصدق بذلك يمتنع بسبب سماعه عن ارتكاب ذلك الذنب
الذي ادى اليه فيكون العقاب في الآخرة تنكيلا ومنعا لمن سمع وصدقه في الدنيا وان لم يكن تنكيلا
لمن رآه في الآخرة او سمعه فان قوله لمن رآه مخصوص بالتنكيل في الدنيا وقوله او سمعه متناول للتنكيل
في الدنيا والآخرة والكلمة بحسب اصل اللغة تنبئ عن الامتناع عن الشيء وعدم الاقدام عليه ومن نكل
عن اليمين اي امتنع ان يحلف ونكل عن العدو امتنع عن معارضته ومحاربته جبنا ويقال نكل به
على ذنبه تنكيلا اي عاقبه على ذنبه عقابا يحمل المعاقب على الامتناع عن المعاودة الى ذلك
الذنب ويحمل غيره ايضا على الامتناع عن اتيان مثل ذنبه لان المعاقب لما عوقب على ذلك الذنب
كان ذلك عبرة لغيره يعتبر بحاله فيمتنع عن اتيان مثل ما اتى به وقيل نكال الآخرة مصدر مؤكد للفعل
المذكور واخذه الله حملا على المعنى لان الاخذ ههنا عقوبة فكانه قيل نكل به نكال الآخرة اي تنكيلا فان
قيل ما وجه قوله نكال الآخرة والاولى بالعطف بالواو الجامعة فان اخذه بصيغة الماضي كان حقيقة
مستعملة في الاخذ في الماضي لا يتناول الاخذ في الآخرة وان كان مجازا مستعملا في الاخذ في الآخرة لتحقق
وقوعه لا يتناول الاخذ في الاولى وعلى التقديرين لا مجال للجمع بينهما قلنا يجوز ان يستعمل في معنى
مجازي بصيغة الماضي يعم كلا الاخذين ويحتمل ان يقدر اخذه الآخرة في المعطوف فيكون تقدير الكلام
فاخذه الله نكال الآخرة واخذه الله نكال الاولى فيكون الاخذ الاولى المذكور مجازا واخذه الثاني
المقدر حقيقة **قوله** او على كلمة الاخرة عطف على قوله في الآخرة بالاغراق فان اضافة النكال على ذلك
التفسير بمعنى في والآخرة والاولى صفتان للدار المحذوفة اي اخذ في دار الآخرة وهي النار وفي الدار الاولى
وهي الدنيا والاضافة على هذا التفسير من اضافة المسبب الى السبب والآخرة والاولى صفتا الكلمتين

فرعون اوليهما قوله ما علمت لكم من اله غيري والاخيرة قوله انا ربكم الاعلى قالوا وكان بينهما
اربعون سنة وقيل عشرون سنة والمقصود التنبيه على ان ما اخذه بكلمة الاولى في الحال بل امهل اربعين
سنة فلما ذكر الثانية اخذ بهما وهذا تنبيه على انه تع يمهل ولا يهمل كذا قال الامام بعبارته يعني
ان كلمة الفاء في قوله فاخذه الله انما يدل على ترتب الاخذ وتفرعه على التكذيب والعصيان المؤديان
الى تلك الكلمة الحمقاء وافادة التها على تفرعه على كلمة الاولى فلا اذا لم تذكر الكلمة الاولى في هذه السورة
اولا الآن المقصود بكلمة الفاء الدالة على تفرع الاخذ على ما ذكر في هذه السورة وبذكر ان الاخذ المذكور
بسبب مجموع الكلمتين التنبيه على انه ما اخذه بكلمة الاولى في الحال الاخرة وقيل كلمة الاخيرة وهي قوله
انا ربكم الاعلى وكلمة الاولى هي تكذيبه موسى عم حين رآه الآية التي عجز عنه معارضتها قال القفال
وهذا كانه هو الاظهر لانه تعالى قال فاراه الآية الكبرى فكذب وعصى ثم ادبر يسعى فحشر فنادى
فقال انا ربكم الاعلى فذكر المعصيتين ثم قال فاخذه الله نكال الاخرة والاولى فظهر ان المراد انه
عاقبه على هذين الامرين قال قبل قول المص وعلى كلمة الآخرة بشيء بان اضافة النكال
الى الاخرة بمعنى على وكونها بمعنى على غير مذكور في التحويل المذكور فيه ان الاضافة منحصرة في الاضافة
ههنا ايضا بمعنى الامر لان كلمة الاولى والاخرى ليست من جنس النكال وظرفه وانما عبر بعلى
للاشعار بالمقابلة والسببية يدل عليه قوله لهما في قوله او للتنكيل فيهما اولهما فافهم وهو
اشارة الى ان النكال بمعنى التنكيل ايضا كالسلام بمعنى التسليم والى جواز ان يكون انتصابه
على انه مفعول له لاخذه الله اي فاخذه الله للتنكيل في الدارين ولاجل الكلمتين او الخطيئتين
قوله ويجوز ان يكون مصدرا موكدا مقدرا بفعله كوعد الله وصبغة الله فكانه نكل الله
نكال الاخرة والاولى ثم انه ختم هذه القصة بقوله ان في ذلك لعبرة اي فيما قصصنا عليك
من نصرة موسى عم وخزي فرعون لعبرة لمن يخشى فانه يدع التمرد على الله تع
والتكذيب معاشر المكذبين بمحمد صلى الله عليه سلام بما ذكرناه لكم واعلموا انكم ان شاركتموهم
في المعنى الموجب للعقاب شاركتموهم في حلول العقاب لكم ثم انه تع لما ختم هذه القصة
رجع الى مخاطبة منكري البعث فقال انتم اشد خلقا فخاطبهم اولا بالقسم بان اقسم
بالملائكة الموكلين بقبض الارواح على قيام الساعة وبين مقدماتها الهائلة وذلك الكفرة
فيها ثم التفت عن خطابهم الى ان حكى عنهم بطريق الغيبة مقالاتهم المتعلقة بانكار البعث
ثم اجابهم بقوله فانما هي زجرة واحدة اي لا تستصعبوها فانها سهلة هينة وقدرته

في قدرته فالآن شرع في بيان سهولته فقال ءانتم اشد خلقا وفسر المص الشدة بالصعوبة
لا بالصلابة لانه لا يلائم المقام اي اخلقكم بعد الموت اصعب ام خلق السما بلا مادة مع صغر
جثتكم وضعف تاليفكم مع عظم جثتها وقوة تاليفها وهو استفهام تقرير ليقروا بان خلق
السماء اصعب فيلزمهم بان يقول لهم ايها السفهاء من قدر على الاصعب الاعسر
كيف لا يقدر على اعادتكم وحشركم وهي ايسر واسهل فخلقكم على وجه الاعادة اولى ان يكون
مقدورا لله تع فكيف تنكرون ذلك والتفاوت بين الامرين بان يكون احدهما اصعب
من الآخر انما هو عند المخاطبين وفي زعمهم وتقريرهم فان كلا الامرين بالنسبة الى قدرة الله تعالى
واحد ولما كان الجواب بطرفيه متضمنا تسلية الرسول عليه سلام من استهزائهم وتهديد
الكافرين لانكارهم اوقع قصة موسى عم معترضة في البين لتاكيد امر التسلية والتهديد
قوله تع ءانتم مبتداء واشد خبره خلقا تمييز والسماء عطف على انتم وحذف خبره لدلالة خبر
انتم عليه اي ام السماء اشد خلقا وبناها مستانف لبيان كيفية خلقها فيتم الكلام عند
قوله بناها استعمل لفظ البناء في موضع السقف فان السماء سقف مرفوع والبناء انما يستعمل في
اسافل البيت لا في الاعالي للاشادة الى انه وان كان سقفا لكنه في البعد عن الاختلاف والانحلال
كالبناء فان البناء ابعد عن تطرق الاختلال اليه بالنسبة الى السقف فلهذه الدقيقة اختير لفظ البناء
في هذه المواضع **قوله** ثم بين البناء اي لما بين كيفية خلق السماء بقوله بناها بين كيفية
البناء بوجوه اربعة الاول ما يتعلق بالارتفاع فقال رفع سمكها اعلم ان امتداد الشيء اذا اخذ
من اسفله الى اعلاه سمي سمكا واذا اخذ من اعلاه الى اسفله سمي عمقا فالمراد برفع سمكها هو جعل مقدار
ارتفاعها من الارض وثخنها الذاهب في العلو رفيعا حتى ذكروا ان ما بين الارض وبينها مسيرة
خمسمائة عام وثخن كل واحد منها كذلك والثاني من تلك الوجوه ما اشار اليه بقوله فسواها وفسر
المص بوجوه ثلثة ولا خفاء في الفرق بين الوجه الثالث والاولين لكن بين الوجه الاول والثاني خفاء
فلعله اراد بتعديلها خلقها متعادلة الاجزاء اي متشابهة الاجزاء عن جميع الجهات والاوصاف في سلامتها
من العيوب ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وهل ترى من فطور واراد بجعلها مستوية عدم
الاختلاف والتفاوت بين اجزائها بان يكون بعضها اقرب الى المركز بالنسبة الى البعض الآخر بكون
جميعها متشابهة البعد بالنسبة الى المركز فيكون ذلك اشارة الى كونها كرة قالوا لما ثبت كونها محدثة
مفتقرا الى فاعل مختار فاي ضرر في الدين ينشأ من كونها كرة ويحتمل ان يريد باستوائها كونها

مر بريد بها

مسطحة ملساء بان لا تتفاوت اجزاؤها بالارتفاع والانخفاض والثالث من تلك الوجوه ما اشار
اليه بقوله واغطش قد يكون لازما يقال اغطش الليل اذا صار مظلما وقد يجيء متعديا يقال اغطشه الله
اذا جعله مظلما والغطش الظلمة والمراد ههنا المتعدي فان اشار اليه بقوله اغطش منقول من غطش
كاخرج من خرج والظلمة من ظلم بكسر اللام فان قيل الليل اسم لزمان الحاصل بسبب غروب الشمس
فقوله او اغطش ليلها يرجع معناه الى انه جعل المظلم مظلما وهو بعيد والجواب ان معناه
ان الظلمة الحاصلة في ذلك الزمان انما حصلت بتدبير الله تعالى وتقديره فلا اشكال **قوله**
وانما اضافه اليها اي اضاف الليل الى ضمير السماء للملابسة بينهما من حيث ان الليل يحدث بسبب
غروب الشمس وغروبها انما يحصل بسبب حركة الفلك والاضافة يكفيها ادنى ملابسة المضاف
بمضاف اليه والوجه الرابع من تلك الوجوه ما اشار اليه بقوله واخرج ضحيها فان المراد بالاخراج
الاخراج بالابراز وهو ظاهر والضحى بالضوء وحمل الكلام على تقدير المضاف على معنى واخرج ضحى
شمسها لان الضحى هو ضوء الشمس لقوله تعالى والشمس وضحيها وحذف لدلالة الضحى عليه **قوله**
يريد النهار اي يريد بضحى الشمس ضوءها النهار وانما عبر عن النهار بضوء الشمس تسمية
للمحل باسم اشرف ما حل فيه لان النهار اسم لزمان حصل فيه ضوء الشمس على وجه الارض وفضل
النهار على الليل انما هو لاشتماله على نور الشمس وضوءها فهو اشرف ما فيه فسمى النهار به لذلك
ولما بين الله تعالى كيفية خلق السماء اتبعه بكيفية خلق الارض فقال والارض بعد ذلك
والعامة على نصب الارض والجبال على اضمار فعل يفسره ما بعده اي ودحى الارض اي بسطها
بعد خلق السماء وبناها ليسكن فيها ويستقر عليها والنصب هو المختار ههنا لان الجملة
المتقدمة المعطوفة هي عليها فعلية وكلمة بعد على اصل معناه وهو التأخر ولا معارضة بينها
وبين اية فصلت وهي قوله ثم استوى الى السماء بعد قوله خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي
من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام لانه تعالى خلق الارض اولا غير مدحوة
بل كانت كالكرة المجتمعة ثم خلق السماء ثانيا ثم دحى الارض اي بسطها ثالثا وفيه ان الدلائل
دلت على ان الارض الان كرة ايضا وايضا ان الجسم العظيم يكون ظاهره كالسطح المستوي
فيستحيل ان يكون هذا الجسم العظيم مخلوقا ولا يكون ظاهرا مدحوا مبسوطا وقيل ان بعد ههنا
في موضع مع كانه قال والارض مع ذلك دحيها كقوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم وكما يقال انت
احمق وانت بعد هذا سيء الخلق وقيل بعد ههنا بمعنى قبل كقوله تعالى ولقد كتبنا في

الزبور من بعد الذكر اي من قبل الفرقان **قوله** ومرعيها اي كلاءها فان الرعي بكسر الراء الكلاء وبالفتح
المصدر والمرعى في اصل اللغة يطلق على موضع الرعي بفتح الراء وعلى زمانه وعلى نفس المعنى المصدري
وليس هو في بعض هذه المعاني اصلا بالنسبة الى الباقي بحيث يكون استعماله في الباقي على طريق النقل
منه بل هو بحسب الوضع اللغوي مشترك ولغة اصلية في جميعها ويطلق ايضا على الرعي بكسر
الراء وهو الكلاء ولكنه ليست بينهما لغة اصلية في هذا المعنى بل هو مجاز فيه على طريق تشبيه
الكلاء بموضع الرعي في تعلق الرعي بفتح الراء بكل منهما ويجوز ان يكون المرعى مصدرا بمعنى اسم
المفعول اذا اطلق على الكلاء **قوله** باضمار قد والماضي المثبت اذا وقع حالا لا بد له من قد ظاهرة
او مقدرة للتنافي بحسب الظاهر بين لفظ الماضي والحالية واذا اضمر قد جعل الماضي قريبا الى الحال فيرتفع
التنافي والقباحة وفي مثله يجوز ترك الواو فلذلك جرد قوله اخرج منها ماءها عن العاطف
او لان الجملة بيان لتبيان دحو الارض وتمهيدها للسكنى فان دحوها للسكنى للحيوان لا يكون الا
باشتمالها على ما لا بد منه في تأتي السكنى عليها من تهيئة امر المأكول والمشروب باخراج الماء والمرعى
ومن ارساء الجبال عليها اوتادا لها ليستقر فيتأتى السكون والقرار عليها والكلام المبين
لا يعطف على ما قبلها فلذلك جرد عن العاطف ويظهر بكون هذه الجملة حالا او استئنافا
جواب عما يتوهم من التعارض عن التعارض بين هذه الاية واية فصلت من حيث ان
هذه الاية تقتضي كون خلق الارض بعد خلق السماء وما في حم السجدة يقتضي كون خلق
السماء بعد خلق الارض وتقرير الجواب ان قوله اخرج منها ماءها ومرعاها لما جعل
حالا لم يكن المراد بقوله دحيها بسطها مطلقا بل البسط المقيد باخراج مائها ومرعاها
وارساء الجبال عليها فكانه قيل دحى الارض بعد خلق السماء دحوا يترتب عليه انتظام
احوال من يسكن عليها بان جعلها مستقرة بارساء الجبال عليها ومشتملة على ما لا بد منه
لمعاش اهلها فيها مستعدة لنبات اقواتها وحصول ارزاقهم فيها والدحو على الوجه المذكور
متأخر عن وجود السماء لان الارض كالام والسماء كالاب وما لم يحصل الاب لم تكن الام مشتملة
على الاولاد ومستعدة لحصولها وكذا اذا كانت جملة اخرج منها ماءها استئنافا لبيان كيفية
دحوها وتمهيدها للسكنى يكون البعدية وصفا للدحو على الوجه المبين وتأخيره لا ينافي كون
خلق نفس الارض متقدما على خلق السماء كما يدل عليه قوله في سورة فصلت ثم استوى الى
السماء وقد ذكرنا في تلك السورة ما في هذا الجواب وعدم التفات المصنف اليه وان المختار عنده

المأكول والمشرب سمه

ان خلق الارض كان بعد خلق السماء كما يدل عليه قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ودفع التناقض
بين الايتين بان يحمل ثم في حم السجدة على تفاوت ما بين الخلقين لا التراخي في الزمان حتى
يلزم التناقض كانه قيل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض وفعل كذا وكذا او اعظم من
ذلك انه استوى اي قصد الى خلق السماء وهي شيء حقير ظلماني كالدخان قوله تمتيعا لكم
اشارة الى ان المتاع بمعنى التمتيع كالسلام بمعنى التسليم وانتصابه اما على انه مصدر مؤكد
لفعل المحذوف المدلول عليه بسياق الكلام متعناكم بها تمتيعا واما على انه مفعول له اي
فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم اي منفعة لها ولكم وظهر ان المراد بالمرعى ما ياكله الناس
والانعام واستعير المرعى لما اكل الانسان كما استعير الرتوع لاكله وتنعمه وهو في الاصل لاكل الماشية
ما شاءت الجوهري رتعت الماشية ترتع رتوعا اي اكلت ما شاءت يقال خرجنا نرتع
ونلعب اي ننعم ونلهو وكما استعير المرسن للانف والمشفر للشفة ونكتة الاستعارة توبيخ
المخاطبين والحاقهم بالبهائم من حيث ان الكلام مع منكري الحشر كما مر كانه قيل ايها المعاندون
الداخلون في زمرة البهائم في تمتعكم بالدنيا وذهولكم عن الآخرة كيف تستصعبون
البعث ممن قدر على هذه الامور العظام ولما بين امكان البعث والحشر ببيان كيفية
خلق السماء والارض اخبر بعد ذلك عن وقوعه وفصل احوال كل واحد من اهل الطغيان
والطاعة مع بيان مأويهما حيث قال فاذا جاءت الطامة الكبرى الاية اسم لكل داهية عظيمة
ينسى ما قبلها في جنبها وقيل اصل الطم الدفن والعلو فكل ما غلب شيئا وقهره واخفاه
فقد طمه ويقال جاء السيل فطم الركية اي دفنها وسويها وسميت القيمة او النفخة الثانية
طامة لانها تغلب على كل شيء فتقهره فانه يشاهد يوم القيمة من الآيات الهائلة الخارجة من العادة
ما ينسى معه كل هائل وعند النفخة الثانية يحشر الخلائق الى موقف القيمة قوله لكل داهية هذا
العموم مستفاد من لفظ من لانها من الفاظ العموم ولا مدخل لحذف مفعول يرى في افادة
العموم لان المستفاد من حذف المفعول عموم المفعول لا عموم الفاعل والمقصود ههنا عموم
الفاعل اما عدم خفائها على المؤمنين فانهم يمرون عليها حين مجاوزة الصراط لقوله تعالى
وان منكم الا واردها الى قوله ثم ننجي الذين اتقوا فان قيل انه تعالى قال في سورة الشعراء
وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وخص الغاوين بتبريزها لهم قلنا
انها برزت للغاوين والمؤمنون يرونها ايضا في الممر ولا منافاة بين الامرين قوله وجواب

وجواب فاذا جاءت محذوف الخ اذا جعل جواب الشرط ما يدل عليه قوله يوم يتذكر كان تقرير
الكلام فاذا جاءت الطامة يجازى الانسان على سعيه او يعرف كل احد ما قدمت يداه او يعرف
كل فريق ما يستحقه ونحو ذلك قوله او ما بعده من التفصيل يحتمل ان يكون معطوفا على قوله
يوم يتذكر اي او دل على الجواب المحذوف ما بعد قوله يوم يتذكر من التفصيل وتقدير الكلام
فاذا جاءت دخل الخائفون الجنة والطاغون النار فان قيل اي ضرورة دعت الى ارتكاب
الحذف وهلا قلت ان الجواب هو الجملة الشرطية المصدرة باما التفصيل الدالة على تفصيل
ما اجمل سابقا قلنا على تقدير كون الجواب تلك الجملة الشرطية يلزم ان يكون كلمة اما لغوا
خاليا عن الفائدة اذ لا يتصور تفصيل المجمل ويحتمل ان يكون معطوفا على قوله محذوف
اي او ليس بمحذوف بل هو التفصيل المذكور بعده كما ذهب اليه صاحب الكشف حيث قال
فاما جواب فاذا جاءت الطامة فان الامر كذلك فان قوله فاما مبتدا وقوله جواب فاذا اخبر
وقال صاحب الكشف في الحواشي ذكر العلامة في الدرس وجها وهو ان يكون جوابا في المحذوف
كانه قيل فاذا جاءت وقع ما لا يدخل تحت الوصف وقوله فاما التفصيل ذكر المحذوف
والذي ذكر في المتن من انه هو الجواب فيه غموض ثم قال اقول لا غموض بعد تحقق انه
ان يقال فاذا جاءت فان الطاغي للجحيم مأواه وان الخائف للجنة مأواه وزيادة
لم تفد الا زيادة المبالغة وتحقيق الترتيب والثبوت على كل تقدير انتهى كلامه ولعل قوله
وتحقيق الترتيب اه عطف تفسيري لبيان زيادة المبالغة والمعنى لا غموض فيه
بناء على ان اما ليست للتفصيل بل هي حرف جيء بها لتاكيد ترتيب الجواب على الشرط
وبيان الحكم ثابت على تقدير من حيث ان معنى نحو اما زيد فمنطلق مهما يكن من شيء
فزيد منطلق بمعنى ان يقع في الدنيا شيء يقع انطلاق زيد فالمقصود القطع بوقوع الانطلاق
حيث جعل لازما لوقوع شيء ما في الدنيا وما دامت الدنيا باقية فلا بد من حصول شيء فيها
وفي شرح الرضي جواز السكوت على مثل قولك اما زيد فقائم برفع دعوى لزوم التفصيل فيها
قوله واللام فيه ساد مسد الاضافة يعني انه لا بد في الخبر من رابط يربطه بالمبتدا اذا كان جملة
ومن في قوله من طغى موصولة في موضع الرفع بالابتداء وقوله طغى صلتها وقوله فان الجحيم هي المأوى
خبره ولا ضمير فيه يعود الى المبتدا فقدره البصريون وقالوا تقدير الكلام فان الجحيم هي المأوى
له وانما حذف لطول الكلام وذهب الكوفيون الى ان تقديره فان الجحيم هي مأواه فقام الالف واللام
مقام الضمير

سد العائد لعدم الالتباس اى ترك التعريف بالاضافة لعدم الاحتياج اليه لان كل احد يعلم بان
صاحب المأوى ههنا هو الطاغي وعرف اسم الجنس بلام الجنس لكون الجنس معروفا عند
كل احد وليس اللام فيه لام العهد الخارجي لما مر من انه لا حاجة الى تعريف الحصة المعينة فيكون
حرف التعريف سادا مسد الاضافة ومعناه ترك العائد باضافة الاسم اليه بان جعل
موضع الاضافة ما ينافيها ولا يجتمع معها وهو حرف التعريف لا انه ترك الاضافة واقيم
حرف التعريف مقامها من حيث ان تعريف العهد يغني غناء الاضافة الى الضمير في افادة
الربط وذلك انه لما كان ترك العائد بناء على عدم الاحتياج الى الرابط لعدم الالتباس
لم يحتج الى شيء ما يدل على الربط فلا يكون لاقامة اللام مقام العائد معنى وهذا المعنى هو الذي اراده
صاحب الكشاف بقوله وتبيين لان الالف واللام بدل من الاضافة اه ولا ينافيه قول المصنف انه ساد مسد
الاضافة اذ ليس مراده انه اقيم مقام العائد في افادة الربط اراد انه ترك طريق الاضافة بالكلية
الى طريق ينافيها لعدم الاحتياج الى ما يدل على الربط **قوله** لعلمه بالمبداء والمعاد اشارة
الى ان الخوف من القيام بين يديه للحساب لا بد ان يكون مسبوقا بالعلم به تع كما قال الله تع انما يخشى الله
من عباده العلماء **قوله** ليس له سواها مأوى اشارة الى ان ما نهى النفس عن الهوى
معناه نهيها عن جميع الهوى على ان اللام للاستغراق والا فلا معنى للحصر لان المؤمن الفاسق
قد يدخل النار اولا ثم يخرج منها ويدخل الجنة فلا يصح في حقه قوله فان الجنة هي المأوى
بالحصر اللهم الا ان يقال معنى الحصر ان الجنة هي المقام الذي لا يخرج عنه من دخل فيه **قوله**
متى ارساها اشارة الى ان ايان ظرف بمعنى متى وهو مبني لتضمنه معنى حرف الاستفهام وان
المرسى مصدر بمعنى الارساء وهو الاثبات وهو مبتداء وايان خبره ويحتاج الى تقدير المضاف
اذ لا يخبر بالزمان عن الحدث والتقدير متى وقت ارسائها اى متى يقيمها الله ويوجدها
ويجوز ان يكون المرسى اسما لزمان الارساء فلا حذف على هذا **قوله** او منتهاها
ومستقرها اشارة الى انه اسم لمكان ينتهي اليه المتحرك ويستقر فيه كمرسى السفينة
كان الساعة شيء يتحرك ويجري الى جانب الوقوع دائما مثل جريان السفينة الى
مستقرها ولهذا قيل سميت الساعة ساعة لسعيها الى جانب الوقوع ومسافته الانفاس
وكان المشركون يسمعون اخبار القيمة واوصافها الهائلة مثل انها طامة كبرى وصاخة
وقارعة فيقولون على سبيل الاستهزاء ايان مرساها **قوله** من ان تذكر وقتها لهم اشارة

الى ان قوله من ذكراها فيه مضاف محذوف وهو الوقت وصلة محذوفة وهي لهم والقرينة
الدالة عليها ذكره في مقابلة حكاية سؤال الكفار عن وقت اتيانها فان ايان مرساها سؤال
عن وقت اتيانها في حكاية سؤالهم هذا دلت على ذينك المحذوفين وان المعنى ما انت
في شيء من تبيين وقتها لهم على ان يكون الاستفهام في قوله فيم انت للانكار فعلى هذا انت
مبتداء وفيم خبره قدم عليه ومن ذكراها يتعلق بما تعلق به الخبر **قوله** وقيل فيم انكار
لسؤالهم على انه خبر مبتداء محذوف اى هذا السؤال الواقع من الكفرة وقوله انت من
ذكريها كلام تام مستانف مبتداء وخبر وجواب بانها قريبة لا بعيدة لانك علامة
من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها والاهتمام على تحصيل الاستعداد لها فلا معنى
لسؤالهم عنها والجواب على الوجه الاول هو مجموع قوله فيم انت من ذكريها وان العلم
بوقت اتيانها مما تفرد به الله عز وجل طوى علمه عنك وعن سائر البشر على الوجه الثاني
هو قوله الى ربك منتهاها واما قوله فيم انت من ذكراها فمتصل بسؤالهم والمعنى انهم
يسئلونك عنها قائلين متى وقت ارسائها ولم لا تذكرها وتبين وقتها لنا فوقع
في جوابهم الى ربك منتهى علمها **قوله** وهو لا يناسب تعيين الوقت اى البعث
للانذار خاصة انما يناسب تبيين ما يكون حاملا للمبعوث اليهم على الخشية
وتحصيل الاستعداد للنجاة عن شدائدها واهوالها ولا دخل لتعيين وقت قيامها في ذلك
فان محض الانذار لا يتوقف على علم المنذر بوقت قيامها فلم يكن تعيينه مناسبا لذلك و
فلذلك لم يعين الله تع وقت قيامها للمبعوث بل قال لهم فيم انت من ذكراها **قوله**
وتخصيص من يخشى مع انه عليه السلام مبعوث الى من يخشى ومن لا يخشى والجمهور على ان قوله منذر
من يخشاها اضافة الصفة الى معمولها للتخفيف على الاصل لان الاصل في الاسماء الاضافة
والعمل فيها انما هو بالشبه ومن قرأ بالتنوين اعتبر ان الاصل فيها الاعمال والاضافة انما
هي للتخفيف **قوله** كانهم يوم يرونها كناية عن شدة ما انكروه بحيث انهم اذا
راوه يحسبون انهم ابدا كانوا فيه ويستقلون مدة لبثهم في الدنيا لفناء لذاتها وبقاء
تبعاتها ويزعمون انهم لم يلبثوا فيها الا آخر يوم او اوله ويوم ظرف لما في كان من معنى
التشبيه ولما ورد ان يقال ما وجه اضافة الضحى الى ضمير العشية والعشية لا ضحى لها
اجاب عنه بان تنوين عشية عوض عن المضاف اليه وهو يوم منكر ومعنى قوله او ضحيها

او ضحى ذلك اليوم الذي اضيف اليه العشية الآن الضحى والعشية لما كانتا يوم واحد
تحققت بينهما ملابسة مصححة للاضافة احديهما الى الاخرى فلذلك اضيفت الضحى الى
العشية والمراد اضافتها الى يوم تلك العشية ومثله كثير في كلام العرب يضيفون
الغداة الى العشي وبالعكس ويقولون اتيتك الغداة او عشيتها واتيتك العشية
او غداتها يريدون اتيتك غداة نهار او عشية النهار الذي تلك الغداة اوله فحذف
ما حذف للاختصار فان قيل لم لم يقل الا عشية او ضحى وما فائدة الاضافة قلنا لو قيل
لم يلبثوا الا عشية او ضحى احتمل ان يكون العشية من يوم آخر فيتوهم استمرار اللبث
من ذلك الزمان من اليوم الاول الى الزمان الآخر من اليوم الآخر واما اذا قيل الا عشية او ضحيها
لم يحتمل ذلك البتة **قوله** ممن خشية الله عبارة عن استقصار مدة اللبث بما يلقى من
البشرى والكرامة في البرزخ والموقف

سورة عبس مكية وآيها اربعون

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** عبس اي كلح بوجهه وتولى اي اعرض
بوجهه صح
والصناديد جمع صنديد وهو السيد الشجاع وكان عليه السلام يدعوهم الى الاسلام تبليغا لهم
ورجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم لان عادة الناس انهم اذا مال اكابرهم الى امر مال اليه غيرهم
كما قيل الناس على دين ملوكهم **قوله** على اختلاف المذهبين اي في تنازع الفعلين المذكورين
تنازعا واستدعى كل واحد منهما ان ينصب قوله ان جاءه على انه مفعول له واعمل البصريون الثاني
لقربه منه اي تولى لان جاءه الاعمى والكوفيون اعملوا الفعل الاول **قوله** وقرئ آن بهمزتين
وبالف بينهما للفصل على الاستفهام الذي معناه الانكار فيوقف على عبس وتولى على هذه القراءة
لا على قراءة الجمهور ثم يبتدأ بقوله آن جاءه على معنى ألأن جاءه الاعمى فعل ذلك فقوله آن على
هذه القراءة متعلق بمحذوف يدل عليه عبس وتولى لا بالمذكور لان ما بعد حرف الاستفهام لا يتعلق
بما قبله **قوله** وذكر الاعمى للاشعار الخ لما ورد ان يقال انه تع لما نبه على تحرده انه عبس في وجه ابن
ام مكتوم كان ذلك تعظيما عظيما من الله تع لابن ام مكتوم واذا كان كذلك فكيف يليق بمثل
هذا التعظيم ان يذكره باسم الاعمى مع ان ذكر الانسان بهذا الوصف يقتضي تحقير شأنه جدا
اشار المص الى جوابه بان يقول ان ذكره بلفظ الاعمى ليس لتحقير شأنه بل للاشعار بعذره في الاقدام
على ما فعل او لزيادة الانكار على عبسه وتوليه كأنه يقول انه بسبب عماه استحق مزيد الترفق والترأف
فكيف يليق بك يا محمد ان تخصه بالغلظة كما ان وجه الالتفات من الغيبة الى الخطاب يفيد
ذلك

ذلك اي زيادة الانكار فان قيل ان ابن ام مكتوم كان يستحق التأديب والزجر فكيف
عاتبه الله تع رسوله على ان ادبه والحال انه عليه السلام انما بعث ليؤدب المؤمنين ويعلمهم محاسن
الآداب وانما قلنا انه كان يستحق التأديب لانه وان كان لا يرى القوم لعماه لكنه لصحة سمعه كان
يسمع مخاطبة الرسول عم مع اولئك الكفار ويعرف بذلك شدة اهتمامه عليه السلام بشأنهم
فيكون اقدامه على قطع كلامه عم ايذاء له وايذاء النبي عليه السلام معصية عظيمة وايضا الاهم مقدم
على المهم وابن ام مكتوم كان قد اسلم وتعلم ما كان يحتاج اليه من امر الدين واما اولئك الكفار
فما كانوا قد اسلموا وكان اسلامهم سببا لاسلام جمع عظيم فكلامه في البين لقطع ذلك الخير العظيم
لغرض قليل وذلك محرم فثبت بهذا ان ما فعله ابن ام مكتوم كان ذنبا ومعصية وان الذي
فعل النبي كان واجبا فكيف عاتبه الله على ذلك اجيب عنه بوجهين احدهما ان الامر وان كان
كما ذكرتم الا ان ظاهر ما فعل الرسول عليه السلام يوهم تقديم الاغنياء على الفقراء وقلة
المبالات بانكسار قلوب الفقراء وهو لا يليق بمنصب النبوة لانه ترك الافضل فلذلك عاتبه
الله تع وثانيهما انه يقال لعل هذا العتاب لم يقع على ما صدر منه من الفعل الظاهر بل على ما كان
منه في قلبه من الميل اليهم بسبب قرابتهم وعلو منصبهم وشرفهم ومن تنفر طبعه عن الاعمى
بسبب عماه وعدم قرابته وقلة شرفه فلما وقع التعبيس والتولي لهذه الداعية لا لاجل
تأديبه على ما ارتكبه من الذنب عوتب على ذلك التعبيس والتولي لذلك **قوله** او لزيادة
الانكار مستفاد من قوله عبس وتولى باسناد الفعلين الى الرسول بصيغة الغيبة فانه يدل
على وقوعهما منه عم منكر لا يليق بمنصبه وخلقه العظيم لا سيما انه ما ارسل الا رحمة للعالمين
فكيف يليق به ان يعرض عمن جاءه مسترشدا طالبا للتزكي والايقاظ ووجه دلالته على
ذلك ان خطاب المعاتبة يقتضي ان يقال عبست وتوليت عمن جاءك للتزكية والسلوك
على طريق الغيبة يشعر بان العابس والمتولي غير المخاطب وانه يشكو الى المخاطب من فعله
وذلك يدل على ان ذلك الفعل منكر لا يتصور وقوعه من المخاطب وانما المتصور ان يقع
من غيره ثم يشكى الى المخاطب منه وهو انكار عظيم لوقوعه ثم انه اذا التفت بقوله وما
يدريك كان فيه مزيد انكار لذلك كمن يشكو الى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجاني
اذا حمي في الشكاية مواجها اياه بالتوبيخ والزام الحجة وكذا ذكر ذلك المستهدي بوصف
العمى يفيد زيادة الانكار على ذلك كأنه قيل قد استحق ذلك المسكين عندك العبوس والاعراض عنه

وكان يجب ان تريد لعاه التعطف والاهتمام بامره قوله واي شيء يجعلك داريا بحاله اي هذا
الاعمى قدر لفعل الدراية مفعولا تنبيها على ان قوله لعله يزكى ليس مفعوله بل تم الكلام عند قوله
وما يدريك فيوقف عليه ويبتداء بما بعده على معنى وما يطلعك على امره وعاقبة حاله
على ان الاستفهام بمعنى النفي اي لا يدريك شيء ثم ابتداء فقال لعله يزكى على ان ضمير لعله للاعمى
وان لعله من التجاز بان يستعمل كلمة الترجي للقطع والتحقيق فان لعل في كلام العظماء
يراد به ذلك وان كان ظاهر النظم يدل على ان المراد تسليط فعل الدراية على الترجي و
ان المعنى انك لا تدري انه يترجى منه التزكي والتذكير والاتعاظ والترجي راجع الى الاعمى او غيره
في المعنى ان رجاء تزكيه او كونه ممن يرجى منه ذلك كاف في الامتناع من العبوس والاعراض
قوله بما يتخلق يتلقف الشيء تناوله بسرعة والمراد به ههنا التعلم والتزكي بالنسبة
الى الجهل والاثام والتذكر بالنسبة الى فعل الخير والطاعات وبالجملة فلعل ذلك العلم
الذي يتلقفه منك يطهره من بعض ما لا ينبغي وهو الجهل والمعصية او يشغله بعض
ببعض ما ينبغي وهو الطاعة قوله وفيه ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره مع
عما لا ينبغي من الجهل والمعصية او يشغله ببعض ما ينبغي وهو الطاعة قوله وفيه ايماء
بان اعراضه كان لتزكية غيره عما لا ينبغي من الجهل والمعصية واتعاظه بفعل ما ينبغي من الطاعة
ولم يتعرض لجانب الاتعاظ اكتفاء بذكر التزكية عنه فان قوله لعله يزكى اذا كان موميا
سولذلك يكون قوله او يذكر موميا بان الاعراض المذكور كان لاحد الامرين قوله وقيل الضمير
في لعله للكافر يعني هذا العمل ترجع النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك قال انك طمعت في اسلام قوله
وقرأ عاصم فتنفعه بالنصب والباقون بالرفع فمن رفعه جعله معطوفا على يذكر ومن نصبه
نصبه على انه جواب لعل بالفاء فان الفعل المضارع ينتصب بان مقدرة بعد الفاء بشرطين
احدهما السببية والثاني ان يكون قبلها احد الاشياء الستة الامر والنهي والاستفهام والتمني
او العرض والشرط الاول ههنا متحقق بلا شبهة واما الثاني فغير متحقق بحسب الظاهر الا انه
حمل الترجي على التمني والاستفهام من حيث انها غير موجب بل مطموع الحصول بعد فقدر ان
بعده كما قدر بعد الاشياء الستة ليكون الفعل معها في تاويل المصدر فيعطف المصدر على المصدر
الاول فتقدير الآية لعله يكون منه تذكر فانتفاع قال تعالى لعلي ابلغ الاسباب ثم قال
فاطلع بالنصب على قراءة حفص والمعنى لعلي يكون مني بلوغ الاسباب الى الامور ويحتمل

ان يكون

ويحتمل ان يكون لعل هنا للتمني على ما يدل عليه عبارة الكواشي حيث قال ونصب على جواب
التمني وقال صاحب المفتاح وسبب توليد لعل معنى التمني في قولهم لعل سياتيني
فاحدثه بالنصب هو بعد المرجو عن الحصول قوله تع اما من استغنى اي عن
طلب الخير مطلقا او على الايمان والتزكي وقول المص في تفسير قوله يسعى يسرع طالبا
للخير يؤيد الاول قوله تتعرض بالاقبال عليه التصدي للشيء التعرض له والتقييد بالاهتمام
بشانه وضده التشاغل عنه وقرئ تصدى بتخفيف الصاد وتشديدها والتخفيف مبني
على حذف تاء التفعل والتشديد مبني على ادغامها في الصاد بعد قلبها صادا وقرئ
تصدى بضم التاء وتخفيف الصاد اي تحمل وتدعى الى التعرض والتصدي له اي يدعوك داعي
الى التصدي له من الحرص والتهالك على اسلامه قوله وليس عليك باس اشارة
الى ان ما في وما عليك نافية وان قوله ان لا يزكى في موضع الجر بفي مقدرة متعلقة
باسم لا وهو محذوف ويحتمل ان يكون ان لا يزكى في موضع الرفع على انه مبتدا وما عليك
خبره والجملة في موضع النصب على انها حال من فاعل تصدى مقررة لجهة الانكار ويجوز
ان يكون استفهامية على معنى اي شيء عليك في ان لا يزكى بالاسلام من تدعوه الى الاسلام
اي لا شيء عليك فيه فيؤول المعنى الى كونها نافية قوله يسعى حال من فاعل جاءك
وقوله وهو يخشى جملة حالية من فاعل يسعى فهو حال من حال وأصل تلهى تتلهى حذف
احدى التاءين تخفيفا من لهي عن الشيء بكسر الهاء يلهى لهيا اعرض عنه لا من لها يلهو بالشيء
بالفتح يلهو لهوا اذا لعب به لان الفعل مسند الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم ولا يليق
بشانه الرفيع ان ينسب اليه التفعل من اللهو بخلاف الاشتغال عن الشيء لمصلحة
قوله ولعل ذكر التصدي والتلهي للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغني
وتلهيه عن الفقير لا على مجرد تعبيس الوجه والتولي به ووجه الاشعار ان التصدي
هو التعرض للشيء بالقلب والقالب والتلهي التشاغل عنه بان يميل القلب الى غيره
وفي الخبر ان ابن زبير اذا سمع صوت الرعد لهي عن حديثه اي تركه واعرض عنه
ومال الى التفكر في عظمة الله تع وقدرته وذلك يكون بالقلب والظاهر ان المراد
بالغني المستغني عما دعي اليه من التزكي بالايمان والطاعة وبالفقير الطالب المحتاج
الى ذلك لانه هو المناسب للمقام قوله ردع عن المعاتب عليه وهو اعراضه عليه السلام

عن طالب الخير واقباله على من استغنى عنه وكان فادغا عن طلبه فان قيل معنى الردع المنع ولا يتصور
المنع عن نفس المعاتب عليه لانه كائن ولا يتصور المنع عن الكائن وانما يتصور عن معاودة مثله
فالصواب الاقتصار على ان يقال ردع عن معاودة مثله قلنا معنى الردع عن المعاتب عليه منعه
عن استحسان ذلك بقلبه واعتقاد انه لا يليق بمنصبه وخلقه فلا اشكال قال الحسن لما تلى جبرائيل
هذه الايات على النبي صلى الله عليه وسلم عاد وجهه كانما اسف فيه الرماد ينتظر ماذا يحكم الله
عليه فلما قال كلا سرى عنه اى تفعل مثل ذلك فانه غير لايق بك **قوله** والضميران للقران
او العتاب المذكور اى ضميرانها وضمير ذكره فان كان للقران يكون وجه ارتباط هذه بما قبلها
انه تعالى لما ذكر استغناء هؤلاء الكفرة عن قبول ما دعاهم اليه وصف شان القران وعظمته
فى كونه موعظة وهدى للناس وقال كيف تظهر شدة الحرص والرغبة فى قبوله فهؤلاء
الكفار سواء قبلوه اولم يقبلوه لا يتفاوت شان القران فى علو قدره فمن شاء اتعظ به
فلا تلتفت اليهم ولا تشغل قلبك بهم واياك ان تعرض عمن آمن به تطييبا لقلوب المستغنين
عنه وان كان الضميران للعتاب يكون وجه الارتباط انه تعالى لما عاتب نبيه عليه السلام على ما وقع
منه من الاهتمام باسلام الصناديد لتضمنه قلة المبالاة لضعفاء المسلمين مع جلالة
قدره الشريف عنده عقبه بقوله ان هذه المعاتبة تذكرة اى موعظة للمعلمين فاتعظوا بها
بامعاشر من يطلب تخلية النفس بالاخلاق الحميدة والاداب المرضية ولازموا اجلال الفقراء
الطالبين تزكية نفوسهم عن المعاصى وتحليتها بالطاعات ولا تعرضوا عنهم بسبب الاشتغال
لاصلاح احوال من يظهر الاستغناء عن الخير ولا يسعى فى تحصيله واعلموا ان هذا التاديب
والعتاب مثبت فى اللوح المحفوظ الذى قد وكل بحفظه اكابر الملائكة **قوله** صفة لتذكرة
فيكون قوله فمن شاء ذكره جملة معترضة بين الصفة وموصوفها وان كان فى صحف خبرا
ثانيا لقوله انها تكون الجملة معترضة بين الخبرين نقل عن الزمخشرى انه انكر كونها
اعتراضا وقال وشرط الاعتراض ان يكون بالواو او مجردا عنها واما بالفاء فلا واجيب
بان هذا ينافى ما صرح به الزمخشرى فى قوله تعالى فاسألوا اهل الذكر فى سورة النحل من انه من الاعتراض
على بعض الوجوه وقيل انه استطراد للحث على التذكر والاتعاظ فانه تعالى لما قال ان تلك
المعاتبة تذكرة لك معين من حيث انه عم اذا عوتب بها مع جلالة قدره عنده تعالى
فما بال غيره فقال بعده فمن شاء ذكره حثا على التذكر فكانه قال فتذكر بها ايها ال... مع وكان

وكان الظاهر ان يؤخر قوله فمن شاء ذكره عن وصف التذكرة الا انه قدم عليه لشدة العناية
به **قوله** تعالى مكرمة نعت لصحف اى صحف مكرمة عند الله وكذا مرفوعة مطهرة
نعت بعد نعت للصحف وكذا بايدى سفرة فى موضع الصفة لصحف وهى جمع صحيفة
وهى ما يكتب فيه شىء **قوله** مرفوعة القدر او مرفوعة بحسب المكان لكونها فى السماء السابعة
قوله منزهة عن ايدى الشياطين او المراد انها مطهرة بسبب انه لا يمسها الا المطهرون
وهم الملائكة والسفرة كالكتبة لفظا ومعنى جمع سافر وهو الكاتب من سفر اذا كتب والسفر
بكسر السين الكتاب وجمعه اسفار والمراد بالكتبة هم الملائكة لانهم ينتسخون الكتب
من اللوح والمراد بهم الانبياء لانهم ينتسخونها من الوحى ويحتمل ان يكون السفرة جمع سافر
بمعنى سفير والسفير هو الرسول والمصلح بين القوم من السفارة وهو الاصلاح والى المعنيين
اشار المص بقوله جمع سافر من السفر او السفارة وهى الرسالة من الله تعالى الى الرسل فيكون
السفراء الملائكة او من الله تعالى الى الامة والسفراء بهذا المعنى هم الرسل من البشر فقوله
او سفراء عطف على قوله كتبة يريد ان السفرة بمعنى الكتبة او بمعنى السفراء الذين
شانهم السفارة فالسفرة ان كان بمعنى السفراء بين الله ورسله يكون المراد بالصحف
الكائنة بايديهم الصحف التى ينزلها الملائكة الى الرسل وان كان بمعنى السفراء بين الله والامة
فالصحف الكائنة بايديهم هى التى نزل بها الملائكة اليهم والتى انتسخوها من الوحى
وقال الامام واختار القراء ان السفراء ههنا الملائكة الذين يسفرون الوحى بين الله ورسله
واحدها سافر والعرب يقول سفرت بين القوم اذا اصلحت بينهم فجعلت الملائكة اذا نزلت
بوحى الله وتاديبه كالسفير الذى يصلح به بين القوم قال الشاعر وما ادع السفارة بين قومى
ولا امشى بغش ان مشيت **قوله** والتركيب للكشف اى تركيب حروف السفر سواء
كان من السفر بمعنى الكتابة او من السفارة بمعنى الاصلاح ينبئ عن معنى الكشف والتبيين اما اذا كان
من السفر بمعنى الكتابة فلان الكتابة معنى الكشف والتوضيح ويقال للكتاب سفرة وللكاتب سافر
لان كل واحد منهما يبين الشىء ويوضحه واما اذا كان من السفارة بمعنى الاصلاح فلان الاصلاح
بين القوم يكون بالبيان والتوضيح يقال للرسول سافر وسفير لانه يعبر عن مرسله ويكشف عنه
حكمه وامره لما ذكر السفرة اثنى عليهم بوصفين الاول انهم كرام اى مكرمون عند الله وقال عطاء يريد
انهم يتكرمون ان يكونوا مع ابن آدم اذ خلى مع زوجته للجماع وعند قضاء الحاجة والوصف الثانى

بوصفين سا...

انهم بررة قال مقاتل مطيعين وهو جمع بار نحو كافر وفاجر فانهما يجمعان على كفرة وفجرة
وقال الامام قوله مطهرة بايدي سفرة يقتضي ان طهارة تلك الصحف انما حصلت
بايدي هؤلاء السفرة وقال القفال في وجهه انها لما كانت لا يمسها الا الملائكة المطهرون اضيف
اليها الطهارة من يمسها انتهى كلامه والقصر في قوله لا يمسها الا ايدي ملائكة متطهرين قصر
غير حقيقي بل اضافي فالمراد تنزيهها عن ايدي الشياطين ومبنى قول الامام ان يكون الباء في قوله
بايدي سفرة متعلقة بمطهرة وليس كذلك لجواز تعلقها بالمحذوف كما اشار اليه بقوله انها في محل الجر
على انها صفة لصحف اي في صحف كائنة بايدي سفرة ويجوز تعلقها ايضا بما تعلق
به كلمة في في قوله في صحف اي انها مثبتة في صحف كذا **قوله** دعاء عليه باشنع الدعوات
فان القتل غاية شدايد الدنيا واشنعها فان الدعاء على الانسان انما يليق بالعاجز والقادر على الكل كيف
يليق به ذلك اجيب بان ذلك ورد على اسلوب كلام العرب يقولون اذا انكروا فعل احد قاتله الله
والمقصود انهم استحقوا اعظم انواع العقاب حيث اتوا باشنع القبايح وقوله ما اكفره تعجب
من اطرافه في كفران نعم الله اي على صورته فان حقيقة التعجب انما يتصور من الجاهل بسبب ما خفي سببه
والذي احاط علمه بجميع المعلومات لا يتصور منه ذلك فهو في الحقيقة تعجيب الله تعالى لخلقه اي اعجبوا
من كفره بالله ونعمه مع معرفته بكثرة احسانه اليه ويحتمل ان يكون ما في ما اكفره استفهامية
ويكون ما اكفره استفهاما بمعنى التقريع والتوبيخ اي اي شيء حمله على الكفر قيل المراد بالانسان
هم الذين اقبل الرسول عليه السلام عليهم وترك ابن ام مكتوم بسببهم وقيل بل المراد ذم كل كافر
ترفع بسبب غناه على الفقراء لفقرهم لانه تعالى انما ذمهم لترفعهم فوجب ان يعم الحكم بسبب
عموم العلة ولانه تعالى ذيل طريقهم بسبب حقارة حال الانسان في الابتداء والانتهاء على ما قال من نطفة
خلقه ثم قال ثم اماته فاقبره وعموم هذا الزاجر يقتضي عموم الحكم وارتباط هذه الاية بما قبلها يؤيد
الاول فانه تعالى لما ذكر القصة المشتملة على استغناء صناديد قريش عن طلب الخير دعا عليهم بقوله
قتل الانسان وعجب عباده المؤمنين من ذلك بقوله ما اكفره فكانه قيل اي سبب حمله على
هذا الترفع والاستغناء مع ان اول مراتبه نطفة مذرة واخره جيفة وهو فيما بين
المرتبتين حامل عذرة **قوله** وهو قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ يعني ان هذا
الدعاء ليس من قبيل دعاء من يعجزه عن انتقام من يسوءه وكذا هذا التعجب ليس على حقيقته
لانه تعالى منزه عن العجز والجهل بل المقصود ايراد ما هو في صورة الدعاء الدالة على سخط عظيم

عظيم والتنبيه على انه استحق اهوال العقوبات واشنعها وبايراد صيغة التعجب الذم البليغ من
حيث ارتكابه باقبح القبايح ولا شك ان السخط والذم يجوز من الله تعالى **قوله** بيان لما انعم الله
عليه خصوصا جعل نفس الاستفهام غير مقصود في نفسه لان حقيقة الاستفهام لا يتصور منه تعالى بل المقصود ومكنه
تقرير حقارة اصله ليتضح ان ما انعم به عليه في مبداء حدوثه نعم جليلة فان اكتساء ذلك الاصل
المهين صورة الانسان المكرم من جلائل النعم ولما كان ذلك الاستفهام طريقا للتقرير والبيان المتفرع
عليه من النعم اي بيانا للنعم المخصوصة التي انعم بها عليه من مبداء حدوثه الى وقت نشوره لا لجميع
النعم **قوله** والاستفهام للتحقير اي لتحقير اصله للاشعار بان من كان اصله مثل الشيء الحقير كيف
يليق به التكبر والتجبر والكفران بحق المنعم الذي كسى ذلك الاصل الحقير بمثل هذه الصورة البهية
قال الحكيم كيف يتكبر من خرج من سبيل البول مرتين **قوله** فهيأه لما يصلح له من الاعضاء والاشكال
كان خلق الشيء تقديره واحداثه بمقدار معلوم من الكمية والكيفية وكان عطف قوله فقدره
على خلقه يستلزم التكرار وعطف الشيء على نفسه فسر التقدير المعطوف بالتهيئة فانه تعالى
قدره بمعنى هيأه فتهيأه والمعنى احدثه بمقدار معلوم من الاعضاء والاشكال والكمية والكيفية
فجعله مستعدا لان ينتهي فيها الى القدر الذي يليق بمصلحته **قوله** او فقدره اطوارا يعني ان التقدير
المتفرع على الخلق مأخوذ من القدر بمعنى الطور والمعنى انه اوجده على وفق التقدير الازلي ثم جعله
ذا اطوار من علقة ومضغة الى اخر خلقه ذكرا او انثى شقيا او سعيدا وقال الزجاج المعنى قدره
على الاستواء كما قال اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا انتهى **قوله** والمعنى
ان يتنكس اي ينقلب عن الهيئة التي كان المولود عليها في بطن امه فان فوهة الرحم كانت غير مفتوحة
قبل وقت الولادة وان رأس المولود وهو في بطن امه كان من فوق ورجله من تحت فاذا جاء وقت
الخروج انفتح فوهة الرحم وانتكس المولود بان ينقلب ويصير رجله من فوق ورأسه من تحت
فيخرج رأسه اولا ولا شك ان الذي فتح الفوهة والهمه الانتكاس انما هو الله تعالى وفعله تسهيلا
لخروج المولود من بطن امه **قوله** او ذلل له سبيل الخير والشر والتذليل اي التيسير يدخل فيه
الاقدار والتعريف والعقل وبعثة الانبياء وانزال الكتب قال ابو مسلم المراد من هذه الاية
ما هو المراد من قوله وهديناه النجدين فهو بيان للتمييز بين كل خير وشر يتعلق بالدنيا
وبين كل خير وشر يتعلق بالدين اي جعلناه متمكنا من سلوك سبيل الخير والشر **قوله** وتعريفه
باللام دون الاضافة ولو قال سبيله يتيسر باضافة السبيل الى الانسان لفهم اختصاص السبيل به

مع انه سبيل عام للانس والجن على المعنى الثاني والحيوانات ايضا على المعنى الاول **قوله** وفيه على المعنى الاخير
ايماء بان الدنيا طريق والمقصود غيرها وهو الآخرة ووجه الايماء انه لما فسر الآية بانه تعالى يسّره
سبيل المكلفين في دار التكليف اشعر ذلك بان هذه الدار معبر ينتهي اما الى الخير او الشر وان
اهلها اهل السبيل لا اهل القرار والسكون ولا يخفى ان هذا الايماء مبني على ان يكون المراد من الخير والشر
ما يتعلق بالدين منهما فان ما يتعلق بالدين منهما هو الذي حسنه الشرع وقبحه بان وعد عليه
ثواب الآخرة او عقابها فالمصنف اشار بقوله هذا الى ان التعميم الذي ذهب اليه ابو مسلم خال
عن هذه النكتة وايد ما ذهب اليه من تخصيص السبيل بما يؤدي الى نعم الآخرة ونقمها بانه يحسن
انتظام ما بعد هذه الآية بها بخلاف ما اذا ابقي على عمومه كما ذهب اليه ابو مسلم **قوله**
وعد الاماتة والاقبار من النعم لما جعل قوله تعالى من اي شيء خلقه الى قوله كلا سوقا لبيان ما انعم
الله به عليه وكفرانه بذلك وخفي وجه كون الاماتة والاقبار نعمة بين وجه ذلك وانما قال وحكمه
في الجملة لان كونهما وصلة ولذة خالصة انما هو بالنسبة الى المؤمن لا الى الكافر لان سياق الكلام ههنا
في الكافر بقرينة قوله قتل الانسان ما اكفره فكيف تعد الاماتة نعمة في حقه مع ان الموت
في حقه مفتاح كل بلاء ومحنة لانا نقول الاماتة في نفسها شانها ان يكون تحفة للميت يتخلص
بها من سجن الدنيا الى سعة عالم الآخرة وكونها نقمة في حق الكافر انما هو من سوء اعتقاده
وسيئات اعماله **قوله** والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع فانه لو لم يقبر بل القي على وجه
الارض كسائر الحيوانات لاكله الطيور والسباع فان قيل اي شيء يستفيد الامر بالقبر والحال انه ليس
ههنا صيغة الامر قلنا هو مستفاد من قوله فاقبره فانه يقال قبر الحي الميت يقبره من باب نصر
اذا دفنه بيده والقابر هو الدافن بيده ولا يقال اقبر الميت الا اذا امر غيره بان يجعله في القبر
فالمقبر هو الله تعالى لانه هو الامر بان يدفن اموات بني آدم في القبور اكراما لهم عن ان يكونوا
للطيور والسباع والمراد بالانشاء الاحياء والبعث **قوله** وقت النشور غير متعين في نفسه لعله
وجهه ان تعيين الوقت في نفسه متفرع على بقاء الافلاك وحركاتها وتكرر الليل والنهار على حالهما
والنشور انما يتحقق بعد خراب العالم فلا سبيل للانسان ان يحكم ويقول بان وقت النشور متعين
في نفسه والله اعلم بخصوصه بان يكون في رأس الف سنة او اقل او اكثر بخراب ما به تقدير الاوقات
حين تحققها بخلاف الاحوال المذكورة قبل الانشاء فان الانسان يعلم اوقاتها من بعض الوجوه
كالموت فان الانسان وان لم يعلم وقت وقوعه بخصوصه الا انه متعين في نفسه يعلم الانسان ان الموت له

حد متعين في نفسه بان يكون مثلا في رأس ستين سنة او سبعين وليس بحيث يكون موكولا
الى محض مشيئته تعالى **قوله** لم يقض بعد اشارة الى ما في لما من معنى التوقع وهذا
التفسير مبني على ان يراد بضمير لما يقض الانسان المحمول على الاستغراق كما روي عن مجاهد
وقتادة من ان معنى الآية لا يقضي احد جميع ما كان مفروضا عليه ابدا وان فيها اشارة
الى ان الانسان لا يخلو عن تقصير البتة وقال الامام هذا التفسير عندي فيه نظر لان قوله لما يقض
الضمير فيه راجع الى المذكور السابق وهو الانسان في قوله قتل الانسان ما اكفره وليس المراد من الانسان
فيه جميع الناس بل الانسان الكافر فقوله لما يقض كيف يمكن حمله على جميع الناس ثم ذكر وجها
آخر وهو ان يكون المعنى ان ذلك الانسان المترفع المتكبر لم يقض ما امره به من ترك التكبر او المعنى
ان ذلك الانسان الكافر لم يقض ما امر به من التأمل في دلائل الله تعالى والتدبر في عجائب خلقه
وآثار قدرته انتهى كلامه ويمكن ان يقال ارجاع ضمير لما يقض الى جميع الناس لا يستلزم
حمل الانسان المذكور سابقا على الاستغراق بل المراد به الانسان المعهود الا انه اريد بضمير
لما يقض جميع الانسان على طريق الاستخدام لقصد المبالغة فانه اذا لم يخل احد حتى المؤمن عن تقصير ما
فعدم قضاء الكافر بالطريق الاولى وما في قوله ما امره موصولة وعائده يجوز ان يكون محذوفا
والتقدير ما امره به حذف الجار اولا فبقي ما امره ثم حذف الهاء العائد ثانيا ويجوز ان يكون باقيا على ان
المحذوف من الهائين هو العائد الى الانسان والباقي هو العائد الى الموصوف فاعرفه وقس عليه امثاله
قوله اتباع للنعم الذاتية فان عادة الله سبحانه جارية في القرآن العظيم فانه كلما ذكر
الدلائل الموجودة في الانفس فانه يذكر عقيبها الدلائل الموجودة في الآفاق فههنا لما ذكر من
نعمه الموجبة للشكر ما هو داخل موجود في نفس الانسان من خلقه بانزال النطفة من اصلاب الآباء
الى ارحام الامهات وما يتعاقب عليه من الاطوار والاحوال الى ان ينتهي الى دار الابد عقبه ببيان
ما انعم به عليه من النعم الخارجة عنه وبدأ بما يحتاج اليه الانسان في معاشه وبين انه كيف
دبر خلق طعامه الذي هو قوام حيوته [illegible] واقوى اسباب معاشه التي يستعد بها
لمعاده وذكر ان ذاته كما تكون بنزول ماء الرجل الى رحم المرأة كذلك طعامه انما يحصل بنزول
الماء من السماء الى الارض وبما يتبعه من التدبير المتعلق بتولده من الارض وبلوغه الى اقصى كماله
قوله على البدل منه اي من الطعام والتقدير فلينظر الانسان الى طعامه انا كيف صببنا
الماء صبا لان موضع النظر والاعتبار هو كيفية تكون الطعام وحدوثه من

موضع

من الارض بالاسباب المذكورة وكيفية حدوث المطر المشتمل على هذه المياه العظيمة وبقائه
معلقا في جو السماء مع غاية ثقله وغزارته وغير ذلك مما يعجز العقل عن ادراكها
وجعل من بدل الاشتمال لان انصباب الماء وانشقاق الارض سبب لحصول الطعام فيكون
الثاني مشتملا على الاول فان الواجب في بدل الاشتمال ان يكون بينه وبين المبدل منه علاقة
غير الكلية والبعضية وقد حصلت ولا يلزم فيه ان يكون المبدل منه مشتملا على البدل **قوله**
واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب جعل اسناده الى نفسه من قبيل الاسناد المجازي
لانه اسناد الى غير ما هو له لان المراد بما هو له ما يكون معنى الفعل قائما به وضعا وحقه ان يسند
اليه كان مخلوقا له او لغيره سواء كان صادرا عنه باختياره كضرب او لا كمرض ومات [هامش: سواء]
فاسناد نحو الضرب الى من قام به حقيقة والى موجده الذي هو الله مجاز ولهذا اشتق اسم الفاعل
لمن قام به وان لم يكن موجدا للفعل نحو [illegible] الآكل والذاهب والقائم والقاعد ولا شك
ان شق الارض قائم لمن كربها اى لمن قلبها للحرث وحقه ان يسند اليه فاسناده الى الله تعالى
مجاز وهذا مخصوص بالشق بالكراب واما الشق بالنبات فاسناده الى الله حقيقة لا مجاز
واسناده الى النبات مجاز لان النبات بمنزلة آلة مثل [illegible] اسناد الفتح الى المفتاح والقطع
الى السكين في قولك فتح المفتاح الباب وقطع السكين اللحم **قوله** لانها تقضب مرة
بعد اخرى فصارت لكثرة قطعها كانها عين القطع فسميت قضبا للمبالغة فيه **قوله**
غلبا الغلب جمع اغلب وغلباء كحمر في احمر وحمراء واصله في وصف الرقاب يقال رجل
اغلب واسد اغلب اى غليظ العنق وامرأة غلباء اى غليظة العنق وجماعة غلب غلاظ
وذكر المص في توصيف الحدائق بالغلب قولين الاول انه يقال لكل حديقة انها غلباء اى
عظيمة غليظة توصيفا لها بوصف مجموع اشجارها المتكثرة الملتفة المتقاربة بحيث
صارت كانها شيء واحد ضخم عظيم فلفظ الغلباء سواء اطلق على انفس الحدايق او على مجموع
اشجارها المتداخلة الاغصان مستعار من الحيوان الغليظ الرقبة تشبيها لها به
في مطلق الغلظ فكل حديقة لما وصفت بالغلباء بهذا الوجه وصفت الحدايق بالغلب
والقول الثاني ان يوصف كل حديقة بالغلباء توصيفا لكل واحد منها بوصف
كل واحد من اشجارها من الغلظ والعظم فيقال حديقة غلباء باعتبار ان كل شجرة من اشجارها
غلباء اى عظيمة غليظة فتوصيف الحدايق بالغلب بمعنى غلب الاشجار فالغلب في وصف

في وصف الحدايق والاشجار وفي هذا القول ايضا استعارة ما هو وصف الاعناق قال الامام قوله تعالى
وحدائق غلبا فيه قولان الاول ان يكون المراد وصف كل حديقة بان اشجارها متكاثفة متقاربة
وهذا قول مجاهد ومقاتل لا الغلب الملتفة الشجرة بعضه ببعض يقال اغلولبت العشب
واغلولبت الارض اذا التفت عشبها والثاني ان يكون المراد وصف كل واحدة من الاشجار
بالغلظ والعظم قال عطاء عن ابن عباس يريد الشجرة العظام وقال الفراء الغلب
ما غلظ من النخل انتهى **قوله** وفاكهة قال الامام استدل بعضهم بان الله تعالى لما ذكر الفاكهة
معطوفة على العنب والزيتون والنخل وجب ان لا يدخل هذه الاشياء في الفاكهة لان المعطوف
مغاير للمعطوف عليه انتهى العنب والرطب والرمان من الفاكهة عند ابي يوسف ومحمد لان
الفاكهة اسم لما يوكل على سبيل التفكه اى التنعيم بعد الطعام وقبله وهذا المعنى ثابت فيها وهي
اعزها واكملها وليست بفاكهة عند ابي حنيفة رحمه الله لقوله تعالى فيهما فاكهة ونخل
ورمان وقوله تعالى وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة فعطف فاكهة عليها
مرة وعطفها على الفاكهة اخرى والشيء لا يعطف على نفسه هذا في كتب الفقه والظاهر
ان مراد ابي حنيفة رحمه الله ان نحو العنب والرطب لكونه مما يوكل غذاء يتحقق القصور
في معنى التفكه به فلا يتناوله اسم الفاكهة على الاطلاق لو حلف لا ياكل فاكهة لا يحنث
باكله لكونه غذاء من وجه وان كان فاكهة من وجه اخرى وعطف الفاكهة عليه لا ينافي
كونه فاكهة من وجه لان المراد بالفاكهة المعطوفة ما هو فاكهة من وجه ولا يخفى ان
الفاكهة من وجه مغاير لما هو فاكهة من وجه دون وجه فيصح عطفها عليه **قوله**
لانه يؤم وينتجع اى يقصد جزه لاجل الدواب والنجعة بالضم طلب الكلاء في موضعه
قوله لانها تؤب للشتاء اى تعد **قوله** متاعا لكم يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا للفعل
المقدر اى متعناكم بها متاعا اى تمتيعا على ان المتاع بمعنى التمتيع كالسلام بمعنى التسليم
وان يكون في موضع الحال من فاعل انبتنا ممتعين لكم وان يكون مفعولا له اى فعلنا ذلك
تمتيعا لكم ولانعامكم **قوله** وصفت بها مجازا مبني على ان يكون صخ بمعنى يصخ فهو صاخ بمعنى
المستمع فهو مستمع والنفخة ليست بمستمعة بل الناس هم الذين يستمعون لها فاسند الاستماع
الى المسموع مجازا مثل عيشة راضية وحكى الامام عن الزجاج [illegible]
ان اصل الصخ في اللغة الطعن والصك صخ راسه بحجر اى شدخه والشدخ كسر الشيء الاجوف

ويقال بصخ الغراب بمنقاره في دبر البعير اي يطعن فمعنى الصاخة الصاكة بشدة صوتها
للاذن الجوهري الصاخة الصيحة تصم لشدتها سميت القيامة صاخة لان فيها الصيحة
التي تصخ الاسماع ه صوتها اي تصمها يقال صخ الصوت الاذن يصخها صخا فهو
صاخ واصاخها يصيخها اصاخة فهو مصيخ بمعنى فعلى هذا يكون الصاخة حقيقة
في النفخة ووجه ارتباط هذه الاية بما قبلها انه تع لما ذكر ما انعم به على الانسان من
النعم الكائنة في الانفس والافاق وكان المقصود بذكر التوبيخ والتقريع على من
كفر بها وتمرد عن طاعة من انعم بها واستغنى عن طلب الخير وقوله وان يستدل بها
على وحدانيته وقدرته على البعث والحساب عقبه بما يكون مؤكدا لهذه الاغراض
وهو شرح احوال القيمة فان الانسان اذا سمعها خاف فيدعوه ذلك الخوف الى التأمل
في الدلائل والايمان بوحدة من انعم بها وقدرته على ما يشاء والاعراض عن الكفران والميل
الى الطاعة والتواضع والانقياد للحق فلا جرم ذكر القيمة فقال فاذا جاءت الصاخة
وجواب اذا محذوف يدل عليه قوله يوم يفر المرء الى قوله يومئذ شان يغنيه والتقدير
فاذا جاءت الصاخة اشتغل كل احد بنفسه وقوله يوم يفر بدل من اذا ولا يجوز
ان يكون يغنيه عاملا في اذا ولا في يوم لانه صفة شان ومعمول الصفة لا يتقدم
على معمولها وقرأ العامة يغنيه من الاغناء على معنى ان ذلك الهم الذي حصل له قد
ملأ صدره فلم يبق فيه متسع فصار بذلك شبيها بالغني في انه ملك شيئا كثيرا وقرئ
يعنيه بفتح الياء وبالعين المهملة من قولهم عنا في الامر اي قصدني قوله او للتحذر
من مطالبتهم بان يقول الاخ ما واسيتني بمالك والابوان يقولان قصرت في برنا والصاحبة
تقول اطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون يقولون ما علمتنا وما ارشدتنا
وقيل اول من يفر من اخيه هابيل ومن ابويه ابراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن
ابنه نوح قوله وتاخير الاحب فالاحب للمبالغة يعني ان فائدة الترتيب المبالغة ه
في بيان كون ذلك اليوم يوم الفرار كانه قيل يوم يفر المرء من اخيه بل من ابويه فانهما اقرب
من الاخ بل من صاحبته واولاده فان تعلق القلب بها اشد من تعلقه بالابوين
لما ذكر الله تع احوال يوم القيمة واهوالها بين ان المكلفين فيه على قسمين وميز
احدهما عن الاخر بما يعرض وجوههما يومئذ يقال اسفر الصبح اذا اضاء قال

قال المبرد الغبرة الغبار والقترة سواد كالدخان ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة
والسواد في الوجه كما [illegible] اذا غبرت وجه الزنجي فكانه تع جمع في وجوههم بين السواد
والقترة كما جمع بين الكفر والفجور وفي الحديث ان البهائم اذا صارت ترابا يوم
القيمة حول ذلك التراب في وجوه الكفار

سورة التكوير وايتها ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم ه تكوير الشيء يستعمل في معنيين الاول تلفيفه وطيه بازالة
انبساطه وانتشاره وضم بعض اجزائه ببعض على جهة الاستدارة كتكوير العمامة وفي
الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من التشتت بعد الالفة والثاني القائه
واسقاطه مجتمعا يقال كورته فتكور اي اسقطته فسقط وفسر ما في الاية بكل واحد
من المعنيين ثم ان كان بمعنى التلفيف يحتمل ان يكون المراد تلفيف نفسها وضم اجزائها
او تلفيف ضوئها بازالة انبساطها في الافاق بان يكون التقدير اذا ضوء الشمس كورت
وتلفيفها على الوجهين كناية عن اذهاب نفسها وازالة عينها عن فلكها فان
لف الشيء وطيه من لوازم دفعه لانه لا يرفع مبسوطا منتشرا فاطلق تكوير نفسها
واريد ملزومه الذي هو رفعها واذهابها وكذا لف ضوئها لازم لرفع نفسها فان نفسها
ما دامت باقية كان ضوئها باقيا منبسطا في الافاق غير ملفوف فتفسيره بالتلفيف يؤل
الى تفسيره [illegible] بالالقاء والاسقاط قال ابن عباس رضي الله عنه يكور الله تع الشمس والقمر ه
والنجوم يوم القيمة في البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضربها فتصير نارا كذا
في البغوي وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر ثوران
مكوران في النار يوم القيمة ولما ذكر هذا الحديث عند الحسن قال وما ذنبهما فقال الامام
سوال الحسن فقط لان الشمس والقمر جمادان فالقاؤهما في النار لا يكون سببا لمضرتهما ولعل
ذلك يصير سببا لازدياد الحر في جهنم فلا يكون هذا الخبر على خلاف العقل قوله وارتفاع
الشمس بفعل يفسره ما بعده اولى اشارة الى ان النحاة اختلفوا في اعراب الاسماء التي بعدها
افعال تشتغل عنها بضمائرها انها هل هي مرفوعة بالابتداء كما هو قول الكوفيين والاخفش
فانهم قالوا هذه الاسماء الواقعة بعد اذا مرفوعة بالابتداء وما بعدها من الافعال اخبار
او هي معمولة للفعل المقدر المفسر بما بعده كما هو عند البصريين وعلى المذهبين الجملة ه
في محل الجر باضافة اليها واختار المص قول البصريين لان اذا فيها معنى الشرط والشرط بال

بالفعل اولى قوله انقضت اى تساقطت وتناثرت كما قال واذا الكواكب انتثرت
والاصل فى الانكدار الانصباب فاذا السماء تمطر يومئذ نجومها فلا يبقى فى السماء
نجم الا وقع على الارض كذا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عطاء وذلك انها
فى قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور وتلك السلاسل بايدى ملائكة من
نور فاذا مات من فى السموات ومن فى الارض تساقطت تلك الكواكب من ايدى
الملائكة لانه مات من تمسكها قوله انقض البازى ان قضا فانكدر قبله اذا الكرام ابتدروا
الباع بدر وقضى البازى اذا البازى كسر واى جناحيه من الطور فمر وبصراه والباع
يستعمل فى الكرم يقال فلان اهل الباع والمروة يقول اذا الكرام ابتدروا وتنادعوا فعل
المكارم بودرهم اى اسرع اليهم كانقضاض البازى على الخبارى اى ابصر البازى خبارى
صحراء فانقض قوله من كدرت الماء فانكدر والكدر خلاف الصفوة يقال كدر
الماء يكدر كدرا فهو كدر من باب علم وكدر يكدر كدورة بضم العين فيهما مثل الاول
فى المعنى وكدره غيره فانكدار النجوم عبارة عن زوال نوره وضوئه قوله واذا الجبال
سيرت اى قلعت عن وجه الارض هباء منبثا كذا فى المعالم او سيرت فى الجو كالسحاب
كقوله تع وهى تمر مر السحاب كذا فى الكواشى وقيل تسييرها ان تحول عن صفة
الحجارة فيكون كثيبا مهيلا اى رملا سائلا او يكون كالعهن او يكون هباء منبثا او يكون
مثل السراب الذى ليس بشيء وعادت الارض قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا
امتا والاعشار جمع عشراء كالنفاس فى جمع نفساء والعشراء الناقة التى اتى على حملها
عشرة اشهر ثم هو اسمها الى ان تضع فى تمام السنة وقيل هو اسمها بعد ما وضعت
ايضا ومن عادة العرب ان يسموا الشيء باسم المتقدم وان كان جاوز ذلك الحد وخص
العشار بالذكر لانها اعز الاموال عند العرب وانها معظم اسباب معاشهم و
تعطيلها اهمالها عند مجيء مقدمات قيام الساعة عبارة عن ان الناس يتركون
الاموال والاملاك ويشتغلون بانفسهم كما قال يوم لا ينفع مال ولا بنون الا
اتى الله بقلب سليم وقال ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة قوله او السحاب
اى يحتمل ان يراد بالعشار السحاب تشبيها لها بها وان كان مجازا فى هذا المعنى
الا ان حمله عليه يوجب كثرة مناسبة هذه القرينة لما قبلها شاع عند العرب تشبيه السحاب

والاملاك

بالحامل

بالحامل قال الله تعالى فالحاملات وقرا كما مر فى سورة والذاريات والتعطيل الاهمال ومنه
قيل للمرأة عاطل اذا لم يكن عليها حلى الوحوش اسم لما لا يستانس من حيوان البر وفسر
حشرها بثلثة اوجه الاول جمعها هول ذلك اليوم من ناحية بحيث يختلط بعضها ببعض
وبالناس مع نفرة بعضها عن البعض وعن الناس ايضا وتفرقها فى الصحارى والقفار
والثانى ان يبعثها للقصاص اظهارا للعدل فانه قد ثبت انه تع يحشر الوحوش كلها فيقتص
للجماء من القرناء ثم يقال لها موتى فتموت عن قتادة انه يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص
والثالث ان حشر الوحوش عبارة عن موتها وهذا الوجه رواه عكرمة عن ابن عباس رضى الله
يقال اجحف بهم الدهر استاصلهم واجحف بهم فلان اى كلفهم ما لا يطاق وسنة مجحفة اى
مهلكة مميتة واجحف به اى ذهب به مستاصلا وسيل جحاف بالضم اذا جرف كل شيء وذهب به
والجحاف ايضا الموت يقال موت جحاف يذهب بكل شيء والسنة القحط والتشديد فى مثل هذه
الافعال قد يكون لتكثير المحل وقد يكون لتكثير الفعل وتكريره والتخفيف يحتمل القليل والكثير
والتعرض لحشر الوحوش على الوجه الاول للدلالة على هول ذلك اليوم فان اجتماعها فى موقف
القيمة مع الناس مع شدة نفرتها عنهم فى الدنيا وتفرقها فى الصحارى يدل على ان هول
ذلك حملها على الاجتماع وعلى الثانى لئلا يبعد حشر المكلفين فان الحيوانات اذا بعثت للقصاص
تحقيقا بمقتضى العدل فكيف يجوز مع هذا ان لا يحشر المكلفون من الانس والجن قوله
احميت او ملئت فان السجر فى اللغة يكون بمعنى الملئ فالبحر المسجور اى المملوء
وبمعنى الاحماء كما يقال سجرت التنور اى احميته ثم قيل فى وجه احمائها بناء انه يحتمل ان يكون
جهنم فى قعور البحار الا انها الآن مطبقة لا تصل اثر حرارتها الى ما فوقها من البحار لتيسير
انتفاع اهل الارض بها فاذا انتهت مدة الدنيا يرفع طبق جهنم فيصل تاثير تلك النيران
الى البحار فتتسخن فتصير حميما لاهل النار وقال ابن عباس رضى الله عنه اذا كان يوم القيمة
كور الله الشمس والقمر والنجوم فى البحر ثم بعث عليها دبورا فتنفخه فتصير نارا وهو قوله تعالى
واذا البحار سجرت اى احميت وقيل تجعل مياهها نارا يعذب بها الكفار كذا فى تفسير ابى الليث
نور الله مرقده وقيل فى وجه امتلائها انه تع الآن بين البحار حاجزا لا يصل بعضها الى بعض على ما قال
مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان اي لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما
فاذا رفع الله تعالى ذلك الحاجز فاض البعض فى البعض وتفجر وجرى العذاب بالملح وبالعكس

الاول جمع

فصارت البحور كلها بحرا واحدا فعمت الارض كلها ثم انه يحتمل ان يكون كيفية ارتفاع الحاجز الكائن
بينهما بان انكدرت الجبال وتفرقت اجزاؤها وصارت كالتراب الهابل الغير المتماسك فلا جرم
تنصب اجزاؤها في اسفلها فيمتلي المواضع الغابرة من الارض فيصير وجه الارض مستويا
مع البحار ويصير الكل بحرا واحدا مسجورا اي ممتليا وهذه الاحوال الستة يكون في مبادي
قيام الساعة على ما روي عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال ست ايات قبل القيمة بينما الناس
في اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك
اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت وفزعت الجن الى الانس والانس الى الجن
واختلطت الدواب والطير والوحوش وماج بعضهم في بعض فح تقول الجن للانس نحن
نأتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحر فاذا هي نار تاجج قال فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض
صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم
الريح فاماتتهم والله اعلم كذا في المعالم ثم شرع في ذكر الاحوال التي تكون قيام الساعة
فقال واذا النفوس زوجت بالابدان بان ردت اليها او بالاشكال والامثال بان يضم
كل واحد من الرجال والنساء الى من كان طبقته في الخير والشر فيقرن السابق في الطاعات
الى مثله والمتوسط فيها الى مثله واهل المعصية الى مثله قال ابن عباس رضي الله عنهما ذلك حين
يكون الناس ازواجا ثلثة اي اصنافا ثلثة السابقون زوج واصحاب اليمين زوج واصحاب
الشمال زوج والشكل بالفتح المثل **قوله** المدفونة حية يقال وأد ابنته يئدها وأدا
فهي موؤدة اذا دفنها في القبر وهي حية وكانت كندة تئد البنات وكان صعصعة
صعصعة بن ناجية جد فرزدق منع الوأد فافتخر الفرزدق به في قوله ومنا الذي
منع الوائدات فاحيي الوئيد فلم يوأد وقيل وأد يئد مقلوب من آد يؤد أودا اي اثقل
يقال آد في الحمل اي اثقلني قال الله تع ولا يؤده حفظهما لان الواد اثقال بالتراب
قوله تبكيتا لوائدها جواب عما يقال ما معنى سؤال الموؤدة عن ذنبها الذي قتلت به
مع ان الظاهر ان يسئل الوائد عن موجب قتله اياه فاجاب عنه بان هذه الطريقة افظع
في ظهور جناية الوائد والزام الحجة عليه فانه اذا قيل للموؤدة ان القتل لا يصح الا بذنب
عظيم فما ذنبك وباي سبب قتلت فلا جرم كان جوابها اني قتلت بغير ذنب فيفتضح
الوائد فيصير مبهوتا وهذا كقوله تعالى لعيسى عليه السلام أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين

الهين من دون الله فانه عليه السلام لما اجاب بقوله سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس
لي بحق وما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم كان ذلك اشد في
تبكيت النصارى وتوبيخهم **قوله** وقرئ سألت بفتح السين والهمزة على البناء
للفاعل على ان الموؤدة هي السائلة تسأل الله او تسأل قاتلها باي ذنب قتلت
فعلى هذه القراءة قوله قتلت على بناء المفعول من الماضي المسند الى ضمير المتكلم وحده
كما هو الظاهر لان الموؤدة لما كانت سائلة كان المناسب ان يحكى بعد الاخبار
عن سؤالها كلامها حين سألت وذلك قولها باي ذنب قتلت بضم تاء المتكلم
وحده كما ان ذلك هو الاصل بقوله وقرئ قتلت على الحكاية اي على الاخبار وعلى الوحدة
لا على الاخبار عن الواحدة الغائبة **قوله** وانما قتلت على الاخبار جواب عما يقال
ان قراءة الجمهور سئلت وقتلت بضم الاول وكسر الثاني وسكون التاء المؤنث الغائب
فيهما لكن المناسب ان يقرأ قتلت بضم التاء الواحدة الحاضرة لانه لما اخبر عن كونها
مسؤولة كان المناسب ان يحكى بعد الاخبار الكلام الذي خوطبت به ويقال باي ذنب قتلت
على خطاب الواحدة الحاضرة في قراءة الجمهور قتلت على صيغة المؤنث الغائبة وحاصل الجواب
انه ليس المقصود حكاية ما خوطبت به بل المقصود الاخبار عن الموؤدة بمضمون المجموع
قوله واذا الموؤدة سئلت باي ذنب قتلت والاخبار عن الشيء يستلزم ان يعبر عنه
بصفة الغائب وانما يرد ما ذكر ان لو كان المقصود حكاية ما خوطبت به بل الاخبار
عنها بمجرد انها كانت مسؤولة وليس كذلك **قوله** وتنشر وقت الحساب اي تفتح
بعد ما كانت مطوية فيعطاها الناس منشورة بايمانهم وشمائلهم فيقف
الانسان على ما فيها فيحصى عليه جميع اعماله فيقول ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة الا احصاها **قوله** للمبالغة في النشر يريد ان التشديد لتكثير الفعل
وتكريره او لتكثير محله او للمبالغة في سرعة تفرقه وشدة تطايره والحاصل ان النشر
ان كان بمعنى الفتح ان يكون التشديد لتكثير نفس الفعل بحسب الكمية والتكرير
وان يكون لتكثير محله وهو الصحف وان كان بمعنى التفريق يصح ان يكون التشديد
لتكثير محله وهو الصحف واصحابها وان يكون للمبالغة فيه بحسب الكيفية من
كونه على وجه السرعة والقوة واما كونه للمبالغة في كثرة نفس الفعل وتكريره فبعيد

والتكرير

لان نشر جميع الصحف وتفريقه بين جميع المكلفين فعل واحد والكثرة انما هي في متعلقه وهو
الصحف واصحابها فلا وجه لكون التشديد للدلالة على كثرة نفس الفعل فقول المص للمبالغة في النشر
مبني على ان يراد بالنشر الفتح وبالمبالغة فيه المبالغة بحسب الكمية وقوله او لشدة التطاير مبني على
ان يراد بالنشر التفريق بين الاصحاب وان يكون التشديد للمبالغة فيه بحسب الكيفية وقوله
او لكثرة الصحف مشترك بين المعنيين **قوله** قلعت وازيلت اي بحيث ظهر ما
وراءها كما قلعت السقف فينكشف ما كان مستورا به ومعنى الكشط فعلك الشيء عن
شيء قد غطاه قال الامام اي كشفت وازيلت عما فوقها وهو الجنة وعرش الله كما يكشط
الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء **قوله** اوقدت ايقادا شديدا يقال سعرت النار
والحرب بمعنى هيجتها والهبتها والمسعار الخشب الذي تسعر به النار فظهر ان استعار النار
ازدياد التهابها لاحداثها ابتداء قيل تسعرها غضب الله وخطايا بني ادم قال الامام
واحتج بهذه الاية من قال النار غير مخلوقة الان لانها تدل على ان تسعرها معلق بيوم
القيمة انتهى كلامه ولعل اعتبار قيد الازدياد والاشتداد في مفهوم التسعير يدفع هذا الاحتجاج
قوله علمت نفس جواب اذا فانه تعالى ذكر في اول السورة الى هنا اثني عشر شيئا وقال
اذا وقعت هذه الاشياء فهنالك علمت نفس ما احضرت فعلم النفس جزاء مرتب على
الشرط الذي هو وقوع مجموع هذه الاشياء ورد ان يقال وقوع الاشياء الستة الاولى من هذه
الاشياء قبل فناء الدنيا حين ما اشرفت الساعة على القيام وعلم النفوس بما احضرته من الاعمال
النافعة والضارة لا يحصل في زمان وقوع هذه الخصال الست فكيف يصح ان يكون اذا المضاف
الى هذه الخصال الست المتقدمة معمولا لعلمت منصوبة به اشار المص الى جوابه بقوله وانما
صح الخ يعني ان المراد بما هو المعمول لعلمت هو الزمان المتسع المحيط لتلك الخصال الاثني عشر ومجازاة
النفوس على اعمالها وابتداء ذلك الزمان المتسع من النفخة الاولى وهي زمان التكوير وما يتبعه
الى ان يتم موقف الحساب والعلم الاجمالي يحصل في اول زمان الحشر لان المطيع يرى اثار
السعادة والعاصي يرى اثار الشقاوة في اول الامر فيعرف بذلك كل واحد منهما ما قدمه من
الاعمال اجمالا واما العلم التفصيلي فانما يحصل عند قراءة الكتب في موقف المحاسبة لان المص اشار
بقوله ومجازاة النفوس على اعمالها الى ان العلم بالاعمال كناية عن المجازاة عليها من حيث
ان العلم لازم للمجازاة **قوله** ونفس في معنى العموم جواب عما يقال من ان النكرة في سياق

الاثبات للافراد او النوعية الى الاستغراق والعموم والموضع موضع الاستغراق لان العلم
بما احضرت حاصل حينئذ لكل نفس لقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت
من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ثم ما معنى قوله علمت نفس بالتنكير في موضع الاثبات
ومحصول الجواب ان ما ذكر اكثري لا كلي لان النكرة في سياق الاثبات قد يقصد بها
العموم ايضا كما في قولهم تمرة خير من جرادة ونفس في الاية من هذا القبيل **قوله** لا
فلا اقسم كلمة لا يجوز ان يكون صلة فالمعنى فاقسم وان يكون ردا لكلام الغير اي ليس
الامر كما تزعمون ايها الكفرة من ان القرآن سحر او شعر او اساطير الاولين ثم ابتداء
جل ذكره فقال اقسم بالخنس الجوار الكنس والليل عطف على الخنس وكذا والصبح عطف
ايضا والعامل في اذا معنى القسم واذا وما بعدها في موضع الحال اي اقسم بالليل مدبرا
او مقبلا وبالصبح مضيئا وجواب القسم قوله انه لقول رسول والضمير في انه للقرآن
وان لم يجر له ذكر للعلم به وقد وصف هذا الرسول عليه السلام باوصاف شتى الى قوله امين
ثم ظرف مكان وهو معمول مطاع اي مطاع هناك والخنس بمعنى خانس وهو المتاخر
بالخفية والخنوس الانقباض والاختفاء ويقال خنس الرجل من بين القوم خنوسا اذا
تاخر واختفى والخناس الشيطان لانه يخنس اذا ذكر الله عز وجل واذا غفل العبد عن ذكره
يعود ويوسوس اليه واصل الخنوس الرجوع الى الخلف والكنس جمع كانس وهو الداخل
في الكناس المستتر به والكناس بيت الوحشي وموضعه الذي يأوي اليه ويستتر فيه يقال
كنس الظبي يكنس من باب ضرب وتكنس ايضا اذا دخل فيه واصل الكنوس الاستتار
والجواري جمع جارية والمراد بالكل النجوم التي تجري في افلاكها غير القمرين فانهما لا يكنسان
فان المراد بكنوس الكواكب استتارها واختفاؤها تحت ضوء الشمس كالظبي المستتر
بالكناس ولا كنوس لهما بهذا المعنى واما ما عداهما وهو الكواكب الخمس من السيارة
زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد فانها جوار كنس وهو ظاهر وخنس ايضا
من حيث انها ترجع وتستقيم فانها بينما ترى في آخر البرج اذ كر راجعا الى اوله فرجوعها
من آخر البرج الى اوله هو الخنوس كما ان كنوسها هو اختفاؤها تحت ضوء الشمس
ذكر اهل اللغة ان عسعس من الاضداد يقال عسعس الليل اذا اقبل وعسعس اذا ادبر
وذكر شريف الدين الطيبي ان العسعسة رقة الظلام وذلك في طرفي الليل والنهار انتهى

وفي التيسير قال محمد بن جرير عسعس الليل وسعسع اذا ادبر فلم يبق منه الا اليسير واختلف
المفسرون في ان المراد منه في الآية اي المعنيين فمنهم من قال ان المراد هنا اقبل الليل لانه
على هذا التقدير يكون القسم واقعا باقبال الليل وهو قوله تعالى اذا عسعس وبادباره
ايضا وهو قوله والصبح اذا تنفس فان تنفس يكون بادبار الليل وذهابه وكذا قال
الامام والاولى ان يقال لان القسم ح يكون باقبال الليل وادباره واقبال النهار لا بادبار
الليل واقبال النهار كما اذا فسر عسعس بادبر وذهب اكثر المفسرين الى ان المراد منه ادبار
الليل وفي الوسيط الاظهر ان عسعس بمعنى ادبر لقوله والصبح اذا تنفس يعني ان
طلوع الصبح لما كان متصلا بادبار الليل كان المناسب ان يفسر عسعس بادبر
ليكون التعاقب في الذكر على حسب التعاقب في الوجود قوله اذا اضاء غبرته عند اقبال
روح ونسيم الغبرة لون الاغبر وهو الشيء المتلون بلون يشبه الغبار واضاء يجيء لازما
ومتعديا وكلاهما يصح وجعل تنفس الصبح عبارة عن طلوع وانبساط ضوئه بحيث
زال معه غبش الليل وهي الغبرة الحاصلة في آخره والتنفس في الاصل ريح مخصوص
يروح القلب ويفرح عنه بهبوبه عليه شبه ما يقترن باقبال الصبح من الروح
والنسيم بذلك الريح المخصوص المسمى بالنفس فاطلق اسم النفس عليه استعارة فجعل
الصبح متنفسا ثم كني بتنفسه بذلك عن اقبال الصبح بطلوعه واضاءة
غبرته لان التنفس بالمعنى المذكور لازم له فهو كناية متفرعة على الاستعارة وفي بعض
النسخ اذا تنفس اي اضاء عبر به عن اقبال روح ونسيم ولا معنى له كما لا يخفى
لان تنفس الصبح ليس عبارة عن اقبال الروح بل هو عبارة عن طلوعه واذهابه ظلمة
الليل الا ان يقال ان قوله عبر به عن اقبال روح ونسيم بيان لكونه تنفس الصبح مستعار التنفس
لاقبال الروح والنسيم الواقع عند طلوع الصبح وقوله اي اذا اضاء بيان لكون
بذلك المعنى المجازي كناية عن طلوع الصبح فح تتحد النسختان في حاصل المعنى قوله
يعني جبرئيل وصفه هنا بصفات ست اولها انه رسول ولا شك انه رسول من
الله تع الى الانبياء وثانيها انه كريم على ربه ومن كرمه انه يعطي افضل العطايا وهو المعرفة
والهداية وثالثها قوله ذي قوة اي ذي قدرة على ما يكلف به لا عجز له ولا ضعف
روي انه عم قال لجبرئيل ذكر الله من قوتك فاخبرني بشيء من اثارها فقال دفعت

دفعت قريات قوم لوط الاربع بقوادم جناحي حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب
واصوات الدجاج ثم قلبتها وروي ان الشيطان يقال له الابيض صاحب الانبياء
قصد ان يتعرض بالنبي صلى الله عليه وسلم فدفعه دفعة رقيقة دفع بها من مكة الى اقصى
الهند ومنهم من حمله على القوة في اداء طاعة الله وترك الاخلال بها من اول الخلق
الى آخر زمان التكليف وعلى القوة في معرفة الله تعالى وفي مطالعة جماله وجلاله
ورابعها عند ذي العرش مكين اي ذو منزلة ومكانة عند الله ومن مكانته عنده
انه تعالى جعل نائبا له في فعله فان الله هو موليه وجبرئيل وهذا العندية ليست عندية
الجهة وهو ظاهر بل كناية عن الاكرام والتشريف والتعظيم وخامسها مطاع اي يطيعه
ملائكة السموات لعلمهم بمنزلته عند الله وسادسها قوله امين اي هو على وحي الله تع
ورسالاته قد عصمه الله من الخيانة والزلل قوله ثم بفتح الثاء اشارة الى الظرف المذكور
وهو عند ذي العرش ثم انه ان اتصل بما قبله يكون المعنى انه عند الله مطاع في ملائكته
المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رايه وان اتصل بما بعده يكون المعنى
انه مؤتمن عند الله على وحيه ورسالاته الى الانبياء وان قرئ ثم بضم الثاء يكون للتراخي
الرتبي على طريق الترقي من صفاته الفاضلة الى ما هو افضل واعظم وهو الامانة قوله
وما صاحبكم بمجنون عطف على جواب القسم وكذا قوله ولقد رآه بالافق المبين اقسم الله تعالى
على ان كلام الله نزل به رسول الامين وعلى ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون وعلى انه
قد راى جبرائيل بالافق المبين قوله واستدل اي استدل بهذه الآية على فضل جبرئيل عليه السلام
على نبينا صلى الله عليه السلام بالموازنة بالذكرين حيث وصف جبرئيل بست خصائل كل واحدة
منها تدل على كمال الشرف ونباهة الشان واقتصر في ذكر رسول الله بنفي الجنون عنه وبين المذكورين
تفاوت عظيم وهذا الاستدلال ضعيف لانه انما يدل على مقصود المستدل ان لو كان المقصود من سوق
الآية بعد افضليتهما ليتضح ان من هو جمع الصفات الكمال فهو افضل وليس المقصود
منه ذلك الغرض الموقف له الكلام ان يثبت ان القرآن كما سما هذه السورة المصدرة
بما يدل على مقدمات القيامة واهوالها وحقية البعث والجزاء وحي الهي نزل به الملك المقرب
عند ذي العرش الامين على نفيا لقول الكفرة انما يعلمه بشر وان ثبت ان نبينا صلى الله عليه وسلم
رسول الرسل بالهدى ودين الحق وليكمل بقول الكفرة انه لمجنون ليطمئن انفس [illegible]

الى استماع القرآن واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ويرغبوا فيهما اشد الرغبة وهذا
المقصود يستدعي ان يوصف الملك المتوسط بين الله تعالى ورسوله بما وصف به من
صفات الشرف والفضل وذلك لا يلزم كونه افضل من رسول البشر فان افراد احد المتصاحبين
بالذكر واجراء صفاته عليه لا يدل على على انتفاء تلك الصفات عن الآخر بل الظاهر
ان توصف جبرائيل بهذه الصفات وبما هو ازيد منها وافضل انما هو لبيان شرف المرسل اليه
بالنسبة اليه من حيث ان جبرائيل عليه السلام مع هذه الصفات هو الذي يؤيده ويبلغ
الرسالة اليه فاي مرتبة اعلى من مرتبة بعد ما ثبت ان السفير بينه وبين ذي العرش
مثل هذا الملك المقرب **قوله** بمطلع الشمس الاعلى افق السماء ناحيتها والآفاق النواحي
جمع المفسرون على ان المراد من الافق ههنا حيث تطلع الشمس استدلالا بوصفه بالمبين
فان نفس الافق لا مدخل له في تبيين الاشياء وظهورها وانما يكون له مدخل في ذلك من حيث
كونه مطلعا لكوكب نير يبين الاشياء بضيائه والكوكب المبين هو الشمس ولهذا اسند الابانة
الى مطلعها مجازا باعتبار نسبته لها في الجملة فان الابانة في الحقيقة لضياء الطالع منه ثم خص
من بين المطالع ما هو اعلى المطالع وارفعها وهو المطلع الذي اذا طلعت الشمس منه يكون
في غاية الارتفاع والنهار في غاية الطول والامتداد وذلك عند ما يكون الشمس عند راس
السرطان قبيل تحولها الى برج الاسد وتوجه النهار الى الانتقاص وانما فعل ذلك
حملا للمبين على الكمال فانه كلما كان الكوكب الطالع ارفع واعلى وكان النهار اطول
كان البيان والاظهار اتم واكمل وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبرائيل ان يتراءى له
في صورته التي خلقه الله عليها فقال ما اقدر على ذلك وما ذاك الي فاذن له فاتاه عليها
فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ملأ الافق بكلكله رجلاه في الارض وراسه في السماء
جناح له في المشرق وجناح له بالمغرب فغشي عليه فتحول جبرئيل عم في صورة بني آدم
فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع ما رأيناك مذ بعثت احسن منك اليوم
فقال عليه السلام جاءني جبرائيل عليه في صورته فعلقني بهذا من حسنه **قوله** من الظنة وهي
التهمة اي ليس من الظن الذي يتعدى الى المفعولين في جميع بنجده لا يتوهم فيه انه
ينطق بشيء منه عن الهوى قرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي بظنين بالظاء بمعنى
متهم فان الظنين الرجل المتهم يقال اتهمت فلانا بكذا واذننته به اي توهمت فيه

توهمت فيه ذلك وقرأ نافع وحمزة [illegible] وعاصم وابن عامر بضنين بالضاد
بخيل يقال ضننت بالشيء بكسر النون اضن به ضنا وضنانة فانا ضنين اي بخيل
فهو من باب علم يقول يأتيه علم الغيب فلا يبخل به عليكم بل يعلمكم ويخبركم به ولا
يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذه عليه حلوانا واختار ابو عبيدة
القراءة الاولى لوجهين احدهما ان الكفار لم يبخلوه وانما اتهموه فنفي التهمة اولى
من نفي البخل والآخر قوله على الغيب ولو كان البخل يقال بالغيب فلان ضنين بكذا
ولا يقال ظنين على كذا وحافة الشيء جانبه والثنايا جمع ثنية من الاسنان
وهي اربعة اسنان في مقدم الفم اثنان عليا واثنان منها سفلا ووراء الثنايا
اسنان اربع يقال لها رباعية اثنان من فوق واثنان من تحت ووراءها
اسنان اربع يقال انياب اثنتان من تحت ووراءها الاضراس **قوله** يقول
بعض المسترقة للسمع فسر الشيطان بالمسترقة بقرينة توصيفه بالرجيم وكان
اهل مكة يقولون ان هذا القرآن يجيء به الشيطان فيلقيه على لسانه فنفى الله تعالى
ذلك بهذه الآية وقيل المراد بالشيطان الابيض الذي كان يأتي الانبياء عليهم السلام
في صورة جبرئيل عليه السلام يريد ان يفتنهم فان قيل القول بصحة النبوة موقوف
على نفي هذا الاحتمال فكيف يمكن نفي هذا الاحتمال بالدليل السمعي قلنا دلائل صحة
النبوة وكون القرآن وحيا الهيا اكثر من ان يحصى فلا جرم امكن نفي هذا الاحتمال
بالدليل السمعي **قوله** استضلال لهم فيما يسلكونه شبهت حالهم بحال من ترك الجادة
وهي معظم الطريق وتعسف الى غير المسلك فانه يقال له الى اين يذهب
استضلالا له على تعسفه فقيل لمن ترك الدين الحق وعدل عنه الى الباطل ذلك
القول والمعنى اي طريق تسلكون ابين من هذه الطريق التي ظهرت حقيته
ووضحت استقامته واين ظرف مكان منصوب بتذهبون قال ابو البقاء التقدير
الى اين فحذف حرف الجر كقولك ذهبت الشام اي الى الشام وقال الفراء العرب تقول
الى اين تذهبون واين تذهب وذهبت الشام وانطلقت السوق والى الشام و
والى السوق ويجوز ان يصار الى الحذف بل الى طريق التضمين فكانه قيل اين
تؤمنون وان في قوله ان هو نافية بمعنى ما والذكر بمعنى التذكير والعظة وحض

من العالمين من به حاجة الى التذكر والموعظة وهو يعلم من الانس والجن والمخصص هو العقل
كما في قوله الله خالق كل شيء اي شيء ممكن لضرورة انه ليس بخالق نفسه مع انه يطلق عليه اسم
الشيء نسم الله شيء لا كالاشياء وذاتها عن جهات الست خالى وان المخصص الى
ما ذكر بقوله تذكرة لمن وقوله لمن شاء بدل من للعالمين باعادة الجار بدل البعض من الكل
وان يستقيم مفعول شاء فكانه قال انما هو الا بيان وهداية الخلق اجمعين ما هو الا هداية
لمن شاء الاستقامة منكم بتحري الحق وملازمة وابداله من العالمين مع انه ذكر شاملا
لجميع المكلفين لانهم هم المنتفعون به دون غيرهم فكانه مختص بهم ولم يوعظ غيرهم
ثم بين ان مشية الاستقامة موقوفة الا بمشية الله ان يعطيه تلك المشية
لان تلك المشية صفة محدثة فلا بد في حدوثها من مشية اخرى فظهر من مجموع هذه
الايات ان فعل الاستقامة موقوف على ارادة الاستقامة وهذه الارادة موقوفة الحصول
على ان يريد الله ان يعطيه تلك الارادة والموقوف على الموقوف على الشيء موقوف على ذلك
الشيء فافعال العباد ثبوتا ونفيا موقوفة على مشيته تعالى وهذا هو قول اصحابنا
وقول المعتزلة ان هذه مخصوصة بمشية القهر والالجاء ضعيف لانا بينا ان المشية
الاختيارية شيء حادث فلا بد له من محدث فيتوقف حدوثها على ان يشاء محدثها ايجادها
وح يعود الالزام كذا افاد الامام فخر الكبير **قوله** يا من يشاؤها ليس للمخاطبين في قوله
فاين تذهبون بل لبعض منهم فان قوله لمن شاء منكم يدل على ان منهم من يشاء الاستقامة ومن لا
يشاؤها فالخطاب لمن يشاؤها منهم وجعل المص الا ان يشاء الله من اقامة المصدر موقع الزمان
كما في قولك آتيك خفوق النجم قال وهب بن منبه قرات في كتب كثيرة مما انزل الله تعالى على الانبياء
من جعل الى نفسه شيئا من المشية فقد كفر وفي التنزيل ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم
الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله تعالى وما كان لنفس ان تؤمن
الا باذن الله والاي في هذه كثيرة وكذا الاخبار **سورة الانفطار تسع عشر آيات**
بسم الله الرحمن الرحيم ذكر الله تعالى في اول السورة اربعة اشياء من اشراط الساعة اثنان
منها ما يتعلق بالعلوية واثنان آخران يتعلق بالسفليات وقال اذا وقعت هذه الاشياء
علمت كل نفس ما قدمت من خير وشر ووقوعها عبارة عن خراب العالم وفناء الدنيا والسماء
في هذا العالم كالسقف والارض كالبناء ومن اراد تخريب داره فانه يبدأ اولا بتخريب السقف

السقف وذلك هو قوله اذا السماء انفطرت يلزم من تخريب السماء انتثار الكواكب
ثم انه تعالى بعد تخريب السماء والكواكب يخرب كل ما على وجه الارض بان تنفذ بعض البحار
في بعض بارتفاع الحاجز الذي جعل الله تعالى برزخا فيصير الكل بحرا واحدا وانما يرتفع
ذلك الحاجز لتزلزل الارض وتصدعها ثم انه تعالى يخرب آخر الامر نفس الارض التي هي البناء
بان يقلبها ظهرا لبطن وبطنا لظهر يقال بعثرت المتاع وبحثرته اذا جعلت اسفله
اعلاه فقولك بعثرت القبور اذا اخرجت ما فيه وكشفته وقيل ان بعثر مركب من
بعث وراء ماخوذ من الاثارة كبسمل فانه مركب من بسم ولام من لفظة الله وبعضه
قول ابي عبيد في قوله تعالى اذا بعثر ما في القبور اثير واخرج كما نقل الجوهري عنه
والفلاسفة ينكرون امكان الطرف والالتيام على الافلاك ودليلنا على امكان ذلك
ان الاجسام متماثلة في كونها اجساما والمتماثلات يتحد حكمها فيصح على العلويات ما
يصح على السفليات وانما قلنا انها متماثلة لانه يصح تقسيمها الى السماوية والارضية ومورد
القسمة مشترك بين الاقسام فالعلويات والسفليات مشتركة في انها اجسام فلا تتخالف
فيما هو من لوازم الجسمية **قوله** من عمل او صدقة حمل كل واحد من التقديم والتاخير
اولا على معناه الحقيقي ثم جوز ان يكون المراد بهما معناهما المجازي بان يكون تقديم الفرائض
تكميلها والاتيان بها على حسب ما كلفه بها بان يراعي جميع شروطها وآدابها من الاخلاص
وحضور القلب والخشوع وتاخيرها تضييعها وان لا ياتي بها تاما كاملا فان الافراد
الكاملة يتقدم في الارتفاع الى درجات الاعتبار والقبول والافراد الناقصة
يتاخر فيه وعلى تقدير ان يراد بهما معناهما الحقيقي ذكر فيما قدمته واخرته وجهين الاول
ان يكون المراد ما قدمته ما عمله بنفسه من الاعمال الصالحة والسيئة مقدما على موته وبما
اخرته ما عمل بعد موته بالسببية بان سنه لمن بعده حسنة كانت او سيئة فان الاعمال
الصالحة بمباشرة من بعده يصدق عليها انها اعمال الميت اخرها عن موته لكونه
سببا لها واسناد الفعل الى السبب شايع كثير مثل بنى الامير والثاني ان يراد بما قدمته
الاموال التي تصدق بها قبل موته لتكون ذخيرة في النشاة الاخرى وبما اخرته الاموال التي اخرته
لورثته وقد مر ان تنكير نفس في الاثبات لا ينافي ارادة العموم بها وما الموصول ظاهر
والعلم بجميع ذلك كناية عن المجازاة عليه المقصود من الكلام الزجر عن المعصية والترغيب

في الطاعة فان قيل في اي موقف من مواقف القيامة يحصل له هذا العلم قلنا الاجمالي
فيحصل في اول زمان الحشر لان المطيع يرى اثار السعادة والعاصي يرى اثار الشقاوة
في اول الامر واما العلم التفصيلي يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة **قوله** اي شيء خدعك
وجراك على عصيانه اشارة الى ان ما في قوله ما غرك استفهامية في موضع الابتداء وغرك خبره
وان غرك بمعنى خدعك والخطاب في قوله يا ايها الانسان يتناول جميع العصاة ونزول الاية
في الوليد بن المغيرة او في غيره من الكفرة على ما روي لا ينافي ارادة العموم لما تقرر ان خصوص
السبب لا يقدح في ابقاء اللفظ العام على عمومه وان العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب
واشار المص الى ارادة العموم بقوله وجراك على عصيانه وقيل المراد بالانسان الكافر
المنكر بالبعث لقوله بعد ذلك كلا بل تكذبون بالدين يقال غره بفلان اذا جراه عليه
وآمنه المحذور من جهته مع انه غير مأمون وهو كقوله ولا يغرنكم بالله الغرور فالمعنى ما الذي
خدعك وسول لك معصية ربك وامنك من عقابه والاستفهام بمعنى الانكار والتوبيخ
ولما ورد ان يقال الاعتقاد بكرم الرب تع وجوده يقتضي ان يغتر الانسان به لان الكرم والجود
هو افادة حاجة المحتاج لا لعوض فاذا لم يكن مستفيظا فيما فعله استوى عنده طاعة
المطيع وعصيان المذنب في الاحسان اليهما وهذا يوجب الاغترار به وقد روي ان عليا
رضي الله عنه كرم الله وجهه دعا غلامه مرات فلم يجب فنظر فاذا هو بالباب فقال له لم لم تجبني
فقال لثقتي بحلمك وامني من عقوبتك فاستحسن جوابه فاعتقه ولولا ان كرم الكريم
يوجب الاغترار به لما استحسن جواب الغلام واذا ثبت ان الكريم يقتضي الاغترار فكيف
جعله هنا مانعا من الاغترار به اشار المص الى جوابه بقوله وذكر الكريم للمبالغة
في المنع عن الاغترار اي لا نسلم ان الكرم يقتضي الاغترار به بل هو يقتضي الخوف والحذر من
مخالفته وعصيانه من حيث ان اهمال الظالم ينافي كونه كريما بالنسبة الى المظلوم وكذا التسوية
بين المطيع والعاصي وبين الموالي والمعادي اساءة للولي المطيع فثبت ان محض الكرم لا يقتضي
الاغترار به فكيف اذا انضم اليه صفة القهر ثم اشار الى فائدتين اخريين لذكر الكرم بقوله
والاشعار وبقوله والدلالة فانهما معطوفان على المبالغة في قوله للمبالغة فالمعنى على هاتين
الفائدتين لم تغتر بما به يغرك الشيطان من كثرة كرمه مع انها تستدعي الجد في الطاعة قضاء
لحق شكره وفيه اشارة الى ان سبب اغترار ابن آدم تسويل الشيطان بقوله افعل ما

افعل ما شئت فربك كريم كما روي عن قتادة وقال الحسن غره حمقه وجهله وقال مقاتل غره
عفو الله عنه لم يعاقب في اول امره وقيل للفضيل بن عياض ان اقامك الله يوم القيمة
وقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا تقول قال اقول غرتني ستورك المرخاة اي
انك رايت فسترت وقدرت فامهلت فلما رايت كثرة ما منحتني اغتررت بها
قال بعض اهل الاشارة انما قال بربك الكريم دون سائر [illegible] اسمائه وصفاته كانه
لقنه يجيب بان يقول غرني كرم الكريم وقيل لابي بكر الوراق لو قيل لك يوم القيمة
ما غرك بربك الكريم ما تقول قال اقول غرني كرمك ثم قال ولو قال ما غرك
بربك الجبار والقهار لكان فيه اخطاء فلما قال بربك الكريم كان ذلك تلقينا
للجواب وقيل في هذا المعنى يقول مولاي اما تستحي مما ارى من سوء افعالك فقلت يا
مولاي رفقا فقد جرأني كثرة افضالك ولما وصف الله تع نفسه بالربوبية والكرم
اتبعه بقوله الذي خلقك فسويك فعدلك ليكون كالدليل على ربوبيته وكرمه دلالته
على الربوبية ظاهر لان من فعل هذه الثلثة في المخلوق فلا جرم يكون ربا مالكا له واما
دلالته على الكرم لانه لا شك ان الخلق كرم وجود لان الوجود خير من العدم مع كمال التسوية
الاعضاء وتعديل البنية **قوله** معدة لمنافعها حال من المنوي في سواه والحال مع عاملها
كالبيان لجعل الاعضاء سليمة عما يخل بمنافعها **قوله** فسواك اي جعلك بشرا سويا اي
تام الخلق سالما عن النقصان في خلقه بان يكون مشتملا على جميع ما يستعين به في مقاصده
من الالات والاعضاء وبحيث يترتب على جميع كل عضو منها منفعة التي خلق ذلك العضو
لاجلها ونظيره قوله تع اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا وقوله
فتمثل لها بشرا سويا **قوله** والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء الظاهر
انه اراد باعتدال البنية اعتدال كيفياتها المتضادة بكون كل واحدة منها منكسرة نازلة عن
صرافتها بحصول الفعل والانفعال بينها وتناسب الاعضاء كون كل عضو منها معادلا
للاخر بان لا يتفاوت بعضها عن بعض من ان يكون احدى اليدين او الرجلين او الاذنين مثلا
اطول من الاخر او يكون احدى العينين اوسع من الاخر قال علماء التشريح انه تع ركب جانبي هذه
الجثة على التساوي حتى انه لا يتفاوت بين نصفيه لا في العظام ولا في اشكالها ولا في الاوردة
والشرايين والاعصاب النافذة فيها والخارجة منها وكل ما في احد الجانبين مساو لما في جانب الاخر

كانه عدل له قوله او معدلة بما تستعد من القوى عطف على قوله معتدلة والمنوي في تستعد
ضمير البنية بتقدير المضاف فهو الاعضاء والبارز المنصوب راجع الى ما وانث العائد اليه
باعتبار كونه عبارة عن القوى والمعنى والتعديل جعل كل عضو من اعضاء البنية معادلا
مناسبا لما [illegible] هيئ من القوى كاليد للبطش والرجل للمشي واللسان للتكلم
والعين للابصار الى غير ذلك فالتعديل على هذا بين الاعضاء ومنافعها التي هي القوة
المودعة فيها وذكر في قراءة عدلك بالتخفيف وجهين الاول انه بمعنى المشددة اي
عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت والثاني انه من العدول اي فصرفك عن الخلقة
المكروهة الجمال من الحيوانات الى احسن تقويم والفاء في قوله فسواك وفي فعدلك لافادة
ان ما بعدها كلام مرتب على ما قبلها في الذكر لانها عاطفة لتفصيل المجمل على المجمل وموضع
ذكر التفصيل بعد الاجمال كما تقول اجبته فقلت لبيك والتسوية في الاية تفصيل للخلق
والتعديل تفصيل للتسوية قوله اي ركبك في اي صورة شاءها اختار ان يكون قوله
في اي صورة متعلقا بركبك وان شاء في موضع الجر على انه صفة لصورة فلذلك
قدر الضمير بعد شاء ليرتبط جملة الصفة بالموصوف ولم يعطف جملة ركبك على ما قبلها لانها
بيان لقوله فعدلك اي فعدلك ركبك في اي صورة تقتضيها مشيئته وحكمته من الصور
المختلفة مما يشبه الاب والام او اقارب الاب او اقارب الام ومن الطويل والقصير والحسن
والقبيح وصورة الذكر والانثى ويحتمل ان يكون في اي صورة متعلقا بمحذوف هو حال
من مفعول ركبك اي ركبك حاصلا في اي صورة شاء وقيل انه متعلق بعدلك وفيه
ان اسم الاستفهام له صدر الكلام فكيف تعمل فيها ما تقدمها وكان الزمخشري تشعر
هذا فقال فيكون في اي صورة بمعنى التعجب على معنى فعدلك في اي صورة عجيبة ثم ابتدأ
وجل ذكره فقال ما شاء ركبك اي ركبك ما شاء من التراكيب على ان ما في
ما شاء موصولة او موصوفة وهي عبارة عن التركيب فيكون مفعولا
مطلقا اي ركبك تركيبا احسن شاء من التركيبات وتوصيفه بالحسن يتوافق
معنى التعجب المستفاد من قوله اي صورة وهذا لا يحسن ان يكون مجوز التقويم
العامل على اسم الاستفهام وان دخل معنى التعجب الا يرى ان كيف واين وان دخلها
معنى التعجب لا يتقدم عاملها قوله قيل ما شرطية وشاء فعل الشرط وركبك

وركبك جزاء الشرط فيكونان في موضع الجر والمعنى ما شاء من الصورة ركبك عليها
والجملة الشرطية في موضع الجر على انها صفة لصورة ايضا والعائد محذوف وهو عليها
قوله والظرف صلة عدلك يعني ان قوله في اي صورة على تقدير ان يكون ما شرطية
متعلقة بعدلك ولا يجوز ان يكون متعلقا بركبك لان ما كان في حيز الشرط
لا يتقدم عليه الا يرى انك اذا قلت ان تضرب زيدا اضرب عمرا لا يجوز تقديم عمرا
على ان تضرب وقد مر انه لا يجوز ان يكون من صلة عدلك لانه استفهام والاستفهام لا يعمل فيه
ما قبله فوجب ان يكون متعلقا بمحذوف يدل عليه ركبك ومن جعله متعلقا
بعدلك يجعل في اي معنى التعجب على معنى فعدلك في صورة عجيبة ثم يجعل قوله ما شاء ركبك
كلاما مبتدأ على معنى ما شاء من الصور ركبك عليها قال الامام لما اخبر التنبيه
في الاية الاولى عن وقوع الحشر اشار بقوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الاية
الى ما يدل عقلا على امكانه وعلى وقوعه وذلك لان القادر الذي خلق هذه البنية الانسانية
ثم سواك وعدلها اما ان يقال انه خلقها لا لحكمة او لحكمة فان خلقها لا لحكمة كان ذلك
عبثا وهو غير جائز على الحكيم وان خلقها لحكمة فتلك الحكمة اما ان يكون عائدة الى الله تع
او الى العبد والاول باطل لانه تع متعال عن الاستكمال والانتفاع فتعين الثاني وهو انه
خلق لحكمة عائدة الى العبد وتلك الحكمة اما ان تظهر في الدنيا او في دار سوى الدنيا
والاول باطل لانه دار بلاء وامتحان لا دار الانتفاع والجزاء ولما بطل كل ذلك ثبت انه
لا بد بعد هذه الدار من دار اخرى فثبت ان الاعتراف بوجود الاله الكريم الذي يقدر على التخليق
والتسوية والتعديل يوجب على العاقل ان يقطع بانه سبحانه وتع يبعث الاموات ويحشرهم
وهذا الاستدلال هو الذي ذكره بعينه في سورة التين حيث قال لقد خلقنا الانسان في احسن
تقويم الى ان قال فما يكذبك بعد بالدين قوله اضراب اي اعراض عن صدد ايجاب الارتداع
فان كلمة بل لنفي ما تقدم وتحقيق غيره وهو معنى الاضراب والنفي المقدم ههنا ايجاب الارتداع
عن اغترار بكرم الله تع عليهم فنفى بكلمة بل ارتداعهم عنه وبين ما هو السبب في اصرارهم
عليه كانه قال انهم لا يرتدعون عن الاغترار بالكرم اي عما يكون ذلك الاغترار وسيلة
اليه الاصرار على الكفر والمعاصي بل يصرون عليه وعندهم ما هو السبب الاصلي لذلك
الاصرار وهو تكذيب يوم الحساب والجزاء على ان يراد بالدين الجزاء والمكافات يقال دانه

بجزيه

دينًا اي جازاه ويقال كما تدين تدان اي كما تجازي تجازى ومنه الديان في صفة الله تع وان اريد بالدين الاسلام كما في قوله تع ان الدين عند الله الاسلام يكون المعنى انكم مكذبون بالجزاء على الدين الذي هو الاسلام ليظهر وجه الاضراب **قوله تع** وان عليكم لحافظين يجوز ان يكون الجملة حالا من فاعل تكذبون اي تكذبون والحالة هذه ويجوز ان يكون مستانفا اخبرهم بذلك لينزجروا عن تكذيب ما كذبوه والمعنى انكم تكذبون بالجزاء والحال ان الكاتبين يكتبون عليكم اعمالكم لتجازوا بها فظهر ان المقصود تحقيق ما كذبوه وردها توقعوه **قوله** لتعظيم الجزاء اي لبيان انه عند الله تع من عظايم الامور فانه لولا ذلك لما وكل بضبط ما يجاوزون به الملائكة الكرام عنده فقوله لحافظين في تقدير الملائكة حافظين وكراما نعت وكذا كاتبين ويعلمون يجوز ان يكون صفة ايضا وان يكون حالا من ضمير كاتبين وان يكون مستانفة ووصفهم الله تع بكونهم حافظين لحفظهم الاعمال وبكونهم كراما لكرامتهم على الله تع بجدهم في طاعته وبكونهم كاتبين لانهم يكتبون اعمال بني آدم على علم منهم بجميع افعالهم فان قيل قوله ما تفعلون يعم افعال القلوب وهي غير مرئية ولا محسوسة فيكون هي من باب المغيبات والغيب لا يعلمه الا الله عز وجل كما قال وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا الله تع واذا لم يكن هذه الافعال معلومة للملائكة يستحيل ان يكتبوها والآية تقتضي ان يكونوا كاتبين كل ما يفعلونه سواء كان ذلك من افعال القلوب ام لا اجيب بان ما يفعلون عام مخصوص بافعال الجوارح وتخصيص كثير شايع وسئل سفيان بن عيينة كيف تعلم الملائكة ان العبد قد هم بمعصية او بحسنة قال اذا هم العبد بحسنة وجدوا منه ريح المسك واذا هم بسيئة وجدوا منه ريح النتن ويقول تع وان عليكم وان كان خطابا مشافهة الا ان الامة اجمعون على ان هذا عام في حق كل المكلفين ثم انه تع بعد ان وصف الكرام الكاتبين لاعمال العباد ذكر احوال العاملين فقال ان الابرار لفي نعيم وهو نعيم الجنة والجحيم النار ويصلونها صفة لجحيم او حال من المنوي في الخبر ويوم الدين ظرف له **قوله تع** تعجيب وتفخيم جعل ما ادريك فعل التعجب المقصود به تعجيب المخاطب وتفخيم شان اليوم وهذا المعنى يستفاد بذكره اولا والثاني تاكيد للاول فصح ان المجموع من قبيل التعجيب والتفخيم وعن ابن عباس رضي الله عنه كل ما في القرآن من قوله وما ادريك فقد ادراه وكل ما فيه من قوله

من قوله وما يدريك فقد طوى عنه قوله لا تدركه دراية دار ادراك اليه ان ما ادريك خطاب عام وقال الاكثرون الى انه خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم وانما خاطبه بذلك لانه ما كان عالما بذلك قبل الوحي وقيل الخطاب للكافر على وجه الزجر له **قوله** تقرير لشدة هوله اجلالا من انه عرفهم انه لا يغني عنهم الا البر والطاعة يومئذ دون سائر ما كان قد يغني عنهم في الدنيا من مال وولد واعوان وشفعاء فان اهل الدنيا قد كانوا يتغلبون على الملك ويعين بعضهم بعضا في امور ويحمي بعضهم بعضا فاذا كان يوم القيمة يبطل ذلك لان الله تعالى لم يملك في ذلك اليوم احدا شيئا من الامور كما ملكهم في دار الدنيا فكيف يكون حالا من فاعله وعضا **قوله** او الخبر المحذوف وذلك انه لما قال وما ادريك ما يوم الدين قال يوم لا تملك اي هو يوم لا تملك وقرأ الباقون بالفتح ثم اختلفوا في انها فتحة اعراب وبناء ومن قال انها حركة اعراب ذكروا للنصب وجوها **احدها** ان يكون بدلا من يوم الدين في قوله يصلونها يوم الدين **وثانيها** ان يكون ظرفا لفعل محذوف يدل عليه الدين اي يدينون ويجازون ذلك اليوم **وثالثها** ان يكون منصوبا باضمار اذكر او اعني فيكون مفعولا به ومن قال انه فتحة بناء قال انما بني لاضافته الى قوله لا تملك وما اضيف الى غير المتمكن قد يبنى على الفتح وانه في موضع رفع على انه خبر مبتداء محذوف اي الجزاء يوم تملك يدل عليه الدين **سورة المطففين مكية وآيها ثلثون وست ايات** بسم الله الرحمن الرحيم قال عطاء بن يسار الويل واد في جهنم لو ارسلت فيه الجبال لماعت من حرها وقال الضحاك هو الشدة من العذاب وقال ابن كيسان هو كلام كل مكروب فقولك ويل لك عبارة عن استحقاق المخاطب لنزول البلاء والمحنة عليه الموجب له ان يقول واويلاه ونحوه وهو مبتداء والمطففين خبره وجاز الابتداء به اما لانه اسم علم لواد مخصوص واما لانه في الاصل مصدر منصوب باضمار فعل لا من لفظه فان اصله اهلكه الله اهلاكا او هلك هو هلاكا والويل بمعنى الهلاك او الاهلاك فلما حذف الفعل وسد الويل مسده عدل الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه كما قيل في سلام عليك فلما كان الويل في الاصل مصدرا سادا مسد الفعل المتخصص بصدوره عن فاعل معين كانت النكرة المذكورة متخصصة بذلك الفاعل فساغ الابتداء بها لذلك **قوله** ما يبخس طفيف على التسمية

لان جميع

من يخون في الكيل والوزن بان لا يعطي المشتري حقه تاما كاملا مطففا يعني ان
التطفيف هو الشيء الحقير القليل والتطفيف في المكيال والميزان نقص شيء من
حق المشتري بان لا يملأ المكيال الى جوانبه بان يسوي عمود الميزان بنقص شيء
قليل من حقه على سبيل الخفية وذلك لان نقص الكثير يظهر فيمنع منه فالمطفف لا يقدر
ان ينقص من حق الناس الا شيئا طفيفا [illegible] فسمي مطففا لذلك يقال بخس
حقه يبخس اذا انقصه **قوله** اذا اكتالوا على الناس يريد ان الاكتيال الاخذ
بالكيل كما ان الاتزان الاخذ بالميزان وان اللغة الفصيحة ان يقال اكتلت من فلان ولا
يقال اكتلت على فلان الا انه في الآية اقيمت كلمة على مقام من لوجهين الاول للدلالة
على ان المأخوذ ما على الناس من الحق فانه اذا قيل اكتلت عليه يراد استوفيت واخذت
منه بالكيل من غير تعرض لكون المأخوذ منه حقا له عليه ام لا والثاني الدلالة على ان
اكتيالهم من الناس اكتيال من الناس اكتيال فيه اضرار لهم وتحمل عليهم فان
كلمة على تدل على الاضرار والظلم يقال تحامل عليه اي ظلمه فقولهم اكتال عليه بمعنى
اخذ منه اخذا متضمنا علم منه للتحامل والظلم عليه فيه ان هذا الوجه يأبى عنه قوله تعالى
يستوفون لان معناه يستكملون ويقبضون حقهم تاما وافيا فكيف يتصور
الظلم والاضرار فيه فالوجه الاول اظهر واقرب **قوله** اذا كالوا الناس او وزنوا لهم
يريد ان اللغة الفصيحة ان يقال كالوا لهم او وزنوا لهم ولا يقال كلته او وزنته وان
الآية اما من قبيل الحذف والايصال كما في جئتك بمعنى جئت لك اجل كذا والاصل كالوا لهم
المبيع فحذف المفعول به للعلم به ثم حذف الجار واوصل الفعل فلفظ هم منصوب المحل متصل
في التقدير عائد الى الناس واما من قبيل حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والتقدير
كالوا مكيلهم ولم يستحسن ان يكون لفظ هم ضميرا مرفوعا منفصلا مؤكدا لضمير الفاعل
المتصل بالفعل لوجهين الاول انه يفوت ارتباط احد الكلامين بالآخر وذلك لان الكلام
الاول وهو قوله اذا اكتالوا على الناس يستوفون مسوق لبيان حال المطففين في الاخذ
ولا يرتبط الكلام الثاني الا ان يبين ان حالهم في الدفع يخالف حالهم في الاخذ وهو يقتضي
التحام مباشرة الاخذ والدفع وفاعلها فلو جعل المنفصل تأكيدا للمرفوع المتصل لفهم ان المقصود
بيان اختلاف الحال بين مباشرتهم ومباشرة غيرهم وليس بمقصود فلا يطابق ما قيد ايضا

ايضا لان المعنى ح اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا تولوا الكيل والوزن هم بخصوصهم
اخسروا ونقصوا حق صاحب الحق ولا يخفى انه كلام متنافر المعنى حال عن الانتظام
والالتيام والثاني لو كان مرفوعا مؤكدا لوجب ان يكتب الالف بعد واو الجمع في امام
المصاحف كما هو الاصل في امثاله مثل قعدوا هم وقاموا هم **قوله** لقد جنيتك اكموء
وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الاوبر والعساقيل ضرب من الكماة الواحدة
عسقول وهي الكماة الكبار البيض يقال لها شحمة الارض والكماة [illegible] واحدتها
كمء على غير القياس وهو من النوادر تقول هذا كمء وهذان كمءان وهؤلاء
اكموء ثلثة فاذا كثرت فهي الكماة وبنات الاوبر كماة صغار مزغبة على
لون التراب يقال جنيت الثمرة جنيها جنيا اذا اخذتها من منابتها تقول اجنيت
لك اي لاجلك نوعين من الكم من اجودها ونهيتك عن النوع الآخر الذي هو
اردأ انواعها **قوله** فيه انكار وتعجب من حالهم الانكار مستفاد من صورة الاستفهام
فان الا هنا ليست هي التي للتنبيه بل هي همزة الاستفهام دخلت على لا النافية فافادت
الانكار على انتفاء ظنهم والتعجب مستفاد من ذكر الظن في موضع ذكر اليقين والانكار
على انتفائه فان الواجب على العاقل ان يتيقن بالبعث والحساب ولظهور تعاضد الدلائل
العقلية والنقلية عليها ولا يجاسر على ما يوجب الافتضاح والخجالة في يوم الحساب
وان لم يتيقن به فلا اقل من ان يظن ومن يجاسر على ارتكاب القبايح يرى من ظاهر
حاله انه لا يظن البعث والحساب ولا يخطر ذلك بباله فضلا عن التيقن به لان الظن
كاف في حصول الخوف الموجب للامتناع منها وعدم امتناعه عنها يدل على انتفاء
ظنه بذلك ايضا وذلك امر عجيب **قوله** لحكم بتقدير المضاف ان يقومون لمجرد امره
وحكمه بذلك لا لشيء آخر ويجوز ان يكون المضاف المقدر لمحاسبة او الرداء يقومون يوم
لمحاسبة رب العالمين فظهر هناك تطفيفهم بذلك القدر الطفيف الحقير خفية
وظلما فينصف للمظلوم من الظالم او يوم يقومون لرد رب العالمين ارواحهم الى اجسادهم
فيقومون من مراقدهم [illegible] لذلك **روي** في كيفية قيامهم عن النبي عليه السلام انه
قال يقوم احدكم في رشحه الى انصاف اذنيه في كمية ذلك القيام انه عليه السلام
قال يوم يقوم الناس مقدار ثلثمائة سنة من سنين الدنيا لا يؤمر فيهم بامر

وعن ابن مسعود رضى الله عنه

وعن ابن عباس رضى الله عنه يمكثون اربعين عاما ثم يخاطبون وقال ابن عباس رضى الله عنه
وهو فى حق المؤمن كقدر انصرافهم من صلوة مكتوبة **قوله** وذكر الظن فان
ذكره ليس لاجل ان امر البعث والقيام والمحاسبة من القضايا التى يكفى للمؤمن
ان يظن بوقوعه لانه مما يجب ان يعتقد به المؤمن اعتقادا جازما ثابتا بل انما
ذكره للمبالغة فى المنع عن التطفيف لدلالته على ان الظن بالبعث والقيام يكفى
فى الامتناع والارتداع عن امثاله فضلا عن الجزم واليقين وكذا وصف اليوم
بالعظم كان مما يستعظمه الله تع لانه لا شك انه يكون فى غاية العظمة وقد مر ان
عظمته لعظم ما يكون فيه من الاهوال وكذا ذكر القيام عن القبور للحساب والجزاء
لحكم الله تع بذلك فان المطفف اذا حكم عليه بذلك اليوم القيام والمحاسبة والمجازاة
على تطفيفه يكون ذلك مبالغة فى المنع عنه وتعظيما لاثمه لا سيما وقد وصف الله تع
نفسه بكونه ربا للعالمين المشعر بالمالكية والتربية فلا يمتنع عليه الظالم القوى
لكونه مملوكا مسخرا فى قبضة قدرته ولا يترك حق المظلوم الضعيف لانه رب
العالمين ومقتضى التربية ان لا يضيع شيئا من حقوق المستحقين واصل المنع
عن التطفيف حصل بقوله اولا ويل للمطففين لان كلمة المكروب الواقع فى بلية
فدل بذلك على انهم تنزل بهم بسبب تطفيفهم بلية وعذاب فيدعون لذلك على
انفسهم بالويل والثبور وما ذكر بعده للمبالغة فيه قال اعرابى لبعض الملوك انك
قد سمعت ما قال الله تعالى فى المطففين واراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه
الوعيد العظيم فى اخذ القليل فما ظنك بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين بلا كيل
ولا وزن **قوله** ما يكتب من اعمالهم لما روى ورد ان يقال انه تعالى قد اخبر ان
كتاب الفجار فى سجين ثم فسر السجين بقوله كتاب مرقوم فصار كانه قيل
ان كتابهم فى كتاب مرقوم فما معناه اشار المص الى توجيه المعنى بان الكتاب فى كتاب
الفجار مصدر اما ان يكون بمعنى المفعول كضرب الامير والكتاب الذى فسر به السجين
بمعنى السفر الذى كتب فيه فالمعنى الاعمال المكتوبة للفجار مثبتة فى الكتاب الجامع
لجميع اعمال الفجرة واما ان يكون باقيا على معناه بتقدير المضاف فتقدير كتاب الفجار
كتابة اعمال الفجار والجامع وقال القفال قوله كتاب مرقوم ليس تفسير السجين بل

ما يستعظمه

اخرجه الترمذى عن ابى برزة رضى الله عنه

ت عن ابى برزة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزول قدما عبد يوم القيمة حتى يسئل عن اربع عن عمره فيما افناه وعن علمه ما عمل به وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وعن جسمه فيما ابلاه

طريقة محمدية

روى ان موسى عليه السلام ناجى ربه فقال ارنى وليا من اوليائك فاوحى الله تع اليه اصعد الى جبل كذا وفيه كهف فترى وليا ففعل موسى عليه السلام فرأى رجلا ميتا يتوسد بلبنة وفوق عورته خرقة ليس به غيرها فقال الهى اهذا وليك فقال نعم هو وليى فو عزتى وجلالى وارتفاع مكانى ووحدانيتى لا ادخلنه الجنة حتى احاسبه بالخرقة واللبنة من اين وجدتهما روضة العلما

بل هو خبر بعد ان المعنى ان كتاب الفجار لفى سجين وانه كتاب مرقوم وقوله ما ادريك
ما سجين وقع معترضا بين الخبرين قال الامام اى استبعاد فى كون احد الكتابين فى الآخر
اما بان يوضع كتاب الفجار فى الكتاب الذى هو الاصل المرجوع اليه فى تفصيل احوال الاشقياء
او بان ينقل ما فى كتاب الفجار الى ذلك الكتاب المسمى بالسجين وفيه وجه ثالث وهو ان يكون
المراد بالكتاب الكتابة فيكون المعنى كتابة الفجار لفى سجين اى كتابة اعمالهم فى سجين ثم
وصف السجين بانه كتاب مرقوم فيه جميع اعمال الفجار انتهى كلامه بعبارته **قوله** مسطور
بين الكتابة الجوهرى الرقم الكتابة والختم فان فسر المرقوم بالمكتوب يكون توصيف الكتاب به
للدلالة على انه بين الكتابة بحيث كل من نظر اليه يطلع على ما فيه بلا دقة نظر وامعان
توجه وان فسر بالمختوم يكون المقصود الدلالة على ان ذلك الكتاب مشتمل على علامة دالة
على شقاوة صاحبه وكونه من اصحاب النار لان الختم علامة وكون علامة الشر مستفاد
من المقام لانه مقام التهويل **قوله** فعيل من السجن اختلف فى ان السجين اسم علم لشيء
معين او اسم مشتق عن معنى فمن ذهب الى الثانى قال انه فعيل من السجن وهو الحبس
والتضييق كما يقال فسيق من الفسق **قوله** لقب به الكتاب يعنى انه فى الاصل من اسماء الصفة
وموضوع لمبالغة ساجن ثم نقل من الوصفية وجعل علما للكتاب بتسمية السبب باسم
المسبب ودلالته على المبالغة فى كونه سبب الحبس والتضييق من حيث ان الحبس الواقع به
للخلود والابد وان كان السجين مبالغة المسجون يكون تسمية الكتاب لكونه مطروحا
فى اسفل المواضع واوحشها من حيث الظلمة والضيق وفيه ابليس وذريته لعنهم الله
فيطرح فيه كتاب اعمال الفجار من حيث اعمالهم لا يقبل فلا يصعد موضع القبول **قوله**
وقيل هو اسم مكان ممن ذهب الى انه فى الاصل اسم علم لشىء معين منهم من قال انه الارض
السابعة السفلى وقيل وفيها ابليس وذريته **وروى** عنه عليه السلام ان سجين جب فى جهنم
وقال الكلبى ومجاهد سجين صخرة تحت الارض السابعة وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال
لكعب الاحبار اخبرنى عن سجين وعليين فقال والذى نفسى بيده لا اخبرتك عنهما
الا بما اجد فى كتاب الله تع المنزل اما السجين فانها صخرة سوداء تحت الارض السابعة مكتوب
فيها اسم كل شيطان فاذا قبضت نفس المرء الكافر عرج بها الى السماء فغلقت ابواب السماء
دونها ثم رمى بها الى السجين فذلك هو السجين واما عليون فانه اذا قبضت نفس المرء المسلم

عرج الى السماء وفتحت لها ابواب السماء حتى ينتهى الى العرش قال فيخرج كف من العرش فيكتب
نزله وكرامته فذلك عليون وقيل حفظ كتاب الفجار فى سفل الموضع واشدها عذابا
الى ان يبعثوا اعلام بسوء احوال اصحابه وخساستهم ثم ان كان السجين اسما لا فيح المواضع
واسفلها لا يصح ان يحمل عليه كتاب مرقوم الا بان يقدر المضاف الى السجين او الى كتاب
ليصح الحمل واشار اليه المص بقوله والتقدير ما فى كتاب السجين الخ قوله بالحق او
بذلك ان اتصل قوله ويل للمكذبين بقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين يكون المعنى
ويل يوم يقوم الناس لرب العالمين لمن كذب باخبار الله تع فاتصل بقوله كتاب مرقوم
ومعناه مرقوم برقم يدل على شقاوة صاحبه يوم القيمة يكون المعنى ويل فى ذلك اليوم
للمكذبين بذلك قوله صفة مخصصة او موضحة او ذامة والتخصيص فى اصطلاحهم
تقليل الاشتراك الحاصل فى النكرات فى مثل رجل صالح فان الصفة فيه قللت شركة
الموصوف ولم يعينه والتوضيح دفع الاشتراك الحاصل فيها ليست لاشارة الى نفس
الحقيقة مع قطع النظر عن تحققها فى ضمن الفرد وههنا هو والام للاستغراق لان المكذب بالباطل
ليس بمراد قطعا فهى اما للتعريف العهد الذهنى فيكون فى حكم النكرة كما فى قوله ولقد امر على
اللئيم يسبنى فالوصف يقلل اشتراكه وتخصص لمن يكذب بيوم الدين واما تعريف
العهد الخارجى والمعهود هم المكذبون باخبار الله تع او يكون كتابا انفى هو فى سجين مرقوم
بما يدل على شقاوة صاحبه يوم القيمة وهم وان كان طائفة معينة الا انهم وصفوا بما
هو اخص اوصافهم وهو التكذيب بيوم الدين لزيادة الايضاح ورفع ما عرض لهم
من بعض الشركة والابهام من بعض الوجوه والموصوف المعرف ان لم يعرض له قبل التوصيف
بشىء من الشركة والابهام يكون التوصيف لمجرد الثناء كما فى نحو بسم الله الرحمن الرحيم اذ لا
يتصور عروض الشركة للمسمى بلسم الله او لمجرد الذم كما فى اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
والوصف ههنا كما ان يكون للتخصيص والتوضيح يجوز ان يكون للذم ايضا بناء على ان
تكذيبهم بيوم الدين علم من قوله الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم قوله
المخدجة اى المنتجة بنتيجة باطلة والمثمرة فائدة ناقصة منقطعة يقال اخدجت الناقة
اذا جاءت بولدها ناقص الخلق والاعتداء هو التجاوز عن منهج الحق وحمله المص على اهمال
القوة النظرية التى كمالها ان يعرف الاشياء بها الحق لذاته مثل ان يعرف وحدة الصانع

منزلته ...

فى المعارف اعلاما كانت اولا
نحو زيد العالم والرجل الفاضل
ولام التعريف فى المكذبين ...

الصانع واتصافه باوصاف الجلال والكمال وتنزهه عما يليق بشان الالوهية والمكذب
بالبعث والقيمة انما يكذب لاستقصاره قدرة الله تع وعدم اعتقاده بكونه تعالى
قادرا على جميع الممكنات او لاستقصار علمه وعدم اعتقاده بكونه عالما بجميع المعلومات
من الكليات والجزئيات حتى ينفى بانه عالم بتفاصيل اجزاء كل شخص متميزة عن اجزاء
غيره وانه قادر على جمعها واعادة الحيوة فيها ولا شك ان من وصفه تعالى بما لا يجوز
ان يوصف به فقد اهمل قوة النظرية ولم يستعملها ليكتسب بها العقائد الحقة الصحيحة
ويعتقد بها والاثيم يدل على المبالغة فى ارتكاب الاثم والمعاصى بالاشتغال بالشهوة
والغضب بحيث لم يتفرغ للعبادة والطاعة بل النظر المودى الى الايمان بالبعث والقيمة
ومن كان هذا شانه فقد اهمل قوة العملية التى كمالها ان يعرف الخير لاجل العمل به ثم انه تع
بالغ فى ذم المكذب بان وصفه بالاعتداء عن النظر فى شواهد النقل بانكار النبوة
وقدح فى كون القرآن من عند الله تعالى والاعتداء بهذا الوجه وان كان مندرجا فى الاعتداء
المذكور اولا الا انه بالذكر للمبالغة فى ذم من اتصف به فان امر الارسال والانزال
اشرف اثار رحمة الله وفضله على عباده ومن انكرهما فهو فى غاية الطغيان والاستبعاد
منه تكذيب يوم الدين وفى الصحاح السطر بكون الطاء الصف من الشىء ويجمع
على اسطر وسطور مثل افلس وفلوس فى جمع فلس والسطر بفتح الطاء مثله ويجمع على اسطار
مثل سبب واسباب ثم يجمع على اساطير والاساطير الاباطيل الواحد اسطورة بالضم
واسطارة بالكسر انتهى كلامه فاساطير الاولين اى اكاذيبهم واخبارهم الباطلة
والظاهر انه عام فى حق جميع الموصوفين بهذه الصفات نظرا الى اللفظ كل وقيل ان المراد
به الوليد بن المغيرة احتجاجا بقوله تعالى فى سورة ن ولا تطع كل حلاف مهين الى قوله
معتد اثيم والى قوله اذا تتلى عليه اياتنا قالوا اساطير الاولين حيث قيل انه وليد بن
المغيرة فعلى هذا يكون المعنى وما يكذب بيوم الدين من قريش او من قومك الا كل
معتد اثيم وهو هذا الشخص المعين قوله ردع لما قالوا اشار الى ان وجه الاضراب
ههنا ابطال الكلام المتقدم والاعراض عنه لبطلانه مع الشروع فى كلام يتعلق به وقد يكون
الاضراب لمجرد الاعراض عما سبق وجعله فى حكم المسكوت عنه مع الشروع فيما هو اهم
وههنا اوجب عليهم الارتداع عن ذلك القول المنكر ثم اضرب عنه الى بيان ما ادى بهم اليه

كانه قبيل الامر كما يقولون من انه اشاطير بل افعالهم الماضية كان سببا لحصول الرين
في قلوبهم فلذلك اجترءوا على ان يقول ذلك وفسر الرين بالصداء والدنس وانث
في انثاء تقريره لى تفسيره بالغلبة كما قال ابو عبيد كل ما غلبك فقد ران بك وران
وران عليك وران على قلوبهم غلب عليها والخمر يرين على قلب السكران والموت
يرين على الميت اى يغلب فيذهب به ويقال رين الرجل يران رينا اذا وقع فيما
لا يستطيع الخروج منه وقيل الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع ان
يطبع على القلب وهو اشد من الرين والاقفال اشد من الطبع وهو ان يقفل
على القلب وقال الزجاج ران على قلوبهم بمعنى غطى على قلوبهم يقال ران على قلبه
الذنب يرين رينا اى غشيه والرين كالصداء يغشى القلب في مثل الغين **قوله**
فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات تعليل لكون الانهماك في المعاصي سببا لغلبة
حب المعاصي عليهم فان من اراد تعليم الكتابة فكلما كان اتيانه بعمل الكتابة اكثر
كان اقتداره على عمل الكتابة اتم واكمل الى ان يصير بحيث يقدر على اتيانه بالكتابة
من غير روية وفكر بل يصير ذلك كالامور الطبيعية التي جبل عليها الانسان فهذه
الهيئة النفسانية والملكة الراسخة كما تتولد من تلك الاعمال الكثيرة كان لكل
واحد من تلك الاعمال اثر في حصولها تلك الملكة النفسانية فكذلك الانسان اذا واظب على
اتيان بعض انواع الذنوب حصلت في قلبه ملكة نفسانية تزول بسببها عن
الاتيان بذلك الذنب ويسهل عليه ذلك ولا معنى للذنب الا ما يشغلك بغير الله
وتقصد لغير وجهه وتنيل مرضاته فيكون ظلمة على القلب فان الذنوب كلها ظلمات وسواد
كما ان الطاعة كلها انوار وضياء فكلما كثرت الذنوب ازداد القلب سوادا وحجب
اسوداد القلب يزداد المرء وقاحة حتى اذا اسود القلب كله والعياذ بالله لم يبق في قلبه
شيء من الحياء والخشية ويرتفع بالكلية ما يمنعه عن اتباع الشهوات والغضب
فينقلب عليه حب المعاصي فيقع فيما لا يستطيع الخروج منه ولما كانت مراتب الملكات
في الشدة والضعف مختلفة لا جرم كانت مراتب ظلمة القلب وسواده مختلفة فبعضها
يكون رينا وبعضها طبعا واقفالا وقيل الانسان ثلثة انواع من الذنوب تقابلها في الانسان
ثلثة عقوبات الاولى الغفلة عن العبادة وذلك يورث جرءة على ارتكاب الذنوب

الذنوب والثالث والبها بقوله عليه السلام ان المومن اذا اذنب ذنبا اورث في قلبه
نكتة سوداء فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وان ازداد زادت قلبه
والثاني الجسارة على ارتكاب المحارم اما الشهوة تدعوه اليه او شرارة تحته
في عينه فتورثه وقاحة وهي المعبر عنها بالرين في قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون والثالث الضلال وهو ان يسبق الى اعتقاد مذهب باطل
واعظمه الكفر فلا يكون يلتفت عنه يتوجه الى الحق وذلك يورثه هيئة تمرنه
على استحسان المعنى واستقباحه للطاعات وهو المعبر عنه بالختم والطبع في
نحو قوله تعالى اولئك طبع الله على قلوبهم وقوله وختم على سمعه وقلبه وبالاقفال
في قوله ام على قلوب اقفالها وما في قوله تعالى ما كانوا يكسبون يجوز ان يكون
مصدرية وان يكون موصولة وراجعها محذوف ومحلها الرفع على الفاعلية
على كلا التقديرين اى غلب على قلوبهم كسبهم او الذي كانوا يكسبونه **قوله**
فلا يرونه بخلاف المؤمنين سئل مالك بن انس عن هذه الآية فقال لما حجب
اعداءه فلم يروه لابد ان يتجلى لاوليائه حتى يروه وعن الشافعي لما حجب
قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضى وقال مقاتل يعني انهم بعد العرض
والحساب لا يرون ربهم والمؤمنون يرونه وهذه الآية من جملة ادلة الرؤية من
انه تعالى ذكر هذا الحجاب في معرض الوعيد والتهديد للكفار وما يكون وعيدا او تهديدا
للكفار لا يجوز حصوله في حق المؤمن فوجب ان لا يحصل هذا الحجاب في حق المؤمن
والا لما كان للتخصيص فائدة فاجاب عنه المعتزلة بحمل الكلام على الاستعارة التخييلية
فانه اذا قيل الفلان محجوب عن السلطان يراد انه مهان عنده والسلطان ساخط عليه
غير راض عنه فلذلك حجبه عن رؤيته وحضور مجلسه انه شبه حال المكذبين في اهانتهم
عند الله وكونها معتقا سخطه بحال المهانين المحجوبين عن بعض السلاطين فاطلق
في المكذبين الكلام المقول في حق هؤلاء المحجوبين على طريق الاستعارة التمثيلية ونحن
لا نصرف النصوص المتعاضدة على الرؤية عن ظواهرها بناء على ان النشاءة
الاخرى مخالفة للاولى في كثير من الامور فانه تعالى وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم
وننشئكم فيما لا تعلمون وهو تعالى قادر على كل شيء فيقدر على ان يخلق الرؤية فيمن

ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلها وإذا فسدت فسد الجسد كلها طريقه محرر

النشاءة

الكيفيات

يوم البعث فيبرؤن من هو منزه عن جميع الجهات والكيفيات والكفار كما صاروا محجوبين
في عرصة القيمة عن رؤية الله تعالى فعند ذلك يؤمر بهم الى النار ثم اذا دخلوها
يوبخون بتكذيبهم بالبعث والجزاء وهو قوله تعالى ثم انهم لصالوا الجحيم الى قوله كلا
قوله تكرير للاول وهو قوله كلا ان كتاب الفجار لفي سجين لما ذكر حال الفجار
المطففين اتبعه بذكر حال الابرار الذين لا يطففون فقال كلا ردع للمطففين
عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب قوله الكلام فيه ما مر في نظيره يعني
ان كتاب الابرار معناه الاعمال المكتوبة للابرار على ان الكتاب مصدر بمعنى المكتوب
او كتابة اعمال الابرار على انه مصدر مضاف الى مفعوله لفي عليين اى لفي كتب جامعة
لجميع اعمال الابرار على ان عليين في الاصل جمع علي وهو فعيل من العلو للمبالغة فيه
ثم نقل من الوصفية وجعل علما للكتاب الجامع لكونه سببا لعلو صاحبه غاية العلو
او لكونه موضوعا في ارفع المواضع واشرفها والحكم على العليين وهو جمع بالكتاب المرقوم
باعتبار كل واحد احاده والمرقوم ان كان بمعنى المكتوب يكون المعنى انه كتاب بين الكتابة
يقرأ بلا تكلف وان كان بمعنى المختوم فالمعنى انه كتاب معلم بعلامة تدل على سعادة
صاحبه وفوزه بالنعيم الدائم والملك الذي لا يبلى وقيل عليون اسم مكان واعرب كاعراب
الجمع لانه على لفظ الجمع ثم اختلفوا فروي عن ابن عباس انها السماء الرابعة وفي رواية
اخرى عنه انها السابعة وقال قتادة ومقاتل هي قائمة العرش اليمنى فوق السماء السابعة
وقال الضحاك هي سدرة المنتهى وقال الزجاج اعلى الامكنة فعلى كونه اسم مكان لا يصح
ان يحمل عليه كتاب مرقوم الا بان يحمل الكلام على حذف المضاف من الاول او من الثاني ويكون
التقدير وما ادريك ما كتاب عليين او هو محل كتاب مرقوم ولا بعد في ان يكون
الكتاب في موضعين بمعنى الشيء المكتوب فيه وان يكون احد الكتابين غير الآخر اما
بان ينقل ما في كتب الابرار الى ذلك الكتاب الذي وكل الملائكة بحفظه او بان توضع معه
ويحفظها حفظه كانه تعالى وكل المقربين من الملائكة بحفظ اللوح المحفوظ وكلهم بحفظ
كتب الابرار معه ولا يمتنع ان الحفظة اذا صعدت بكتب الابرار فانهم يسلمونها
الى هؤلاء المقربين فيحفظونها كما يحفظون ام الكتاب فكما ان المقصود من وضع كتاب
الفجار في اسفل السافلين وفي اضيق المواضع اذلال الفجار وتحقير شأنهم فكذلك المقـ

فكذلك المقصود من وضع كتاب الابرار في اعلى المواضع واشرفها تعظيم الابرار وتكريمهم
وليكون علم الملائكة بما حفظوه من اعمالهم سببا لشهادتهم لهؤلاء الابرار فكذلك
يحاسبون حسابا يسيرا حيث يشهد لهم الملائكة المقربون قوله الاسرة في الحجال جمع
جمع حجلة بالتحريك وهي بيت العروس يزين بالثياب والاسرة والستور فان الاريكة
لا تسمى اريكة الا اذا كانت في الحجلة عن الحسن كنا لا ندري ما الاريكة حتى لقينا رجلا
من اهل اليمن اخبرنا ان الاريكة عندهم ذلك لما عظم الله تعالى كتاب الابرار في الآية
المتقدمة عظم بهذه الآية منزلتهم فقال ان الابرار لفي نعيم ثم وصف كيفية ذلك
النعيم بامور ثلثة اولها قوله على الارائك ينظرون وثانيها قوله تعرف في وجوههم
نضرة النعيم وثالثها قوله يسقون من رحيق مختوم وقوله على الارائك يجوز ان
يكون خبرا بعد خبر وان يكون حالا من المنوي في الخبر او من الفاعل في ينظرون واما
ينظرون فيجوز ان يكون مستأنفا وان يكون حالا اما من المنوي في الخبر او في
الظرف اى ناظرين الى ما اعطوا في الجنة الى ما يسرهم وحذف المفعول للتعميم قوله
بهجة النعيم اى رايتهم عرفت انهم اهل النعيم بسبب ما يرى في وجوههم من القرائن
الدالة على ذلك كالضحك والاستبشار على ما قال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة
وقال عطاء ان الله تعالى يزيد في وجوههم من النور والحسن والبياض ما لا يصفه واصف
قوله اى مختوم اوانيه ليس مراده بيان ان اسناد الختم الى الرحيق من قبيل الاسناد
المجازي بل بيان ان الختم على الشيء المكرم المصون الا تنافس منه بالختم طريقه ان
يختم ظرفه واناؤه تكريما له واظهارا لنفاسته كما ان تعين المسك مكان الطين
لان يختم به عليه لذلك لا لجرارة المنسوب الى بلدة كلي بولي فان العادة ان يختم عليها
بالطين والرحيق من الخمر صفوته وخالصه الذي لا غش فيه ولا شيء يفسده ولعله هو
الخمر الذي وصف تعالى بقوله لا فيها غول وكونه صافيا بهذا المعنى لا ينافي كونه ممزوجا
بالتسنيم وفي الجنة خمر آخر تجري منها انهار كما قال الله تعالى وانهار من خمر لذة للشاربين
الا ان هذا المختوم اشرف من الجاري قال ابو عبيدة والمبرد والزجاج المختوم الذي له
ختام اى عاقبة لا تحصل في اول زمان الملابسة به فالمعنى انه يوجد رائحة المسك عند خاتمة
شربه فان ختام الشيء وخاتمته آخره ووصف الرحيق بان عاقبة شربه هي رائحة المسك وعبارة

عبارة كونه ممزوجا بالمسك لانه لو لم يمزج بالمسك لما حصل فيه رايحة المسك فان علقمة
والضحاك وسعيد بن جبير ومقاتل وقتادة رحمهم الله قالوا اذا دفع الشارب فاه
من آخر شربه وجد رايحة كرايح المسك وقراءة الكسائي يويد الوجه الثاني فان خاتم
الشيء بفتح التاء آخره كما يقال خاتم النبيين قال الفراء وهما متقاربان في المعنى الا ان الخاتم
اسم والختام مصدر كقولهم هو كريم الطباع والطابع قوله فليتنافس المتنافسون يقال نفست
بالضم نفاسة اي صار مرغوبا فيه ونافست في الشيء منافسة اذا رغبت فيه على وجه
المباراة في الكرم وتنافسوا فيه اي رغبوا وفلان يباري فلانا اي يعارض ويفعل
مثل فعله ونفس به بالكسر اي ضن يقال نفست عليه الشيء نفاسة اذا لم تره له اهلا كذا
في الصحاح وقال الواحدي يقال نفست عليه الشيء انفسه نفاسة اذا ضننت به ولم تحب
ان يصل اليه والتنافس تفاعل منه كان كل واحد من الشخصين يريد ان يستاثره والمعنى وفي ذلك
فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله تعالى لا في النعيم الذي هو مكدر سريع الفناء
قوله سميت تسنيما وهو مصدر سنمه اذا رفعه فان اصل هذه الكلمة للعلو والارتفاع
ومنه سنام البعير وتقول سنمت الحائط اذا علوته سميت العين التي في الجنة
تسنيما اما لانه ارفع شراب في الجنة قدرا واما لانها تاتيهم من فوقهم على انها
تجري في الهواء متسنمة فتنصب في اوانيهم قال ابن عباس رضي الله عنه اشرف شراب
اهل الجنة هو التسنيم لانه يشربه المقربون صرفا ويمزج لاصحاب اليمين واعلم ان الله تعالى
لما اقسم المكلفين في سورة الواقعة الى ثلثة اقسام المقربون واصحاب اليمين واصحاب
الشمال ثم انه تعالى ذكر كرامة الابرار المذكورين في هذه السورة بانه يمزج شرابهم من عين
يشرب بها المقربون صرفا علمنا ان المذكورين في هذه المواضع هم اصحاب اليمين والتسنيم
في الجنة الروحانية هو معرفة الله تعالى ولذة النظر الى وجه الكريم والرحيق هو الابتهاج
بمطالعة عالم الموجودات فالمقربون الذين هم افضل اهل الجنة لا يشربون الا من التسنيم
اي لا يشتغلون الا بمطالعة وجه الكريم واصحاب اليمين يكون شرابهم ممزوجا فتارة
تكون نظرهم اليه وتارة الى المخلوقات قوله وانتصاب عينا على المدح اي بتقدير اعني او على انه
حال من تسنيم بمعنى جاريا فان التسنيم لكونه علم العين بعينها في الجنة معرفة فيجوز انتصاب
الحال منه والمعنى وهو مزاج ذلك الشراب المسمى بالرحيق من الماء العالي جاريا قوله والكلام

والكلام في الآية كما مر في سورة الانسان من انها صلة الا التلذذ اي يشرب المقربون المتلذذين
بها او بمعنى من لان الشراب مبتداء منها كما هو او مزيدة او يشربها اي يشرب مائها
لان العين لا تشرب وانما تشرب ماؤها ويحتمل ان يكون بمعنى في اي يشربون وهم فيها
والجملة في موضع الصفة لقوله عينا قوله روت قريش اشارة الى ان سبب النزول
ان اكابر المشركين كابي جهل والوليد بن المغيرة وامثالهما كانوا يضحكون من فقراء المسلمين
ويستهزؤن بهم كعمار وصهيب وبلال وقيل جاء علي بن ابي طالب رضي الله عنه في نفر
من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى اصحابهم فقالوا
رأينا اليوم الاصلع فضحكوا منه فنزلت هذه الآية قبل ان يصل علي رضي الله عنه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم والاصلع الذي انحسر شعر مقدم راسه وكانهم انما قالوا ذلك في حق
علي رضي الله عنه لانه يحلق راسه منذ سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تحت كل شعرة
جنابة وقال علي رضي الله عنه ومن ثم عاديت راسي واعلم انه تعالى لما وصف كرامة
الابرار في الآخرة ذكر بعد ذلك قبح معاملة الكفار معهم في الدنيا واستهزائهم وضحكهم
ثم بين ان ذلك سينقلب على الكفار في الآخرة والمقصود منه تسلية المؤمنين وتقوية
قلوبهم وذكر من معاملتهم القبيحة اربعة اشياء اولها قوله ان الذين اجرموا كانوا
من الذين آمنوا يضحكون اي يستهزؤن بهم وبدينهم وثانيها قوله واذا مروا بهم
يتغامزون والتغامز التفاعل من الغمز وهو الاشارة بالجفن والحاجب ويكون
الغمز ايضا بمعنى العيب يقال غمزه اذا عابه وما في فلان غميزة اي ما يعاب به والمعنى انهم
يشيرون اليهم بالاعين استهزاء ويعيبونهم ويقولون انظروا الى هؤلاء يتعبون
انفسهم ويتركون اللذات ويتحملون المشقات لما يرجونه في الآخرة من المثوبات وامر
البعث والجزاء لا يقين به وانه بعيد كل البعد وثالثها قوله اذا انقلبوا الى اهلهم
انقلبوا فكهين اي معجبين فرحين بما فعلوا بالمؤمنين وهو حال من فاعل انقلبوا
كما ان حافظين حال من فاعل ارسلوا وقرئ فاكهين وفكهين لغتان بمعنى ناعمين متلذذين
وقيل فاكهين اي متنعمين مشغولين بما هم فيه من الكفر وايثار الحظ العاجل وفكهين
معجبين الجوهري فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا كان طيب النفس مزاحا والفكه ايضا
الاشر والبطر والفاكه الناعم المتلذذ بما هو فيه ورابعها قوله واذا راوهم قالوا ان هؤلاء

لضالون اي هم على ضلال في تركهم التنعم الحاضر بسبب طلب ثواب لا يدرى هل له وجود ام لا
ثم قال وما ارسلوا عليهم حافظين يعني ان الله تعالى لم يبعث هؤلاء الكفار رقباء
على المؤمنين يحفظون عليهم احوالهم وينتقدون ما يصنعون من حق وباطل فيعيبون
عليهم ما يعتقدون ضلالا وانما امروا باصلاح انفسهم واي ينفع لهم في تتبع احوال غيرهم
قوله حين يرونهم اذلاء مغلولين في النار مع قوله وقيل يفتح لهم الخ ذكر في سبب ضحك
المؤمنين من الكفار وجهين الاول ان المؤمنين يضحكون على الكفار بسبب ما هم فيه من انواع
العذاب والبلاء المؤبد وانهم اختاروا اللذة اليسيرة الفانية على راحة الابد بخلاف
انفسهم فانهم نالوا بالتعب اليسير راحة الابد بدخول الجنة فجلسوا على الارائك ناظرين
اليهم كيف يعذبون في النار وكيف يصطرخون فيها ويدعون فيها بالويل والثبور
ويلعن بعضهم بعضا والوجه الثاني في سبب ضحك المؤمنين منهم ما قيل من انه يفتح
لاهل النار وهم فيها باب الى الجنة الخ **قوله** حال من يضحكون اي يضحكون منهم
ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة في الدنيا والظاهر ان
قوله تعالى هل ثوب الكفار الاية كلام مستأنف من قبل الله تعالى او من قبل الملائكة تنبيها
لهم على ان اعدائهم قد جوزوا اجزاء ما فعلوا من ضحكهم بالمؤمنين ليزدادوا بذلك سرورا
الى سرورهم لانه يقتضي زيادة في تعظيم فان اهانة الاعداء تعظيم الاولياء

سورة الانشقاق وآيها خمس وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو الانصداع والانفراج والباء في قوله بالغمام للآلة كما في قولك انشقت الارض
بالنبات والمعنى ان السماء تنفتح بغمام يخرج منها والغمام السحاب قيل يكون في ذلك
الغمام ملائكة العذاب وكان ذلك اشد وافظع من حيث انه جاء العذاب من موضع
الخير فعلى هذا يكون انشقاق السماء لنزول الملائكة وقيل لسقوطها والانتقاض لجوهر
المجرة التي في السماء سميت بذلك لانها كاثر المجرة ويقال بالفارسية كهكشان بقال
بالتركي صمان جلكجي تنشق السماء من ذلك الموضع كانه مفصل ملتئم فتتصدع منه **قوله**
واستمعت له الجوهري اذن له اي استمع وانشد ان سمعوا ريبة طاروا بها فرحا
مني وما سمعوا دفنوا هم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بشر عندهم اذنوا **وعن**
ابي هريرة رضي الله عنه انه عليه السلام قال ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن اي

مغلولين حيا

ا في النار

الاستفهام اما تقريري
قد جوزوا الكفار جزاء ما كانوا يفعلون
او انكاري اي لا يكون لاعمال الكفار
ثواب كقوله تعالى فجعلناه هباء منثورا
فعلى الاول يكون في حكم التعليل لمضمون
قوله يضحكون وعلى الثاني يكون
جوابا عن سؤال انه هل يكون لاعمال
الكفار ثواب يخلص به عن هذا
العذاب فالقول الى هذا مقول
لقول مقدر حيا لا وجه له كما توهم

البا للملابسة

بالقرآن اي ما استمع الى شيء كاستماعه الصوت نبي يقرأ الكتاب المنزل عليه وهو
مجاز عن الاعتداد بذلك واستحماده له فان معنى اذن لغة ان وجه الاذن الى مصدرا فاذا
اطلق في حق من له حاسة السمع والاستماع بها يريد بها الاجابة والانقياد مجازا واذا
اطلق في حق نحو السماء مما ليس من شأنه الاستماع والقبول يكون استعارة تمثيلية بان
شبهت حال السماء في انقياده لتأثير قدرة الله تعالى حين اراد انشقاقها بانقياد المستمع
المطواع للآمر فاستعير لها ما استعمل فيه فهي استعارة تمثيلية متفرعة على المجاز المرسل
قال الامام والمعنى انه لم يوجد في جرم السماء ما يمنع من تأثير قدرة الله تعالى في شقها وتفريق
اجزائها فكان في قبول ذلك التأثير كالعبد الطائع الذي اذا ورد عليه الامر من جهة المالك
انصت له واذعن ولم يمتنع **قوله** ائتيا طائعين يدل على نفوذ القدرة في
الايجاد والابداع من غير ممانعة اصلا **وقوله** ههنا واذنت لربها يدل على نفوذ
قدرة الله تعالى في التفريق والاعدام والافناء من غير ممانعة اصلا وحقيق لها ان تسمع
وتطيع لامر الله تعالى اذ هي مربوطة مصنوعة له تعالى وممكن في ذاتها ليس الا القبول
والاستعداد وكل واحد من الوجود والعدم بالنسبة اليه على التسوية وترجيح وجوده
على عدمه او ترجيح عدمه على وجوده لا بد ان يكون بتأثير واجب الوجود وترجيحه
فيكون تأثير قدرته في ايجاده واعدامه نافذا من غير ممانعة اصلا **قوله** اكامها
وهو جمع اكم بضمتين مثل عنق واعناق والاكم جمع اكام مثل كتب في جمع كتاب
والاكام جمع اكم مثل جبل وجبال والاكم جمع اكمة مثل ثمر وثمرة والاكمة جبل الصغير
فان زلزلة الساعة تزيل جبال الارض واكامها وينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا
صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا فيستوي ظهر الارض وينبسط وعن ابن عباس رضي الله
مدت مد الاديم العكاظي لان الاديم اذا مد زال كل انثناء فيه واستوى فعلى هذا قوله
تعالى مدت ماخوذ من مددت الشيء فامتد وقيل انه ماخوذ من مدة بمعنى امده اي
يزاد في سعتها يوم القيمة لوقوف الخلائق عليها للحساب ولا بد من الزيادة في وجه الارض
سواء كان ذلك بتجديدها او بامدادها لان الخلائق من الاولين والآخرين لما كانوا
واقفين يوم القيمة على ظهرها فلا بد من الزيادة في طولها وعرضها **روى** الامام
ابو الليث رحمه الله عن علي بن الحسين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيمة

مد الله تع الارض مد الاديم حتى لا يكون لبشر من الناس الا موضع قدميه يعني لكثرة الخلايق فيها **قوله** من الكنوز والاموات والاول عند قرب الساعة والثاني عند البعث

قوله وتكلفت اي خلت غاية الخلو حتى لم يبق في باطنها شيء فكانها تكلفت في الخلو اقصى وسعها وطاقتها والا فحقيقة التكلف لا يتصور في الارض والجهد بضم الجيم الطاقة وبالفتح المشقة والجهد الواقع في تفسير الكدح بفتح الجيم بمعنى المشقة والتعب ولذلك عطف عليه الكدح في الكشاف جهد النفس في العمل والكدح فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه والكد السعي الشديد في العمل وطلب الكسب قال تفطويه كادح اي كاد تعب من قولهم فلان يكدح لعياله اي يكسب لهم بالكد والتعب **قوله** لاقي لانك كدحه اشارة الى ان ضمير ملاقيه عائد الى الكدح الا ان الكدح عمل وهو عرض لا يبقى فملاقاته ممتنعة فلا بد من حمل الكلام على تقدير المضاف اي فملاق اجزاء كدحك كقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره اي يرى جزاءه ويكون المراد ملاقاة الكتاب الذي فيه بيان تلك الاعمال والكدح فيها ويؤيد هذا التاويل قوله تع بعد هذه الآية فاما من اوتي كتابه بيمينه الخ قيل ضمير ملاقيه عائد الى الرب بتقدير المضاف اي ملاق حسابه وحكمه لا مفر لك منه وعلى التقديرين تدل الآية على ان الانسان يلاقي جزاء كدحه او كتاب كدحه او يلاقي حساب ربه وهذا المدلول هو الجزاء المحذوف اكتفي عنه بما يدل عليه **قوله** او ملاقيه عطف على قوله المحذوف واذا كان فملاقيه جواب اذا يكون يا ايها الانسان انك كادح معترضا على اسلوب قول القائل اذا كان كذا او كذا يا ايها الانسان ترى عند ذلك ما عملت من خير او شر فكذا ههنا والتقدير اذا كان يوم القيمة لقي الانسان عمله وقيل ان المعنى محمول على التقديم والتاخير فكانه قيل يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه اذا السماء انشقت وقامت القيمة **قوله** والكدح اليه السعي الى لقاء جزائه اشارة الى ان كلمة الى متعلقة بكادح بمعنى ساع وان في الكلام حذف مضاف والمعنى ان جدك وسعيك الى مباشرة الاعمال في الدنيا في الحقيقة سعي الى لقاء جزائها في العقبى فملاق ذلك الجزاء لا محالة فعليك ان تباشر في الدنيا بما ينجيك ويسعدك في العقبى واحذر بما تردّيك ويهلكك فيها **قوله** لا يناقش فيه يعني ان الحساب اليسير هو العرض بان يعرض عليه اعماله ويعرف ان الطاعة منها هذه والمعصية هذه ثم

يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية وهذا الحساب اليسير لانه لا شدة على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر ولا بالحجة عليه فانه متى طولب بذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح قالت عايشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نوقش في الحساب فقد هلك فقلت يا رسول الله ان الله تعالى يقول فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال العرض ولكن من نوقش في الحساب عذب قال الله تع في سورة الحاقة واما من اوتي كتابه بشماله وقال في هذه السورة واما من اوتي كتابه وراء ظهره والمص جمع بينهما حيث قال اي يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره لما روي عن الكلبي انه يغل يمينه الى عنقه ثم يلوي يده اليسرى من ورائه فيعطى كتابه بشماله من وراء ظهره وهي خلف ظهره قال الامام ويحتمل ان يكون بعضهم يعطى كتابه بشماله وبعضهم من وراء ظهره ولما اوتي كتابه من غير يمينه علم انه من اهل النار فيقول وا ثبوراه قال الفراء يقول العرب فلان يدعو لهفه اذا قال والهفاه قيل الثبور مشتق من المثابرة على الشيء وهو المواظبة عليه يسمى هلاك الآخرة ثبورا لانه لازم لا يزول كما قال جل جلاله ان عذابها كان غراما واصل الغرام اللزوم والولوع **قوله** وقرأ الحجازيان وهما نافع المدني وابن كثير المكي والشامي وهو ابن عامر وفي تيسير القراءة قرأ ابو عمرو والبصري وعاصم وحمزة ويصلى سعيرا بفتح الياء واسكان الصاد مخففا والباقون بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام انتهى وقرأ يصلى بضم الياء وسكون الصاد مجهولا اي يدخل غيره فيدعوا الثبور اذا اعطي كتابه بشماله فسوف يدعو ثبورا ابال الفاء المفيدة للتعقيب واحدهما لا ينفي الآخر نعوذ بالله **قوله** فارغا عن الآخرة حيث كان آمنا من الحساب والثواب والعقاب ولا يخاف الله ولا يرجوه فتقاعد لذلك عن تعب المجاهدة بالطاعة من نحو الصوم والصلوة وعن تعب اجتناب المعاصي والمنكرات وبالجملة كان فارغا من هم الآخرة والتحزن بملاحظة اهوالها فابدل الله تعالى بذلك السرور والامن والاستراحة الفانية غما باقيا لا ينقطع بخلاف المؤمن فانه كان متيقنا عن المعاصي مجتهدا في الطاعات غير آمن من العذاب ولم يكن مسرورا في دنياه في اهله فجعل الله تع سرورا في الآخرة فابدله [illegible] بالنعم الفانية سرورا [illegible] لا ينقطع

[illegible]

قوله تع ظن ان لن يحور ان مخففة من الثقيلة وسدت مسد مفعولي الظن وان لن
مع ما في حيزها اي ان هذا الكافر ظن ان الامر والشان ان لن يرجع الى الله والحور الرجوع والمحار
المرجع والمصير وقيل الحور الرجوع الى خلاف ما كان عليه المرء كما قالوا نعوذ بالله من الحور بعد
الكور والمعنى على هذا انه ظن ان لن يرجع الى خلاف ما هو عليه في الدنيا من السرور
والتنعم ثم قال تع بلى اي لتبعثن وعلى الوجه الثاني ان الله ليبدل سروره بغم
لا ينقطع وبلاء لا يزول وان ربه كان عالما بما يعمله من الكفر والمعاصي فلم يكن
يجوز في حكمته ان يهمله فلا يعاقبه على سوء اعماله وهذا زجر لكل المكلفين عن جميع
المعاصي وكلمة لا في قوله تع فلا اقسم يجوز ان يكون لرد الكلام السابق وابطاله
حكى الله تع عن الكافر انه ظن انتفاء الحور فاوجبه بقوله بلى ثم ابطل ظن انتفائه
ثم ابتداء بالقسم فقال اقسم بالشفق ويجوز ان يكون صلة وقد مر مرارا
واتفق العلماء غير عكرمة ومجاهد رضي الله عنهما على ان الشفق اسم للاثر الباقي
من الشمس في الافق بعد غروبها ثم اختلفوا بعد ذلك فذهب عامتهم الى انه هو
الحمرة وعن ابي حنيفة رضي الله عنه هو البياض الحاصل بعد ذهاب الحمرة وكل واحد من البياض
والحمرة يجوز ان يسمى بالشفق لان اسم الشفق ينبئ عن معنى الرقة فان الشفقة
رقة القلب ولا شك ان اثر الشمس يضعف ضوءها باخذ في الرقة والضعف من غيبة الشمس
الى ان يستتر بسواد الليل على الافادة كلها وروي عن ابي حنيفة رحمه الله انه رجع عن هذا القول
بانه هو البياض واما عكرمة ومجاهد فانهما قالا ان الشفق هو النهار بناء على ان الشفق
هو اثر الشمس وهو كوكب نهاري واثره هو النهار فعلى هذا يقع القسم بالليل والنهار الذي
احدهما معاش والاخر مسكن وبهما قوام امور العالم **قوله** وما جمعه وستره اشارة
الى ان ما في قوله وما وسق ليست مصدرية بل هي اما موصولة او موصوفة اي وشيء وسق
والعائد لا بد منه على التقديرين والى ان وسق الليل وجمعه للمخلوقات عبارة عن سترها
اياها بظلمته واحاطته اياها بالظلم فان ظلمة الليل كانها تجلل الجبال والبحار والاشجار
والحيوانات فكانه تع اقسم بجميع المخلوقات كما قال تع فلا اقسم بما تبصرون وهذا المعنى لا يحصل
على تقدير ان يكون ما مصدرية لان المقسم به ح يكون وسق الليل وجمعه لا
ما يجمعه الليل وقيل يحتمل ان يكون المراد بما جمعه الليل العباد المتهجدين بالليل لانه

لانه قد مدح المستغفرين بالاسحار فيجوز ان يكلف بهم **قوله** مستوسقات لو يجدن
سائقا اوله ان لنا قلائصا حقائقا والقلوص الناقة الشابة والحقائق جمع حقاق
وجمع حقة وهي ناقة استكملت ثلث سنين ودخلت في الرابعة ووصف الشاعر
قلائصه الحقائق بكونها مستوسقات اي مجتمعات وتمنى ان تكون لها سائقا **قوله**
او طرده الى اماكنه عطف على قوله جمعه وستره يعني ان الوسق في اللغة كما يكون بمعنى الجمع
يكون بمعنى الطرد والابعاد ايضا كما يقال للابل المسروقة وسيقة لان السارق
يطردها الى اماكنها الجوهري الوسق مصدر وسقت الشيء جمعته وحملته والوسق
ايضا الطرد ومنه سميت الوسيقة وهي من الابل كالرفقة من الناس فاذا سرقت معا
طردت معا وقال الطرد الابعاد تقول طردته فذهب والطريدة الوسيقة وهي ما
يسرق من الابل **قوله** اجتمع وتم بدرا مبني على ما مر من ان اتسق واستوسق
مطاوعا لوسق بمعنى جمعه مثل وصلته فاتصل يقال امور فلان متسقة اي مجتمعة
على الصلاح كما يقال منتظمة ثم انه تع بعد ما ذكر ما به اقسم اتبعه بذكر ما عليه اقسم
فقال لتركبن طبقا عن طبق والمصحف ممن قرأ بضم الباء على خطاب الجنس لان النداء
في قوله يا ايها الانسان انك كادح للجنس ومن قرأ ليركبن بالياء جعل الكلام اضمارا
عن الغائب وهو الانسان المذكور بالاسم الظاهر وهو منزل منزلة الغائب
اي ليركبن الانسان ومعنى الاية ان الناس يلقون يوم القيمة اهوالا وشدائد
حالا بعد حال وشدة بعد شدة كانهم لما انكروا البعث اقسم الله تع ان البعث
كائن وان الناس يلقون فيه الشدائد والاهوال الى ان يفرغ من حسابهم فيصير
كل واحد الى ما اعد له من جنة او نار ونظيره قوله تع بلى وربي لتبعثن ثم
لتنبؤن بما عملتم **قوله** وهو لما طابق غيره يعني ان الطبق في الاصل اسم
لما طابق غيره يقال ما هذا بطبق لهذا اي بطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق
ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق **قوله** او مراتب من الشدة بعد المراتب
عطف على قوله حالا بعد حال اي يجوز ان يكون طبق جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم
هو على طبقات والمعنى لتركبن احوالا بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع
من بعض وهي الموت وما بعده من احوال القيمة **قوله** او هي ما قبلها اي اطوار المراتب

من الشدة هي هذه المذكورات وما كان قبلها من الدواهي العارضة لان الانسان من ابتداء ٥
وجوده الى ان يموت وعلى تقدير ان يكون الخطاب للرسول عليه السلام ذكر في معنى الآية وجهان
الاول ان يكون الآية اشارة الى ترقي احواله عليه السلام في الظفر والغلبة على المشركين ٥
المكذبين بالبعث كانه تعالى يقول اقسم يا محمد لتركبن حالا بعد حال حتى تختم لك بعاقبة
حميدة فلا يحزنك تكذيبهم وتماديهم في كفرهم اولتركبن يا محمد درجة بعد درجة ورتبة
بعد رتبة في القرب من الله تعالى والثاني ان يكون ذلك بشارة له عليه السلام بصعوده
الى السموات المشاهدة ملكوتها واجلال الملائكة اياه فيها والمعنى لتركبن يا محمد السموات
طبقا عن طبق فانها سبع سموات طباقا وقد فعل الله تعالى به ذلك ليلة الاسرى **وقوله** بعد حال
وبعد المراتب اشارة الى ان عن بمعنى بعد ووجه ذلك ان الانسان اذا صار الى الشيء بجاوزه
عن شيء آخر فقد صار الى الثاني بعد الاول فصح ان يستعمل فيه بعد وعن معا وايضا
لفظ عن يفيد البعد والمجاوزة فكانت مشابهة للفظ بعد فصح استعمال احدهما بمعنى الآخر
قوله بيوم القيمة خص يوم القيمة بانتفاء ايمانهم به انهم لايؤمنون باكثر ما يجب
الايمان به بل كله من حيث ان الكلام سوق لتوبيخ منكر البعث والقيمة وتقطيع حالهم
لانه تعالى حكى عن الكافرين انه ظن ان لن يحور ثم حكم بانه يحور ثم اقسم بتغيرات
واقعة الافلاك والعناصر على تغير احوال الخلق فان الشفق حالة مخالفة لما قبلها
وهو ضوء النهار ولما بعدها وهو ظلمة الليل وكذا قوله والليل وما وسق فانه يدل
على حدوث ظلمة بعد نور وعلى تغير احوال الحيوانات من اليقظة الى النوم وكذا قوله
والقمر اذا اتسق فانه يدل على حصول كمال القمر بعد ان كان ناقصا فلما قال بعد ذلك
على سبيل الاستبعاد فما لهم لايؤمنون علم ان المراد استبعاد عدم ايمانهم بالبعث والقيمة
فان عدم ايمانهم بذلك عند ظهور الحجة وزوال الشبهة منكر مستبعد جدا فان القادر
على تغير الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال ومن صفة بحسب المصالح لابد ان يكون
قادرا على جميع الممكنات عالما بجميع المعلومات ومن كان كذلك لا محالة قادر على البعث والقيمة
فلذلك فرع عليه استبعاد عدم ايمانهم بالفاء الدالة على السببية فقال فما لهم الخ
وعطف عليه استبعاد عدم خضوعهم وانقيادهم للقرآن عند سماعهم اياه من حيث انهم
بالغون اقصى درجات الفصاحة والبلاغة الداخلين تحت قدرة البشر فعند سماعهم

سماعه لابد يجزموا بكونه معجزا خارجا عن طوق البشر وكونه كلاما الهيا ويعلموا بذلك
صدق محمد صلى الله عليه وسلم في دعوى النبوة فيطيعوه في جميع الاوامر والنواهي
قوله او لايسجدون لتلاوته في السجود اولا بالخضوع والاستكانة ثم جوزان يراد به
نفس السجود عند تلاوة آية السجدة على ان يكون المراد بالقرآن آية السجدة بخصوصها
لا مطلق القرآن وايد هذا الاحتمال بما روى في سبب النزول **قوله** واحتج بلى بما روى
في سبب نزول هذه او احتج بهذه الآية وتذكير الضمير بتأويل المنزل والكلام ونحوه يدل
عليه قوله فانه ذم من حيث ان ضمير فانه لاشك انه لهذه الآية بالتأويل المذكور ووجه الاحتجاج
ان الذم على ترك الشيء يدل على وجوب ذلك الشيء وقوله تعالى الذين كفروا اظاهر وضع
موضع الضمير للتسجيل عليهم بالكفر والاشعار بما هو العلة في عدم خضوعهم للقرآن و
وتكذيبهم والمعنى لايسجدون بل هم يكذبون به والظاهر ان ما في ما يوعون موصول محذوف
العائد يقال اوعيت الشيء اي جعلته في وعاء قال تعالى فاوعى وعلم ان الله تعالى بما يجمعون في
صدورهم من الشرك والتكذيب والعداوة كناية عن مجاوزتهم في الدنيا والآخرة
وقوله فبشرهم استهزاء بهم لان البشارة هي الاخبار بالخيرات وقد استعملت في الخبر
المؤلم **قوله** استثناء منقطع بمعنى لكن الذين آمنوا الآية وهو مستثنى من الضمير
المنصوب في فبشرهم الراجع الى الذين كفروا والمستثنى وهم المؤمنون خارج عنهم
ويجوز ان يكون متصلا لان المؤمنين منهم كانوا من جملة اعاديهم وداخلين في عدادهم
حيث وافقوهم في عدم الخضوع للقرآن وفي عدم السجدة للتلاوة وفي تكذيبه ثم
خالفوهم وهذا القدر من الموافقة كاف في الاتصال **سورة البروج عشرون** ٥
آية بسم الله الرحمن الرحيم وهي القصور التي تنزل فيها الاكابر والاشراف اطلق
على بروج السماء الاثني عشر استعارة تصريحية تشبيها لها بالقصور لكونها منازل ٥
السيارات ومقر الثوابت والبروج في اصطلاح المنجمين اسم لجزء معين من اثني
عشر جزءا من خط مدور على الفلك يسمونه منطقة البروج وكل برج يعرف باسم كوكب
بنسبة البرج اليه وقيل المراد ههنا النجوم التي هي منازل القمر وهي ثمانية وعشرون ٥
نجما ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها واذا صار القمر ٥
الى آخر منازله دق واستقوس ويستتر ليلتين ان كان الشهر ثلثين يوما وان كان ٥

هذه السورة كلها مكية وعدد آياتها
عشرون آية وحروفها اربعمائة
وثلاثون حرفا فاقسم الله تعالى في اول
هذه السورة باربعة اشياء بسماء الدنيا
وبالقيمة وبالشاهد والمشهود
والسماء ذات البروج
اقسم الله بالسماء
واراد به الدنيا لانه قيد بالبروج
ولايكون البروج في سائر السموات
الا في سماء الدنيا وفي البروج اربعة
اقاويل **احدها** قال ابن عباس
اراد بذات البروج اثني عشر برجا
في سماء الدنيا الحمل والثور والجوزاء
والسرطان والاسد والسنبلة
والميزان والعقرب والقوس
والجدي والدلو والحوت **وقال**
الربيع بن انس ذات البروج اي
ذات النجوم كلها **وقال** زيد بن اسلم
ذات البروج ذات الابواب على كل
باب ملك حارس **وقال** الخليل بن احمد رحمه
ذات البروج ذات منازل اعتبارا
بقول الله تعالى الذي جعل في السماء بروجا
قوله واليوم الموعود لعله لتفسير
اليوم الذي يخرج الناس من
قبورهم قال الله تعالى يوم يخرجون
من الاجداث سراعا كانهم
الى نصب يوفضون ذلك
اليوم الذي كانوا يوعدون
او يوم نطوي السماء كطي
السجل للكتب

ان يراد بالبروج الابواب ... لعله
... فكانت ابوابا

تسعة وعشرين فليلة واحدة واطلاق البروج على هذه النجوم ايضا مبني على تشبيهها
بالقصور من حيث ان القمر ينزل فيها ولظهورها ايضا بالنسبة الينا لان البروج
ينبئ عن الظهور والبروج الاثني عشر منقسمة الى هذه المنازل الثمانية والعشرين
والشمس تسير في تمام هذه البروج الاثني عشر في كل سنة والقمر في كل شهر وقد
تعلق بها منافع ومصالح للعباد فاقسم بها اظهارا لقدرها والقول الثالث
ان المراد بالبروج عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها والقول الرابع ان المراد
بها ابواب السماء سميت بروجا لظهورها بالنسبة الى من ينزل من السماء وان النوازل
يخرج منها كما يخرج من القصر قوله واصل التركيب للظهور اي مع الاشتمال على المعنى فان
القصور لرفعتها وحسنها ظاهرة للاعين ومظهرة للمحاسن فلذلك سميت بروجا ثم
قيل تبرجت المراة اي تشبهت بالبروج في اظهار المحاسن وهو معنى قولهم التبرج اظهار
المراة بزينتها ومحاسنها للرجال قال تع غير متبرجات بزينة روى ابو هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اليوم الموعود يوم القيمة وقيل ان يكون
المراد اليوم الموعود لانشقاق السماء وفنائها وبطلان بروجها قوله ومن
يشهد في ذلك اليوم من الخلائق الاولين والآخرين من الانس والجن والملائكة والانبياء
عليهم السلام اي ومن يحضر فان الشاهد يطلق على المعنيين احدهما ان الشاهد الذي يثبت
به الدعاوى والحقوق والثاني ان الشاهد الذي هو بمعنى الحاضر كما في قوله عالم
الغيب والشهادة يقال فلان شاهد وفلان غائب وحمل الآية على المعنى الثاني
اولى اذ لو كان المراد المعنى الاول لما خلا المشهود عن حرف الصلة ظاهرا في الآية
لوجب ان يقال انها محذوفة ومقدرة كما في قوله تع ان العهد كان عنه مسئولا لانه
والتقدير خلاف الاصل لا يصار اليه من غير ضرورة ولا ضرورة في الآية لجواز ان يكون
المشهود من شهد بمعنى حضر وهو يتعدى بنفسه يقال حضر امره كذا قال تع واعوذ بك
رب ان يحضرون فلذلك قدم المص تفسير الشاهد والمشهود بان جعلهما من الشهود
بمعنى الحضور وفسر الشاهد بالجمع الذي يحضرون في اليوم الموعود والمشهود بما احضر
في ذلك اليوم من العجائب فانه تع لما اقسم باليوم الموعود وهو يوم القيمة تنبيها على
قدرها وشرفها من حيث كونه يوم الفصل والجزاء ويوم تفرد الله تع بالملك والحكم

والحكم فيه عطف عليه الشاهد وهو من يحضر في ذلك اليوم من الخلائق والمشهود
الذي هو ما في ذلك اليوم من العجائب ولا يخفى ما في هذا التفسير من مناسبة المعطوف
بالمعطوف عليه ولانه لا حضور اعظم من ذلك الحضور الواقع في ذلك اليوم وصرف
اللفظ الى المسمى الاكمل اولى ثم شرع بما ينبئ على جعلهما من الشهادة التي
تثبت بها الدعوى فقال او النبي او امته دليله قوله تع انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله ولا شك ان تبشيره وانذاره ودعوته انما هو
بالنسبة الى امته فكذا شهادته يكون بالنسبة اليهم وقوله وكذلك جعلناكم
امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وفيه دلالة على
ان الشاهد هذه الامة والمشهود سائر الامم قوله او كل نبي وامته لقوله تع فكيف
اذا جئنا من كل امة بشهيد فانه يدل على ان كل نبي شاهد على امته قوله او الخالق
والخلق لقوله تع وكفى بالله شهيدا اي شاهدا مطلقا على احوال خلقه قوله او عكسه وهو
ان يكون المراد بالشاهد جميع الممكنات الحادثة وبالمشهود خالقها وصانعها فان
كل جزء من اجزاء العالم شاهد لمن تدبره على ان له خالقا خلقه فيكون القسم واقعا
بالخالق والخلق والصانع وصنعه قال [illegible] فيا عجبا كيف يعصى الاله ام كيف
يجحده الجاحد وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد ولله في تحريكة علينا وتسكينة منا شاهد
قوله او الملك الحفيظ والمكلف لقوله تع وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد فيكون
كل نفس مشهودا اي مشهودا عليه يشهد حفظة اعماله عليه قوله او يوم النحر او عرفة
والحجيج وهو جمع حاج كما يقال للغزاة غزي وللعادين على اقدامهم عدي اي يجوز
ان يفسر المشهود بيوم عرفة والشاهد من يحضره من الحاج وحسن القسم به
تعظيما لامر الحج روي ان الله يقول للملائكة يوم عرفة انظروا الى عبادي شعثا غبرا
اتوني من كل فج عميق اشهدكم اني قد غفرت لهم وان ابليس يصرخ ويضع التراب
على راسه لما يرى من ذلك ودليل من فسر المشهود بيوم عرفة قوله تع وعلى كل ضامر
ياتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويجوز ايضا ان يفسر المشهود بيوم
النحر والشاهد من يحضره من الحاج لان ذلك اليوم اعظم المشاهد في الدنيا فانه
يجتمع اهل الشرق والغرب في ذلك اليوم فانه يجتمع بمنى ومزدلفة وهو عيد المسلمين

٤٦

ويكون المقصود من المقسم به تعظيم امر الحج ايضا **قوله** او يوم الجمعة والمجمع اي
يجوز ان يقف المشهود بيوم الجمعة وان يشهد من يحضره من المسلمين للصلوة وللذكر
والمجمع اسم فاعل من جمع القوم تجميعا اي شهد والجمعة وقضوا الصلوة فيها **قوله**
فانه يشهد له بما ح لوجه تفسير كل واحد يوم النحر وعرفة والجمعة بالمشهود فان كل
واحد من هذه الايام يحضره المسلمون لما فيه من العبادة ومما يدل على تفسير المشهود بيوم الجمعة
ما روي انه عليه السلام قال اكثروا علي الصلوة يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة
وقال عليه السلام تحضره الملائكة ابواب المسجد فيكتبون الناس فاذا خرج الامام طويت
الصحف وهذه الخاصة غير موجودة الا في هذا اليوم فيجوز ان يسمى مشهودا
عليه كقوله تع ان العهد كان مسئولا اي مسئولا عنه عن الحسن ما من يوم الا وينادي
اني يوم جديد واني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت الشمس لم تدركني الا
يوم القيمة **قوله** قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل فانه قد تقرر ان جواب
القسم اذا كان جملة فعلية وكان الفعل ماضيا مثبتا تصدر الجملة بلام الابتداء المفيد
للتاكيد داخلة على كلمة قد نحو والله لقد خرج ولا يجوز الاقتصار على احدهما الا عند
طول الكلام كما في قوله تع والشمس وضحيها الا قوله قد افلح فانه لم يؤت باللام لطول
او في ضرورة الشعر كقول امرئ القيس حلفت لها بالله حلفة فاجر لنا موا فما ان من حديث
ولا صال ويجب في مثله تقدير قد بعد اللام لان لام الابتداء لا تدخل على الماضي المجرد
ومن قال قوله تع قتل اصحاب الاخدود جواب القسم قال ان اصله لقد قتل فحذف
اللام كما في قوله تع قد افلح من زكيها ثم حذف قد وقيل في توجيه كون الجواب عنها
ان الكلام محمول على التقديم والتاخير كانه قيل قتل اصحاب الاخدود والسماء ذات
البروج **قوله** والظاهر انه دليل جواب محذوف جعل كون جملة قتل اصحاب الاخدود
جواب القسم خلاف الظاهر بناء على ما اشار اليه من ان السورة وردت لبيان
شدة عداوة قريش للمؤمنين واستحقاقهم بذلك لعنة الله وعظيم سخطه وان ذكر
قصة اصحاب الاخدود والتعرض لحديث الجنود فرعون وثمود المقصود منه تسلية
النبي صلى الله عليه وسلم عن ايذاء الكفار في جميع الازمنة مستمرة على هذا المنهج
وبلا شادة الى ما حصل من نعمة وقهر بالامم السالفة من المعاندين مثل فرعون و

والمجمع

لهذا المعنى **قوله** او كل يوم
واهل الاول شاهد والثاني
مشهود اي مشهود عليه
صح

فرعون وثمود فانها تتضمن وعد المؤمنين ووعيد المشركين فاذا كان كذلك ظهر ان
جعل كفار مكة على طرف وتوجيه القسم على حال اصحاب الاخدود لا وجه له ولا سيما انه يؤدي
الى التقدير والاضمار من غير ضرورة فلذلك قال المص والاظهر انه دليل جواب محذوف هو
ان كفار قريش ملعون وتقدير الكلام اقسم ان كفار قريش الملعون احقاء بان يقال
فيهم قتلوا كما قيل قتل اصحاب الاخدود وما ايراد اللعن بدل القتل اشارة الى ان للقتل
كناية عنه من حيث ان القتل لكونه اغلظ العقوبات لا يقع الا عن سخط عظيم يوجب
الابعاد عن الخير والرحمة الذي هو معنى اللعن فكان القتل من لوازم اللعن ثم الاخبار بان
اصحاب الاخدود ملعون لقوة عنادهم ومبالغتهم في ايذاء المؤمنين يدل على الكفار
قريش ملعون ايضا لاشتراك في العلة وسلوك طريق الكناية ابلغ من التصريح وادخل
في افادة التسلية فظهر بما قررنا ان قوله قتل ليس دعاء على اصحاب الاخدود
من قبل المقسم **قوله** فاقتلها اي بان تحلق في قوة ارمي بها هذه الحجر اليها واخرجها به
فرماها فقتلها فصار ذلك سببا لاعراض الغلام عن السحر واشتغاله بطريق الراهب حتى
حتى الى حيث يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الامراض الى آخر القصة والراجفة الزلزلة
ويقال كفات الاناء اي كببته وقلبته وتقاعست اي تأخرت فكانها ارتدت **قوله**
وعن علي رضي الله عنه انه قال حين اختلفوا في احكام المجوس انهم اهل كتاب وكانوا
متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على اخته
فلما صحى ندم وطلب المخرج فقالت له اخته المخرج ان تخطب الناس فتقول ان الله تع احل
نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك فتقول ان الله تع حرم نكاحهن فخطب فلم يقبلوا منه
ذلك فقالت له ابسط السوط فلم يقبلوه فقالت ابسط فيهم السيف
فلم يقبلوا فامرت بالاخاديد وايقاد النيران وطرح من ابى فيها فهم الذين
اراد هم الله تع بقوله قتل اصحاب الاخدود ونجران بلد من بلد اليمن وقع اليه
رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم اليه فاجابوه فسار اليهم ذو
نواس اليهودي بجنود من حمير وهو قبيلة من اليمن فخيرهم بين النار واليهودية
فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين الفا وذكر ان طول
الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا فان قيل نعارض

هذه الروايات يدل على كذبها قلنا لا تعارض فقيل ان هذا كان في ثلث طوايف ثلث مرات
مرة باليمن ومرة بالعراق ومرة بالشام وهكذا قال الامام ثم قال ويمكن ان يكون
باصحاب الاخدود القاتلين ويمكن ان يراد بهم المقتولون والرواية المشهورة ان المقتولين
هم المؤمنون وروي ايضا ان المقتولين هم الجبابرة لانهم لما القوا المؤمنين
في النار عادت النار على الكفرة فاحرقهم ونجى الله المؤمنين منها سالمين والى هذا
القول ذهب الربيع بن انس والواقدي وتاولوا قوله فلهم عذاب جهنم ولهم
عذاب الحريق اي لهم عذاب جهنم في الاخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا ثم قال اذا
عرفت هذه المقدمة فنقول ذكروا في تفسير قوله تع قتل اصحاب الاخدود النار
وجوه ثلثة وذلك لان اصحاب الاخدود اما ان يفسر بالقاتلين او بالمقتولين
اما على الوجه الاول ففيه تفسيران احدهما ان يكون هذا دعاء عليهم اي لعن اصحاب
الاخدود ونظيره قتل الانسان ما اكفره قتل الخراصون والثاني ان يكون المراد اولئك
القاتلين قتلوا بالنار على ما ذكرنا ان الجبابرة لما ارادوا قتل المؤمنين بالنار عادت
النار عليهم واما ان فسر اصحاب الاخدود بالمقتولين كان المعنى اولئك المؤمنين قتلوا
بالاحراق بالنار فيكون ذلك جزاء الادعاء انتهى كلامه قوله للاشعار علة للقول
صفة لها بالعظم وكثرة ما يرتفع به لهبها فان النار انما يكون عظيما اذا كثر فيها
ما يحترق ويرتفع به لهبها من اي جنس كان اما حطب او غيره فالوقود اسم لذلك
الشيء لقوله تع وقودها الناس والحجارة فالمعنى في ذات الوقود تعظيم امرها لما
كان في ذلك الاخدود من الحطب الكثير ولو لم يحمل على هذا المعنى لم يظهر فائدة التوصيف
اذ من المعلوم ان النار لا تخلو عن حطب ولما كان الاخدود مشتملا على النار بدل اشتمال
منه كما في سلب زيد ثوبه ولا فرق بين ان يكون الاشتمال من جانب البدل او من جانب
المبدل منه واذ في قوله اذ هم عليها قعود ظرف لقتل والمعنى لعنوا في ذلك الوقت
الذي هم فيه قعود عند الاخدود يعذبون المؤمنين وقعود جمع قاعد قوله على حافة
النار جواب عما يقال ان ضميرهم على مقتضى تفسيرك عائد الى اصحاب الاخدود الذين
هم القاتلون فما معنى قعود القاتلين على النار مع ان القاعد عليها يحترق بنفسه
وتقرير الجواب ان الضمير عليها عائد الى طرف النار وشفيرها والموضع الذي يمكن

يمكن الجلوس عليها ولفظ على مشعر بذلك تقول مررت عليه تريد مستعليا بمكان
يقرب منه فالقاتلون كانوا جالسين فيها وكانوا يعرضون المؤمنين على النار فمن
كان يترك دينه تركوه ومن كان يصر على دينه القوه في النار قوله وما انكروا
يقال نقم الامر اذا عابه وكرهه اي وما عابوا منهم وما انكروا الا الايمان ونظيره
وهل تنقمون منا الا ان امنا بالله وانما قال الا ان يؤمنوا بلفظ المستقبل مع ان
الايمان وجد منهم في الماضي لارادة الاستمرار والدوام عليه فانهم ما عذبوهم لا بما
في الماضي بل لدوامهم عليه في الآتي حتى لو كفروا في المستقبل لم يعذبوا على ما مضى فكانه قيل
الا ان يستمروا على ايمانهم قوله للاشعار علة للقول ووصفه مع ما عطف
عليه فان كونه تع غالبا لا يغلب ولا يدفع اشارة الى القدرة التامة وكونه منعما
مستحقا للحمد والثناء ومحمودا على السنة عباده المؤمنين وما لا يحمده بلسان مقاله
يحمده بلسان حاله فان نفسه شاهد على ان المحمود في الحقيقة ليس الا هو كما قال وان من شيء
الا يسبح بحمده فانه اشارة الى كمال علمه لان من لا يكون تام العلم لا يمكنه ان يفعل افعال
الحميدة والوصف الثالث اشارة الى الملك التام وانه موجد لجميع الكائنات
ثم ان شاء ابقاها موجودة وان شاء افناها واخر هذه الصفة عن الاولين لان
التام لا يحصل الا عند حصول الكمال في القدرة والعلم فثبت ان كان موصوفا بهذه
الصفات المستحق للايمان به وغيره لا يستحق بذلك البتة فكيف حكم هؤلاء
الجهال بكون مثل هذا الايمان ذنبا قوله بلوهم بالاذى اشارة الى ان
اصل الفتنة الابتلاء والامتحان وان الاية عامة كما يتناول اصحاب الاخدود
يتناول كل من امتحن المؤمنين واذاهم باي عذاب كان فان اللفظ عام وكذا
الحكم فالتخصيص ترك الظاهر من غير دليل وقال بعض المفسرين الفتنة هي الاحراق
بالنار وقال الزجاج فتنت الشيء احرقته والفتين احجار سود كانها محرقة
ومنه قوله يوم هم على النار يفتنون قوله العذاب الزائد في الاحراق يعني ان كلا
العذابين يحصلان في الاخرة الا ان عذاب جهنم هو عذاب الاحراق الحاصل بسبب
كفرهم وعذاب الحريق هو العذاب الزائد على عذاب الكفر بسبب انهم احرقوا
المؤمنين والعذاب الزائد على عذاب جهنم هو عذاب الاحراق ايضا الا ان العذاب

الاول كانه خرج عن ان يسمى احراقا بالنسبة الى الثاني لان الثاني بانضمامه الى الاول
واجتماعه معه قوى واشد وكان الاول ضعيفا بالنسبة اليه فلا جرم لا يسمى احراقا
والحريق اسم للحرقة بمعنى الاحتراق وفي الصحاح تحرق الشيء بالنار واحترق
والاسم الحرقة والحريق ويحتمل ان يكون المراد بعذاب جهنم العذاب ببردها
وزمهريرها وبعذاب الحريق العذاب بحرها فيه دون بين برد وحر وقيل
الحريق من اسماء النار ايضا كالسعير فجعل لهم في الاخرة عذاب جهنم وعذاب الحريق
فيجوز ان يكونا دركتين فيها او مكانين فيها وهذا القول نقله صاحب الكشف
وهو راجع الى ما اختاره المص قال الامام انما قال ذلك الفوز ولم يقل تلك لدقيقة
لطيفة وهو ان قوله ذلك اشارة الى اخبار الله تع لحصول هذه الجنات ولو قال
تلك لكانت الاشارة الى نفس الجنات واخبار الله تع عن ذلك يدل على كونه راضيا
والفوز الكبير هو رضاء الله تع لا حصول الجنة ولما ذكر الله وعيد المجرمين
ووعد المؤمنين اردف ذلك الوعد بالتاكيد فقال لتاكيد الوعيد ان بطش
ربك لشديد والبطش هو الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف
عنفه ومع ذلك انه قلما يعاجل في بطشه بل شانه ان يمهل العاصي ويؤخر امر المجازات
الى يوم القيمة حكيم لا يفعل الا على حسب المشية ووفق المصلحة ولا مصلحة
في تعجيل العقاب فلهذا قال تع [لانه تع] انه هو يبدئ ويعيد اي انه يخلق الخلايق ثم
يفنيهم ثم يعيد احياء ليجازيهم يوم القيمة فذلك الامهال لهذا
السبب لا لاجل الاهمال قوله وهو الغفور لمن تاب قال الامام حكاية عن المعتزلة
انهم قالوا هو الغفور لمن تاب وقال اصحابنا انه غفور مطلقا لمن تاب ولمن
لم يتب لقوله تع ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
ولان الاية المذكورة في معرض التمدح والتمدح بكونه غفورا مطلقا اتم واكمل وحمل
عليه اولى انتهى كلامه ولان الغفور صيغة مبالغة وهي يناسب حمله على الاطلاق فان الغافر
ينبئ عن اتصافه باصل المغفرة وهي الستر والغفار ينبئ عن اتصافه بالمغفرة بان
يغفر مرة بعد اخرى والغفور يفيد المبالغة فيه بان يغفر مغفرة جيدة تامة
شاملة للمذنبين مع كثرتهم قال الامام الغزالي الفعال ينبئ عن كثرة الفعل و

الفعل والفعول ينبئ عن جودته وكماله وشموله فهو تع غفور بمعنى انه تام الغفران
كاملة حتى يبلغ اقصى درجات المغفرة انتهى كلامه ولا يخفى ان الغافرية مطلقا
اجود واكمل واشمل فحمل صيغة المبالغة عليه اولى لا سيما في مقام التمدح
الان يقال مراد المص بقوله لمن تاب عن الكفر قوله المحب لمن اطاع
على ان الودود فعول بمعنى فاعل وقيل يجوز ان يكون بمعنى مفعول كركوب
وجلوس ومعناه ان عباده الصالحين يودونه ويحبونه لما عرفوا من كماله
في ذاته وصفاته وافعاله وعلى التقديرين فهو صفة مدح لانه تع اذا احب
عباده المطيعين فهو فضل منه واحسان لان وده تع للمودود عبارة عن ارادة
الكرامة والنعم له واحسانه وانعامه عليه اذ هو منزه عن ميل المودة ودقتها
وكذا اذا احبه عباده العارفون فانما يحبونه لجلال ذاته ولمزيد انعامه واحسانه
اليهم قوله المراد بالعرش الملك والسلطان كما يقال فلان على سرير الملك
والسلطنة وان لم يكن على السرير وكما يقال ثل عرش فلان اذا ذهب سلطانه
يكنون بالعرش والسرير عن الملك قوله ومجده علوه وعظمته اي علوه
في الجهة وعظم مقداره وحسن صورته وتركيبه فانه احسن الاجسام تركيبا وصورة
قوله لا يمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره اشارة الى ان هذه الاية
احتج بها الاشاعرة في مسئلة خلق الافعال بان يقال لا شك انه يريد الايمان
فوجب ان يكون فاعلا [illegible] للايمان بمقتضى هذه الاية واذا كان
فاعلا للايمان وجب ان يكون فاعلا للكفر ضرورة انه لا قائل بالفرق لما لعن الله تع
كفار قريش على كفرهم وايذائهم بالمؤمنين مثل عمار وبلال وغيرهما وشبه
حالهم بحال اصحاب الاخدود في اللعن وما ادى اليه من تكذيب الحق وايذاء
اهله تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وايعادا للطاغين المتمردين
زاد في التسلية والايعاد بقوله هل اتيك حديث الجنود فرعون وثمود [اي قوم صالح عليه السلام]
كانوا في بلاد العرب وقصتهم مشهورة عندهم فذكر الله تع من المتاخرين فرعون
وقومه ومن المتقدمين ثمود ليبين ان حال المؤمنين مع الكفار في جميع الازمنة
مستمرة على هذا المنهاج وانه تع قد يعاجل في اهلاك الطاغين بالتكذيب والايذاء

ولا يؤخر عذابهم الى يوم الاعادة فكانه قيل فتسلّ واصبر على ما نالك منهم فان
جندا نالهم المنصورون وحذرهم عن مثل ما نزل بمن قبلهم لما ذكرهم بالاولين
في سبب ما نزل بهم بل الذين كفروا من قومك اشد تكذيبا منهم على ان تنوين تكذيب
للتعظيم والتهويل **قوله** لا يرعوون عن التكذيب اي لا يمتنعون عنه يقال
رعى يرعوا اي كف ومنع وارعوى عن القبيح اي امتنع ثم انه تع سلاهم
بوجه اخر بان بين اقتداره على الذين كفروا وانهم في قبضته وحوزته كالمحاط
اذا احيط به من ورائه فسد عليه مسلكه فلا يجد مهربا **قوله** بل هذا الذي
كذبوا به كتاب مجيد اشارة الى وجه ارتباط هذه الآية بما قبلها وذلك انه تع
لما تعجب من حالهم ببيان انهم كذبوا تكذيبا اشد من تكذيب من قبلهم من المكذبين
بعد ما رأوا وسمعوا ما نزل بهم من البلاء لاجل تكذيبهم ترقى في التعجب من حالهم
ببيان شرف ما كذبوا به وان الاولين لم يكذبوا بمثله فتكذيبهم اياه بعد ما
رأوا آثار هلاك الاولين عجيب غاية العجب **قوله** وقرأ نافع محفوظ بالرفع
على انه صفة للقرآن فالتقدير بل هو قرآن مجيد محفوظ في لوح وهو لغة الشيء
الذي يكتب فيه واللوح بالضم الهواء بين السماء والارض ومن قرأه بالضم
يفسره بما فوق السماء السابعة الذي فيه كتاب كل شيء قال مقاتل هو عن
يمين العرش وقال ابن عباس ان الله تع خلق لوحا محفوظا من درة
بيضاء ودفتاه ياقوتة حمراء طوله ما بين السماء والارض وعرضه
ما بين المشرق والمغرب وقال ان في صدر اللوح لا اله الا الله وحده ودينه
الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن به وصدق وعده واتبع رسله ادخله الجنة

سورة الطارق مكية وآيها سبع عشر بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم انه تع اكثر في كتابه العزيز ذكر السماء والشمس والقمر لان احوالها في اشكالها
وسيرها ومطالعها ومغاربها وكثرة منافعها عجيبة ثم انه تع لما عطف
الطارق على السماء ولا يعرف المراد منه بدون التفسير والبيان قال وما ادريك
ما الطارق توطئة لبيان المراد منه وتفخيما لشانه واعلاء لقدره ثم بينه
بانه النجم المضيء الذي يهتدى به في ظلمات البر والبحر فان ذكر الشيء مجملا ثم

انه حجارة

ثم تفصيله وتعيينه ينبئ عن فخامة شانه واختلفوا في ان تعريف النجم للاستغراق
او العهد الخارجي فقال بعضهم انه للاستغراق كما في قوله تع ان الانسان لفي خسر وقال
آخرون انه نجم بعينه ثم قال ابن زيد انه الثريا وقال الفراء انه زحل لانه يثقب
بنوره سمك سبع سموات وقال الآخرون انها الشهب التي ترجم الشياطين
بقوله تعالى فاتبعه شهاب ثاقب يقال ثقبه يثقبه ثقبا اي جعل فيه منفذا
او مسلكا ونفذ فيه وثقبت النار تثقب ثقوبا اي اتقدت واشتعلت حتى
تضيء وثقب النجم اي اضاء وشهاب ثاقب اي مضيء ثم جعله المعنى الاصلي
للثاقب الذي يفتح المنفذ واطلاقه على المضيء لوجود معنى فتح المنفذ فيه
من حيث انه يثقب بضوئه الظلام او الافلاك واطلاقه على ما يوقد النار
لكونه سببا لحدوث الضوء الثاقب **قوله** وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما
بتشديد الميم والباقون بتخفيفها والمص ممن قرأ بالتخفيف ومن خففها
كانت ان عنده مخففة من الثقيلة واسمها مضمر وهو الشان والامر واللام
في لما هي الفارقة بين المخففة والنافية وما صلة كالتي في قوله فبما رحمة من الله
وعما قليل وان كان المخففة والنافية مع ما في حيزها جواب القسم اي اقسم
ان الشان كل نفس لعليها حافظ ومن ثقلها كانت ان عنده نافية كالتي
في قوله ما ان مكناكم وكانت لما في معنى الا والجملة ايضا جواب القسم اي اقسم ما
كل نفس الا عليها حافظ يحفظ عملها ورزقها واجلها واذا استوفت كل ذلك
قبضها الى ربه فالاية تتضمن وعيدا للكفار وتسلية للرسول صلى الله عليه وسلم
فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا فهذا الحافظ هو الملك كما قال وان عليكم لحافظين
كراما كاتبين قال الزجاج استعملت لما في موضعين احدهما بعد النافية والآخر
في باب القسم تقول سألتك لما فعلت بمعنى الا فعلت **وروي** عن الاخفش
والكسائي وابي عبيدة انهم قالوا لم يوجد لما بمعنى الا في كلام العرب وقيل
ان لما بمعنى الا مع ان النافية موجودة في لغة هذيل وعدى الحفظ بعلى
في قوله تع لما عليها حافظ لتضمنه معنى الهيمنة واشار اليه الزمخشري
بقوله حافظ مهيمن عليها قال حجة الاسلام الغزالي معنى المهيمن في حق الله تع

انه القائم على خلقه باعمالهم وارزاقهم واجالهم وانما قال قيامه عليهم باطلاعه
واستيلائه وحفظه وكل مشرف على كنه الامر مستول عليه حافظ فهو مهيمن عليه
والاشراف يرجع الى العلم والاستيلاء يرجع الى كمال القدرة والحفظ يرجع الى الفعل
والجامع بين هذه المعاني في اسمه المهيمن انتهى كلامه قال تع في حق القرآن
ومهيمنا عليه لان المشرف الحافظ الشاهد المستولي على الكتب السالفة فيعرف
به المحرف من الحق والمنسوخ من غيره وهو من آمن غيره من الخوف واصله
اءمن فهو مءامن بهمزتين قلبت الثانية ياء كراهة اجتماع الهمزتين فصار
مايمن ثم جعلت الاولى هاء كما قالوا اهراق الماء في اراقه **قوله** لما ذكر ان
كل نفس عليها حافظ الخ اشارة الى وجه ترتب هذه الاية على ما قبلها وذلك
لان اجمال ما قبلها متضمن بمعنى قولنا ان الانسان ليس مما يترك سدى بل له حافظ
مطلع على اعماله وارزاقه وآجاله واذا استوفى جميع ما قدر له من ذلك يقبضه
اليه ويجعله في البرزخ مدة ثم يبعثه ويحاسبه ويجازيه بالثواب والعقاب
على حسب اعماله لكمال قدرته واحاطة علمه بالكليات والجزئيات فان حفظ الاعمال
ينبئ عن ذلك ولما كان ما قبلها متضمنا لهذه المعاني وكانت هذه المعاني
سببا لتوصية الانسان بالنظر في مبدئه ليعرف كمال قدرة المهيمن عليه وسائر
صفات كماله ويستدل به على صحة البعث والجزاء ويجتهد في ان لا يكتب عليه
حافظ اعماله سوى ما يفرح به يوم العرض للجزاء فظهر بهذا التقدير ان ما ذهب
اليه شرف الدين الطيبي من ان الفاء في قوله فلينظر الانسان فاء فصيحة تفصح
عن ابتناء الكلام على الحذف والتقدير ليس بموجه اذ لا حاجة في ارتباط الكلام
واستقامته الى الحذف والتقدير لكفاية المذكور قبله في كونه سببا للتوجيه
بالنظر بلا ارتكاب الحذف مثل ان يقدر بعد قوله عليها حافظ ما يدل هو عليه
من قولنا وان النفوس لم يخلقوا عبثا وانما خلقوا لاجل امر خطير وهو ان
يعرفوا خالقهم ويعبدوه ويطيعوه في جميع تكاليف وانه تع يبعثهم بعد موتهم
ويثيب من اطاعه ويعاقب من عصاه ومن انكر ذلك فلينظر الى آخر الكلام
قوله بمعنى ذي دفق اشارة الى ان توصيف الماء بانه دافق بمجرد نسبة مبداء

مبداء الاشتقاق الى ذات الموصوف به مع قطع النظر عن صدوره كتامر ولابن
وفارس اي ذو تمر ولبن وفرس بمعنى تمري ولبني **قوله** والمراد الممتزج
من المائين في الرحم اشارة الى وجه قوله تع من ماء بتنوين الوحدة مع ان
ان الولد مخلوق من مائين ماء الرجل الذي يخرج من صلبه وماء المرأة الذي
يخرج من ترائبها التي هي عظام صدرها حيث يكون القلادة فكل عظم
بذلك تريبة الا ان الولد انما يتكون بعد اجتماع المائين في الرحم وامتزاجهما
وصيرورتهما شيئا واحدا فلما كان مبداء تكونه هو الماء الواحد الممتزج في الرحم
الخارج من بين شيئين قال من ماء واحد ولم يقل من مائين يخرج احدهما من
الصلب والاخر من الترائب وكل واحد من المائين وان كان خارجا من محل
على حدة الا انه يصدق على المجموع الممتزج انه خارج من بين ذينك المحلين
قوله ولو صح ان النطفة تتولد الخ جواب عما طعن به بعض الملاحدة في هذه
الاية بان قالوا ان كان المراد من قوله يخرج من بين الصلب والترائب ان
المني انما ينفصل من تلك المواضع فليس الامر كذلك لانه انما يتولد فضل الهضم
الرابع وينفصل عن جميع اجزاء البدن حتى يأخذ من كل عضو طبيعته وخاصيته
فيصير مستعدا لان يتولد منه مثل تلك الاعضاء ولذلك ترى المفرط في الجماع
يستولي الضعف على اعضائه وان كان المراد معظم اجزاء المني يتولد
هنا فهو ضعيف بل معظم اجزائه انما يترتب ويتولد في الدماغ والدليل عليه
انه يشبه الدماغ في صورته ولان المكثر في الجماع يظهر الضعف اولا في عينيه
وان كان ان مستقر المني هناك فضعيف ايضا لان مستقره هو اوعية المني
وهي عروق يلتفت بعضها بالبعض عند البيضتين وان كان المراد ان مخرج
المني هو الصلب والترائب فليس كذلك بل مخرجه هو الاحليل كذا نقل الامام
شبهتهم ثم اجاب عنها لا شك ان اعظم الاعضاء معونة في توليد المني
هو الدماغ وللدماغ خليفة وهي النخاع وهو في الصلب وله شعب كثيرة نازلة
الى مقدم البدن وهو التريبة فلهذا السبب خص الله تع هذين العضوين
بالذكر على ان كلامهم في كيفية تولد الاعضاء من المني كلام بمحض الوهم والظن

قوله والمراد الممتزج ولهذا قال
من ماء ولم يقل من مائين خارجين

جها

فضل الهضم الرابع
فقول البيضاوي من فضل الهضم
قيل الهضم الاول في المعدة ثم في الكبد
ثم في العروق ثم في الاعضاء
وهو الهضم الرابع فما زاد من ذلك
الى سفر المني وقيل الاول عند المضغ
في الفم الثاني في المعدة الثالث
في الكبد الرابع في الاعضاء فافهم

قوله قيل هذا اشارة الى الطعن
بعض الملاحدة بان خروج النطفة
ليس من الصلب والترائب بل
فضل الهضم الرابع ونقل
عن الامام انه غير صحيح لكونه
قولا بمجرد تخمين ولا يقين
وفي تعبيره لقوله ولو صح
اشارة الى هذا هادي

الضعيف وكلام الله تع اولى بالقبول انتهى كلامه والحاصل ان الملاحدة خفى عليهم وجه
قوله تع يخرج من بين الصلب والترائب بناء على زعمهم ان المني منفصل عن جميع اجزاء البدن
فيأخذ من كل عضو طبيعة وخاصية فيستعد لان يتولد منه مثل تلك الاعضاء فاشار
المص اولا الى منع زعمهم بانه محض وهم وظن ضعيف والله تع اصدق القائلين وكلامه المجيد
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه واجاب ثانيا بانا لو سلمنا ما زعموه فوجه
تخصيص الصلب والترائب بالذكر كونهما اقرب الى اوعية المني التي هي مستقره بالنسبة
الى سائر الاعضاء التي بينهما وبين الدماغ تعلق واتصال فان الصلب محل النخاع الذي
هو خليفة الدماغ ومتشعب منه والترائب منتهى الشعب النازلة من الدماغ اليها
ومتصل به بوصلة الاعصاب الممدودة بينهما ولا يخفى ان جعل الترائب مخرجا
للمني بمجرد تشعب الاعصاب من الدماغ اليها من غير ان يكون لها مدخل في توليد المني
من غير انفصاله منها فقط ومن غير كونها مخرجا له لا يخلو عن بعد بل الوجه في تخصيصها
ان يقال على تقدير تسليم ما زعموا ان النخاع والقوى القلبية والكبدية والدماغية
كلها متعارف في ابراز ذلك الفصل وتوليد على ما زعموا فنبه الله تع الى مدخل الدماغ
والنخاع حينئذ بل ذلك الماء بذكر لانه محل النخاع الذي هو خليفة الدماغ ومتشعب
منه والى مدخل القلب والكبد بذكر الترائب لان الترائب موضع القلب والكبد ومشتمل عليهما
ولا ضرورة الى تخصيص الترائب بالنساء فانه قد ذهب قوم الى ان الولد مخلوق من الماء
الذي يخرج من صلب الرجل وترائبه احتج على ما ذهب اليه بان الله تع بين ان الانسان
مخلوق من ماء دافق اي ذي اندفاع وانصباب والموصوف بذلك هو ماء الرجال ثم وصف
ذلك الدافق بانه يخرج من بين الصلب والترائب فدل ذلك على ان الترائب ترائبه
الرجل وعدم التعرض لماء المرأة لا ينافي لان يكون لمائها مدخل في تكون الولد واجاب
القائلون بان الولد مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة عن هذا
الاحتجاج بان توصيف هذا الماء الممتزج بالدافق من قبيل توصيف المجموع بوصف
بعض اجزائه **قوله** والضمير للخالق يعني ضميره للخالق المدلول عليه بقوله خلق فخم
اولا بترك الفاعل في قوله مم خلق خلق اذ لا يذهب الوهم الى الخالق سواه وفخم
ثانيا بالاضمار قبل الذكر لذلك ايضا ولا خفاء في ان ضمير رجعه للانسان وعلى من صلبه

الاهتمام

من صلبه لقادر فان قيل ما وجه الاختصاص المستفاد من تقديم قوله على رجعه على عامله
وهو لقادر مع انه تع على كل شيء قلنا ان التقديم قد لا يكون للتخصيص بل لمجرد الاهتمام
او التبرك والاستلذاذ او موافقة كلام الى مع او ضرورة الشعر او رعاية السجع والعا
والفاصلة او ما اشبه ذلك والتقديم ههنا للاهتمام من حيث ان الكلام فيه بخصوصه
والامر بالنظر في مبداء خلقه لكونه وسيلة ومؤديا الى العلم بصحة الرجع كانه قيل فلينظر
مم خلق ليعلم ان خالقه من مثل ذلك الشيء الحقير لقادر على اعادته ورده حيا بعد
موته فلا يشتغل الا بما يسره في القيمة ان يراه ثم انه تعالى اقام الدليل على صحة القول
بالبعث والقيمة وصف حاله في ذلك فقال يوم تبلى السرائر جمع سريرة بمعنى السر وهي
الذي يكتم ويخفى والمراد بها في الاية ما يسر في القلوب من العقائد والنيات وما اخفى
من الاعمال والابلاء ههنا ابتلاء والاختبار الجوهر بلوته بلوا اختبرته واختبرته وبلاه الله
بلاء وابلاه ابلاء وابتلاه اي اختبره واطلاق الابتلاء على الكشف والتمييز من قبيل اطلاق
السبب على المسبب لان الاختبار يكون للتعريف والتمييز وابتلاه الله تع عباده بالامر
والنهي يكون الكشف ما علم منهم في الازل **قوله** وهو ظرف لرجعه قيل عليه لا يجوز
ان ينتصب به ايضا للفصل بين الصلة والموصول بخبر ان وهو لقادر ولا ينتصب ايضا
بقادر لانه تع قادر في كل الاوقات لا يختص قدرته بوقت دون وقت الا ان يقال معنى
كونه منتصبا برجعه انه منتصب بمضمر دل عليه رجعه اي يبعثه يوم تبلى السرائر
واجيب بان الفصل غير مانع كونه ظرفا لرجعه لانه مؤخر تقديرا وانما قدم رعاية
للفاصلة على ان الظرف اتسعوا فيه ما لم يتسعوا في غيره **قوله** في نفسه مستفاد من
قوله ولا ناصر على قوة فانه يدل على ان المراد بالقوة المنفية القوة الثابتة له في نفسه
لا قوة مطلقا والا لم يبق للعطف فائدة لان القوة المستفادة من غيره قوة ايضا
وقد نفيت اولا والمعنى اذا رجع الله تع الانسان في ذلك اليوم فما له من قوة في نفسه
يدفع بها عن نفسه ما حل به من العذاب ولا ناصر ينصره في دفعه ولا شك انه زجر
وتحذير ومن في قوله من قوة لافادة عموم النفي لجميع افراد القوة والانصار قليلها وكثيرها
كانه قيل ما له شيء من القوة ولا احد من الانصار **قوله** سمي به كما لا وبا لان الله تع يرجعه
اي يرجعه نوعا بانزال مثل الاول سمي المطر بمصدر رجع واوب بمعنى ذو رجوع واوب

٨ سمي ح

او لكثرة رجوعه جعل نفس الرجوع والاوب مبالغة او لان الماء النازل من السماء
الى الارض هو الذي صعد منها بان حملته السحاب من البحار يصعد منها ثم رجع اليها فسمي
رجعا لذلك فانه تع يبدي المطر ثم يرجعه وقتا فوقتا قال الشاعر ربا شماء
لا تاوي لقلتها الا السحاب والا الاوب والسبل يقال رباءة الجبل اي علوتها
وشماء اي مرتفعة صفة محذوف اي طلاع جبال شماء اي شامخة مرتفعة والاوب
والسبل المطر يصف رجلا يصعد الجبال الشامخة ورجع يتعدى ولا يتعدى يقال رجع
هو بنفسه ورجعه غيره قال تع فرجعناك الى امك وهذيل يقول ارجعه غيره **قوله**
من النبات بناء على انها تتشقق به ينصدع عنه الارض فعلى هذا يكون المراد بالصدع
نبات يسمى به لانه صادع للارض والارض ينصدع به **قوله** او الشق بالنبات
بدل من الصدع للبيان والتفسير والصدع في اللغة الشق ومنه قوله تع يومئذ
يصدعون اي يتفرقون فذات الصدع ذات الشق بالنبات والعيون اعلم انه تعالى
كما ذكر بكيفية خلق الحيوان وجعله دليلا على معرفة المبداء والمعاد ذكر في هذه الاية
كيفية خلقة النبات فالسماء ذات الرجع كالاب والارض ذات الصدع كالام وكلاهما
من النعم العظام لان نعم الدنيا موقوفة على ما ينزل من السماء من المطر متكررا وعلى
ما ينبت من الارض كذلك وانه تع بعد ان فرغ من بيان دليل التوحيد والمعاد اقسم
قسما آخر بقوله والسماء ذات الرجع على قوله انه لقول فصل يفصل به الحق عن الباطل
والهزل اللعب وليس الفصل قد يذكر لا على سبيل الجد والاهتمام بشانه بل يذكر اتفاقا من غير
ان يقصد بذكره فائدة مطلوبة وهو ذكره بالهزل واللعب وقد يذكر على سبيل الجد والاهتمام
بشانه والقرآن كله من هذا القبيل فانه كله نزل بالجد لا بالهزل واللعب **قوله** واقابلهم
بكيدي اشارة الى ان تسمية ما كان من الله تعالى في حق اهل مكة من استدراجهم وانتقامهم
من حيث لا يحتسبون كيدا من باب المشاكلة لوقوعه في مقابلة كيدهم
وجزاء له لان الكيد وهو المكر والاحتيال لا يجوز اسناده اليه تعالى مرادا به معناه الحقيقي
وتسمية جزاء الشيء باسم ذلك الشيء على سبيل المشاكلة كثير في القرآن مثل نسوا الله
فنسيهم و يخادعون الله وهو خادعهم والله يستهزئ بهم بعدما حكى منهم قولهم
انما نحن مستهزؤن **قوله** امهالا يسيرا اشارة الى ان رويدا ههنا صفة مصدر محذوف

طر

محذوف لا اسم فعل لانه لو كان اسم فعل يكون المعنى امهلهم ارودهم اي امهلهم فيكون الامر
بالامهال مكررا ثلث مرات فان مهل وامهل وارود بمعنى واحد وفائدة التاكيد قد حصل
بالثاني فيبقى الثالث بلا فائدة واما اذا كان صفة مصدر محذوف فانه يكون تصغير
رود بضم الراء وهو المهل ويكون التصغير للتقليل فكرر الامر بالامهال لزيادة التسكين والتصبير
لانه التكرير للتاكيد وخالف بين لفظي الامر بان بني احدهما من باب التفعيل والثاني من باب
الافعال لزيادة التسكين ايضا لان المعنى الواحد اذا عبر عنه بعبارتين مختلفتين يرى
كانه معنيان مختلفان يتعلق بكل واحد منهما قصد على حدة ثم انه تع بعد ما سكن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصبره بان امره بامهالهم امرا مؤكدا بين ان زمان ذلك الامهال قليل
بان وصفه بقوله رويدا فان رويدا في كلام العرب يستعمل على ثلثة اوجه احدها
ان يكون اسما للفعل الامر فيعمل عمل الافعال يقال رويد زيدا اي ارود اي امهله وخله
ودعه وارفق به ولا يتصرف في رويد على هذا الوجه لانه يكون من الاسماء الغير المتمكنة والثاني
ان يكون بمنزلة سائر المصادر فيضاف الى ما بعده كما يضاف المصادر فتقول تقول رويد
زيد كما تقول ضرب زيد قال الله تع فضرب الرقاب والثالث ان يكون نعتا منصوبا كقولك
ساروا سيرا رويدا ويقولون ايضا ساروا رويدا يحذفون المنعوت ويقيمون رويدا
مقامه كما يفعلون بسائر النعوت المتمكنة فعلى هذا يجوز في رويدا امران احدهما ان
يكون حالا والثاني ان يكون نعتا كما ذكر وان ظهرت المنعوت لم يجز ان يكون حالا
والذي في الآية مستعمل على الوجه الثالث لعدم ذكر المنعوت قبله فيجوز ان يكون نعتا كما اختاره
المص وان يكون حالا بمعنى غير مستعجل ثم منهم من قال ان المعنى امهلهم رويدا الى يوم القيمة
وانما صغر ما بين الوقتين بناء على ان كل ما هو آت قريب ومنهم من قال المعنى امهلهم
رويدا الى بدر والاول اولى لان الذي جرى يوم بدر في سائر الغزوات لا يعم الكل واذا
حمل على امر الآخرة عم الكل واياما كان فهو زجر وتحذير للقوم عما كانوا عليه وترغيب
فيما هو خلاف طريقهم من الطاعات **سورة الاعلى تسع عشرة آية** بسم الله الرحمن الرحيم
تنزيه اسمه عن الالحاد فيه اي عن الميل عن الحق والصواب بان يفسر بشيء من اسمائه
بما لا يصح ثبوته في حقه تع نحو ان يفسر الاعلى بالعلو في المكان والاستواء بالاستقرار فيجب
ان ينزه كل واحد من الاسمين المذكورين عن هذا التاويل بان يؤول الاستواء بالاستيلاء

والعلو بالفوقية والارتفاع في الرتبة المعقولة كالعلم والقدرة والارادة والكرم والرحمة
وغير ذلك من صفات الكمال فان الموجودات اذا قسمت الى درجات متفاوتة بحسب هذه
الصفات الكمالية يكون الحق تع في الدرجة العليا من درجات اقسامها حتى لا يتصور ان
يبلغ موجود الى درجة فضلا عن ان يكون فوق درجة فهو العلي المطلق وكل ما سواه
علي بالاضافة الى ما دونه ودني سافل الى ما فوقه وكما يجب تنزيه ذاته عما لا يصح ان يثبت
له من الاوصاف يجب تنزيه الدال على الكمال عما لا يصح غيرها ذلك كالتاويلات الزائفة ومن تنزيه
اسمائه ابعادها عن ان يسمى بها غيره على الذي يسمى بها الحق تع فان العبد وان صح
انه رحيم حليم كريم محسن ويجوز ذلك لكن ذلك الاطلاق بوجه آخر غير الوجه الذي
اطلق به عليه ومن تنزيهها ايضا ان يصان عن ذكرها لا على وجه الخشوع والتعظيم
ويدخل فيه ان يذكر تلك الاسما عند الغفلة وعدم الوقوف على معانيها
وحقايقها والمراد باسماء الله تع الجارية على الذات حمل مواطاة كالقادر والعليم لا
الفاظها فقط لا المحمول حمل اشتقاق اعني كالقدرة فانها من الصفات وان كان قد يتجوز
باستعمال احدهما مكان الآخر واعلم ان الاشيا وجودا في الاعيان ووجودا في الاذهان
ووجودا في اللسان اما وجودها في الاعيان فهو الوجود الاصلي الحقيقي والوجود في الاذهان
هو وجود العلم الصوري والوجود في اللسان هو الوجود اللفظي الدال على ما في الذهن من
الصورة العلمية وتلك الصورة هي المنطبقة في النفس من الموجود العيني الخارجي فلو
لم يكن وجود في الاعيان لم تنطبق الصورة في الاذهان ولو لم تنطبق الصورة
في الاذهان لم يعبر عنها باللسان فاذن اللفظ والعلم والمعلوم ثلثة امور متباينة
لكنها منطبقة متوازية وهذا مما يشهد به الذوق السليم بعد المراجعة الى ما
ذكره علماء الكلام في مباحث الكيفية وبحث الوجود الذهني وظهر بهذا ان الاسم
غير المسمى الذي هو في الاعيان بالوجود الاصلي كما انه غير الصورة الذهنية التي يعبر
عنها بالعلم ومن العلماء من ذهب الى ان الاسم عين المسمى وان تعدد الاسماء راجع
الى تعدد الصفات الذاتية والفعلية القائمة بذات المسمى واتحاده هو الذي عليه
منهم بان اسماء الله تع لو كانت عبارة عن الالفاظ الدالة على ما في نفس الامر لزم ان يكون
له اسماء في الازل اذ لم يكن في الازل لفظ ولا لافظ لان كل واحد منهما حادث والجيب

واجيب عنه بانها الاسماء في قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى معاني الاسماء المحمولة على الذات
حمل المواطاة كما ذكرنا فان معاني نحو القدوس والعالم والقادر ثابتة له في الازل وان
لم يكن الاسماء متحققة فيه فانه تع قدوس وعالم في الازل بمعنى انه كان متصفا بصفة
القدوس والعلم فيه ولا محذور في حدوث الاسماء الملفوظة المنصفة بكونها عربية مشتقة
قليلة الحروف او كثيرها لان مقتضى الدليل القاطع ان ذاته تع وصفاته الذاتية والفعلية قديمة
مصونة عن الزوال باعتبار وجودها العيني واما وجودها في اللسان وفي اذهان الانسان
فحادث بحدوثهما **قوله** وقرئ سبحان ربي الاعلى **روي** عن علي وابن عمر رضي الله عنهم
انهم قروا سبحان ربي الاعلى الذي خلق فسوى ولعل الوجه فيه ان قوله سبح امر بالتسبيح فلا بد
ان يذكر ذلك التسبيح وما هو الا قولهم سبحان ربي الاعلى ولعل مقصود المصنف من ايراد الحديث
بيان انه عم بين طريق الامتثال للامر وموضع الامتثال فلا حاجة في الامتثال به الى قراءة
النظم بما روي عنهما نقل عن تفسير الشعبي ان اول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل فقال النبي
صلى الله عليه وسلم يا جبرائيل اخبرني ثواب من قالها في صلوته او غير صلوته فقال يا محمد ما
من مؤمن ولا مؤمنة يقولها في سجوده او في غير سجوده الا كانت له في ميزانه اثقل من العرش
والكرسي وجبال الدنيا ويقول الله تعالى صدق عبدي وانا الاعلى وفوق كل شيء وليس فوقي شيء
اشهدوا يا ملائكتي اني قد غفرت لعبدي وادخلته جنتي فاذا مات زاره ميكائيل كل
يوم فاذا كان يوم القيمة حمله على جناحيه فيوقفه بين يدي الله تعالى فيقول يا رب
شفعني فيه فيقول شفعتك فيه اذهب به الى الجنة وبعض هذا ذكره الامام ابو الليث
في تفسيره باشبع من هذا القدر **قوله** خلق كل شيء فسوى خلقه اشارة الى ان
حذف مفعولي خلق وسوى لقصد التعميم وان تسوية خلق المخلوق خلقه موصوفة
بوصف الاحكام والاتقان سالما عن الخلل والنقصان جامعا لجميع ما يتوقف عليه
كماله في ذاته وينتظم به اسباب معاشه **قوله** قدر اجناس الاشياء بمقدار معلوم وكذا
جعل انواع كل جنس واشخاص كل نوع بمقدار معلوم وجعل ايضا مقدار كل شخص في جثته
واوضاعه وساير صفاته كالحسن والقبح والسعادة والشقاوة والهداية والضلال والالوان
والاشكال والطعوم والروايح والارزاق والآجال وغير ذلك بمقدار معلوم كما قال
وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم **قوله** انبت ما ترعيه

قوله وقرئ سبحان ربي الاعلى
وفي الحديث اه فيها اشارة
الى ان لفظ الاسم مقحم وقيل
وجه القراءة بيان الامتثال
بالامر بالتسبيح بقوله سبح
وقيل هنا حديثا عن ابي الليث
حديث حملنا ان نذكره وان طوي
عن اثر الضعف وهو في الفيئم
الى حادي

الدنيا

اي جعل اجناسكم

الضلال

الدواب من العشب لا كالاصنام التي عبدتها الكفرة قال ابن عباس رضي الله عنه المرعى
الكلأ الاخضر وفي الصحاح الرعي بالكسر الكلأ وبالفتح المصدر والمرعى الرعي والموضع
والمصدر والغثاء ما يبس من النبت فحملته الاودية والمياه الجوهري الغثاء
وبالتضم والمد ما يحمل السيل من القماش والقمش جمع الشيء من ههنا وههنا وذلك
الشيء قماش **قوله** يابسا اسود اشارة الى ان الغثاء بمعنى اليابس وان الاحوى
بمعنى الاسود صفة للغثاء وسبب ذلك السواد اما احتراقه بشدة الحر او ان السيل
يحمله فيلصق به اجزاء كدرة فيسود لذلك وان الريح يحمله فيلصق به الغبار الكثير
فيسود وعلى تقدير كون احوى حالا من المرعى يكون الاحوى بمعنى الاسود لشدة
الخضرة كما قيل مدهامتان صفة لقوله جنتان اي سوداوان لشدة
خضرتهما فعلى هذا يكون في الآية تقديم وتاخير والتقدير الذي اخرج المرعى
احوى فجعله غثاء قال المجاهد ومقاتل والكلبي كان عليه السلام اذا نزل عليه القرآن
اكثر تحريك لسانه مخافة ان ينسى وكان جبرائيل عليه السلام لا يفرغ من آخر الوحي حتى
يتكلم هو عليه السلام باوله مخافة النسيان فانزل الله تعالى سنقرئك فلا تنسى فلم ينس
بعد ذلك شيئا لانه اخبار منه تعالى واخباره صدق ولا في قوله فلا تنسى نافية
وعليه الاكثرون لا للنهي لان الانسان لا ينهى عن النسيان باختياره ولذلك تثبت
الالف في لا تنسى خطا ولفظا ومن جعلها نهيا عن النسيان احتاج الى تكلف في توجيه
ورود النهي عما ليس لقدرة العبد واختياره فيه مدخل بان يقول ان النهي
وان كان عن النسيان صورة لكنه في الحقيقة عن سببه وهو الغفلة عن دراسته
وتكريره فكانه قيل فلا تغفل عن قراءته وتكريره فتنساه واحتاج في توجيه ثبوت
الالف الى ان يقول انها مزيدة لرعاية الفواصل الآي كالتي في الظنونا والسبيلا
وحمله على الخبر اولى لعدم احتياجه الى تكلف ولانا نقول اذا جعلناه خبرا كان
معنى الآية بشارة الله تعالى اياه بانه اجعلك بحيث لا تنساه واذا جعلناه نهيا
كان معناه ان الله تعالى امره بان يواظب على الاسباب المانع من النسيان وهي المواظبة
على القراءة والدراسة وهذا ليس في البشارة وتعظيم حاله مثل الاول ولانه على خلاف قوله
لا تحرك به لسانك لتعجل به **قوله** على ان جبرائيل او يجعلك قارئا بالهام القراءة
يا محمد

القراءة على ان يكون بهمزة اقراء للصيرورة اي للصيرورة الفاعل ذا اصله اي نجعلك
قارئا للقرآن تقرؤه متى شئت بحيث لا يتطرق لك نسيان شيء منه وعلى
الاول يكون الهمزة للتعدية اي بجعل فاعلا اصليا مفعولا فيكون المعنى سنعلمك هذا
القرآن على لسان جبرائيل حتى تحفظه فلا تنساه من حيث ان جبرائيل
يقرؤه عليك مرارا كثيرة الى ان يستقر ويتمكن في خاطرك فكيف تنساه
فعدم النسيان على هذا المعنى متفرع على التعليم والتكرير والتثبيت وعلى كون
الهمزة للصيرورة يكون متفرعا على مجرد جعل الله وتصييره اياه قارئا يقرؤه ما
سمعه من جبريل عليه السلام مرة واحدة متى شاء بان يلهم الله تعالى قراءته في اي وقت
شاء والهام القراءة لا ينافي كون اصل المقروء مسموعا من جبرائيل عليه السلام منزلا بواسطته
قال الامام ذكروا في كيفية الاستقراء والتعليم وجوها **احدها** ان جبرائيل عليه السلام سيقرأ
عليك القرآن مرات حتى تحفظه حفظا لا تنساه **وثانيها** ان نشرح صدرك ونقوي
خاطرك حتى بالمرة الواحدة تحفظه حفظا لا تنساه وذكر وجها ثالثا لم اقف على معناه اما لصعوبته
في نفسه واما لسقامة النسخة **قوله** اي بوجه ما لا بطريق النسخ ولا بغيره وذكر ليظهر
معنى الاستثناء المتصل **قوله** ليكون ذلك آية تدل على المعجزة من وجهين الاول انه رجل امي
تحفظ لهذا الكتاب المطول من غير دراسة ولا كتابة خارق للعادة فيكون معجزة والثاني
ان هذه السورة من اوائل ما نزل بمكة وفيها اخبار عما سيقع في المستقبل من امر عجيب
خارق للعادة وقد وقع كما اخبر به ولا شك ان الاخبار عن الغيب ثم وقوعه كما اخبر به
معجزة **قوله** بان نسخ تلاوته فان النسيان الكلي الدائم في جميع الاوقات بحيث لا يذكر بعد ذلك
نوع من النسخ وطريقه فالمعنى الا ما شاء الله ان ينساه في الاوقات كلها نسيانا دائما وذلك
الانساء هو النسخ او يكون النسيان سببا متفرعا على النسخ فانه تعالى اذا نسخ تلاوة شيء من
الآيات وامر النبي صلى الله عليه وسلم بان لا يقرأه ولا يصلي به يصير ذلك سببا للنسيان وزواله
عن الصدور وايا ما كان فالمستثنى الذي هو ما شاء الله نسيانه يراد به الآيات التي نسخ
تلاوته والمراد بنسيانها النسيان الكلي الدائم بحيث لا يعقبه التذكر بعده **قوله** والمراد به
القلة معطوف بحسب المعنى على التفسير الاول بعني لا يراد بالنسيان ما يكون بنسخ التلاوة

اخرى وقوله ووقوعه كذلك
منصوب بالعطف على اسم
ان بمعنى ان هذه الآية صح

بل يراد به النسيان المتعارف الذي يعقبه الذكر بعده ويكون المقصود بالاستثناء تقليل المنسي
بهذا مع انه لا يبقى منسيا دائما والعلم بكون المراد بالنسيان النسيان المتعارف ان المنسي
منسيا ذا ثم ما من اللطف في المقام ووجه التفهيم ووجه القلة من هذا الاستثناء انه لما
ابتدئ بنفي النسيان مطلقا ثم استثنى من مفعول فعل النسيان القدر الذي تعلق مشيئة
الله تعالى بنسيانه ولا شك ان تعلق المشيئة بنسيان شيء منه غير معلوم ويجوز ان
لا تتعلق اصلا وعلى تقدير تعلقها بنسيان شيء من ذلك فلا محالة ان ما تعلقت
المشيئة بنسيانه اقل من الباقي بعد الاستثناء فدار امر المستثنى بين ان ينتفي راسا وبين
القلة والندرة وما كان كذلك يكون في غاية القلة فهذا اوجه حمل قوله تعالى الا ما شاء الله
على الاستقلال هاهنا **قوله** او نفي النسيان راسا مرفوع معطوف على قوله القلة والندرة
فعلى هذا لا يكون قوله الا ما شاء الله جاريا على حقيقة الاستثناء كما في الوجهين الاولين
بل يكون مجازا عن نفي النسيان راسا لما مر ان قوله الا ما شاء الله من الالفاظ الدالة على
القلة واستعمال القلة بمعنى النفي راسا على طريق المجاز وارد في كلامهم ومنه قولهم قليل
ما يتم في مقام نفي الموصوفين المذكورين قبل وقول الكلبي انه عم لم ينس بعد نزول هذه
الآية يؤيد هذا الوجه الثالث لكن حمل الاستثناء الوارد بعد النفي على النفي لا يخلو عن بعد
فتأمل **قوله** فيعلم ما فيه صلاحكم من ابقاء وانساء تفريع على التفسيرين واشارة
الى قوله انه يعلم الجهر وما يخفى تعليل للحكم الذي بين المشتمل على الاستثناء بان يجعل علمه تعالى
بما ظهر وبما يخفى كناية عن احوال عباده او من جهره عم بالقرآن مع ما خفي في نفسه مما يدعوه
اليه من مخافة التفلت والنسيان كناية عن علمه بما فيه صلاح العباد فلا تنسى ما انساه
من الوحي ولا يبقى ما ابقاه الا لمصلحة تعود اليهم وقال بعضهم هذا القول او فلا تخف
فانه اكفيك ما تخافه لكان اظهر **قوله** ونعدك للطريقة اليسرى تضمين قوله نيسرك
معنى الاعداد والتوفيق توجيه لتعديته بدون اللام فان العبارة المعتادة ان
يقال جعل الفعل الفلاني ميسرا لفلان ولا يقال جعل فلان ميسرا للفعل الفلاني كما
في الآية وكما في قوله عليه السلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له والاعداد والتوفيق يتعديان
بنفسهما وقوله للطريقة ابراز للموصوف اليسرى واشارة الى وجه تانيثه والدين
الطاعة ودان له اي اطاع ودان بكذا او تدين به عمله طاعة والطريقة اليسرى هي باب

في باب الطاعة هي طريقة الاسلام التي هي الطريقة السهلة السمحة البيضاء وقال نيسرك بنون العظمة المعطي
دليلا على عظم المعطى ونظيره قوله تعالى انا انزلناه انا نحن نزلنا الذكر انا اعطيناك الكوثر وكيف
لا وقد كان حبيبا لا يعلم الا انه نشأ في قوم جهال ثم انه تعالى جعل افعاله واقواله قدوة للعالمين وهداية
للخلق اجمعين الى شريعة لم يهتد الى امثالها احد من الاولين واي تيسير يبلغ الى هذه الدرجة **قوله**
بعد ما استتب لك الامر بيان لمعنى فاء التعقيب يقال استتب له الامر اذا تهيأ واستقام يعني
انه تعالى لما تكفل له بتعليم القرآن وتيسير حفظه له بحيث لا ينسى شيئا منه الا ما شاء الله
نسيانه وتيسير سبيل الرشد والتدين امره بتذكير الخلق ودعوتهم الى الحق ليكون
جامعا بين منصبي الاهتداء والهداية ودولتي الكمال والتكميل فان تكميل الناقصين وهداية
الجاهلين ارفع مناصب اولي الفضل والكمال **قوله** لعل هذه الشرطية ام جواب عما يقال
انه عليه السلام مبعوث الى الناس كافة لينذرهم بسوء عاقبة الكفر والعصيان ويذكرهم ببيان
ثواب الطاعة والعرفان فعليه ان ينذر الكل ويذكرهم سواء نفعتهم الذكرى او لم تنفعهم
فان نفعتهم الذكرى بان يقبلوها ويهتدوا بها فهو المطلوب والا فلا اقل من انه يظهر
بها اظهار المعاندين واستحقاقهم للمؤاخذة والعذاب وتنقطع بها حجتهم حيث لا يمكنهم
بعد الانذار والتذكير ان يقولوا انا كنا عن هذا غافلين لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع
آياتك ونكون من المهتدين فان سنة الله تعالى قد جرت على انه لا يعذب قوما على ما فعلوا حتى
يبعث فيهم رسولا يبين لهم ما يأتون وما يذرون قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا فاذا تقرر انه يجب عليه ان يذكر الكل في حال النفع او لم ينفع فما وجه تعليق التذكير على
الشرط في قوله ان نفعت الذكرى واجاب عنه المص بوجوه ثلثة محصول الاول ان ما ذكر
من وجوب التذكير العام عليه في كل حال انما هو قبل الزام الحجة عليه واتمام دعوتهم بتكرير
التذكير باوضح البيان وابلغ التقرير الى ان يتبين الحق عند طالبه فيتبعوه ويظهروا ان من
اصر على الكفر والضلال بعده انما يصر عليه لعناده واتباع هواه واما بعد ذلك فلا يجب الا
بشرط ظن نفعه فان تذكر من حصل اليأس عن انتفاعه واهتدائه به لا فائدة له سوى
اتعاب النفس للتلهف عليهم ومحصول الثاني ان قوله تعالى ان نفعت الذكرى وان كان
ظاهره شرطا وتعليقا لايجاب التذكير على ترتب النفع عليه لكن لم يؤت به في هذا الموضع
لتقييد الحكم به وانما اتى به ذما للمذكرين وتنبيها للرسول عليه السلام انه لا ينفعهم الذكرى كما يقال

للرجل ادع فلانا ان اجابك والمعنى ما اراك ان يجيبك فكانه قيل فذكرهم ما اتعاظهم
وقبولهم ليس منك فان لم يكن التعليق والتقييد مرادا ابقى الامر بالتذكير على الطلاق غير
مقيد بشرط رجاء نفعه واما الجواب الثالث فانه محل بحث وتامل لاشعاره بعدم
وجوب التذكير عليه في كل حال بل ان وجوبه عليه انما هو اذا ظن نفعه وليس كذلك لما
مر ولعل مراده انه عم وان وجب عليه التذكير العام في كل حال وان وجوب التذكير
عليه غير مقيد برجاء اهتداء المذكرين الا انه اتى بصورة التقييد لاشعار بان معظم
الحكم في ارسال الرسل وايجاب التذكير عليهم هو انتفاع الامم واهتداؤهم بالذكرى
وان كان الزام الحجة على المعاندين داخلا في حكم الارسال وايجاب التذكير على الرسل الا
ان هذه في جنب الاولى كانها ليست بحكم وكان التذكير انما يجب عليهم لان انتفاع الامم
به بحيث اذا ظنوا عدم الانتفاع لا يجب عليهم ذلك واية هذه التوجيه بقوله
واعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا **قوله** وهو يتناول العارف
والمتردد فان الناس في امر الميعاد على ثلثة اقسام منهم من قطع بصحته ومنهم من جوزه
ولكنه غير قاطع فيه لا بالنفي ولا بالاثبات ومنهم من اصر على انكاره وقطع بانه لا يكون
فالقسمان الاولان يكون الخشية حاصلة لهما دون الثالث فقوله من يخشى
كما يتناول العارف بالله وبكمال قدرته وعلمه وحكمته فيقطع ذلك بصحة المعاد
يتناول ايضا من يتوقف الى ان يتبين له الحق ولا يكون من اهل العناد والاصرار
فانه اذا سمع اية التخويف مثل ان من كفروا يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها
ولا يحيى انكسر قلبه فيحمله ذلك على استماع الحق وقبوله بخلاف من غلب هواه وحمله
ذلك على العناد والاصرار فان قلبه يقفل عليه فلا يصل اليه الخوف والخشية فلا ينتفع
بالذكرى لان الانتفاع بها مبني على حصول الخشية في القلب ولم تحصل فلا جرم يتجنب
الذكرى ولا يقبلها بل يتباعد عنها ولا ينتفع بها وهو المراد بالاشقى الذي هو القسم
الثالث من اقسام الناس **قوله** الاشقى الكافر يريد ان اللام في الاشقى اما لجنس الاشقى وهو
الكافر او للعهد معين من الكفرة كوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة وابي بن خلف
والمفضل عليه على الاول جنس الفاسق وعلى الثاني سائر الكفرة فانه قد روي ان قوله سيذكر
من يخشى نزل في عثمان بن عفان رضي الله **قوله** ويتجنبها الاشقى الذي نزل في الوليد وعتب

عتب

وعتبة وابي وانت تعلم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لاسيما ان التقسيم
الى بقي وان القول بان المراد بمن يخشى القسمان الاولان من تلك الاقسام وبالاشقياء
القسم الثالث يؤيده العقل السليم **قوله** ولا يحيى حيوة تنفعه فهو في معنى قوله لا يقضى
عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ويقال لمن ابتلي بالبلاء الشديد لا هو حي
ولا ميت وقيل ان روح احدهم في النار تتغير في حلقه فلا تخرج فيموت ولا ترجع الى
موضعها من الجسد فيحيى واتى بكلمة ثم لان هذه الحالة افظع واعظم من نفس التصلية فهي متراخية
عنه في مراتب الشدة والكبرى اسم تفضيل لانه تانيث الاكبر فيقتضي المفضل عليه وهو نار
الدنيا ان كان المراد بالنار الكبرى نار جهنم وان المراد بها ما في اسفل دركات جهنم من النار
التي هي نصيب الكفار كما قال تع ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار يكون المفضل عليه ما
في الدركات التي فوقها فان في جهنم نيرانا ودركات متفاضلة كما ان في الدنيا ذنوبا ومعاصي
متفاضلة فكما ان الكفار اشقى العصاة كذلك يصلى اعظم النيران **قوله** او تكثر من التقوى
من الزكاء وهو النماء يقال زكى الزرع يزكو زكاء اي نمى وتكثر والزاكي هو النامي
الكثير وهذا الوجه يعضده بقوله تع قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون فانه اثبت
الفلاح للمتحلين بتلك الخصال وكذلك قوله تع في اول البقرة واولئك هم المفلحون والوجه
الاول يعضد بوجهين الاول انه تع لما لم يذكر في هذه الاية ما يجب التزكي عنه علمنا ان المراد هو
التزكي عن الكفر الذي مر ذكره قبل هذه الاية ان الاسم المطلق ينصرف الى المسمى الكامل واكمل
انواع التزكية هو تزكية القلب عن ظلمة الكفر فوجب صرف هذا المطلق اليه **قوله** ويجوز
ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم كما ذهب اليه الامام الاعظم ابو حنيفة فيكون المعنى وذكر اسم
ربه لافتتاح الصلوة وصلى عقيبه واحتج بهذه الاية على وجوب تكبير الافتتاح حيث عده
في جملة ما علق به الفلاح وعلى انها ليست من اركان الصلوة من حيث ان الصلوة عطف
عليها بفاء التعقيب والملابسة بالكل انما يكون بملابسة كل من اركانه لا عقيبها
وعلى ان افتتاح الصلوة والشروع فيها غير مختص بلفظ التكبير بل هو جائز
بكل اسم من اسمائه فالمناسب على هذا ان يحمل التزكية على التطهر للصلوة لتكون الاية
مسوقة لمدح كل من حصل هذين الشرطين للصلوة وصلى عقيبهما والائمة الثلثة
قالوا ان دلت الاية على مدح كل من ذكر اسم الله تع فصلى عقيبه لكن ليس في الاية بيان

ان ذلك الذكر هو التكبيرة الافتتاح لجواز ان يكون المراد من ذكر الله تع بقلبه ولسانه
ذكر ثوابه وعقابه دعاه ذلك الى فعل الصلوة فياتي بالصلوة التي احد اركانها واجزائها
تكبيرة الافتتاح كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في تفسير هذه الآية ذكر معاده
وموقفه بين يدي ربه فصلى له قال الامام واقول هذا التفسير متعين وذلك لان مراتب
اعمال المكلفين ثلثة فاولها ازالة العقايد الفاسدة عن القلب والثانية استحضار
معرفة الله بذاته وصفاته واسمائه وثالثها الاشتغال بخدمته وطاعته فالمرتبة الاولى هي المراد
بالتزكية في قوله تع قد افلح من تزكى وثانيتها هي المراد بقوله وذكر اسم ربه فان الذكر
بالقلب ليس الا المعرفة وثالثها وهي الخدمة هي المراد بقوله فصلى فان الصلوة عبارة
عن التواضع والخشوع فمن استنار قلبه بمعرفة جلال الله تع لا بد وان يظهر في جوارحه واعضائه
اثر الخضوع والخشوع انتهى كلامه واذا حمل التزكي على اداء الزكوة المفروضة يكون الآية نظير
قوله تعالى واقام الصلوة وايتاء الزكوة وقيل هذا التفسير بعيد من حيث ان عادة الله تع
جارية على تقديم الصلوة على الزكوة اينما ذكرا معا وهذا التفسير يستلزم مخالفة العادة
وتركها قوله وقيل تزكى اي تصدق للفطر روي عن ابن عمر رضي الله عنه انه قال نزلت
هذه الآية في هذا يعني ان المراد بالتزكي اخراج صدقة الفطر قبل المضي الى المصلى وبالذكر
ان يكبر في الطريق حين خروجه الى المصلى وبالصلوة ان يصلي صلوة العيد بعد ذلك مع
الامام وقال بعضهم لا ادري ما وجه هذا التاويل لان هذه السورة مكية بالاجماع ولم يكن
بمكة عيد ولا زكوة فطر واجيب بانه لما كان في علم الله تع ان ذلك سيكون اثنى على من
فعل ذلك فانه تع قد يخبر عما سيكون كما في قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر قال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه كنت لا ادري اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رايت النبي
صلى الله عليه وسلم يثب في درعه ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر وقال تع وانت حل
بهذا البلد فان السورة مكية وظهر اثر الحل يوم الفتح حتى قال عليه السلام احلت لي
ساعة من نهار قوله فلا تفعلون ما يسعدكم في الآخرة اشارة الى ما دل عليه كلمة
بل من النفي المتعلق بالكلام السابق فانها موضوعة لنفي ما تقدم وتحقيق غيره قوله
فان السعي للدنيا اكثر في الجملة اي في الكل قال ابن مسعود رضي الله عنه ان الدنيا احضرت
لنا وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذتها وبهجتها وان الآخرة نعتت لنا

ازالة العقائد

افلح يفلح افلاح في المستقبل
افلاح في الماضيه تشبيه
اولندى نه ده تحقق وقوعده
تشبيه ده مبالغة اولندى
ادعاء اولندى يعني افلاح في المستقبل
افلاح في الماضي جنسنده در
مشبه به دال اولان افلح
ظرفي مشبه اولان يفلح
مفهومي ايجونده استعاره
اولندى مشبه به دال اولان
افلح ماضي سوزى ذكر اولندى
انده يفلح معناسي مراد اولندى

نعتت لنا وزويت عنا فاخذنا بالعاجلة وتركنا الآجلة وترك الاجل حال اكثر الناس
وجعل الكل تغليبا واقامة للاكثر مقام الكل قوله والخطاب للاشقين اشارة
بايراد لفظ الجمع الى ان الاشقى جنس فهو في معنى الجمع قوله فان نعيمها ملذ
بالذات بيان لوجه خيرية الآخرة جعل نعيمها نفس الالتذاذ مبالغة في سببيتها
له ونعيم الدنيا وان كانت يتلذذ بها الا انها في ذاتها ليست للاستلذاذ بها بل انما
خلقت لان يتقوى بها على الطاعة ويتوسل الى سعادة الآخرة بخلاف نعيم الآخرة
والفوائد جمع الفائدة وهي الثمرة قوله من قد افلح بيان الاول منها قد سبق ومنتهاه
قوله والآخرة خير وابقى فان قوله تع قد افلح من تزكى اشارة الى تطهير النفس عن كل
ما لا ينبغي من العقايد الفاسدة والاخلاق الذميمة وقوله وذكر اسم ربه اشارة
الى تكميل الروح بمعرفة الله وقوله فصلى اشارة الى تكميل الجوارح وتزيينها بطاعة
الله تع وقوله بل تؤثرون الحيوة اشارة الى الزجر عن الالتفات الى الدنيا وقوله
والآخرة خير وابقى اشارة الى الترغيب في الآخرة وفي ثواب الله تع وفي دار كرامته
وهذه امور لا يجوز ان يختلف باختلاف الشرايع فلهذا قال ان هذا لفي الصحف
الاولى والصحف جمع صحيفة وهي الكتاب قيل صحف موسى عم هي الالواح التي كتبت
فيها التورية وقيل هي صحف انزلت عليه قبل ذلك وصحف ابراهيم عليه السلام
كتب انزلت عليه روي ان اباذر سال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم انزل الله
من كتاب فقال عليه السلام مائة واربعة كتب على آدم عشر صحف وعلى شيث
خمسين صحيفة وعلى ادريس عليه السلام ثلثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحايف والتورية
والانجيل والزبور والفرقان كذا قال الامام وفي التيسير صحف شيث وهي ستون
وصحف ابراهيم وهي ثلثون وصحف موسى قبل التورية وهي عشرة والتورية
والانجيل والزبور والفرقان وقيل كان في صحف ابراهيم ينبغي للعاقل ما لم يكن
مغلوبا على عقله ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه

سورة الغاشية عشرون وست ايات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الغاشية الغطاء غشيه يغشاه اي غطاه وكل ما احاط بالشيء من جميع جهاته
فهو غاش له وسميت القيامة غاشية لانها تغشى الناس جميعا من الاولين والآخرين

٢ بان قال له صح

١٠ ادم
٥٠ شيث
٣٠ ادريس
١٠ ابراهيم
١٠ تورية
انجيل
زبور
فرقان

ولانها تغشى الناس بالاهوال الشدائد وقيل المراد بالغاشية النار لانها تغشى وجوه
الكفرة كما قال لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش قال وتغشى وجوههم النار
واتفقوا على ان هل ههنا وفي قوله هل اتى على الانسان حين من الدهر بمعنى قد
كما تقول هل رايت صنيع فلان وقد علمت انه قد راه تريدان تحمل المخاطب على ان
يقر على مدلول الفعل الذي دخلت عليه كلمة هل كذا قال الامام في اول سورة
الدهر يريد ان الاستفهام في هذا للتقرير لان حمل الكلام على حقيقة الاستفهام غير مقصود
ههنا لاستحالته على الله تع وقد يكون الاستفهام للانكار والجحد كما تقول هل يقدر احد على
مثل هذا كما يكون لحقيقة الاستفهام وتعيين كل واحد من هذه المعاني موكول الى
شهادة المقام والمقام ههنا مقام التقرير لانه تع عرف رسوله صلى الله عليه وسلم من حال
الغاشية وحال الناس فيها ما لم يكن هو ولا قومه عارفا به على التفصيل لان العقل ان
دل فلا يدل الا على ان حال العصاة مخالفة لحال المطيعين واما كيفية تلك التفاصيل
فلا سبيل للعقل اليه فلما عرف الله تفصيل تلك الاحوال جزم قال هل اتيك حديث الغاشية
اي حديث الداهية الغاشية على حذف الموصوف قوله تع وجوه مبتدا وخاشعة
خبره ويومئذ ظرف للخبر اي ذليلة اذ غشيت تلك الداهية الناس ولعل وجه الابتداء
بالنكرة كون تقدير الكلام اصحاب وجوه بالاضافة الا انه الخشوع والذل لما كان يظهر
في الوجه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وانما قلنا ان الذل يظهر في الوجه لانه
ضد التكبر الذي محله الرأس والدماغ قال الامام المراد بالوجوه اصحاب الوجوه وهم
الكفار بدليل انه تع وصف الوجوه بانها عاملة ناصبة وذلك من صفات المكلف
لكن الخشوع يظهر في الوجه فعلق بالوجوه لذلك انتهى الخشوع والخضوع والتواضع
كلها بمعنى ويكنى بالجميع عما يعتري الانسان من الذل والخزي والهوان يقال خضع
الانسان اذا امال راسه الى الارض او دانه منها قوله تعمل ما تتعب فيه اشارة
الى ان ارتفاع كل واحد من عاملة وناصبة على انه خبر بعد خبر وان ناصبة
في المعنى لتقييد العمل بانه من قبيل ما تتعب الوجوه فيه فان الناصبة بمعنى التعبة
يقال نصب الرجل ينصب نصبا من باب علم اذا تعب في العمل واذا كان
كل واحد منهما خبرا بعد خبر يكون قوله يومئذ ظرفا لكل واحد من الاخبار الثلثة ويكون

ويكون الاخبار باسرها حاصلة في الآخرة فان الكفار لما تكبروا في الدنيا عن عبادة الله
والانقياد لحكمه يكونون يوم القيمة خاشعين اي ذليلين وعاملين في النار اعمالا
يتعبون فيها وهي جرهم السلاسل والاغلال الثقيلة كما قال تع في سلسلة ذرعها
سبعون ذراعا وخوضهم في النار كما يخوض الابل في الوحل بحيث يرتقي عنه تارة
ويغوص فيه اخرى والوقوف عراة حفاة جياعا عطاشا في العرصات قبل دخول النار
في يوم كان مقداره خمسين الف سنة والتلال جمع تل وهو الجبل الصغير والوهدة المكان
المطمئن والجمع وهد ووهاد والوحل بفتح الحاء الطين الدقيق والتسكين لغة
رديئة قوله او عملت ونصبت في اعمال لا تنفعها يومئذ اشارة الى جواز ان يكون
بعض تلك الصفات حاصلا في الآخرة وهو الخشوع والذلة وبعضها في الدنيا وهو
كونها عاملة ناصبة اي انها خاشعة في الآخرة مع انها كانت في الدنيا عاملة ناصبة
والمعنى انها لم تنتفع بعملها ونصبها في الدنيا بكون ذلك العمل والنصب في غير طاعة
الله ولا يمتنع وصفهم ببعض الاوصاف العارضة لهم في الآخرة ثم ان يذكر بعض
اوصافهم في الدنيا ثم يعاد الى ذكر احوال الآخرة اذا كان له وجه صحيح ومعنى مفعول فكانه
تع قال وجوه يوم القيمة خاشعة لانها كانت في الدنيا عاملة ناصبة في غير طاعة الله
فهي اذن تصلى نارا حامية في الآخرة والوجه على هذا المعنى يكون قوله عاملة ناصبة خبر
مبتدا محذوف والجملة في موضع الحال من ضمير خاشعة والتقدير وهي عاملة تعبة في الدنيا
فيما لم ينتفع به يوم اذ غشيت الداهية قوله بلغت اناها اي غايتها من الحر ان الحميم
بلغ اناه اي انتهى حره والانا نهاية الحر قيل الضريع بمعنى المضرع كالاليم والبديع
بمعنى المولم والمبدع والمعنى الا من طعام يحملهم ان يضرعوا ويذلوا عند تناوله لما
فيه من الخشونة والمرارة والحرارة وقيل الضريع ما يبس من الشبرق وهو جنس
من الشوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته وهو سم قاتل قال ابو ذؤيب
رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى وعاد ضريعا عاد عنه النحائص والنحائص
جمع نحوص وهي الحائل من الابل والاتان وعن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه الضريع
شيء في النار يشبه الشوك امر من الصبر وانتن من الجيفة واشد حرا من النار
قال تع في سورة الحاقة فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين وقال ههنا ليس لهم طعام

الا من ضريع والظاهر ان اصل الحصر بيناني الآخر بناء على ان الضريع غير الغسلين وان كلاهما
بنا فيان قوله تع ان شجرة الزقوم طعام الاثيم ويمكن ان يقال ان العذاب ذركات
متفاوتة على حسب اختلاف المعاصي واهلها ومن اهل النار من طعامه الزقوم ومنهم من
طعامه الغسلين ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من شرابه الحميم ومنهم من شرابه
الصديد لكل باب جزء مقسوم وان الملخص بهذا الجواب بقوله ولعل طعام
هؤلاء ثم اشار الى جواب ثان بقوله والمراد الخ يعني المقصود بهذه الآية حصر طعامهم
المقيد المخصوص بانه مما يكرهه الابل ولا يتناوله لمرارته وخباثته في الضريع وذلك لا ينافي
ان يكون لهم طعام من جنس آخر كالزقوم والغسلين **روي** ان كفار قريش قالت ان الضريع
لتسمن عليه ابلنا فنزلت **قوله تع** لا يسمن ولا يغني من جوع فلا يخلوا اما ان
يتعنتوا بذلك الكلام كذبا فرده الله تع قوله بتكذيبهم بذلك واما ان يصدقوا فيه
فيكون الرد ان طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع غير مسمن
ولا مغن من جوع **قوله** ذات بهجة وحسن على انه فاعل من نعم الشيء بالضم نعومة
اي صار ناعما لينا ويكون نعومة الوجوه اي غضاضتها ونضارتها كناية عن
تنعمها وطيب حالها او على ان ناعم للنسب بمعنى ذات النعم مثل تامر ولابن ثم يراد
بالنعم لازمها وهو الحسن والبهجة فيكون هذه الآية في المعنى نظير قوله تع تعرف في وجوههم
نضرة النعيم او يراد بها حقيقة النعم فيكون ناعم بمعنى متنعم **قوله** رضيت بعملها
اشارة الى ان المراد بسعيها ما سعى فيه وهو عملها ان اللام في لسعيها متعلقة براضية
اي قد رضيت في الآخرة سعيها وهو عملها في الدنيا لما رأت من العاقبة الحميدة والتقدير
راضية سعيها فلما تقدم المفعول ضعف العامل قليلا فجيء باللام تقوية لعمله فهذا اللام
مؤكدة لعمل الفعل وناصرة له على العمل ويجوز ان يكون لام التعليل اي لاجل سعيها في طاعة الله تع
راضية جزاءه وثوابه **قوله** علية المحل على ان يكون عالية من العلو في المكان فان الجنة درجات
بعضها اعلى من بعض كما بين العطاء والدرجة مثل ما بين السماء والارض او من العلو في القدر والشرف
لتكامل ما فيها من النعيم **قوله** لا تسمع يا مخاطب على ان يكون المنوي في لا تسمع ضمير انت
والمخاطب عام لكل من يصلح للخطاب كقوله تع واذا رأيت ثم رأيت نعيما وقوله واذا رأيتهم
حسبتهم وقول الشاعر اذا انت اكرمت الكريم ملكته **قوله** او الوجوه فيكون المنوي فيه ضمير

يعني بعضها ذات تمر وذات لبن و...

وهي والتانيث الوجوه لا للمخاطب **قوله** والتانيث فعل لتانيث لفظ لاغية والمراد
لان التانيث غير حقيقي او لان اللاغية بمعنى اللغو على انه مصدر كقول المغني بلغوا
لغوا ولاغية كالعافية **قوله** او كلمة ذات لغو على ان يكون لاغية بمعنى النسبة
قوله فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم وذلك ان المجالس الشريفة في الدنيا يصان عن اللغو
فكيف لا يصان عنه اشرف المجالس في جوار رب العالمين مع ان اهلها انما نالوها
بالجد والادب لا باللغو وسوء الادب فلما نالوا حق ثواب سعيهم وادابهم رضوا
به فكان ذلك مقتضى طباعهم السليمة **قوله** والتنكير للتعظيم ومن رفعة شانها
تجري على وجه الارض من غير اخدود وتجري لهم حيث ارادوا اجراءها وماؤها اشد
بياضا من اللبن واحلى من العسل فمن شرب منه شربة اهل الجنة لا يظما بعدها ابدا ويذهب
من قلبه الغل والغش والحسد والعداوة والبغضاء **قوله** رفيعة السمك اي عالية
في الهوى فان السمك هو الامتداد الآخذ من اسفل الشيء الى اعلاه فالمراد برفعة سمكها
شدة علوها في الهوى وذلك لاجل ان يرى المؤمن اذا جلس عليها جميع ما اعطاه
ربه في الجنة من النعيم والملك ورفعة قدر تلك السرر من حيث اشتمالها على
جميع جهات الحسن والكمال في ذواتها واوصافها **قوله** بالفتح والضم فان فتح نون
نمرقة وضمها لغتان والراء مضمومة فيهما قال الكلبي نمارق مصفوفة اي وسائد
موضوعة بعضها الى جنب بعض كالشيء الذي جعل صفا اينما ارادوا ان يجلس المؤمن
جلس على واحدة واستند الى اخرى وعلى رأسه وصفاء كانهن الياقوت والمرجان **قوله**
افلا ينظرون نظر اعتبار حتى استدلوا به على كمال قدرة صانع العالم وكمال علمه
وحكمته ليثبت عندهم اقتداره على البعث والجزاء فلا ينكروه فانه تع حكم اولا
بمجيء الغاشية وهي يوم القيمة وحكم بان بعض اهلها اشقياء معذبون وبعضهم سعداء
متنعمون ومعلوم ان ذلك يتوقف على ان العالم له صانع حكيم قادر على جميع الممكنات
فلذلك امر المعاد بذكر ما يدل على الانكار على ترك النظر الى انواع المخلوقات والحث
على النظر والاعتبار للتحقق عندهم كمال قدرة الخالق وعلمه فان من نظر الى هذه
المخلوقات على هذه الاتقان والاحكام يتيقن بان خالقها متصف بصفات الكمال
منزه عن سمات العجز والامكان ثم انه لما خلق الناس متمدنا يحتاج

نمارق بيان

اشقياء

اتبع

بعضهم الى البعض فى امور معاشه فان الانسان الواحد لا يمكنه القيام بمهمات نفسه
الا بان يجتمع مع بنى نوعه ويكون كل واحد منهم مشغولا بمهم آخر حتى ينتظم من
مجموعهم مصلحة كل واحد منهم وذلك الاجتماع يستدعى ان يوضع بينهم قانون
الشرع وتكليفهم بالانقياد له بحيث يشتمل ذلك القانون على الوعد والوعيد
حتى يكون اجتماعهم على سنن العدل والاستقامة وذلك يستدعى البعث والقيمة
وخلق الجنة والنار فثبت ان النظر الى انواع المخلوقات يودي الى القول بصحة البعث
والقيمة قوله ناهضة بالحمل الباء للتعدية اى رافعة اياه ونهض اى قام ونهض
ينهض نهوضا اى نهض بجهد ومشقة وناء بالحمل اذا نهض به مثقلا والوقر بالكسر الحمل
ويجمع على اوقار كحمل واحمال يعنى ان الحكمة فى طول اعناقها اقتدارها للقيام بالاحمال
الثقيلة فانها اذا امالت عنقها الى جانب قدامها من الارض يتوجه الثقل الى القدام
فيسهل عليها دفع ما فيها ثم اذا دفع عنقها واماله الى جانب الخلف يسهل عليها
تشبيها لها
دفع قدامها قوله وقيل المراد بها السحاب تشبيها للسحاب بالابل فى كثرة ما
ينبسط به من حاجة الناس كالابل فلذلك اطلق اسم الابل المشبه به عليه مجازا وقرينة
المجاز ذكرها فى جنب ذكر السماء والجبال قوله الى عشر العشر ما بين الوردين وهو
ثمانية لانها ترد اليوم العاشر كذا فى الصحاح قوله وعن الكسائى بالسين على الاصل هكذا
فى اكثر النسخ والصواب وعن هشام فانه ممن يروي قراءة ابن عامر الشامى
فانه قرأ بمسيطر بالسين وحمزة بخلاف عن خلاد بين الصاد والزاي يخلط صوت
الصاد بصوت الزاي بحيث يمتزجان فيتولد منهما حرف ليس بصاد ولا زاء والخلط
المذكور اى خلط حرف بحرف احد معانى الاشمام فى عرف القراء والباقون بالصاد
خالصة والكسائى منهم الجوهرى سطر يسطر سطرا كتب والمسيطر والمصيطر المسلط
على الشئ ليشرف عليه ويتعهد احواله ويكتب عمله واصله من السطر لان الكتاب مسيطر
والذى يفعله مسطر او مسيطر انتهى والمعنى انك ما امرت الا بالانذار والتذكير فاما
ان تكون مسلطا عليهم تحملهم على الايمان جبرا وتدخل قلوبهم كرها فلا قيل لست
الآن مسلطا عليهم تقاتلهم على الايمان وكان قبل الامر بالقتال ثم امر به فنسخه آية
القتال قوله والاستثناء منقطع فعلى هذا يكون من فى من تولى شرطية والجزاء

والجزاء هو الاخبار بالتعذيب فى الآخرة والمعنى لست بمستول عليهم لكن من تولى
منهم واعرض عن اجابتك وكفر بالله وآياته فان لله الولاية والقهر يعذبه العذاب
الاكبر الذى هو عذاب جهنم قالوا وعلامة كون الاستثناء منقطعا ان يحسن دخول
ان فى المستثنى كما فى هذه الآية فانك تقول الا ان من تولى وكفر فيعذبه الله واذا كان
الاستثناء متصلا محضا لا يحسن ذلك نحو عندى مئتان الا درهما فلا يدخل عليه ان
قوله وقيل متصل على انه استثناء من الضمير فى عليهم اى لست عليهم بمسيطر
الا على من تولى عن الايمان وقام على الكفر فانك مسلط عليهم بما يؤذن لك من القتل
والسبي والاسر وبعد ما قتلهم فى الجهاد يعذبهم الله فى الآخرة العذاب الاكبر
من القتل ولما استشعر ان يقال ان يقال ان الايمان من اعمال القلب والتسلط
على احد باكراهه على الايمان يكون بالجبر على القلب لان يقبل الايمان وذلك ليس
فى وسع البشر فلا يستولى على القلب احد غير الله تعالى اجاب عنه بان الاستيلاء
على جهاد الكفار وقتلهم الذى هو من الاسباب المؤدية الى الايمان بمنزلة الاستيلاء
على الايمان قوله وكانه اوعدهم بالجهاد فى الدنيا اشارة الى جواب ما يقال من ان
السورة مكية وانه عليه السلام ما كان مأذونا بالقتال الا بعد الهجرة فكيف يصح
حمل الكلام على الاستثناء المتصل المستلزم لان يكون المعنى انت مسلط على من تولى
عن الايمان وقام على الكفر منهم وحصول الجواب ان الكلام وارد على طريق الوعد له عليه السلام
باذنه للقتال ووعيد الكفار والمعاندين لا على طريق الاخبار بالتسلط فى الحال قوله اى
فذكر الا من تولى واصر فاستحق العذاب الاكبر الظاهر ان من على هذا موصولة
وان قوله فيعذبه عطف على كفر ومعلوم ان عذاب جهنم غير معقب لكفرهم فلذا الكل
حمل قوله فيعذبه على انه استحق العذاب الاكبر باصراره على الكفر وهذا المصر المعاند لما
لم ينفعه التذكير صار بمنزلة من لم يذكره فلذلك استثنى من جملة من امر بتذكيره
قوله ويؤيد الاول وهو ان يكون الاستثناء منقطعا على معنى لكن الله هو المسيطر
عليهم يعذبهم وقوله من تولى من وضع الظاهر موضع الضمير للاشعار بسبب استحقاقهم
لتعذيب الله مع وجه التأييد ظاهر وقوله توافق المعنيين بخلاف ما اذا كان
الاستثناء متصلا على احد الوجهين فان قراءة الا بفتح الهمزة وتخفيف اللام على انها

حرف التنبيه لا توقف في المعنى ومن على هذا القراءة شرطية والجواب قوله فيعذبه
الله بتقدير فانه يعذبه الله ولا بد من هذا التقدير لانه لو كان الجواب الفعل الذي بعد
الفاء لقيل فيعذبه بالجزم **قوله** وقرئ بالتشديد الجمهور على تخفيف ياء ايابهم
على انه مصدر كصيام وقيام من آب يؤوب اوبا واوبة وايابا اذا رجع كصام
يصوم صوما وصياما وقام قياما اصلهما صواما وقواما قلبت الواو ياء فيهما
لانكسار ما قبلها واعلالها في الفعل ووجه قراءة التشديد بوجهين الاول انه مصدر
على وزن فيعال من ايب على وزن فيعل نحو حوقل حيقالا وبيطر بيطارا
اصله ايواب اجتمعت الواو والياء وسبقت احديهما بالسكون قلبت الواو
ياء وادغمت فصار ايابا والثاني انه مصدر على وزن فعال من اوب نحو كلم كلاما
واصله اوواب قلبت الواو الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها كما في ديوان اصله
دووان فصار ايواب ثم فعل ما مر وقولهم من الاياب تارة ومن الاوب اخرى
لمجرد التفنن في العبارة لما مر من ان الاوب والاياب كلاهما مصدر آب يؤوب اوبا
وايابا **قوله** وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة فانه يفيد معنى ان يقال ان ايابهم
ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام وان حسابهم ليس بواجب الا عليه وهو
يحاسب على النقير والقطمير **سورة الفجر مكية وايها ثلثون آية**
بسم الله الرحمن الرحيم اقسم بالصبح او فلقه الاول على ان يكون
الفجر اسما بمعنى الصبح وهو اول وقت ظهور ضوء الشمس في جانب المشرق والثاني
على ان يكون مصدرا بمعنى خروج الصبح بفلقه الظلام اي شقه يقال فلقت
الشيء فلقا شققته **روي** عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الفجر هو الصبح
المعروف من كل يوم وقيل هو انفجار الصبح الصادق او الكاذب اقسم الله تعالى
به لما يحصل به من انقضاء الليل فظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوانات
من الطيور والوحوش في طلب الارزاق وذلك مثل نشور الموتى وفيه عبرة
عظيمة لمن تامل فان الشيء انما يقسم به اذا كان فيه فائدة دينية مثل كونه
دليلا باهرا على التوحيد او على صحة البعث والجزاء او كونها او فائدة دنياوية
توجب البعث على الشكر او مجموعهما والفجر مشتمل على مجموع تينك الفائدتين

الفائدتين او بصلوته بان يراد بالفجر ما وقع فيه مجازا مرسلا واقسم بصلوة الفجر لانها
صلوة في مفتتح النهار واوله يجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار لاستماع ما فيها من
القرآن كما قال الله تعالى ان قرآن الفجر كان مشهودا اي يشهده ملائكة الليل والنهار
لاستماع القراءة فيه **قوله** عشر ذي الحجة اقسم الله به لانها ايام اشتغال نسك الحج
واعمال الحج المبرور من افضل الاعمال وانه كفارة لذنوب العمر وفي الخبر ما من ايام
العمل الصالح فيه افضل من ايام العشر وانما قال الليالي العشر بعشر ذي
الحجة قيل المراد بالفجر فجر يوم معين وهو فجر عرفة او فجر يوم النحر ثم قيل اقسم
بفجر يوم عرفة لانها يوم شريف يتوجه فيه الحجاج الى جبل عرفات للوقفة ويقفون
فيه متوجهين فيه الى رب العزة متضرعين اليه فهو مظنة اجابة الدعوات وفي الحديث
الحج عرفة واقسم بفجر يوم النحر لانه يوم عظيم يأتي الانسان فيه بالقربان كانه يريد ان
يتقرب بذبح نفسه فلما عجز عنه فدى نفسه بالقربان كما قال الله تعالى وفديناه
بذبح عظيم ويقع فيه الطواف والحلق والرمي ويروى ان يوم النحر يوم الحج الاكبر
قوله او عشر رمضان عطف على عشر ذي الحجة اقسم الله تعالى بها لشرفها وفيها ليلة القدر
اذ في الخبر الا في العشر الاخير من رمضان وكان عليه السلام اذا دخل العشر الاخير شد
المئزر وايقظ اهله وكف عن الجماع وامر اهله بالتهجد **قوله** وتنكيرها
للتعظيم جواب ما يقال ما بالها منكرة من بين ما اقسم به وتقريره انها ليال
مخصوصة بفضائل عظيمة لا يحصل في غيرها على ما اشرنا اليها فنكرها الله للدلالة على
تلك الفضائل العظيمة **قوله** على ان المراد بالعشر الايام لم يجعل الاضافة بيانية لان
الاصل في الاضافة المغايرة بين المضاف والمضاف اليه وهي انما توجد اذا فسر
العشر بالايام واما اذا جعلت بيانية وفسر العشر بالليالي فلا توجد بقي الكلام
في وجه تانيث العشر على تقدير ان يراد بها الايام وهو مذكر قال تعالى سبع ليال
وثمانية ايام **قوله** والاشياء كلها شفعها ووترها على ان يكون الشفع والوتر معا
كناية عن جميع الاشياء من حيث ان شيئا ما من الاشياء والاجناس وانواعها واصنافها
واشخاصها جواهرها واعراضها لا يتصور كونها خاليا عنهما فالقسم بهما قسم بجميع الاشياء
بهذا الطريق وكذا اذا جعل الشفع كناية عن جميع المخلوقات لانه تعالى خلق كل شيء منها زوجين

و لما فسر بحبه

اطلبوها

المیزر بالفجر فوته که
بیله طوتر لرجمع میاذر
کلور اختری
کبیر

ذكراً او انثى ناطقاً وصامتاً عالماً وجاهلاً قوياً وعاجزاً حاراً وبارداً رطباً ويابساً
فلكياً وعنصرياً الى غير ذلك وجعل الوتر كناية عن الخالق لانه فرد لاتعدد فيه وقال بعض
المتكلمين لايجوزون ان يقال الوتر هو الله عز وجل لانه تع لايذكر مع شيء من المخلوقات
على هذا الوجه بل يعظم ذكره حتى يتميز عن غيره وروي انه عم سمع من يقول
الله ورسوله فنهاه عنه فقال قل هو الله ثم رسوله قوله ومن فسرهما بالعناصر
والافلاك الى قوله موجبة للشكر جواب عما يقال من ان المفسرين اكثروا
القول في تفسير الشفع والوتر فان منهم من فسر الشفع بالعناصر الاربع والوتر
بالافلاك السبع ومنهم من فسر الشفع بالبروج الاثنى عشر والوتر بالسيارات
السبع ومنهم من فسر الوتر بما كان وتراً من الصلوات كصلوة المغرب والشفع
بما كان شفعاً منها ومنهم من فسر الشفع بيوم النحر لانه عاشر ايام ذي الحجة التي
هي ايام الليالي العشر والوتر بيوم عرفة لانه تاسع تلك الايام وقد روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه فسرهما بذلك حيث قال العشر عشر الاضحى والوتر يوم
عرفة والشفع يوم النحر وعنه عليه السلام الصلوة بعضها شفع وبعضها وتر ومنهم
من فسرهما بغير ما ذكر مثل ان يفسر الشفع باليومين بعد يوم النحر والوتر باليوم
الثالث ومن ذهب الى هذا القول قال حمل الشفع والوتر على هذا اولى من حملهما
على يوم النحر وعرفة لان يومي النحر وعرفة دخلا في عشر ليال اذا فسر بعشر
ذي الحجة فحمل الشفع والوتر عليهما يستلزم التكرار في القسم بهما ولان بعض اعمال
الحج انما يحصل في هذه الايام التي بعد يوم النحر فحمل لفظ الشفع والوتر عليها يفيد
القسم بجميع ايام اعمال المناسك وفيه بحث لان دخول يومي النحر وعرفة في عشر
ليال لاينافي تخصيصهما بالذكر بلفظ الشفع والوتر تنبيهاً على مزيد شرفهما
على باقي الايام العشر مع ان حمل اللفظ عليهما ورد مرفوعاً كما ذكره المص
فالحمل عليهما اولى ومثل ان يفسر الشفع بآدم وحواء حيث شفع بزوجته والوتر
بمريم والشفع بالعيون الاثنى عشر التي فجرها الله تع لموسى عم والوتر بالآيات
التسع التي اوتي موسى عم كما قال الله تع ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات
او الشفع بايام عاد والوتر بلياليهم كما قال تع سخرها عليهم سبع ليال وثمانية

ايام

ايام حسوماً او الشفع بالشهر الذي يتم ثلثين يوماً والوتر بالشهر الذي يتم تسعة وعشرين
يوماً والشفع بالاعضاء والوتر بالقلب قال تع ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه او الشفع
بالشفتين والوتر باللسان قال الله تع ولساناً وشفتين او الشفع بالسجدتين والوتر
بالركوع او الشفع بابواب الجنة لانها ثمانية والوتر بابواب النار لانها سبعة
او الشفع بدرجات الجنة وهي ثمانية والوتر بدركات النار وهي سبعة او الشفع
بصفات الخلق كالعلم والجهل والقدرة والعجز والارادة والكراهة والحيوة والموت
والوتر بصفات الحق جل ذكره وجود بلا عدم حيوة بلا موت علم بلا جهل وقدرة
بلا عجز عز بلا ذل او ان يفسر الشفع والوتر بنفس العدد لانه اما شفع او وتر
كانه تع اقسم بالحساب الذي لابد للخلق منه وهو بمنزلة الكتاب والبيان الذي من الله تع
به على العباد اذ بالحساب يعرف مواقيت العبادات والايام والشهور وقال مقاتل الشفع
هو الايام والليالي والوتر هو اليوم الذي لا ليلة بعده وهو يوم القيمة وقيل الشفع كل
نبي له اسمان مثل محمد واحمد وعيسى والمسيح ويونس وذي النون والوتر كل نبي له اسم
واحد مثل آدم ونوح وابرهيم هذا تفصيل اقوال المفسرين في الشفع والوتر
ولا اشعار للفظ الشفع والوتر بالتخصيص بهذه التفاسير وتعيينه ولفظ الشفع
والوتر انما تدل على معنى كلي متناول لهذه الانواع لا على خصوص شيء منها فاقوال المفسرين
في تفسيرهما لاتخلو عن التخصيص بلا مخصص فان ثبت في شيء منها خبر عن الرسول صلى الله
عليه وسلم او اجماع من اهل التاويل حكم بانه هو المراد وان لم يثبت يجب ان يحمل اللفظ على
الكل لان الالف واللام فيهما للاستغراق فلا اقل من ان يقطع في حمل اللفظ على شيء منها بخصوصه
بل يذكر كل واحد منها على طريق الجواز والاحتمال وتقرير الجواب ان من فسرهما بهذه
الوجوه لم يدع انحصار مدلولهما فيما ذكره بل الحامل عليه ان افرد بالذكر من انواع
مدلول الشفع والوتر ما رآه اظهر دلالة على التوحيد كالعناصر والافلاك والبروج والسيارات
او مدخلاً في الدين كالصلوات شفعها ووترها ومناسبة لما قبلها كيومي النحر وعرفة او اكثر
منفعة موجبة للشكر كالاعضاء والقلب والشفتين واللسان وكالعناصر والافلاك والبروج
والسيارات فان منافعها اكثر من ان يحصى لا يرى الى مناط الفصول الاربعة فانها لاتعد ولا تحصى
وان ثبت من الشارع تفسيرهما ببعض هذه الوجوه فالظاهر انه ليس مبنياً على تخصيص مدلول

لفظ [illegible]

اللفظ به بل انه وارد على طريق التمثيل بما اى بتخصيصه بالذكر فائدة معتدا بها من الفوائد
المذكورة فيجوز للمفسر ان يحمل اللفظ على بعض آخر من محتملات اللفظ بفائدة آخر
وفى التيسير القراءة قراءة حمزة والكسائى والوتر بكسر الواو والباقون بفتحها قيل
الفتح لغة اهل الحجاز والكسر لغة تميم قوله والتقييد بذلك لما فى التعاقب من قوة
الدلالة على كمال القدرة ووفور النعم فان اصل الدلالة عليها يحصل بمجرد ذكر الليل من
غير التعرض لانقضائه وزواله بمجئ ضوء النهار وذلك لان سلخ ضوء النهار من الليل
وادخال الخلق تحت لباس الظلام بغروب الشمس آية دالة على كمال القدرة وفيه ايضا
نعمة جليلة للناس حيث يستترون بظلمة الليل ويستريحون بالنوم والتعرض
بانقضاء الليل وتعاقب النهار عليها تتقوى تلك الدلالة فان آية الليل اذا محيت مع
كونها محيطة بجميع اقطار العالم بانبساط آية النهار وشيوعها برهان قاطع على كمال القدرة
واحتشام جميع الحيوانات فكانهم اعيد لهم الحيوة بعد الموت وتسببوا بذلك لطلب الارزاق
الممدة للحيوة الدنيوية التى يتوسل بها الى السعادة الدارين قال قيل القسم بالليل اذا يسر
يغنى عن القسم بليال عشر قلنا المقسم به فى قوله والليل اذا يسر هو الليل باعتبار
سيره ومضيه وفى قوله وليال عشر هو الليالى بلا اعتبار مضيها بل باعتبار خصوصية
اخرى فلا يغنى احدهما عن الآخر قوله او يسرى فيه فيكون من قبيل اسناد الفعل الى زمانه
مثل صام نهاره اى صام هو فيه وصلى المقام اى صلى هو فيه والتقييد بذلك على هذا
التوجيه لان السير فى الليل حافظ للسائر عن حر الشمس فان السفر مع مقاساة حر النهار
اشد على النفس وعن شر قطاع الطريق غالبا لانهم مشغولون بالنوم فى الليل اكثريا
وقيل المراد بالليل اذا يسر فيه ليلة النحر فان الحاج يسرى فيها الى المزدلفة بعد الافاضة
من عرفات والعامل فى اذا معنى القسم اى اقسم به اذا يسرى فيها واذا اساد وذهب
وانقضى كما قال تع والليل اذا ادبر قوله وحذف الياء ههنا ثلث قراءات الاولى حذف
الياء وقفا ووصلا والثانية حذفها وقفا لا وصلا والثالثة عدم حذفها فى الحالين
وجه الحذف مطلق التخفيف ومراعات الفواصل مع الاكتفاء على دلالة كسرة الراء
عليها ووجه الاثبات مطلقا ان الياء لام الفعل ولام الفعل لا يحذف فى الفعل فى الوقف
فضلا عن الوصل تقول هو يقضى وانا اقضى وانما يحذف من الاسماء نحو قاض ورام وغاز

وغاز ووجه الحذف فى الوقف مراعات الفواصل دون الوصل لانه لام الفعل وهو لا يحذف
فى الوصل فان قيل لم اختير حذفها فى الوقف لمراعات الفواصل وقد مر ان لام الفعل لا يحذف
فى الوقف من الفعل قلنا الفواصل فى موضع الوقف والوقف تتغير فيه الحروف الصحيحة
بالتضعيف والاسكان وروم الحركة فيها فتغير هذه الحروف الشبيهة بحروف الزيادة
بالحذف اولى قوله وقرئ يسر بالتنوين فان تنوين الترنم يلحق القوافى فى الاسم
والفعل والحرف بدلا عن حرف الاطلاق اى عن حروف المد واللين لتركى الترنم لان الالف
والواو والياء فى القوافى يصلح للترنم بما فيها من المد فيبدل منها التنوين اذا قصد
الانشاد بترك الترنم لخلو التنوين من المد فان قيل ما فائدة قوله تع هل فى ذلك قسم
لذى حجر بعد ان اقسم بالاشياء المذكورة قلنا نعم وهى زيادة التاكيد والتحقيق كمن ذكر
حجة باهرة ثم قال هو فيما ذكرت حجة والمعنى ان من كان ذا لب وعقل يعلم ان ما
اقسم الله تع به من هذه فيه عجائب كثيرة ودلائل على التوحيد والربوبية فهو حقيق
بان يقسم به لدلالته على خالقه وقيل هذه الآية تدل على ان المراد الاقسام برب هذه
الامور لان هذه الآية دالة على ان هذا مبالغة فى القسم معلوم ان المبالغة فى القسم
لا تحصل الا بان يقسم بالله رب العالمين قوله سمى به لانه يحجر عما لا ينبغى والحجر
بالفتح المنع من الشئ يقال حجر عليه القاضى يحجر حجرا اذا منعه من التصرف فى ماله
والمقسم عليه محذوف اعلم ان فى جواب القسم قولان الاول انه هو قوله ان ربك لبالمرصاد
وما بينهما اعتراض والثانى انه محذوف وهو لنعذبن الكافرين يدل عليه قوله تعالى
الم تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب واختار المص هذا القول لانه
لما لم يتعين المقسم عليه ذهب الوهم الى كل مذهب فكان ادخل فى التخويف فلما جاء
بعده بيان عذاب الكافرين دل على ان المقسم عليه اولا هو ذلك وقوله تعالى
الم تر بمعنى الم تعلم لانه لم يره البصر وهو ظاهر عبر عن العلم بالرؤية لان اخبار عاد
كانت منقولة بالتواتر وهو يفيد العلم الضرورى الجارى مجرى الرؤية فى الجلاء والخطاب فيه
وان كانت فى الظاهر للنبى صلى الله عليه وسلم لكنه عام لكل من علم ذلك ليكون زجرا
للكفار عن مثل ما اداهم الى الهلاك وحثا للمؤمنين على الثبات على الايمان قوله
يعنى اولاد عاد ويريد ان لفظ عاد لهم للقبيلة المنتسبة الى عاد بن عوض كما يقال لبنى

قوله الم تر

هاشم هاشم ولبني تميم تميم ثم قالوا للمتقدمين من هذه القبيلة عاد الاولى فقال
تعالى وانه اهلك عادا الاولى وللمتأخرين عاد الاخيرة وارم اسم لجد عاد وفي المراد منه
في هذه الآية اقوال احدها ان المراد به المتقدمون من قبيلة عاد فانهم كما يسمون بعاد
الاولى فكذلك يسمون بارم تسمية لهم باسم جدهم والثاني ان ارم اسم لبلدتهم التي
كانوا يسكنون فيها ثم قيل تلك كانت بين عمان الى حضرموت وقيل هي المدينة
هي الاسكندرية وقيل هي دمشق وقيل عليهما ان منازل عاد كانت بين عمان الى حضر
موت وهي بلاد الرمال والاحقاف كما قال تعالى واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف
واما الاسكندرية ودمشق فليستا من بلاد الرمال والثالث ان ارم اعلام قوم عاد
كانوا يبنونها على هيئة المنارة وعلى هيئة القبور وارم سواء كانت قبيلة
او ارضا لا ينصرف للتعريف والتانيث فان جعلناه اسم قبيلة كان قوله ارم عطف
بيان لعاد ايذانا بانهم عاد الاولى القديم وان جعلناه اسم بلدة او الاعلام كان
التقدير بعاد اهل ارم ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كما في قوله تعالى واسأل
القرية **قوله** وهذا اي كون ارم عطف بيان لعاد بان يكون اسما للاوائل
من قبيلة عاد هو الذي اختاره المص بقوله وقيل سمي اوائلهم الخ فان اولاد عاد اي
المتقدمون منهم كما سموا باسم ابيهم عاد سموا ايضا باسم جدهم ارم فلذلك صح ان يكون
ارم عطف بيان لعاد هو عاد الاولى من غير تقدير المضاف وهو السبط واما اذا كان ارم
على اصل وضعه وهو كونه لجد قبيلة عاد فانما يكون عطف بيان لعاد بتقدير السبط
قوله ذات البناء الرفيع او القدود الطوال او الرفعة والثبات كل واحد من هذه الاوصاف
الثلثة يصلح ان يكون وصفا لارم سواء كان اسم قبيلة اما وصفه بذات البناء الرفيع فلانهم
اصحاب المدينة وهي بناء رفيع قيل انهم كانوا ذوا ابنية مرفوعة على العمد وكانوا يعالجون
الاعمدة وينصبونها ويبنون فوقها القصور وكانت قصورهم ترى من ارض بعيدة
قال تعالى في وصفهم اتبنون بكل ريع اية تعبثون اي علامة وبناء رفيعا واما وصفه
بذات القدود الطوال فلما اشتهر من انه كان قد احدهم عشر ذراعا واكثر من ذلك
وفي تفسير الكواشي قالوا كان طول الطويل منهم اربعمائة ذراع وكان احدهم
ياخذ الصخرة العظيمة فيقلبها على الحي فيهلكهم واما وصفه بالرفعة والثبات

والثبات فلرفعة قدودهم وثبات اعمادهم وسعة ارزاقهم وقوة اجسادهم واما على
تقدير كون ارم اسم بلدة فالصالح لان يكون وصفا له هو ذات البناء الرفيع قيل ان مدينتهم
كانت ذات اساطين اي ذات ابنية مرفوعة على الاسطوانة ويصح وصفه ايضا بال
بالرفعة والثبات لا بذات القدود الطويلة **قوله** فلما تمت قال الامام تمت في
ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وبنى مدينة عظيمة قصورها من الذهب
والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار فلما تم بناؤها
سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء
فهلكوا جميعا فلم يدخل ارم لا هو ولا احد ممن كان معه ولم يقدر عليه احد حتى الآن
غير ابن قلابة والقصة مستوفاة في التيسير وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له
فوصل الى جنة شداد فحمل ما قدر عليه مما هناك وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه
بعث الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك
احمر اشقر قصيرا على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر
ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل انتهى كلامه وفي قوله بعث اليهم صيحة من السماء
فهلكوا بحث لان قوم عاد هلكوا بالريح وقوم صالح هلكوا بالصيحة لقوله تعالى في سورة
الحاقة فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية الى قوله وجاء فرعون
ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فاخذناهم اخذة رابية اي
زائدة في الشدة كزيادة اعمالهم في القبح بين الله تعالى في تلك السورة ما اجمل في هذه
السورة بقوله فصب عليهم ربك سوط عذاب حيث لم يبين ما صب عليهم
من العذاب اللهم الا ان يراد بالصيحة الريح الشديد الصوت **قوله** والضمير لها سواء
جعلت اسم قبيلة او البلدة فالمعنى على الاول لم يخلق مثل هذا القوم في البلاد في عظمة
وطول القامة وشدة القوة كما مر من ان اطول رجل منهم يكون اربعون ذراعا وكان
يحمل الصخرة العظيمة فيلقيها على الجمع فيهلكهم والمعنى على الثاني لم يخلق مثل مدينة
شداد في جميع بلاد الدنيا وقيل ضمير مثلها راجع الى العماد اي لم يخلق مثل تلك الاساطين
في البلاد ولم يلتفت اليه المص لان السورة تقتضي وصف ارم بتلك الصفات ومدحها
وتفخيم شانها لا تعظيم اساطينها والمقصود من ذكر هذه الحكاية زجر الكفار فانه تعالى

ضمير مثلها

في البلاد

لما بيّن انه اهلكهم بما كفروا وكذبوا الرسل مع اختصاصهم بما لهم من وجوه القوة
والشدة فكانه قال ايها الكفرة لان تكونوا خائفين من مثل ما نزل بهم اذا اقمتم
على كفركم مع كونكم اضعف منهم من كل وجه اولى واحرى قوله فطعوه فان معنى
الجوب القطع يقال اجبت البلاد اجوبها جوبا وذا الفراجبت البلاد اجيبها
جيبا اذا اجبت فيها وقطعتها قيل اول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا
الفا وسبع مائة مدينة كلها من الحجارة قوله او لتعذيبه بالاوتاد كما روي عن ابن
عباس رضي الله عنه ان فرعون انما سمي ذو الاوتاد لان امرأة خازنه خربيل كانت ماشطة بنت
فرعون وكان خربيل مؤمنا يكتم ايمانه مائة سنة وكذا امرأته فبينا هي ذات يوم تمشط
راس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله عز وجل فقالت بنت فرعون وهل لك اله غير ابي فقالت الهي واله ابيك واله السموات
والارض واحد لا شريك له فقامت ودخلت على ابيها وتبكي فقال ما يبكيك قالت
الماشطة امرأة خازنك تزعم ان الهك والهها واله السموات والارض واحد لا شريك
لا شريك له فارسل اليها فسألها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها ويحك اكفري بالهك
واقري باني الهك قالت لا افعل فمدها بين اربعة اوتاد ثم ارسل عليها الحيات
والعقارب وقال لها اكفري بالله عز وجل والا عذبتك بهذا العذاب شهرين
فقالت لو عذبتني سبعين شهرا ما كفرت به وكانت لها ابنتان فجيء بابنتها
الكبرى فذبحها على فيها وقال لها اكفري بالهك والا ذبحت الصغرى على فيك
وكانت رضيعا فقالت لو ذبحت من على الارض على فيّ ما كفرت بالله تعالى فاتي
بابنتها فلما اضجعت على صدرها واراد ذبحها جزعت المرأة فاطلق الله لسان
ابنتها فتكلمت وهي من الاربعة الذين تكلموا اطفالا وقالت يا اماه لا تجزعي فان
الله تعالى قد بنى لك بيتا في الجنة اصبري فانك تفضين الى رحمة الله وكرامته فذبحت
ولم تلبث ان ماتت فاسكنها الله تعالى الجنة وكان فرعون قد تزوج امرأة من
اجمل نساء بني اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ما صنع فرعون بالماشطة
فقالت في نفسها كيف يسعني ان اصبر على ما يفعل فرعون وانا مسلمة وهو كافر فبينا
هي تؤامر نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يا فرعون انت شر الخلق
واخبثهم عمدت الى الماشطة فقتلتها قال لعل بك الجنون الذي كان بها قالت ما بي

ما بي من جنون وانما المجنون من كفر بالله الذي له ملك السموات والارض وما بينهما
وحده لا شريك له وهو على كل شيء قدير فمدها بين اربعة اوتاد يعذبها ففتح الله لها
الى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لي عندك
بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله فقبض الله تعالى روحها واسكنها في الجنة
قوله صفة للمذكورين فيكون مجرور المحل لكن بعض المذكورين قبله مجرورا بالباء وبعضه
معطوفا عليه وتقديم هذا الوجه يدل على ان المختار عنده من حيث ان الوجه الثاني
يحتاج الى حذف العامل وهو اعني والوجه الثالث يحتاج الى حذف المبتدأ فما اختاره
المص احسن بحسب اللفظ واختيار صاحب الكشاف كونه منصوبا على الذم بتقدير
اعني لكونه صريحا في الذم والمقام مقام الذم فهو احسن نظرا الى المعنى قوله فاكثروا
فيها الفساد بيان لوجه طغيانهم في البلاد فان الفساد ضد الصلاح فكما ان الصلاح
يتناول جميع اقسام البر فكذلك يتناول جميع اقسام الاثم من الكفر والظلم فمن
عمل بغير امر الله وحكم في عباده بالظلم فهو مفسد متجاوز عن الحد الذي حد له
قوله ما خلط لهم من انواع العذاب فسوط العذاب بانواع العذاب الملتف
بعضها ببعض التفاف طاقات السوط الذي يضرب به وجعل العذاب بمعنى المعذب
به وجعل اضافة السوط بمعنى من ويحتمل ان يكون العذاب بمعنى التعذيب والاضافة
بمعنى اللام والمعنى صببنا عليهم الانواع الملتفة مما يعذب به للتعذيب فان قيل قطع
في سورة الحاقة فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي
شديد الصوت او البرد عاتية اي شديدة العصف وجاء فرعون ومن قبله
والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية اي زائدة
في الشدة كزيادة اعمالهم يدل على انه تعالى صب على كل واحد منهم نوعا من العذاب
لا الانواع المخلوطة المشبهة بالسوط فلذلك قيل في تفسير سوط عذاب لونا من
العذاب صبه عليهم قلنا المذكور في تلك السورة صريح في ان ما عذب به كل واحد منهم
متغاير لما اهلك به الآخرون بنوع خصوصية فيه وذلك لا ينافي ان يكون لما ارسل
على كل واحد منهم مشتملا على انواع مما عذب به واقله ان يختلط ما ذكر في تلك السورة
من نحو الطاغية وريح صرصر والاخذة الرابية بالعذاب الروحاني من التحسر على الاطاعة

والهموم والاحزان فان قيل الآية قوله تع ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك
على ظهرها من دابة يقتضي تاخير العذاب الى الآخرة فكيف الجمع بين هاتين
الآيتين قلنا انه يقتضي تاخير تمام الجزاء الى الآخرة وذلك لا ينافي ان يعجل شيء
من ذلك في الدنيا فان الواقع في الدنيا شيء من الجزاء ومقدمة من مقدماته **قوله**
الجلد المصفود اي المنسوج المفتول **قوله** يترقب فيه الرصد بفتحتين جمع
راصد كالحرس جمع حارس ويكون مصدرا ايضا كالرصد بالسكون يقال رصده
يرصده رصدا ورصدا بمعنى رقب يرقبه رقوبا ورقبة والترصد الترقب وصيغة
المرصاد قد يكون اسم مكان كالمضمار الذي يضمر فيه الخيل والمنهاج للمكان الذي ينهج
فيه وقد يكون للمبالغة كالمعطار والمعمار والمطعان لمن يكثر منه هذه الافعال
وههنا يتعين الاول للبناء الدال على ظرفية اي انه لبالمكان الذي يترقب فيه
[illegible] وبعض العرب انه قيل اين ربك فقال بالمرصاد **قوله** تمثيل لارصاده
العصاة الظاهر ان الباء في بالعقاب للتعدية والمعنى تمثيل لاعداده العقاب للعصاة
وجعل العقاب المرصد اليهم الجوهري عن الاصمعي ارصدت له ارصده ترقبته و
وارصدت له اي اعددت له والكسائي مثله انتهى وههنا لما عدي الارصاد بنفسه حيث
قال لارصاده العصاة بنصب عدي الى العقاب بالباء والحاصل ان قوله تعالى ان
ربك لبالمرصاد استعارة تمثيلية شبه حاله تع في كونه حفيظا لاعمال العباد مجازيا
عليها على النقير والقطمير ولا محيص للعباد عن ان لا يكون مصيرهم الآجال من قعد
على طريق السابلة يترصدهم ليظفر بالجاني او لاخذ المكس او نحو ذلك ولا تخلص لهم
عن العبور الى ذلك الطريق ثم استعمل ههنا ما كان مستعملا هناك عن الكلبي انه قال
لا يفوته شيء من اعمال العباد كما لا يفوت ممن بالمرصاد شيء وفي الكبير من المفسرين
من يخص هذه الآية اما بوعيد الكفار او بوعيد العصاة اما الاول فقال الزجاج من
كفر به وعدل عن طاعته يعذب بالعذاب واما الثاني فقال الضحاك بمرصد لاهل
الظلم والمعصية وقول المص لارصاده العصاة يدل على انه اختار قول الضحاك وقال
الحسن يرصد اعمال بني آدم وقال الفراء اليه المصير فالآية على هذين الوجهين يعم
المؤمنين والكافرين **قوله** فاما الانسان متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد يعني

يعني ان كلمة اما المصدرة بالفاء انما تقع بين الكلامين لربط احدهما بالآخر وتوذن
بالبون البعيد بين الامرين المتنافيين والكلام الى قوله لما آذن بانه تع اعد
لعباده موقف حساب ودار جزاء يعاقب فيها العصاة المنهمكين للشهوات ويكرم
فيها بجزيل الثواب من اطاعه وعمل الصالحات كان محصوله انه لبالمرصاد في الآخرة
ولا يطلب من عباده الا ما يسعدهم فيها ولا يجذبهم الى ما يردهم فيها فاما الانسان
فانه لا يهمه الا الدنيا ولذاتها وشهواتها فان وجد الراحة في الدنيا يقول ربي
اكرمني وان لم يجد هذه الراحة يقول ربي اهانني فيرى الكرامة في وجود هذه الراحة
والهوان والذل في عدمها ونظيره قوله تعالى في صفة الكفار يعلمون ظاهرا من الحيوة
الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون **قوله** فلا يريد الا السعي لها الظاهر ان المراد بالارادة
الطلب والامر اي لا يطلب من عباده الا الطاعة لان حقيقة الارادة متعلقة بجميع
الكائنات خيرها وشرها ولا يامر الا بما هو خير ورشد **قوله** اختبره بالغنى
واليسر يعني انه سمى كل واحد من بسط الرزق وتقديره ابتلاء لانه اختبار للعبد فاذا
بسط له فقد اختبر حاله ايشكر ام يكفر واذا قدر عليه فقد اختبر حاله ايصبر ام
يجزع فالحكمة فيهما واحدة **قوله** وهو خبر المبتدا الى قوله ليتوازن قسيم جواب
لما يقال ان اما التفصيلية لا بد ان تقع بعدها جملتان او اكثر على حسب ما قصد تفصيله
يصدر كل واحدة منها بكلمة اما ويكون قسيمة لصاحبتها ولا بد ان يكون تلك
الجمل متوازنة متعادلة بحيث اذا كان الواقع بعد اما في الفقرة الاولى اسما كان الواقع
بعد اما الثانية اسما نحو قولك اما الكافر فكفور واما المؤمن فشكور وان كان شرطا
او ظرفا فشرط او ظرف مثل قولك اما اذا احسنت الى زيد فهو محسن اليك واما اذا اسأت
اليه فهو مسيء اليه وفي الآية قد وقع بعد الاولى اسم وبعد الثانية ظرف فلا توازن
بينهما ومحصول الجواب ان المبتدا مقدر بعد اما الثانية ليتوازن الفقرتان
وذكره في الاول دليل على ان المقصود بالتفصيل هو المحكوم عليه لا الظرف فوجب ان يقدر
في الثاني ايضا ليصح التفصيل فيكون قوله فيقول ربي اهانني خبرا لذلك المقدر كالاول
والتقدير واما الانسان اذا ما ابتليه بالفقر والتقتير فكانه قيل واما الانسان فقائل ربي
اهانني وقت ابتلائه بالفقر وبذلك يحصل التقابل والتوازن بين القسمين

جعل قوله فيقول خبر المبتدأ لئلا يتوهم انه جواب اذا واذا مع جوابها خبر المبتدأ فانه
يبقى جواب اما بلا فاء قوله لقصور نظره تنبيه على ان حكاية قوليه ذم له بجهله
حيث حكم بان التوسعة في الدنيا تفضيل له واكرام والتقتير اهانة من اشقاء مطلقا
مع ان التوسعة قد يكون سببا لقصد الاعداء بالقتل والنهب والوقوع في انواع العذاب
والتقتير يكون سببا للسلامة عنها وايضا توسعة الدنيا سبب لالفة النفس وكثرة
اشتغالها بها ومجادستها معها وذلك سبب لتأكد حب الدنيا سبب لصعوبة
الانقطاع عنها واستغراقا فيها بما يتعلق عليه ابواب عبودية الله تع فيكون واحد
الدنيا وتوسعتها سببا للحرمان عن النعيم الدائم والراحة الباقية بخلاف اهل التقتير
يسهل له الاشتغال بعبودية الله تع ما يمنع عنه في حقه ومن كان لله كان الله له فيحصل له
كرامة الدارين وايضا من كانت محبته للدنيا اشد كان تألمه بمفارقتها عند الموت
اتم واكثر فيكون التوسعة اذن سبب للالم الشديد بعد الموت فكيف يكون تفضيلا
واكراما فثبت ان كل واحد من ذينك القولين جهل او خطأ سواء اعترف قائلهما
بالبعث والجزاء روحانيا كان او جسمانيا او لم يعترف اما القول بان التوسعة اكرام
الكرام من المعترف فلان التوسعة كما يؤدي الى قصد الاعداء في الدنيا يؤدي ايضا
الى انهماكه في حب الدنيا وهو سبب للاستغراق فيها وللتألم الشديد بمفارقتها واما
جهل من قال بان التوسعة اكرام وهو ممن ينكر البعث فالوجه الاول وهو ان التوسعة
قد يكون سببا للالم الشديد في الدنيا بقصد الاعداء ولعا جهل من قال بان التقتير اهانة
وهو معترف بالبعث ولان في التقتير خلاص عن قصد الاعداء والانهماك في حب
الدنيا وكذا ان كان القائل به منكر البعث فان قوله جهل وكيف لا وقد يتم بالتقتير
عن قصد الاعداء في الدنيا وقد ذكر في بيان كون القولين جهلا وخطأ وجوها اخر احدها
ان سعادة الدنيا وراحتها مع شقاوة الآخرة وعذابها ليست بسعادة و
عناء الدنيا وضيقها مع سعادة الآخرة وسعتها ليست بعناء وضيق فلا ينبغي
ان يقال الاول اكرام والثاني اهانة قوله مع ان قوله الاول مطابق لقوله تع
اكرمه متعلق بقوله ذمه على قوليه اي ولاجل ان التقتير قد يؤدي الى كرامة
الدارين والتوسعة قد تفضي الى قصد الاعداء والانهماك في حب الدنيا ذمه على كل

على كل واحد من قوليه مع ان قول الاول وهو قوله ربي اكرمني قول صادق مطابق
لما حكى الله تع من ذاته المقدسة انه اكرمه وانما الجهل الصريح والاعتقاد الفاسد
وهو ظنه ان قلة الدنيا وتقتيرها اهانة الا ان حمل قوليه لما نشأ عن قصور نظره
واعتقاده ان الكرامة والهوان انما يكون بوجود الدنيا وعدمها ذمه على كلا قوليه
وردعه عنه اي عن كل واحد منهما قوله ولم يقل فاهانه وقد عطف على
قوله فقدر اي ولاجل ان التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين لم يقل فاهانه فانه
كيف يصح ان يحكي الله تع عن نفسه انه اهانه بالتقتير وقد يؤدي اليها وهو متضمن
لجواب ما يقال من انه تع قال في القسم الاول فاكرمه ونعمه كان الظاهر ان يقول في القسم الثاني
فاهانه فقدر عليه لكنه لم يقل كذلك فما وجهه واجاب عنه بوجهين الاول ان
التقتير ليس باهانة بل يؤدي الى كرامة الدارين والثاني ان التوسعة تفضل فيكون
قوله اكرمه صادقا بخلاف التقتير فانه ترك التفضل فلا يكون اهانة فانه اذا اهدى
احد اليك هدية قلت اكرمني فلان بالهدية واذا لم يهد اليك شيئا لا تقول
اهانني قوله قرأ ابن عامر فقدّر بالتشديد بمعنى ضيق عليه بان جعله على
مقدار البلغة والمخفف بمعنى قتر والتقتير التضييق في النفقة حكى الامام عن ابن
عباس رضي الله عنهما ان الحال معنى قوله تع كلا اني ابتليه بالغناء لكرامته علي ولم ابتله بالفقر
لهوانه علي بل ذلك اما مذهب اهل السنة عن محض القضاء والقدر والمشية
والحكم الذي تتنزه عن التعليل بالعلل واما على مذهب المعتزلة فبمصالح خفية
لا يطلع عليها الا هو فقد يوسع على الكافر لا لكرامته ويقتر على المؤمن لا لهوانه قوله
الى بل فعلهم اسوء من قولهم اشارة الى ان بل في هذه الموضع لترك الاول والاخذ فيما
هو اهم وعبر عن الترك والافعال بقوله بل فعلهم اسوء تغليبا للافعال على التروك
ووجه القراءة بتاء الخطاب بتقدير قل اي قل لهم يا محمد كذا وكذا والنكتة في تقدير قل هي
الاشارة الى انهم غير لايقين بخطاب الله تع ويجوز ان يكون من قبيل الالتفات للمبالغة
في اللوم على وجه ابلغ من اللوم على الغيبة ووجه القراءة بالياء في قوله لا تكرمون ولا تحاضون
على طعام المسكين وتأكلون التراث اكلا لما وتحبون المال حبا جما اسناد هذه الافعال
الى ضمير الانسان المتقدم ذكره وجمع الضمير الراجع اليه مع افراده في قوله اذا ما ابتليه ربه واكرمه ونعمه

فنقول من حيث ان الانسان مفرد لفظا وجمع معنى لان المراد به جنس فبالنظر الى الاول
ارجع اليه ضمير المفرد وبالنظر الى الثاني جمع ضمير وترك احسان اليتيم على وجوه احدها ترك
بره واليه اشارة بقوله بل لا تكرمون اليتيم والثاني دفعهم عن حقه الثابت له في الميراث
واكل ماله ظلما واليه اشار بقوله وتاكلون التراث اكلا لما اذا افسر بذا لم اي جمع
بين الحلال والحرام فانهم لا يورثون النساء والصبيان وياكلون انصباءهم ومن لا يحض غيره
على طعام فان لا يطعم بنفسه اولى فمآل المعنى الى ان يقال ولا يطعمون المسكين ولا يامرون
باطعامه ومن قرا ولا تحاضون بتائين فحذف تاء تتفاعلون كراهة اجتماعهما
والمعنى لا يحض بعضكم بعضا على اطعام طعام جنس المسكين فحذف المضاف وهو الطعام
واقيم المضاف اليه مقامه قلبت واو وارث تاء لانضمامها اولا كما في تخمة وتجاه **قوله**
ذا لم اي جمع اشارة الى ان اللم في اللغة الجمع يقال كتيبة ملمومة اي مجتمعة مضموم
بعضها الى بعض وانه مصدر جعل نعتا للاكل والمراد به الفاعل اي اكلا لاما اي جامعا بمعنى
ذا جمع مثل تامر ولابن ثم ان الجمع يقتضي شيئين فصاعدا والمراد بهما في الآية الحلال والحرام
فالحاصل انهم ياكلون نصيبهم ونصيب صاحبهم يجمعون نصيب غيرهم الى نصيب
انفسهم وايضا المال الذي يبقى من الميت بعضه حلال وبعضه حرام وبعضه مشتبه
فالوارث يلم الكل في الاكل اي يضم البعض الى البعض فياخذ الكل فيا كله وعلى التقدير من اكل
الوارث الكل فقد جمع بين الحلال والحرام والجم الكثير يقال جم الشيء يجم جموما والمقصود
ذمهم بسبب ان حرصهم على الدنيا فقط وانهم غافلون عن امر الآخرة **قوله** ردع
لهم عن ذلك اي عما ذكر من الافعال والتروك **قوله** وانكار اي لا ينبغي ان يكون
الامر كذلك في الحرص على الدنيا وقصر الهم على تحصيلها وجمعها من حيث تهيأ من حل وحرام
وترك المواساة منها وتوهم ان لا حساب ولا جزاء فان عاقبة ذلك الحسرة والندامة
على ايثار الحيوة الدنيا على الحيوة الابدية **قوله** وما بعده وهو قوله اذا دكت الارض
الى قوله يا ايتها النفس المطمئنة وعيد على ما صدر عنهم من اقوالهم وافعالهم وتروكهم بانه اذا
جاء يوم موصوف بصفات ثلث فانه يحصل له الندامة على ما صدر منه ويتمنى
ان لو كان افنى عمره في التقرب الى الله تع بالاعمال الصالحة والمواساة بالمال الجوهر
الدك الدق وقد دككت الشيء ادكه دكا اذا ضربته وكسرته حتى سويته بالارض

والندامة
بيان

لجواز الكسر فان الواو هنا عاطفة عطف بها المجرور على معمول الباء والظرف على معمول
فعل القسم المصرح به وهو الظرف الاول فيحتاج الى جواب آخر مطرد وهو ان يقال ثم ان
الظرف المنصوب معمول بفعل القسم او للواو لنيابته منابه لان تقييد القسم
بالزمان غير مناسب لا كان او مستقبلا بل هو معمول المضاف مقدر مدلول عليه بالقسم
من نحو العظمة فان الاقسام بالشيء تعظيم له كانه قيل اقسم بعظمة الشمس وضحيها
وبعظمة القمر اذا تلاها والقمر مجرور وكذا الظرف بعده معمولان لذلك المقدر فيكون
المجرور في قوله والصبح اذا تنفس معطوفا على معمول عامل واحد فلا يتم ما ذكر في تقرير
جواب المص من ان الواو العاطفة لنيابتها عن فعل القسم ينصب الظرف بعدها
محل بحث لان فعل القسم المضمر بمعنى الحال لانه لانشاء القسم في الحال فلا يعمل في اذا
لانه ظرف مستقبل والفعل الحال لا يعمل في الظرف المستقبل لان كون الفعل حالا ينافي
استقباليته واذا لم يصلح فعل القسم المضمر ناصبا لظرف الزمان المستقبل فكيف تصلح
الواو النائبة منابه ناصبا له قلنا لا فرق بين قولنا اقسم بالشمس غدا واقسم بالشمس
اذا اشرق غدا والذي لا يجوز هو الاول لا الثاني فانه يجوز ان يقسم الآن باشراق الشمس
في المستقبل وسائر ما يترقب وجوده بعد زمان القسم **قوله** وانما اوثرت على من
لارادة الوصفية لم يرد ان كلمة ما يوصف بها نعتا نحويا كما يوصف بالذي فان ما
ومن الموصولتين لا يوصف بهما بخلاف الذي بل مراده ان كلمة ما قد تستعمل في صفة
من يعقل كما في قوله تع فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقالوا المعنى فانكحوا الطيب من
النساء وكلمة من لا تستعمل على هذا الوجه وقوله القادر الذي بناها اشارة الى صفة
التي استعملت فيها ما وقد مر هذا البحث فيما يتعلق بتفسير قوله وما ولعى القرون
المتقدمة فليرجع اليه **قوله** ولذلك افرد ذكره من بين المخلوقات ولم يكتف بالقسم
هو خالق جميع الممكنات فهو نظير قوله والشفع والوتر على تقدير ان يفسر بالخلق
والخالق فكانه جواب عما يقال من ان قوله تع وما بناها ان كان قسما بخالق السماء
فكيف يصح ذكره مع مخلوقه في قران بل ان يؤخر في الذكر عنه فانه تع لا يذكر مع شيء
من المخلوقات على هذا الوجه بل يعظم ذكره وقد روي انه عليه السلام نهى من قال الله تع
ورسوله عنه وقال له قل الله ثم رسوله وتقرير الجواب ان افراد بعض المخلوقات بالذكر

وعطف الخالق جل ذكره عليه الاقسام بها ليس لاستوائها في استحقاق التعظيم تعالى عن ذلك
علوا كبيرا بل النكتة في ذلك الترتيب ان يتبين وجود صانع العالم وكمال قدرته
ويظفر العقل بادراك جلال الله تعالى وعظم شانه حيث ما امكن فانه تعالى لما اقسم بالشمس
التي هي اعظم المحسوسات شرفا ونفعا ووصفها باوصافها الاربعة وهي ضوؤها
وكونها متبوعة للقمر ومتجلية عند ارتفاع النهار ومختفية بالليل ثم اقسم بالسماء
التي هي مسيرة الشمس واعظم منها فقد نبه على عظم شانها ● لما تبين ان الاقسام
بالشيء تعظيم له ومن انها لحركاتها الوضعية وتغير احوالها من الاجسام الممكنة
المحتاج الى صانع مدبر كامل القدرة بالغ الحكمة فتوسل العقل بمعرفة احوالها واوصافها
الى كبرياء صانعها فكان الترتيب المذكور كالطريق الى جذب العقل من حضيض عالم
المحسوسات الى وفاء عالم الربوبية وبيداء الكبرياء الصمدية فسبحان من عظمت حكمته
وكملت كلمته وذكر في تعريف ذات الله تعالى هذه الاشياء الثلثة وهي السماء والارض
والنفس لان الاستدلال على الغائب لا يمكن الا بالشاهد والشاهد ليس الا العالم
الجسمانية وهو قسمان العلوية واليه الاشارة بقوله والسماء والسفلية واليه
الاشارة بقوله والارض والمركب وهو اقسام اشرفها ذوات الانفس واليه الاشارة
بقوله ونفس والطحو كالدحو وهو البسط وابدال الطاء من الدال جائز قال عطا
والكلبي بسطها على الماء وقيل طحاها من تحت الكعبة وان حملنا النفس على الجسد
فتسويتها تعديل اعضائها بعضها من بعض على ما ● يشهد به علم التشريح وان حملنا
على القوة المدبرة فتسويتها تكميل امرها باعطائها من القوى ما يتم به جميع
احوالها وبعض تلك القوى محركة وهي اثنتان الشهوانية والغضبية وبعضها
مدركة وهي عشرة الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة وبعضها لا محركة ولا مدبرة
وهي سبعة الغاذية والنامية والمولدة والجاذبة والماسكة والدافعة قوله
بتجرد الفعل عن الفاعل اي بتجرد المنوي في الهمها عما يرجع هو اليه فان الماءات التي في قوله
وما بناها وما طحيها وما سواها ان كانت مصدرية لا يكون المذكور الا السماء
والارض والنفس وما يتعلق من المعاني المصدرية وهي البناء والطحو والتسوية
وشيء منها لا يصلح لان يرجع اليه المنوي في الهمها قوله الا ان يضمر فيها اسم الله

اسم الله للعلم به استثناء من قوله بتجرد الفعل على الفاعل واشارة الى ان سبق الذكر بشرط
في ارجاع الضمير اذا المرجع اليه لنباهة شانه ● مما لا يغيب عن الفكر كقوله انا انزلناه
وقوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها اي الارض قوله يحتمل نظم
قوله فالهمها بقوله وما سواها فانه على تقدير ان يكون ما مصدرية يلزم عطف الفعل على الاسم
ويكون التقدير ونفس وتسويتها فالهمها ولا خفاء في ركاكة هذا النظم ويمكن ان يقال
لا بعد في ان يجعل ما مصدرية ويكون فالهمها عطفا على سواها ويكون هذا ايضا
في تاويل المصدر على معنى وتسويتها والهامها فجورها فيكون الهمها كالافعال التي
هي بناها وطحيها وسواها في تجردها عن الفاعل فان قيل الفاء يدل على الترتيب
من غير مهلة والتسوية قبل نفخ الروح والالهام بعد البلوغ فيختل انتظام الالهام المصدر
بالفاء بما قبله على تقدير ان يكون ما مصدرية قلنا التسوية تعديل الاعضاء والقوى
والادراكية وذلك انما يكون بعد البلوغ بحكم الشرع والالهام عبارة عن بيان كيفية
استعمالها في النجدين في هذا المحل وهذا البيان والتعريف لا يتراخى عن التسوية بذلك المعنى
نعم يزداد الالهام والبيان بحسب ازدياد القوى كيفية وذلك لا ينافي ترتيبه بلا مهلة
قوله والهام الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما وتعريف حالهما من احدهما حسن
والاخر قبيح والتمكين من اختيار ما شاء منهما وهو كقوله وهديناه النجدين
وهذا الوجه مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن جميع من اكابر المفسرين
ومطابق لمذهب المعتزلة حيث لم يفسر الهام الفجور والتقوى بايقاعهما في
القلب وخلقهما فيه وقيل المعنى انه تعالى الهم المؤمن المتقي تقواه والهم الكافر
فجوره قال سعيد بن جبير الزمها فجورها وتقويها وقال ابن زيد جعل فيها ذلك
بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور واختار الزجاج والواحدي
ذلك وهو صريح في انه تعالى خلق في المؤمن من تقواه وفي الكافر فجوره وقد ثبت
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ما يعمل الناس ويكدحون فيه شيء قضي عليهم
ومضى فيهم من قدر سبق وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى عز وجل ونفس وما سواها
وفي كليهما انت خير من زكيها انت وليها ومولاها وقد سبق ان الايات الثلث
ذكرت للدلالة على كونه تعالى مدبر الاجسام العلوية والسفلية البسيطة والمركبة فلم يبق

شئ مما في عالم المحسوسات الا وقد ثبت بمقتضى ذلك التنبيه انه واقع بتخليقه وتدبيره
وبعد ذلك لما اختلج في القلب ان افعال الحيوان الاختيارية هل هو بقضائه وقدره
وداخل تحت ايجاده وتصرفه فنبه سبحانه تع بقوله فالهمها فجورها وتقويها على
ذلك ايضا منه وبقضائه وقدره فح ثبت ان كل ما سوى الله تع فهو واقع بقضائه
وقدره وداخل تحت ايجاده وتصرفه **قوله** انماها بالعلم والعمل اى رفعها واظهرها
شهرها بالفضائل العلمية والعملية فان اصل الزكاة الزيادة والنمو ومنه زكى
الزرع اذا علا وكثر ريعه ومنه تزكية القاضى الشاهد لانه يرفع من قدره بالتعديل
فاهل الصلاح يظهرون انفسهم ويشهرونها بما يطلع من انواع طاعاتهم ومفاخرهم الخالصة
الى الملاء الاعلى وبملازمتهم مواضع الطاعات ومحافل الخيرات بخلاف اهل السفه فانهم
يخفون انفسهم ويدسونها في مواضع الخفية لانه لا يبوح عليهم سيما سعادة يشهرون
به بين عباد الله المقربين ويستعمل التزكية بمعنى التطهير ايضا وقد فسر الآية به
حيث قيل قد ادرك مطلوبه من زكى نفسه بان طهرها عن الذنوب بفعل الطاعات
ومجانبة المعصية **قوله** وهو جواب القسم لم يجعل قوله كذبت ثمود جوابا لان اقسام
الله تع انما يؤكد به الوعد والوعيد وهو ليس منهما بخلاف قوله قد افلح وقد خاب فان
الاول وعد لاهل التزكية بالظفر بكل خير والثاني وعيد لاضدادهم بالخسران وظهر
بذلك ان المقصود من هذه السورة الترغيب في الطاعات والتحذير من المعاصي **قوله**
واصل دسى دسس من التدسيس وهو الاخفاء ودسى مبالغة في دس اى اخفى قال تع
ام يدسه في التراب واجتماع الامثال لما اوجب الثقل قلبت السين الاخيرة ياء كما
في تقضى البازى وما ذكر المص في تفسير الهام الفجور والتقوى يدل على انه جعل المنوى
في زكيها ودسيها راجعا الى من واسند كل واحد من التزكية والتدسيس الى العبد لكونهما
قائمين به كما يقال حيي ومات وغيرهما الذكر مع انه لا مدخل له في ايجادهما وقيل المنوى
فيهما راجع الى الله تع والضمير المنصوب بعينهما راجع الى من وانث حملا على المعنى كانه قيل
افلحت نفس او فرقة زكاها الله وقد خاب من دسيها الله تع اى احملها واخفاها في
المعاصي عن سعيد بن جبير وعطاء وعكرمة ومقاتل والكلبي والمعنى قد افلحت وسعدت
نفس زكاها واصلحها وطهرها والمعنى وفقها للطاعة قال الواحدي فكانه تع اقسم على فلاح

فلاح من طهره وخسار من خذله لئلا يظن ان المرأ يتولى ذلك من غير قضاء سبق
وقيل وقد خاب من دسيها اى دس نفسه في جملة الصالحين وليس منهم **قوله**
بسبب طغيانهم اشارة الى ان الطغوى مصدر كالدعوى بمعنى الطغيان الا
ان الطغوى لما كان اشبه برؤس الآيات اختير على لفظ الطغيان وان كان اشهر
من الاول لعله ان الباء سببية ومفعول كذبت محذوف للعلم به والمعنى كذبت ثمود نبيها
صالحا عليه السلام بسبب طغيانها وتجاوزها الحد في الكفر ويحتمل ان يكون كذبت
منزلا منزلة اللازم فلا يقدر له مفعول على معنى انها فعلت التكذيب بطغيانها وهذا
هو القول المشهور وههنا قول آخر اشار اليه بقوله او بما اوعدت به فيكون الطغوى
اسما للعذاب الذى اهلكوا به والباء للتعدية ومتعلق بالتكذيب اى كذبت بعذابها اى
بالعذاب الذى اهلكوا به ولم يصدقوا رسولهم فيما انذرهم به من العذاب وعبر ذلك
العذاب بالطغيان للمبالغة في كونه مجاوزا عن القدر المعتاد فان الطغيان
في اللغة مجاوزة القدر وكان عذابهم صيحة مجاوزة للقدر المعتاد وجعلت نفس المجاوزة
للمبالغة او بتقدير ذى اى بعذابها ذى الطغوى كما عبر عنه بالطاغية في قوله تع
فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية وهي صفة بمعنى النسب اى بصيحة ذات طغيان
قال تع كذبت ثمود وعاد بالقارعة اى بالعذاب الذى حل بهم ثم قال واما ثمود
فاهلكوا بالطاغية فسمى ما اهلكوا به من العذاب طاغية بمعنى ذى طغيان
قوله واصله طغيان يعنى انه مصدر من المعتل اللام اليائى وهذا على لغة من يقول
طغيت طغيانا بالياء وههنا لغة اخرى وهي ان يقال طغوت طغوانا قالوا وفي
الطغوى على هذه اللغة اصلية وفي الصحاح الطغوان والطغيان واحد **قوله**
والتفرقة بين الاسم والصفة وذلك ان فعلى اذا كان من ذوات الياء وكانت اسما
قلبت ياؤه واوا وان كانت صفة بقيت الياء على حالها تفرقة بينهما تقول
في الصفة خزيا وصديا فان خزيا صفة بمعنى المستحيى من خزى الرجل اذا استحى
وريا من روى يروى وهو ريان وهي ريا وصديا من صدى يصدى اى عطش
فهو صديان وهي صديا مثل عطشان وعطشى وزنا ومعنى تقول في الاسم تقوى
في تقوى في اسم الاتقاء والانتظار من تقى الله تقيا خاف وتقيتها اى انتظرته

وابقاء الياء على حالها في الصفة اولى من ابقائها في الاسم لان الصفة اثقل من الاسم والياء اخف
من الواو وان قرئ بطغواها بضم الطاء يكون ايضا مصدرا كالرجعى والحسنى الا ان قلبت ياؤه
واوا حينئذ يكون مخالفا للقياس اذ القياس ابقاؤها على حالها كالسقيا **قوله** حين قام
اي حين قام ونهض اشقاهم لعقر الناقة امتثالا لامرهم بعثه اليه فان انبعث مطاوع
لبعث يقال بعث فلان على الامر فانبعث له وامتثل والمعنى كذبوا بنبيهم بسبب طغواهم
او كذبوا بذي طغواهم حين قام اشقاهم لعقر الناقة واختلف في الاشقى الذي هو عاقر
الناقة هل هو شخص معين او جماعة فمن ذهب الى الاول قال اسمه قدار بن سالف ويضرب
به المثل فيقال اشأم من قدار وجمع الاشقى الاولين ومن ذهب الى الثاني قال انما جاء الاشقى
بلفظ بناء على ان افعل التفضيل اذا اضيف يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث فتقول
هذان افضل الناس وهؤلاء افضلهم والقول الثاني يؤيده قوله تعالى فكذبوه فعقروها
وكان يجوز ان يقال انبعث اشقوها كما يقال افاضلهم ويؤيد الاول قوله تعالى
في سورة القمر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فانه يدل على ان المباشر واحد معين **قوله**
ومن والاه اي صاحبه وعاشره ملازمة من الدهر اي حينا وبرهة يقال اهلاك
الله حبيبك متعك به واعاشك معه زمانا طويلا وفي بعض النسخ ومن والاه اي
صادقه وهو من الولي بمعنى التصديق **قوله** لتوكلهم العقر فانهم لما باشروا العقر
وتعاونوا عليه كانوا اشد شقاوة من غيرهم وهم الذين بعثوا هؤلاء المباشرين
ورضوا بعقرهم فان درجة مجرد الرضا والبعث ادون من درجة المباشرة **قوله** اي
ذروا ناقة الله اشارة الى ان ناقة الله منصوب على التحذير وان لم يكن من الصور التي يجب
فيها حذف العامل وهي ان يذكر المحذر ثم يذكر بعده ما هو المحذور منه اما بواو العطف نحو
اياك والاسد او بمن ظاهرة نحو اياك من الاسد واياك ان تحذف او مقدرة نحو اياك
ان تحذف بتقدير من او يكون المحذر منه مكررا نحو الطريق الطريق والذي لا يكون على احد
هذه الصور فلا خلاف في انه لا يجب فيه حذف العامل والمعنى ذروا عقرها واحذروا سقياها
يعني شربها وهو نصيبها من الماء وقد تقدم ان تلك الناقة كان لها شرب يوم معلوم
ولهم شربهم يوم آخر وكانوا يستضرون بذلك في امر مواشيهم فهموا بعقرها ولما علم
صالح عليه السلام ما عزموا عليه قال لهم هي ناقة الله الدالة على وحدانية الله تعالى وكمال

قدرته وعلى نبوتي فاحذروا ان تمسوها بسوء واحذروا ايضا ان تمنعوها
من سقياها وان تستأثروا بها عليها وكان صالح عليه السلام يحذرهم حالا بعد حال
من عذاب ينزل بهم ان اقدموا على ذلك وكان هذا المعنى على هذا التفصيل والبيان متصورا
في نفوسهم ومعلوما لهم بما حذرهم مرة بعد اخرى فلذلك اقتصر في بعض مرات
التحذير على ان ناقة الله وسقياها لان هذه الاشارة كافية مع ما تقدم من البيان
ان الله تعالى بين ان القوم كذبوا نبيهم فيما حذرهم منه وهو نزول العذاب ان مسوها
بسوء وعقروها واسند الفعل الى الجمع لانه كان برضائهم ومعاونتهم ولم يمتنعوا
عن عقر الناقة وهو المراد بقوله فكذبوه فعقروها وقول المصنف فيما حذرهم منه
اشارة الى ان قوله ناقة الله وسقياها انشاء لا يحتمل التكذيب فالتكذيب يرجع
الى ما دل عليه الكلام فان معنى قوله اتركوا ناقة الله واحذروا انكم ان لم تتركوا
ولها تعذبون في هذه الاخبار المدلول عليه بفحوى الكلام يقال دمدمت الناقة
بالشحم اي صنيت واحيطت بحيث لم يبق منها شيء لم يمسها الشحم ثم كررت
الدال للمبالغة في الاحاطة **قوله** او ثمود بالاهلاك يعني ان ضمير سواها يحتمل ان
يعود باعتبار تاويله بالقبيلة كما عاد اليه ضمير بطغواها بذلك الاعتبار ويحتمل ان
يعود الى الدمدمة والعقوبة المذكورة معنى كما في قوله اعدلوا هو اقرب
للتقوى فقوله فدمدم عليهم وان بين احاطة العذاب بهم بحيث لم يتخلص
عنه احد منهم الا انه اكد هذا المعنى بقوله فسواها بينهم اي لم يتخلص عن ذلك
الدمدمة والاحاطة احد فان هلاكهم كان بصيحة جبرائيل عليه السلام وتلك الصيحة
اهلكتهم جميعا فاستوت على صغيرهم وكبيرهم **قوله** اي عاقبة الدمدمة او عاقبة
هلاك ثمود يعني ان ضمير عقباها ان ارجع الى الدمدمة يرجع اليها ضمير عقبيها الا
انه لا بد من تقدير ما يضاف اليه العقبى **قوله** فيبقى بعض الابقاء اي فيترحم بعض
الترحم الجوهري تقول ابقيت على فلان اذا ارعيت عليه ورحمته يقال لا ابقى الله عليك
ان ابقيت علي والاسم منه البقيا وكذلك البقوى بفتح الباء وقال ايضا يقول ارعيت
عليه اي ابقيت عليه وترحمته **قوله** والواو للحال فقوله ولا يخاف عقبيها في محل
النصب على انه حال من المنوي في فسواها الراجع الى الله تعالى ذكره اي فسواها غير خائف

عقبى ما صنع بهم من الاهلاك اى عاقبتها وتبعتها كما يخاف الملوك والولاة لانه تع
فعل ما فعل بهم بحق وحكمة وكل من كان فعله على مقتضى الحكمة فانه لا يخاف عاقبة فعله
وقيل نفى خوف العاقبة عنه تع كناية عن الانتقام فى مجازاتهم والمبالغة فى استيصالهم
لانه لا يلزم لعدم خوف عاقبة التعذيب وقد تحقق منهم الآن ما يوجب تعذيبهم وان
قرى فلا يخاف بالفاء يكون معطوفا على قوله فسويها ومتفرعا عليها **سورة والليل**
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** اى يغشى الشمس او النهار اى يغطيه ويستره
فان كان المفعول المقدر ليغشى احد الامرين كان عدم ذكره للعلم به فان قوله فى السورة
المتقدمة والليل اذا يغشاها يدل على ان المفعول المقدر ههنا هو الشمس وقوله تعالى
يغشى الليل النهار يدل على انه هو النهار وان كان كل ما يستره الليل بظلامه كان عدم
ذكره للتعميم **قوله** ظهر بزوال ظلمة الليل هذا المعنى على تقدير ان يكون المغشى النهار
او كل ما يستره الليل بظلامه **قوله** او تبين بطلوع الشمس وهذا على تقدير ان يكون
المغشى الشمس **قوله** والقادر الذى خلق مبنى على ان يكون كلمة ما عبارة عن صفة
العالم وانها لتوغلها فى الابهام افادت ان الوصف الذى استعملت هى فيه بالغ الى اقصى
درجات القوة والكمال بحيث كان مما لا يكتنه كنهه وانه لا سبيل للعقل الى ادراكه
بخصوصه وانما الممكن هو ادراكه بامر عام صادق وقيل ما مصدرية وخلق
الذكر والانثى **قوله** ان سعيكم لشتى اشارة الى وجه الاخبار عن السعى وهو مفرد
بشتى وهو جمع شتيت كمريض ومرضى وقتيل وقتلى وبيانه ان السعى مصدر والمصدر
جنس يشمل جميع افراده لا سيما قد اضيف الى الجمع فهو جمع فى المعنى فكان قيل ان مساعيكم
اى محال سعيكم بمعنى اعمالكم لشتى وهو جواب القسم اقسم الله تع بهذه الاشياء على
ان اعمال عباده لشتى اى مختلفة فى الجزاء فمنكم مثاب بالجنة على اعماله ومنكم معاقب
بالنار او مختلفة فى نفسها متباعد بعضها عن بعض لان بعضها ضلال وبعضها
هدى فمنكم مؤمن ومنكم كافر ومطيع وفاجر والشتيت المتباعد المتفرق وشتى الامر
شتا وشتاتا تفرق وامر شتت وشتيت اى متفرق وقيل للمختلف شتى لتباعد
ما بين بعضه وبعض ويقرب من هذه الآية قوله تع لا يستوى اصحاب النار واصحاب
الجنة **قوله** تع افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون وقوله ام حسب الذين

الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم
ومماتهم ساء ما يحكمون **قوله** تفصيل مبين لتشتت المساعى لتباعد الاعمال
بحسب تباعد اجزيتها المختلفة وعاقبتها المحمودة والمذمومة التى عبر عنها باليسرى
والعسرى **قوله** والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية اشارة الى عدم ذكر متعلقات
هذه الافعال للتعميم ليذهب ذهن السامع كل مذهب مما يصح تعلق الفعل به فمتعلق
الاعطاء جميع ما يتقرب بفعله واتيانه من العبادة القلبية والبدنية والمالية واعطاؤها
بذل النفس بها فى اتيانها وكذا متعلق الاتقاء جميع ما كان ملابسه محظورة معصية وكل
ذلك مما لم ينفع مع الكفر عقب بقوله وصدق بالحسنى اى بالكلمة الدالة على التوحيد والنبوة
وهو كقوله او اطعام فى يوم ذى مسغبة الى قوله ثم كان من الذين آمنوا **قوله** للخلة التى تؤدى
الى يسر اشارة الى ان تانيث اليسرى لتانيث موصوفها المحذوف وهو الخلة او الفعلة والخلة
بالفتح الخصلة وبالضم المودة والصداقة والاول انسب ههنا ومثل الخصلة اليسرى دخول
الجنة لانه يؤدى الى يسر وراحة والعسرى بدخول النار المتادية الى العسر والشدة
واشار الى تسمية احدى الخصلتين باليسرى واخريهما بالعسرى باعتبار مؤداهما
وعاقبتهما فان كل ما ادت عاقبته الى الراحة والامور المحمودة فكذلك اليسرى ودخول
كذلك وكلما ادى عاقبته الى التعب والردى فذلك العسرى كدخول النار فالمعنى من آمن
بالله تع واطاع فيما امر به ونهى عنه نجعله متهيئا لدخول الجنة وقيل دخول السين فى
قوله فسنيسره على سبيل ترفيق الكلام وتلطيفه وهو من الله تع قطع ويقين والظاهر
انه للدلالة على ان الجزاء الموعود بمقابلة الطاعة والمعصية يكون فى الآخرة التى هى امر متراخ
منتظر فادخلت السين وهى حرف التراخى ليدل بذلك على ان الوعد آجل غير حاضر **قوله** نفى
او استفهام انكار واذا كان ما نافية يكون مفعول يغنى محذوفا اى ليس يغنى عنه ماله شيئا
وان كانت استفهامية يكون فى محل النصب على انه مفعول يغنى اى اى شئ يغنى عنه ماله
بمعنى لا يغنى شيئا **قوله** هلك اى مات يقال ردى يردى ردى من باب علم اى هلك
واردأه غيره وتردى تفعل منه للمبالغة ويقال ايضا ردى فى البئر وتردى فيه اذا سقط
فيه او تردى من جبل ومنه المتردية ومعنى الآية اذا يسرناه لدخول النار وتردى فيها
فما يغنى عنه ماله الذى بخل به وتركه لوارثه ولم يصحبه شئ الى آخرته التى هى موضع فقره

وحاجته يعني ان ماله الذي ينتفع به الانسان هو ما قدمه من الاعمال البر واعطى الاموال في حقوقها
دون المال الذي يخلفه على ورثته ثم انه تع لما عرفهم ان سعيهم لشتى في العواقب وبين ما للمحسن
اليسرى وللمسيء من العسرى اخبرهم بانا خلقنا الخلق للعبادة وجب علينا بمقتضى
الحكمة ان نبين لهم وجوه التعبد ونشرح ما يكون التعبد به مطيعا مما يكون به عاصيا
اذ كنا انما خلقناهم لنفعهم ونرحمهم ونعرضهم للنعيم المقيم فقد فعلنا ما كان فعله واجبا
علينا في الحكمة وقضينا ما علينا من البيان والدلالة والترغيب والارشاد والهداية ودل عليه
قوله تع ان علينا للهدى ولما استدل المعتزلة بهذه الاية على انه يجب للعبد على الله شيء بناء
على ان كلمة على للوجوب اشار المص الى جوابه بقوله بموجب قضائنا او بمقتضى حكمتنا **قوله**
وان علينا طريقة الهدى على معنى ان من سلك الطريقة المبينة بالهدى والارشاد اليها فانه يصل
الينا ومن اراد الله فعليه قصد السبيل اي مستقيم يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم
فالهدى على الاول بمعنى الهداية والارشاد وعلى الثاني بمعنى الطريقة المبينة بالهدى سميت
باسم ما يبينها مجازا مرسلا **قوله** فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء فيكون قوله تع
وان لنا للاخرة والاولى في معرض التاكيد والتحقيق لقوله ان علينا للهدى ولما يلزمه
من الضمان بثواب الاهتداء في الاخرة فان من نتفرد بالملكية في الدارين يملك ارشاد
الانام الى الحق في الدنيا ويملك اثابتهم على الاهتداء في العقبى **قوله** او ثواب الهداية
للمهدي فيكون ذلك تتميما لقوله ان علينا للهدى على معنى ان علينا ان نهديه
في الاولى الى الحق وان نثيبه على اهتدائه في الاخرة وان سبقت الاية المذكورة ليتفرع
عليها **قوله** فلا يضرنا تركهم الاهتداء ويكون تعليلا لقوله ان علينا للهدى بمقدر
تقديره ان علينا ان نهديكم الى الطريق مستقيم ومن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن
اساء فعليها لا العود منفعة اهتداء ولا مضرة تركهم الاهتداء بهدانا علينا وان اهتدى كلكم
لا يزيد في ملكنا شيئا لان لنا للاخرة والاولى وبين ما قبله فالوجوه الثلثة لبيان وجه الارتباط
بين قوله وان لنا للاخرة والاولى وبين ما قبله لا لبيان معناه لانه معلوم **قوله** لا يلزمها
مقاسيا شدتها لما دل ظاهر قوله تع لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى على انه لا يدخل
النار الا الكافر وهذا الحصر يرده النصوص الدالة على وعيد العصاة واتفق حمل صلي النار
على لزومها وهو الخلود فيها مقاسيا شدتها وحرها بناء على ان لزومها هو كمال

كمال الصلي فيحمل عليه عند الاطلاق ولا شك ان الصلي بهذا المعنى مختص بالكافر وامر الفاسق
مفوض الى مشيئته الله تع فاما ان لا يدخلها ولكن لا يلزمها بل يخرج منها وجعل حمل صلي
النار على لزومها وسيلة الى دفع ما يتوهم من ان منطوق قوله تع لا يصليها الا الاشقى الذي
يخالف مفهوم قوله وسيجنبها الاتقى الذي فانه بمفهومه يدل على ان غير الاتقى
لا يجنبها بل يصليها او يدخلها ودخول عصاة المؤمنين النار يخالف الحصر
السابق فلما جعل صلي النار بمعنى لزومها كان منطوق الاول خلود الكافر فيها
ومفهوم الثاني دخول العصاة وهو لا يخالف الحصر الخلود في الكافر لان دخول
العصاة لا يستلزم خلودهم وسقوطهم **قوله** لقوله يتزكى استدل به على ان الايتاء
ليس المراد به صرف المال مطلقا بل صرفه في مصارف الخير فان التزكي سواء كان بمعنى التطهر
من الذنوب او بمعنى التزايد في الخير لا يكون الا بصرفه في مصارف الخير وان كان يتزكى
يتزكى بدلا من يؤتي لا يكون له محل من الاعراب لانه كان بدلا من صلة الذي كان داخلا
في حكم الصلة والصلة ○○○ لا محل لها من الاعراب لان الصلة بعض الاسم وبعض الاسم
لا محل له وان كان حالا من المنوي في يؤتي يكون المعنى يؤتيه متزكيا اي متطهرا من الذنوب
او متزايدا في الخير زاكيا رفيع القدر عند الله لا للرياء والسمعة **قوله** استثناء
منقطع ابتغاء المرضاة ليس من جنس النعمة التي تجازى عليها فهو منصوب على الاستثناء المنقطع
والا بمعنى لكن اي حين فعل ذلك ابتغاء وجه ربه اي لابتغاء وجهه ولطلب التوجه الى ربه
فهو الحقيقة مفعول له وما اوتي من المال مكافاة على نعم سالفة فذلك يجري مجرى
اداء الدين فلا يكون له دخل في استحقاق مزيد الثواب وانما يستحق الثواب اذا كان فعله
لاجل ان الله تع امر به وحث عليه **قوله** او متصل عن محذوف وتقدير الكلام لا يؤتي
ماله لامر من الامور الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فيكون المستثنى داخلا في المستثنى منه حقيقة
على هذا المعنى وانما بني الكلام على الحذف والتقدير مع انه خلاف الاصل لاقتضاء المعنى ذلك
فانه لما قال اولا يؤتي ماله متزكيا طالبا كثرة خيره عند الله او متطهرا من ذنوبه بناء
على ان الحسنات يذهبن السيئات ونفى بذلك كون الاتيان للسمعة والرياء ثم اتبع ذلك
بقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى فكانه قيل لا لمكافاة نعمة لاحد عنده ثم قال بعد ذلك الا
ابتغاء وجه ربه تبادر الى الذهن ان يكون المعنى لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه فيكون

ابتغاء وجه ربه مفعولا له في هذا المعنى فيكون هذه العلة مع المعلل المحذوف تأكيدا
وتقديرا للمفهوم من الكلام انه بق قوله حين اشترى بلالا في جماعة تولاهم المشركون
اي كانوا متولين على تعذيبهم على الايمان يعني ان العبد المؤمن من الذي اشترى ابو بكر
رضي الله عنه واعتقه ليخلصه عن ايذاء المشركين وتعذيبهم اياه على ايمانه ليس
بمنحصر في بلال بل جماعة هو بلال واحد منهم روي ان بلالا اسلم اي تغوط على الاصنام
وكان صادق الاسلام طاهر القلب فاطلع المشركون عليه فاخذوا يعذبونه في
الرمضاء اشد العذاب وهو يقول احد احد فمر ابو بكر رضي الله عنه ببلال و
سيده امية بن خلف يعذبه فقال اتعذب عبدا على الايمان فاشتراه فاعتقه ثم
اعتق معه على الاسلام قبل ان يهاجر ست رقاب وبلال سابعهم فلما اعتقه قال
المشركون ما اعتقه ابو بكر الا ليد كانت له عنده فنزلت وما لاحد عنده من نعمة
تجزى فوعد الله تع بان يرضيه في الآخرة بثوابه فقال ولسوف يرضى وهو كقوله
ولسوف يعطيك ربك فترضى

سورة والضحى مكية احدى عشر ايات

بسم الله الرحمن الرحيم قسم بالضحى اولا بوقت ارتفاع الشمس بقرينة عطف الوقت
عليه بقوله والليل وفسره في قوله والشمس وضحيها بضوء الشمس ونورها بقرينة اضافته
الضحى الى الشمس لان اضافة وقت ارتفاع الشمس اليها لا معنى له بخلاف اضافة المنور اليها وفسره
ثانيا بالنهار كله ولفظ الضحى مجاز في هذا المعنى من قبيل اطلاق اسم الجزء على الكل وقرينة المجاز
مقابلته بقوله والليل اذا سجى فان المراد الليل كله فناسب ذلك ان يراد بالضحى النهار كله وفسر
بالنهار كله في قوله تع افامن اهل القرى ان تأتيهم باسنا بياتا وهم نائمون او امن
اهل القرى ان يأتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون اي نهارا بوقوعه في مقابلة بياتا
اي بايتين داخلين الليل قوله سكن اهله اشارة الى ان الاسناد مجازي من قبيل اسناد
الفعل الى زمانه مثل صام نهاره وكذا الحال في اسناد سكون الظلمة الكائنة في الليل اليه يقال
ركد الشيء اي سكن وثبت وكل ثبت في مكان فهو راكد فيه فسكون الليل اما عبارة
عن سكون اهله او استقرار ظلامه وكونه بحيث لا يزداد بعد ذلك قوله وتقديم الليل في السورة
المتقدمة الخ يعني ان كل واحد منهما له اثر عظيم في صلاح العالم فاقسم به والليل فضيلة السبق
والاصالة لان النهار انما يحدث بطلوع النير وبغروبه يعود الهواء الى الحالة الاصلية

فلذلك

فلذلك قدم الظلمة في قوله وجعل الظلمات والنور كما ان للنهار فضيلة الشرف والاستنارة
فقدم هذا تارة وقدم الليل اخرى كالركوع والسجود في قوله اركعوا واسجدوا وقوله واسجدي
واركعي مع الراكعين فان قيل ما السبب في ذكر الضحى وهو ساعة من النهار وذكر الليل بكليته
اجيب عنه بانه اراد ان كل ساعة لكنه يوازي جميع الليل كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم يوازي
جميع الانبياء وبان النهار وقت السرور والراحة والليل وقت الوحشة والغم فهو اشارة
الى ان هموم الدنيا ادوم من سرورها فان الضحى ساعة والليل ساعات روي ان الله تع لما
خلق العرش اظلت غمامة سوداء عن يساره ونادت ماذا امطر فاجيب ان امطري
الهموم والاحزان مائة سنة ثم انكشف فامرت مرة اخرى بذلك وهكذا الى تمام
ثلثمائة سنة ثم ذلك اظلت عن يمين العرش غمامة بيضاء ونادت ماذا امطر فاجيب
ان امطري السرور ساعة فلهذا السبب ترى الغموم والاحزان دائمة والسرور قليلا
ونادرا قوله لتركه الاستثناء روي ان مشركي قريش ارسلوا الى يهود المدينة
وسئلوهم عن امر محمد صلى الله عليه وسلم قالت لهم اليهود سلوه عن اصحاب الكهف وعن
قصة ذي القرنين وعن الروح فان اخبركم بقصة اهل الكهف وعن قصة ذي القرنين
وعن الروح فان اخبركم بقصة اهل الكهف وعن قصة ذي القرنين ولم يخبركم على امر الروح
فاعلموا انه صادق فجاء المشركون وسألوه عنها فقال عليه السلام ارجعوا اليّ اخبركم
غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس عنه الوحي الى ان نزل جبرائيل عليه السلام بقوله ولا تقولن
لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فاخبره بما سئل عنه ونزل ايضا بقوله تع ما ودعك
ربك وما قلى روي ان عثمان بن عفان رضي الله عنه اهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عنقود عنب فجاء سائل فاعطيه ثم اشتراه عثمان بدرهم فقدم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثانيا ثم عاد السائل فاعطيه ففعل ذلك ثلثا فقال عليه السلام ملاطفا السائل لا غضبانا
عليه اسائل انت يا فلان ام تاجر فنزلت واما السائل فلا تنهر وروي ان خولة كانت
تخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان جروا دخل البيت فدخل تحت السرير فمات
فمكث اياما لا ينزل عليه الوحي فقال يا خولة ما حدث في بيتي ان جبرائيل لا ياتيني قالت
فهيأت البيت فكنست فاهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت فاخذته
فالقيته خلف الجدار فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ترتعد لحياه وكان اذا نزل عليه الوحي

استقبلته الرعدة فقال يا خولة دثريني فانزل الله جبرائيل بهذه السورة فلما نزل جبرائيل عم
سأله النبي عليه السلام عن سبب تاخيره فقال اما علمت انا لا ندخل بيتا فيه كلب وصورة
واختلفوا في قدر مدة انقطاع الوحي قال ابن جريج اثنى عشر يوما وقال الكلبي
خمسة عشر يوما وقال ابن عباس رضي الله عنهما خمسة وعشرين يوما وقال السدي ومقاتل
اربعين يوما فان قيل ما ذكر من الروايات يدل على ان احتباس الوحي كان عن قلى فما وجه
قوله تعالى وما قلى اجيب بان اقصى ما في الباب انه عم وقع منه ما هو ترك الافضل والاولى
فلا يصير عليه السلام بذلك ممقوتا ولا مبغوضا روي انه عليه السلام قال لجبرائيل عليه السلام ما جئتني حتى
اشتقت اليك فقال جبرائيل كنت اليك اشوق ولكني عبد مامور وتلا وما نتنزل
الا بامر ربك قرأ الجمهور بتشديد الدال من ودعك على انه من التوديع واصله
عند الرحيل اي ما قطعك عنك وحيه قطع التارك لك وانما اخر لحكمة والتوديع
اصله الودع وهو الترك وبناء التفعيل للمبالغة فيه لان من ودعك مفارقا فقد
بالغ في تركك وقرئ ما ودعك بتخفيف الدال وهو قليل الاستعمال فانهم اماتوا ماضي
يدع ويذر قال المبرد ولا يكادون يقولون ودع ولا وذر لثقل الواو في اول الكلمة
واستغنوا عنهما بترك وقد استعملوا مضارعهما لعدم الثقل كانه لما بين انه تع لا يزال
يواصله بالوحي والكرامة ذكر في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها امرين الاول انه
لما نزل قوله تع ما ودعك ربك وما قلى وكان ذلك في معنى ان ربك لا يزال يواصلك
بالوحي وانواع الكرامة في الدنيا وحصل له عم بهذا تشريف عظيم فكانه استعظم هذا
التشريف فقيل له وللآخرة خير لك من الاولى اي هذا التشريف وان كان عظيما الا ان
ما لك عند الله في الآخرة خير واعظم والثاني ان يكون المعنى لا تظن ان ربك ودعك
وتركك فلهذا قطع عنك وحيه اياما بل كل حال تاتي عليك فيما بعد من الازمنة
والايام فانها خير لك من احوال الماضية فان من جملة احوالك انه احتبس عنك الوحي
مدة بعد تواتره وتعاقبه فقال الاعداء فيك ما قالوا وقد تناهى ردهم مؤكدا بالقسم
ما ودعك ربك وما قلى ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه الكرامة والموعود خير
لك مما كان قبل من تواتر الوحي وتعاقبه فالآخرة في هذا الوجه ليست هي الآخرة
المتعارفة المتقابلة للدنيا كما في الوجه الاول بل هي بمعنى الحالة الآتية كانه تع وعده

وعده بانه سنزيد كل يوم عزا الى عز وشرفا وجلالا وخيرا مما كان في اليوم اف بق
وقيل في وجه اتصاله بما قبله ان انقطاع الوحي لا يجوز ان يكون مبنيا على انه تع تركه وعزله
عن النبوة غاية ما في الباب ان انقطاع الوحي يدل على الموت بناء على حصول
الاستغناء عن الرسالة ويكون ذلك امارة الموت لكن الموت خير لك فان ما لك عند الله
في الآخرة افضل مما لك في الدنيا واللام في قوله وللآخرة خير لك من الاولى لام
الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة وكذا في قوله تع ولسوف يعطيك ربك الا ان لام الابتداء
لا تدخل على الجملة الاسمية فلا بد من تقدير مبتدأ اي ولانت سوف يعطيك وليست بلام
جواب القسم لان لام القسم لا تدخل على المضارع الا مع نون التاكيد هكذا قال الزمخشري
قوله لا تدخل على المضارع الا مع نون قد استثنى منه النحاة صورتين احديهما ان لا يفصل بينها
وبين الفعل حرف التنفيس في هذه الآية كقولك والله لسأعطيك والثانية ان لا يفصل بينهما
بمعمول الفعل كما في قوله تع لالى الله تحشرون فاذن يجوز ان يكون كلا اللامين لام جواب القسم
بان اقسم الله تع على اربعة اشياء اثنان منفيان وهما توديعه وقلاه واثنان مثبتان
مؤكدان وهما كون الآخرة خيرا له من الدنيا وانه سوف يعطيه ربه ما يرضيه قيل على الزمخشري
كيف يكون اللام لام الابتداء ولام الابتداء اذا دخلت على المضارع تخلصه للحال وهنا لا يمكن
ذلك لاجل حرف التنفيس واجيب بانه نص في مريم ان اللام قد تخلع منها دلالتها على الحال
وتكون مجردة للتاكيد واقول كيف يصح ان يقال ان اللام هنا داخلة على المضارع وقد ذكر ان
تقدير الآية لانت سوف يعطيك قوله وعدا شاملا والشمول مستفاد من حذف المفعول
المفعول الثاني لاعطيت قوله جمع مع سوف فان لام الابتداء لما تجردت للدلالة على التاكيد
وكانت السين تدل على التاخير والتنفيس حصل من اجتماعهما ان العطاء المتاخر لحكمة كائن
لا محالة وكانت اللام لتاكيد الحكم المقترن بالاستقبال قوله ويجدك من الوجود بمعنى العلم
اي الم يعلمك الله يتيما فآوى اي جعل لك مأوى تاوي اليه يقال آوى فلان الى منزله
ياوي اويا على فعول وآويته انا ايواء والمأوى كل مكان ياوي اليه شيء ليلا او نهارا كقوله
الله عز وجل حين كنت ضعيفا غضا ما تركناك بل ربيناك ورزقناك الى حيث صرت
مشرفا على شرفات العرش وقلنا لك لولاك لما خلقت الافلاك اتظن انا بعد هذه
الحالة نهجرك ونتركك وكان يتيما ان اباه عبد الله بن المطلب توفي وام رسول الله صلى الله عليه وسلم

حامل به ثم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مع جده عبد المطلب ومع امه امينة فهلكت امه
امينة وهو ابن ست سنين ثم مات جده بعد امه بسنتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم
ابن ثماني سنين ولما اشرف جده عبد المطلب على الموت اوصى به عليه السلام ابا
طالب لان عبد الله وابا طالب كانا من ام واحدة فكان ابو طالب هو الذي يكفل
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده الى بعثه الله للنبوة فقام بنصره مدة مديدة ثم
توفي ابو طالب بعد ذلك فلم يظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم يتم البتة فذكره الله
هذه النعم. قوله عن علم الحكم والاحكام اى وجدك غافلا عن معالم النبوة واحكام
الشريعة فهداك اليها كقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وقوله وان كنت
من قبله لمن الغافلين روي انه عم خرج مع عمه ابي طالب في قافلة
ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ناقة ذات ليلة ظلماء وهو نائم فجاء ابليس
فاخذ بزمام الناقة فعدل به عن الطريق فجاء جبرائيل عليه السلام فنفخ ابليس
نفخة وقع منها الى الحبش وقيل الى ارض الهند ثم رده الى القافلة يقال عال العيل
عيلة وعيولا اى افتقر واعال الرجل اذا كثر عياله اى من ينفق عليهم قيل العائل
ذو العيال ثم اطلق على الفقير وان لم يكن به عيال والمشهور ان المراد بالعائل هنا
الفقير ويؤيده ما وجد في مصحف عبد الله ووجدك عديما فاغناك لما حصل
لك من ربح تجارة سفر الشام مع ميسرة وبمال خديجة وبتربية ابي طالب
وبمال ابي بكر ثم امره بالجهاد فاغناه بالغنائم سورة الم نشرح مكية ثمان ايات
بسم الله الرحمن الرحيم الشرح التوسع والفسحة السعة ومكان فسيح اى واسع
وفسح له في المجلس اى وسع له وتفسحوا في المجالس اى توسعوا قوله فكان
غائبا حاضرا متفرع على انشراح صدره المطهر صلى الله عليه وسلم فانه عليه السلام لما توسع صدره
ما كان متمحضا لمناجاة مولاه متجردا عما سواه كان حاضرا في بساط قربه مستيقظا
لما اوحي اليه من ربه وغائبا عنه من حيث تصديه لدعوة الخلق وتكميل القاصرين
وافاضتهم ما استفاده من عالم القدس فكان بلوغه عليه السلام الى الغاية القصوى
في كل واحد من مقامي الاستفاضة والافاضة نتيجة انشراح صدره لتحمل ما يتعلق
بالنبوة في الجهتين وعلى قوله الم نفسح وبما اودعنا فيه اه يكون انشراحه
نتيجة

نتيجة استكماله بعلوم النبوة بان يكون انشراح الصدر كناية عن كثرة ما حصل فيه وتضييقه
كناية عن قلته بل خلوه عنه وكذا على قوله او بما يسر لك تلقي الوحي بعد ما كان يشق
عليك فان توسيع الصدر يكون بتيسير تلقي الوحي وزوال عسره فان صدره عم
كان يضيق عن تلقي الوحي حتى تاخذه ويستولي عليه العرق عند نزول الوحي ويقول زملوني
ودثروني فشرح الله صدره بتيسير ذلك عليه قوله وقيل انه عليه السلام قوله الم نشرح لك
صدرك اشارة الى ان ما روى ان جبرائيل عم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صباه
حين كان عند حليمة في السنة التي اعادته فيها الى عبد المطلب وشق صدره واخرج قلبه
وغسله وانقاه مما فيه من الدم الاسود ثم جاء بطشت من ذهب قد ملئ علما وايمانا
فوضعه في صدره قوله او يوم الميثاق الظاهر ان المراد بيوم الميثاق ليلة المعراج
فانها ليلة اوحى الله تع فيها الى عبده ما اوحى ووصاه بما شاء ويؤيده ما روي ان
هذا حين جاء بالبراق ليلة المعراج والقاضي عبد الجبار طعن في هذه الرواية من وجوه
احدها ان الرواية ان هذه الواقعة انما وقعت في حال صغره وذلك من المعجزات
فلا يجوز ان يتقدم نبوته وثانيها ان تاثير الغسل في ازالة الاجسام والاخلاق والمعاصي
ليست من قبيل الاجسام فلا يؤثر الغسل فيها انه لا يصح ان يملأ القلب علما بل الله تع
يخلق فيه العلوم والجواب عن الاول فتقديم المعجزة على زمان البعثة جائز عندنا
وذلك هو المسمى بالارهاص ومثله في حق الرسول عليه السلام صلى الله عليه وسلم كثير
واما الثاني والثالث فلا يبعد ان يكون حصول ذلك الدم الاسود الذي غسلوه من قلب
الرسول عليه السلام علامة لميل القلب الى المعاصي واحجامه عن الطاعات فاذا ازالوه عنه كان
علامة لمواظبة صاحبه على الطاعات واحترازه عن الشهوات المنبعثة عن توجه
الطبيعة اليها فكان لكون تجرد الملائكة عن القوى النفسانية والطبيعة علامة
دالة على عصمتهم وايضا فان الله تع يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد كذا في التفسير
الكبير والمص اشار الى جواب عن طعن القاضي في هذه الرواية بما حاصله ان
المراد من المروي ليس ظاهره بل هو رمز الى تفسيح الصدر وتفسيحه فقال العقل
اى ولعل ما روي اشارة الى نحو ما سبق من تفسيح الصدر قوله مبالغة في
اثباته وجه المبالغة ان الانكار في معنى النفي ونفي النفي اثبات فكان المعنى قد شرحنا

لك صدرك واثبات الشرح بنفي انتفائه اثبات له بدليل فكانه ابلغ من اثبات ابتداء
قوله ولذلك عطف عليه قوله ووضعنا اي ولاجل ان معنى ألم نشرح قد شرحنا عطف
عليه ووضعنا لانه بهذا الاعتبار يكون عطف الجملة الخبرية على مثلها والعبء بالكسر
الحمل ووصف الحمل بانه انقض ظهره فاوهنه حتى سمع له نقيض اي صوت ونقيض الرحل
صريره عند تداعي اجزائه الى الانفكاك ووضع حطه وعفوه فهو كقوله تع ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيكون الوزر استعارة والوضع ترشيحا لها شبه
ما وقع منه قبل البعثة من فرطاته الواقعة سهوا او خطأ ومن ترك الافضل
باثبات الفاضل بدله بالعبء الثقيل فاطلق عليه اسم المشبه به وهو الوزر ثم قرن
بما يلايم المستعار منه وهو الوضع والحط لا يقال قوله تع الذي انقض ظهرك
يدل على عظم الذنب فكيف تحمل على ترك الافضل والاولى سهوا وخطأ قلنا
زلات الانبياء وصفت بهذا الثقل مع كونها ادنى درجة من الصغائر التي ارتكبتها
الامة لشدة اهتمامهم بها وندمهم فيها وتحسرهم عليها فان جبلتهم بورود العتاب
عليهم في ذلك يثقلها عليهم بهذا الدرجة ويورد عليهم هذه المشقة قوله او جهله
بالحكم والاحكام عطف على قوله ما ثقل عليه ولعله اراد بالحكم العلم المتعلق بتهذيب
الاخلاق وتحلية النفس بالفضائل السنية وتخليتها عن الرذائل الدنية وفي التلويح
الحكمة هي العلم النافع المعبر عنه بمعرفة النفس ما لها وما عليها المشار اليه بقوله تع
ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا او بالاحكام العلم المتعلق باصلاح الاعمال
والمعاملات الذي يتوقف عليه حسن المعاشرة بين الانام ويدور عليهم حسن
انتظام احوالهم ووضع هذا الجهل عنه بان علمه ما لم يكن يعلم قوله او حيرته اي
المراد من الوزر والثقل الحيرة التي كانت له قبل البعثة وذلك انه عم كان ينظر
بكمال عقله الى عظم نعم الله عليه حيث اخرجه من العدم الى الوجود واعطاه
الحيوة والعقل وانواع النعيم فيثقل نعم الله فكانه ينقض ظهره من الحياء
لانه عم يرى ان نعم الله عليه لا ينقطع وما كان يعرف انه كيف يطيع ربه
فلما جائه النبوة والتكاليف وعرف انه كيف ينبغي له ان يطيع ربه فرح فزال حياؤه
وسهلت عليه تلك الاحوال فان اللئيم اذا اسبغ عليه النعم المتظاهرة لا يستحي

الحبوة نخ

من عدم

من عدم مقابلتها بالخدمة بخلاف الانسان الكريم النفس فانه اذا كثر الانعام عليه وهو
لا يقابلها بنوع من انواع الخدمة فانه يثقل عليه ذلك جدا بحيث يمنه الحياء
فاذا كلفه المنعم بنوع خدمة سهل ذلك عليه فطاب قلبه قوله او تلقي الوحي
اي او المراد من الوزر ما اصابه من الهيبة والفزع في اول ملاقاة جبرائيل حين
اخذته الرعدة وكاد يرمي نفسه من الجبل من شدة الفزع ثم انه تع وضع عنه هذه
الهيبة والفزع وقوى قلبه حتى الفه وصار بحاله كاد يرمي نفسه من الجبل لشدة
اشتياقه اليه قوله او من اصرارهم وتعذيبهم في ايذائه وكان ذلك يثقل عليه جدا في
الاوائل حتى كاد ينقض ظهره وتأخذه الرعدة من ذلك ثم قواه الله تع حتى صار
بحيث كانوا يدمونه في وجهه وهو يقول اللهم اهد قومي قوله فلا تيأس من روح الله
اذا عراك ما يغمك اشارة الى وجه ارتباط هذه الآية بما قبلها فانه تع لما ذكر نبيه صلى الله
عليه وسلم ما فعل به في بدء امره من شرح صدره ووضع وزره ورفع ذكره فانه في بدء
امره كان غير عالم بشيء مما يعلمه الان فوسع صدره بما اودع فيه من الحكم وكان عليه
من الاوزار ما ثقل عليها فوضعها عنه وكان خامل الذكر فرفع ذكره اتبع ذلك بقوله
فان مع العسر يسرا اي نفعل على ذلك باقي الاحوال ونفعل بك في كل حال من الاحوال
العسيرة لها انجلاء وانكشاف كما ان كل [illegible] يليه ربيع واعتدال فلا تيأس
من روح الله مع اذا عراك ما يغمك فقوله تع فان مع العسر يسرا من قبيل تفريع
الحكم على الدليل في صورة الاستدلال بالجزئي على الكلي كما ترى الانسان والفرس والغنم
كلها يحرك فكه الاسفل عند المضغ فاعلم بذلك ان كل حيوان يفعل كذلك قوله والمعنى
بما في ان مع من المصاحبة المبالغة في معاقبة اليسر للعسر يعني انهما متضادان لا يجتمعان
فلا بد من توجيه كلمة مع في هذا المقام قوله تكرير للتأكيد او استيناف يعني ان الجملة
الثانية وهي قوله ان مع العسر يسرا يحتمل ان يكون تكريرا للاولى كقوله ويل يومئذ
للمكذبين فيكون الغرض من تكريرها تقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب وكما
تكرر المفرد في مثل جائني زيد زيد لذلك ويحتمل ان يكون الجملة الثانية عدة مستأنفة
بان العسر مشفوع بيسر آخر وذلك ان الاسم اذا ذكر معرفا ثم اعيد ذكره معرفا كان الثاني
هو الاول فيكون العسر واحدا مع كونه مذكورا مرتين وذلك العسر اما العسر المعهود الذي كانوا

مشفوع سا

فيه جنس العسر الذي يعلمه كل واحد والنكرة اذا اعيدت مع الالف واللام كان الثاني عين
الاول ايضا كما في قوله تع كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول واذا اعيدت
منكرة لا يلزم ان يكون الثاني عين الاول وبيان الثاني ههنا منكر فيحتمل ان يكون
عين الاول والحال ان العسر الثاني ايضا هو الاول فيكون قوله تعالى ان مع العسر يسرا
تكرارا للاول تاكيدا له وان يكون الثاني كلاما مستانفا مفيدا لان يكون مع عسر واحد
يسرين والاستيناف ارجح كما علم من فضل التاسيس على التاكيد وكلام الله تع
محمول على ابلغ الاحتمالين وافخامهما والمقام التسلية والتنفيس فالحمل عليه اولى
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال يقول الله تع خلقت عسرا واحدا وخلقت يسرين
فلن يغلب عسر يسرين وقرأ هذه الآية ووجه تعلق قوله تع فاذا فرغت فانصب
بما قبله انه تع لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده بالنعم الآتية لا جرم بعثه على الشكر
والاجتهاد في العبادة قال الحسن في تفسيرها اذا كنت صحيحا فانصب يعني
اجعل فراغك نصبا في العبادة ويدل عليه ما روي ان شريحا مر برجلين
يتصارعان فقال ليس الفارغ بهذا انما قال الله فاذا فرغت فانصب وبالجملة
امر الله تع ان يواصل بين بعض العبادات وبعض وبان لا يخلي وقتا من اوقاته
منها فاذا فرغ من عبادة اتبعها باخرى **سورة التين مكية وثمان آية** بسم الله الرحمن الرحيم
وقيل المراد بهما جبلان لا نفس هاتين الثمرتين قال ابن عباس رضي الله عنهما هما
جبلان من الارض المقدسة لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين
والزيتون وقال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس
ولما كانت هذه المساجد في هذه المواضع التي يكثر فيها التين والزيتون لا جرم اكتفى بذكر
التين والزيتون وقيل المراد من التين والزيتون بلدان فقال كعب التين
دمشق والزيتون بيت المقدس وقيل التين الكوفة والزيتون الشام سينين
وسينا اسمان للبقعة التي حصل فيها الجبل المسمى بالطور وهو الجبل الذي كلم الله تع
موسى عم اضيف ذلك الجبل الى البقعة التي حصل هو فيها اي جبل الموضع المسمى
بسينين **قوله** من امن الرجل امانة فهو امين وامانته ان يحفظ من دخله كما يحفظ
الامين ما يؤتمن عليه وقيل من حيث ان الله تع حفظه من الفيل واصحابه والتقويم

تصيير الشيء على ما ينبغي ان يكون عليه في التاليف والتعديل يقال قومه
تقويما فاستقام وذكر في حسن تقويمه انه تع خلق كل ذي روح منكبا على وجهه الا
الانسان فانه تع خلقه مديد القامة يتناول ماكوله بيده وقيل انه تع خلقه في اكمل عقل
وفهم وادب وعلم وبيان والحاصل ان القول الاول راجع الى الصورة الظاهرة
والثاني الى السيرة الباطنة وعن يحيى بن اكثم القاضي انه فسر التقويم بحسن الصورة
فانه حكي ان ملك زمانه خلا بزوجته في ليلة مقمرة فقال لها ان لم تكوني احسن من القمر
فانت كذا فافتى الكل بالحنث فقال خالفت شيوخك فقال الفتوى بالعلم ولقد
افتى من هو اعلم منا وهو الله تع قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وكان بعض
الصالحين يقول الهنا اعطيتنا في الاولى احسن الاشكال فاعطنا في الاخرة
احسن الفعال وهو العفو عن الذنوب والتجاوز عن العيوب وقيل كان عيسى بن موسى
الهاشمي يحب زوجته حبا شديدا فقال لها يوما انت طالق ثلثا ان لم تكوني احسن
من القمر فنهضت واحتجبت عنه وقالت طلقتني وبات بليلة عظيمة فلما اصبح
غدا فذهب الى دار المنصور فاخبره الخبر واظهر له جزعا عظيما فاستحضر المنصور فقهاء
زمانه فاستفتى منهم فقال جميع من حضر قد طلقت الا رجلا من اصحاب ابي حنيفة
فانه كان ساكتا فقال له المنصور ما لك لا تتكلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم والتين
والزيتون الى قوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم قال يا امير المؤمنين فا
فالانسان احسن الاشياء ولا شيء احسن منه فقال المنصور لعيسى بن موسى الامر كما قال
الرجل فاقبل على زوجتك وارسل الى زوجته ان اطيعي زوجك ولا تعصيه
فما طلقك كذا في تفسير القرطبي **قوله** ونظير سائر الممكنات اي وبان خص
باجتماعه مثال ممكن بان مقابلة الجمع بالجمع يقتضي انقسام الاحاد الى الاحاد
فلذلك قالت الفلاسفة انه العالم الاصغر اذ كل ما في المخلوقات حاصل فيه **قوله**
بان جعلناه من اهل النار يعني ان قوله ثم رددناه الخ كناية عن جعله من اهل النار
لان اقبح الصور صورة اهل النار وقوله اسفل حال من الضمير المنصوب في رددناه
والمعنى ثم كان عاقبة امره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة ان رددناه اي

صرفناه عن طريقه في حسن صورته حال كونه اسفل من سفل خلقا وتركيبا واقبح من
قبح صورة وخلقة وهم اصحاب النار قوله او الى اسفل سافلين وهو النار على ان يكون
اسفل صفة مكان محذوف اي الى مكان هو اسفل امكنة السافلين عن مجاهد ثم رددناه
الى النار اسفل السافلين وعلى الوجهين الاستثناء في قوله الا الذين امنوا متصل
والمستثنى منه الضمير المنصوب في قوله ثم رددناه لانه في معنى الجمع لرجوعه الى الانسان المراد
به الجنس وقيل هو اسفل سافلين ارذل العمر على معنى ثم رددناه بعد ذلك التقويم
والتحسين اسفل من سفل في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فتقوس
ظهره وضعف بصره وسمعه فالآية على هذا نظير قوله ثم يرد الى ارذل العمر وحاصل
المعنى على الاول ان الكفار تتغير صورهم في النار وعلى الثاني تتغير صورهم
بالشيخوخة والهرم ويكون الاستثناء على الثاني منقطعا لانه لم يخرج بالا احد
من المذكورين قبله من الحكم الذي اثبت لهم بل اثبت للواقع بعد الا حكم لم يثبت
للواقع قبله قيل فيكون الا بمعنى لكن والذين امنوا وعملوا الصالحات مبتدأ وقوله اجر
خبره ودخول الفاء لتضمن الاسم معنى الشرط والفاء على الوجه الاول للتعليل اي لا يغير صورهم
في النار لانهم مثابون في الجنة قوله فاي شيء يكذبك فيما اخبرت به من البعث والجزاء
بعد ظهور هذه الدلائل الدالة على كمال القدرة فان من خلق الانسان السوي من الماء
المهين وحسن ظاهره وباطنه باحسن تقويم ودرجه في مراتب الزيادة الى ان استكمل
واستوى ثم نكسه الى ان يبلغ الى ارذل العمر لا شك انه قادر على البعث والحساب والجزاء
بل كونه احكم الحاكمين يقتضي ذلك فانه ان كان خلقها لا لحكمة كان ذلك عبثا وهو لا يجوز
من الحكيم وان خلقها لحكمة عائدة اليه تعالى يلزم كونه مستكملا بغيره تعالى عن ذلك علوا
كبيرا فتعين انه تعالى خلق الانسان لحكمة عائدة اليهم وتلك الحكمة لا تظهر في الدنيا
لانها دار ابتلاء وامتحان لا دار الراحة والجزاء فثبت انه لابد بعد هذه الدار من دار اخرى
وبعد هذه الحيوة من نشأة اخرى يثاب الانسان فيها باحسن ما كانوا يعملون فالقول
بوجود الاله الكريم القادر يوجب على العاقل ان يقطع بالبعث والجزاء كما مر غير مرة
قوله فالمعنى فما الذي يحملك على هذا الكذب ايها الانسان المصر على انكار الحشر فان من

فلهم

كان من اخبر عن الواقع بانه لا يقع فهو كاذب في انكاره واخباره والاستفهام للتوبيخ
الانسان الكاذب بسبب تكذيبه بالبعث والجزاء قوله تحقيق لما سبق من
انه خلق الانسان ثم رده الى ارذل العمر يقول الله تعالى أليس الذي فعل ذلك باحكم الحاكمين
صنعا وتدبيرا اي الحكمة في ذلك بابلغ اتقانا للامور من كل متقن لها على ان الحكم هو المتقن
للامور ويلزمه كونه تام القدرة كامل العلم ومن هذا شانه كيف يستبعد منه البعث
والجزاء او المعنى أليس الله باقضى القاضين يحكم بينك وبين من يكذبك بالحق والعدل
يقال حكم بينهم اي قضى فالآية وعيد للمكذبين سورة العلق ايها تسع عشر بسم الله الرحمن الرحيم
زعم اكثر المفسرين ان هذه السورة اول ما نزل من القرآن واول ما نزل منها خمس آيات من
اولها الى قوله ما لم يعلم وقال الآخرون الفاتحة اول ما نزل ثم سورة القلم وقيل اول ما نزل
يا ايها المدثر قوله اي اقرأ القرآن مفتتحا باسمه او مستعينا به اشارة الى ان مفعول
اقرأ محذوف وهو القرآن للعلم به اذ القراءة في عرف الشرع لا يستعمل الا فيه وان محل
قوله باسم ربك النصب على الحال والتقدير اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك او مبتدئا
به اي قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرأ فالآية على هذا التوجيه تدل على انه يجب قراءة
التسمية في ابتداء كل سورة كما انزل الله تعالى وامر به وهذه حجة للامام الشافعي رحمه الله
في جهره بالتسمية في اول كل سورة مع ما جاء من الاحاديث المروية في هذا الباب وان قدر
ان المعنى اقرأ القرآن مستعينا باسم ربك فكانه تعالى امره ان يجعل الاسم آلة فيما يحاوله من
الدين والدنيا كما في قولك كتبت بالقلم وتحقيقه انه عم لما قال له اقرأ قال له لست بقارئ
فقال اقرأ باسم ربك واتخذه آلة في تحصيل هذا الذي عسر عليك قوله الذي خلق وجه عدم
ذكر مفعول لخلق اولا بوجوه ثلثة الاول ان ينزل خلق منزلة اللازم فلا يقدر له مفعول
بناء على ان المقصود بيان انفراده بالخلق وانه لا خالق سواه فاقتصر على المقصود ولم يتعرض
لبيان متعلق الخلق فالمعنى الذي حصل منه الخلق وتفرد به لا خالق سواه والثاني ان
يقدر له مفعول ويكون بيانه بتعلقه بمفعوله مقصودا الا انه حذف قصدا للتعميم فانه عم
لما كان خالق كل شيء لم يكن بعض المخلوقات اولى بتقديره من بعض فقدر له مفعول
عام اي الذي خلق كل شيء وقوله خلق الانسان من علق بعد ما بين انه خلق كل شيء
تخصيص للانسان بالذكر بعد التعميم اظهارا لشرفه وان فيه لغاية شرفه صار كانه حقيقة

منفردة خارجة عن عداد ما سبق وذلك كتخصيص جبرائيل بالذكر بعد ذكر الملائكة. والرسول
عليه السلام ولان المقصود من توصيف الرب تعالى بالخالقية تعليل الامر بالقراءة الذي هو
في معنى الامر بالعبادة فان قوله اقرأ في معنى اعبد ربك وتوصيفه بقوله الذي خلق للايماء
الى ان كونه خالق الاشياء يقتضي ان يعبد ويعظم ويدل على وجوب ذلك الانسان لما كان اشرف
مصنوعاته واظهرها صنعا وتدبيرا كان خلقه تعالى اياه ادل على وجوب العبادة فلذلك
افرده بالذكر بعد التعميم **قوله** صنعا بمعنى انه اكثر اظهارا لصنع خالقه وتدبيره والقياس
ان لا يبنى افعل التفضيل من مزيد الثلاثة الا بزيادة اشد واكثر ولعله انما ارتكب ذلك
اختصارا في اللفظ مع ظهور المراد والثالث ان يقدر له مفعول خاص ابتداء الا انه ابهم
اولا ثم فسره ثانيا بقوله خلق الانسان **قوله** جمعه لان الانسان في معنى الجمع والعلق جمع
علقة كتمر وتمرة وهي الدم الجامد واذا جرى فهو المسفوح ومقابلة الجمع بالجمع
يقتضي انقسام الاحاد الى الاحاد فافاد انه تعالى خلق كل واحد منهم من علقة
قوله ولما كان اتفق المتكلمون على ان اول الواجبات معرفة الله تعالى او النظر في معرفته تعالى
او القصد الى ذلك النظر على اختلاف المشهور فيما بينهم ثم ان الحكيم سبحانه لما اراد ان يبعث
رسولا الى المشركين وقال له اقرأ باسم ربك الذي لا شريك له لابوا ان يقبلوا ذلك منه
لكنه تعالى قدم في ذلك مقدمة تلجئهم الى الاعتراف به حيث امر رسوله ان يقول لهم انهم هم
الذين خلقوا من العلقة ولا يمكنهم انكاره ثم ان يقول لهم فلا بد للفعل من فاعل فلا يمكنهم
ان يضيفوا ذلك الفعل الى الاوثان لعلمهم بانهم نحتوه فبهذا التدريج يقرون بانه
انا المستحق للثناء دون الاوثان لان الالهية موقوفة على الخالقية ومن لم يخلق شيئا
كيف يكون الها مستحقا للعبادة وهذه الطريقة كما يحكى ان زفر لما بعثه ابو حنيفة
رحمه الله الى البصرة لتقرير مذهبه فيهم فوصل اليهم وذكر ابو حنيفة رحمه الله منعوه
ولم يلتفتوا اليه فرجع الى ابي حنيفة واخبره فقال له ابو حنيفة انك لم تعرف طريق
التبليغ ولكن ارجع اليهم واذكر في المسئلة اقاويل ائمتهم ثم بين ضعفها ثم قل
بعد ذلك ههنا قول آخر فاذكر قولي وحجتي واذا تمكن ذلك في قلبهم فقل هذا قول
ابي حنيفة رحمه الله فانهم حينئذ يستحيون فلا يردون **قوله** تكرير للمبالغة يعني
ان اقرأ الثاني تكرير للامر بالقراءة تأكيدا او مبالغة في الامر بها فيتم الكلام عند اقرأ الثاني

تفضيلها لخلق الانسان ح

اقرأ الثاني ويكون ما بعده كلاما مستأنفا بان يكون وربك مبتدأ والاكرم صفته والذي
مع صلته خبره وقوله علم الانسان ما لم يعلم بدل من قوله علم بالقلم لكونه بيانا له والاول **قوله**
مطلق القراءة سواء كانت على طريق التعلم من جبرائيل عليه السلام او على طريق تكرارها
لنفسه طلبا للثواب والثاني اقرأ الثاني امرا بان يقرأ للتبليغ وتعليم الامة او بان يقرأ في الصلوة
قوله ولعله لما قيل اشارة الى جواز ان يكون اقرأ الثاني جوابا لقوله عليه السلام ما انا بقارئ
على معنى اقرأ ايها الخائف وربك الاكرم يعلمك القراءة وان لم تكن قارئا **قوله** بل هو الكريم وحده
على الحقيقة. قال الامام الرازي الكرم افادة ما ينبغي لا لغرض فمن يهب السكين ممن يقتل
به نفسه فهو ليس بكريم ومن اعطى ثم طلب عوضا فهو ليس بكريم وليس يجب ان يكون
العوض عينا بل المدح والثواب والتخلص عن المذمة كله عوض وقال الامام الغزالي قدس سره
الكريم هو الذي اذا قدر عفى واذا وعد وفى واذا اعطى زاد على منتهى الرجاء
ولا يبالي كم اعطى ولا يمن واذا رفعت حاجة الى غيره لا يرضى واذا جفي عاتب
وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجأ ويغنيه عن الوسائل والشفعاء فمن اجتمع
له جميع ذلك لا بالتكلف فهو الكريم المطلق وذلك هو الله تعالى وحده ومن كان على اضداد
هذه الصفات فهو اللئيم المطلق انتهى كلامه وذكر المصنف في بيان الاكرمية انه لا ينعم
بما انعم به الا لمحض الكرم بخلاف غيره فانه يطلب به نفعا اما مدحا او ثوابا او التخلص
عن المذمة وايضا انه يحلم ويعفو وقت الجناية ولا ينقص بها شيئا من احسانه
الذي احسن به قبلها بل يزيد في احسانه بعد الجناية كما قيل **قوله** متى زدت
تقصيرا تزدني تفضلا كأني بالتقصير استوجب الفضلاء **قوله** ليقيد به العلوم
ولم يعلم البعيد بيان لوجه كرمه الزائد في تعليم الكتابة بالقلم فان المسوق له الكلام
اظهار كمال الكرم وهو تعليم علم الخط والكتابة ومزيد الفضل والاحسان على نوع الانسان
والامتنان عليه بافاضة ما هو من اشرف انواع كرمه واحسانه عليه وهو تعليم علم الخط
والكتابة بالقلم ولذلك قيل العلم صيد والكتابة قيد وقيل صاحب الحفظ مغرور
وصاحب القيد مسرور يعني ان من اعتمد على حفظه اغتر حيث ينسى ما حفظه
ومن قيد وكتب فهو يجد ما كتبه بعد النسيان فيكون مسرورا بذلك ولولا القلم
وان كان لا ينطق الا انه يسمع الشرق والغرب وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم

ولا ضبطت اخبار اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة
ولولاهي لما استقامت امور الدين والدنيا ذكر الله تعالى نفسه اولا باسم الرب ورتب
عليه خلقه الانسان من العلقة تنبيها على ان الايجاد والاحياء والاقدار والترزيق من
باب الكرم والتربية ثم ذكره بانه الرب الاكرم ورتب عليه تعليم الانسان الخط
بالقلم وتعليم ايضا غير ذلك مما لم يعلم الانسان تنبيها على ان الاكرمية انما يكون
باعطاء اجل المواهب واعز المطالب وهو التكرم بافادة الفوائد العلمية وما يؤدي
الى تقييدها وضبطها وفيه تشريف بليغ لجميع انواع العلم فانه لو كان في جملة المطالب
ما هو اشرف منه لكان ذكره اولى في مقام بيان اكرميته مع مناسبة بحسب الظاهر بين
ان وصف الله تعالى نفسه بانه الذي خلق الانسان من علق وبانه الذي علم بالقلم لكنه
في الحقيقة في غاية الحسن والانتظام وذلك لانه تعالى بين اول احوال الانسان وهو كونه علقة
وهي اخس الاشياء وآخر امره وهو صيرورته عالما بحقايق الاشياء قادرا متمكنا على
ضبط تلك العلوم وتقييدها وعلى تعليمها وتبليغها الى اهل البلدان البعيدة وهو امتنان
عظيم بنقله من اخس الاحوال الى اعز المراتب واشرفها الى انه كان في بدء حاله ذليلا
مهينا فاقتضى كرم الربوبية الارتقاء ذروة العز والشرف بفضله ولطفه
قوله وان دل اولا الى ما يدل على معرفته عقلا فان قوله باسم ربك الذي خلق خلق
الانسان من علق يدل دلالة عقلية بصفات كماله من وجوب وجوده وكمال قدرته
وعلمه وحكمته وقوله الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم اشارة الى الاحكام التي
تتلقى من الدليل السمعي ومنها معرفة صانع العالم بصفات كماله ونعوت جماله
وجلاله قيل من اول السورة الى هنا هو اول ما نزل عليه واوحي اليه عم ثم نزل الباقي
السورة بعد ذلك بزمان في ابي جهل لعنه الله تعالى وضم بوضعه في هذا الموضع لان
تاليف آيات السورة انما كان بامر الله تعالى وبيان النبي ان قوله تعالى واتقوا
يوما ترجعون فيه الى الله آخر ما نزل عند [illegible] ثم هو مضموم الى ما نزل قبله
بزمان طويل وقيل المراد من الانسان المذكور في هذه الآية جنس الانسان وجملته والقول
الاول وان كان اظهر بحسب الروايات الا ان هذا القول اقرب بحسب الظاهر لانه تعالى
بين ان الله تعالى خلقه من علقة وانعم عليه بما ذكره من النعيم ثم اذا اغنيناه وزدناه

وزدناه في النعمة عليه فانه يطغى ويتجاوز الحد في المعاصي واتباع الهوى النفس وذلك
وعيد وزجر له عن هذه الطريقة ثم انه تعالى اكد هذا الزجر بقوله ان الى ربك الرجعى
وتحقيق الكلام في هذه الآية ان الله تعالى لما ذكر في اوائل السورة في دلائل الظاهرة
على التوحيد والقدرة والحكمة بحيث يبعد من العاقل ان لا يطلع عليها ولا يقف
على حقايقها اتبعها بما هو السبب الاصلي في الغفلة عنها وهو حب الدنيا والاشتغال
بالمال والجاه والترفه بالحظوظ العاجلة فانه لا سبب لعمى القلب في الحقيقة الا
ذلك والمص اختار هذا القول الثاني حيث قال كلا ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى
لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه فان الكلام السابق دل على انه تعالى خلق
الانسان من العلق ثم علم ما لم يعلم فرفعه من حضيض الخسة الى يفاع العلم
والمعرفة وكذا الكلام اللاحق وهو التعلل بقوله ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى
فيقدر بعد قوله ما لم يعلم ما يصح ان يكون كلا ردعا له كانه قيل خلقنا الانسان من
علق وعلمناه ما لم يعلم ليشكر تلك النعمة الجليلة فطغى وكفر كلا ان الانسان ليطغى
ان رآه استغنى اي بما ينبغي للانسان ان ينعم الله عليه بخلقه وتعليمه ثم هو يطغى
اي يفرط في المعصية واتباع هوى النفس لان رأى نفسه قد كثر ماله
واستغنى به عن غيره قال الكلبي ليرتفع عن منزلة الى منزلة في اللباس والطعام
وغيرهما وقال مقاتل نزلت في ابي جهل كان اذا اصاب مالا زاد في ثيابه ومركبه
وطعامه فذلك طغيانه قال الاخفش معنى قوله ان رآه استغنى لان رآه استغنى
فحذف اللام كما يقال انكم لتطغون ان رأيتم غناكم ومحله النصب على انه
مفعول له وقيل معناه استغنى بماله عن ربه واول هذه السورة يدل على مدح
العلم وآخرها على مذمة المال وكفى ذلك مرغبا في الدين والعلم ومنفرا عن
الدنيا والمال قوله اجنحة وهي اجنحة الملائكة ابصر اللعين الاجنحة ولم يبصر
اصحابها فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لو دنى مني لاختطفته الملائكة
عضوا عضوا والقصة ان اللعين قال هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم
قال لو رأيته الخ والعفر بالتحريك التراب وتعفير الوجه كناية عن السجود
على الارض وكان ابو جهل يكنى في الجاهلية بابي الحكم لانهم يزعمون انه عالم ذو حكمة

٧ منه

ثم سمع اباجهل في الاسلام ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح فانه لو قيل ارايت
الذي ينهى عبداً كان الكلام قاصراً في الدلالة على تقبيح النهي لان نهي العبد
عن تعظيم مولاه اقبح من نهي فرد من افراد الانسان من الصلوات وتنكير لفظ
العبد يدل على كونه كاملاً في العبودية فنهيه اقبح من نهي عبد ما اي عبد كان
كانه قيل ينهى اكمل الخلق في العبودية عن عبادة ربه قوله والشرطية مفعول الثاني
جعل ارايت من رؤية القلب المقتضية للمفعولين وجعل قوله الذي ينهى مفعوله
الاول وجعل الشرطية الاولى مفعوله الثاني وهي قوله ان كان على الهدى او امر
بالتقوى مع جوابه المحذوف وهو قوله الم يعلم بان الله يرى ويطلع على ما يزعمه
من انه على هدى في نهيه عن طاعة الله وعبادته او امر بالتقوى فيما يأمر به
من عبادة الاوثان وحذف جواب الشرط الاول اكتفاء عنه بجواب الشرط الثاني لان
الشرط الثاني وهو قوله ان كذب وتولى مقابل للشرط الاول وهو قوله ان كان على الهدى
او امر بالتقوى فاذا اجيب الشرط الثاني بقوله الم يعلم بان الله يرى احواله
علم من ذلك ان جواب الشرط الاول من هذا القبيل ايضا وجاز ان يكون الجملة
الاستفهامية وهي قوله الم يعلم ان جواب الشرط كما جاز في قولك ان اكرمتك
اتكرمني وان احسن اليك فلان هل تحسن اليه وجعل ارايت الثانية تكرارا للاول
لاجل التاكيد وكذا ارايت الثالث وصور المعنى بقوله والمعنى اخبرني عمن ينهى
بعض عباد الله الخ وحاصله ان نظم التنزيل من قبيل الكلام المنصف وارخاء العنان
حيث هضم من حق اهل الحق بان عبر عنه بقوله عبداً ولم يقل نبياً مجتبى صفوة
خلق الله بعد وقال المص في تفسير ينهى بعض عباد الله وادخل حرف الشرط في الشرطية
الاولى لارخاء العنان صورة للقطع بان ذلك الناهي ليس من الهدى والامر بالتقوى
في شيء وهو في الحقيقة تهكم به ضرورة انه ليس في النهي عن عبادة الله والامر بعبادة
الاصنام على هدى البتة فعلى هذا يجب ان يكون الخطاب في قوله ارايت لكل من يصلح
ان يكون مخاطبا ممن له ملة او للانسان على الالتفات كما في قوله ان الى ربك الرجعى وهذا
اولى للنبي عليه السلام ولا للكافر الناهي لقوله اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله فان
الناهي والمنهي خارجان عن موارد الخطاب فكانه يجعل المخبر حاكماً بين اهل الحق

اهل الحق واهل الباطل ويهضم من قدر اهل الحق فيقول يا ايها الحاكم اخبرني عمن ينهى
بعض عباد الله عن طاعته وعبادته ويزعم انه على الحق في ذلك النهي وآمر بالتقوى
والمعروف بامره بعبادة الاوثان واخبرني ايضا عما يقول نحن ان ذلك الآمر الناهي
كائن على التكذيب للحق والتعجيل والتولي عن الدين الصحيح فما علمك في ذلك الم يعلم
بان الله يراه ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك فيكون
قوله الم يعلم الخ وعيداً لذلك الناهي قوله وقيل المعنى ارايت الذي الخ يعني ان ارايت
كلمة تعجب عجب الله عباده من ابي جهل في منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثلثة
اوجه الاول انه ينهى عبداً من طاعة ربه والثاني ان المنهي عن الصلوة مع
مهتد بصلوته وتعظيم ربه امر غيره بتقوى الله بفعله والثالث ان الناهي
عن الصلوة مكذب بالحق متول عنه غير قابل به واشار المص الى ان المعنى على
التعجب بقوله فما اعجب من ذا فعل هذا اخبر ينهى وكذب وتولى للكافر الناهي
وضمير كان وامر للعبد المنهي وكذا على الوجه الثالث واما على الوجه الاول
فالضماير كلها للكافر الناهي قوله ولعل ذكر الامر بالتقوى في التعجب والتوبيخ
يعني انه تعرض للامر بالتقوى بعد ارايت الثانية اذا لم يكن ارايت الثانية تكريراً
للاول بل كان للتعجب كما في الوجه الثاني او للتوبيخ كما في الوجه الثالث بناء على ان
التعجب والتوبيخ بمجموع الامرين اتم واقوى من التعجب باحدهما ولم يتعرض له على الوجه الاول
بعد ارايت الاول مع ان الكافر كما ينهى عن الصلوة ينهى عن الامر بالتقوى
ايضا وان التعجب بمجموع الامرين والوعيد عليهما اتم فينبغي ان يتعرض لهما في النهي
ايضا فلم لم يفعل كذلك وهذا السؤال لا يتوجه على الوجه الاول وهو ان يكون ارايت
الثانية تكريراً للاول لان الضماير ح يكون للكافر الناهي ويكون مجموع الكلام مرتبطاً
لارايت الاول فيكفي التعريض للامر بالتقوى مرة واجاب المص عن هذا السؤال
اولا بان صلوته عم وعبادته في حق نفسه ودعوة بالفعل الى عبادة الله وامر
بالتقوى بالنظر الى غيره فان كل من يراه وهو في الصلوة كان يرق قلبه فيميل
الى الايمان والطاعة فكان فعل الصلوة دعوة وامراً بالتقوى بلسان الفعل وهي
اقوى من الدعوة بلسان القول فعلى هذا يكون النهي عن الصلوة نهياً عنها

وعن الامر بالتقوى فاختصر على ذكر الصلوة لحصول المقصود به واجاب عنه ثانياً
بانه لم يقل ينهى عبداً عن الصلوة فقط حتى يتوجه ان يقال انه كما ينهى عن الصلوة
ينهى عن الامر بالتقوى ايضا فلم اقتصر على ذكر الصلوة بل قال ينهى عبداً اذا صلى
وهو يتناول نهيه عنهما معاً فليس في الكلام اقتصار على ذكر النهي عن الصلوة
فقط وعدم ذكر المفعول الغير الصريح لينهى يدل على ارادة العموم اى ينهى
عن عامة افعاله المنحصرة في تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة وهذه الآية
وان نزلت في حق ابي جهل لكن كل من نهى عن طاعة الله تع فهو شريك الى ابي
جهل في هذا الوعيد ولا يلزم عليه المنع من الصلوة في دار المغصوبة والاوقات
المكروهة لان المنهي عنه غير الصلوة وهو المعصية فان عدم مشروعية الوصف
المقارن وكونه مستحقا لان ينهى عنه لا ينافي مشروعية اصل الصلوة الا انه لشدة
الاتصال بينهما بحيث يكون النهي عن الوصف موهماً للنهي عن الاصل احتاط
فيه بعض الاكابر حيث روي عن علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه انه راى في المصلى اقواماً
يصلون قبل صلوة العيد فقال ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك
فقيل له الا تنهاهم فقال اني اخشى ان ادخل تحت وعيد قوله تعالى ارايت الذي
ينهى عبداً اذا صلى فلم يصرح بالنهي عن الصلوة احتياطاً واخذ ابو حنيفة رحمه الله
هذا الادب الجميل حين قال له ابو يوسف ايقول المصلي حين يقول المصلي حين
يرفع رأسه من الركوع اللهم اغفر لي قال ربنا لك الحمد ويسجد ولم يصرح
بالنهي **قوله** لنسحبنه بها الى النار وذلك في الآخرة ويحتمل ان يكون المراد
من هذا السفع سحبه على وجهه في الدنيا يوم بدر فيكون اشارة بانه تعالى يمكن
للمسلمين من ناصيته حتى يجرونه على وجهه اذا عاد الى النهي فلما عاد مكنهم الله تع
من ناصيته يوم بدر **روي** انه لما نزلت سورة الرحمن علم القرآن قال عليه السلام
من يقرأها على رؤساء قريش فتثاقلوا فقام ابن مسعود رضي الله عنه فقال انا
فاجلسه عم ثم قال ثانيا من يقرأها عليهم فلم يقم الا ابن مسعود رضي الله عنه ثم قال
ثالثا الى ان اذن له وكان عم يبقي عليه لما كان يعلم من ضعفه وصغر جثته ثم
انه وصل اليهم فرآهم مجتمعين حول الكعبة فافتتح قراءة السورة فقام ابو جهل

يقم نا

ابو جهل فلطم وانشق اذنه وادماه فانصرف وعينه تدمع فلما راه النبي
صلى الله عليه وسلم رق قلبه واطرق رأسه مغموماً فاذا جبرائيل عم يجيء ضاحكاً
مستبشراً فقال يا جبرائيل تضحك وتبكي ابن مسعود فقال ستعلم فلما ظفر
المسلمون يوم بدر التمس ابن مسعود ان يكون له حظ في الجهاد فقال عليه السلام خذ
رمحك والتمس في الجرحى من كان به رمق فاقتله فانك تنال ثواب المجاهدين
فاخذ يطالع القتلى فاذن ابو جهل مصروع يخور فخاف ان يكون به قوة فوضع
الرمح على منخره من بعيد فطعنه فلعل هذا قوله تع سنسمه على الخرطوم
ثم لما عرف عجزه لم يقدر ان يصعد على صدره لضعفه فارتقى عليه بحيلة
فلما راه ابو جهل يا رويعي الغنم لقد ارتقيت امتر مرتقا صعباً
فقال ابن مسعود الاسلام يعلو ولا يعلى عليه فقال ابو جهل بلغ صاحبك لم يكن
احد ابغض الي منه في حال مماتي فروي انه عم لما سمع ذلك قال فرعوني
اشد من فرعون موسى فانه قال آمنت وهو قد زاد عتواً ثم قال لابن مسعود
اقطع بسيفي هذا لانه احد واقطع فلما قطع رأسه لم يقدر على حمله فشق
اذنه وجعل الخيط فيه وجعل يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبرائيل عم
بين يديه يضحك ويقول يا محمد اذن باذن لكن الرأس ههنا مع الاذن
ولعل الحكيم سبحانه وتعالى انما خلقه ضعيفا حتى لم يقو على حمل الرأس المقطوع
لوجوه احدها انه كلب والكلب يجر ولا يحمل والثاني ليشق الاذن فيقتص
الاذن بالاذن والثالث ليحقق الوعيد المذكور بقوله لنسفعاً بالناصية فيجر
تلك الرأس على مقدمها فهذا ما **روي** في مقتل ابي جهل اورده ههنا معنى لا لفظاً
ليتضح تفسير قوله لنسفعاً بالناصية والناصية شعر الجبهة وقد يسمى
مكان الشعر ناصية ثم انه تع كنى بها ههنا عن الوجه والرأس ولعل السبب
في تخصيص السفع بها ان اللعين كان شديد الاهتمام بترجيل الناصية وتطييبها
واللام في لئن لم ينته لام توطئة القسم والقسم بعده مضمر اى لئن لم ينته
والله لنسفعن والجمهور على تخفيف هذه والوقف عليها بالالف لانفتاح ما قبلها
ما قبلها تشبيها لها بالتنوين المنصوب وقد كتبت في مصحف عثمان رضي الله عنه بالالف

على حكم الوقف وقرئ لنسفعن بالالف مكان النون اي يقول الله تعالى انا الذي
اتولى اهانته يا محمد نظيره هو الذي ايدك واللام في قوله بالناصية بدل من الاضافة
اي لنسفعا بناصيته اكتفى بلام العهد عنها للعلم بان المراد ناصية المذكور وكانه
تعالى يقول بالناصية المعروفة عندكم ذاتها لكنها المجهولة عندكم صفاتها وهي انها
ناصية كاذبة قولا خاطئة فعلا ووصفت الناصية بالكذب لانه كان كاذبا على الله
في انه لم يرسل محمدا او كاذبا على رسوله في انه ساحر وليس برسول ووصفها بانها خاطئة
لان صاحبها متمرد على الله تعالى ولا خطأ اعظم منه وقوله تعالى ناصية بدل من الناصية
وجاز ابدالها من المعرفة وهي نكرة لانها وصفت بقوله كاذبة على معنى كاذبة صاحبها
فصح بذلك جعلها بدلا مقصودا بالنسبة والنكرة الغير الموصوفة لا تبدل من المعرفة
لانه لا يصح جعلها بالنسبة وجعل المعرفة في حكم السقوط **قوله** اي اهل ناديه تقدير
المضاف لان نفس المجلس والمكان لا يدعى **قوله** يتندى فيه القوم يجتمع ومنه
دار الندوة بمكة وكانوا يجتمعون فيها للتشاور ولا يسمى المكان ناديا حتى
يكون فيه اهله **قوله** وهو في الاصل الشرط وهو جمع شرطة بالسكون والحركة
وهم خيار الجند واول كتيبة تحضر الحرب وفي الصحاح الشرط بالتحريك
العلامة واشراط الساعة علاماتها واشتراطه من ابله وغنمه اذا اعد منها شيئا
للبيع واشترط فلان نفسه لامر كذا اي اعلمها واعدها له ومنه سمي الشرط
لانهم جعلوا لانفسهم علامة يعرف بها الواحد شرطي وشرطي وقيل سموا شرطا
لانهم اعدوا انتهى **قوله** او زبني على النسب اي على انه بناء للنسبة الى الزبن
وهو الدفع وجمع على زباني ثم غير هذا اللفظ الى زبانية بان عوضت تاء
التأنيث من احدى اليائين بعد حذفها كالاشاعثة في جمع اشعثي والمهالبة
جمع مهلبي الا ان التعويض في زبانية ظاهر وفي الاشاعثة معنوي وبالجملة
فالمراد بالزبانية ملائكة العذاب وهم الملائكة الغلاظ الشداد وقال مقاتل هم خزنة
جهنم ارجلهم في الارض ورؤسهم في السماء سموا زبانية لانهم يزبنون الكفار
اي يدفعونهم في جهنم وقيل في الآية قولان الاول انه فليفعل ما ذكره من دعوة
اهل ناديه وانصاره استعانة بهم في مناصاة محمد صلى الله عليه وسلم فانه لو فعل

لو فعل ذلك فنحن ندعو الزبانية الذي لا طاقة لاهل ناديه وقومه بهم قال ابن عباس رضي الله عنهما
لو دعا ناديه لاخذته الزبانية من ساعته عيانا وقيل هو اخبار بان الزبانية يجرونه في الآخرة
الى النار والقول الثاني ان في الآية تقديما وتأخيرا اي لنسفعا بالناصية وسندعو الزبانية
في الآخرة فليدع هو ناديه فليمنعوه وحذف الواو من سندع في الامام اتباعا للخط باللفظ
فان الواو لما سقطت في اللفظ لاجتماع الساكنين سقطت في الخط ايضا اتباعا وكلمة
ما في قوله عليه السلام اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد مصدرية واقرب مبتدأ حذف
خبره ويكون من كان التامة اي اقرب وجود العبد الى ربه حاصل وقت سجوده
فانه قد تقرر في النحو انه يجب حذف خبر المبتدأ اذا كان افعل التفضيل مضافا الى المصدر
المذكور بعده الحال والظرف مثل اكثر شربي السويق ملتوتا واخطب ما يكون
الامير قائما والظرف في معنى الحال وورد الحديث لتأييد ان المراد بقوله واقترب
واتبع قرب المنزلة من ربك وقيل المعنى واسجد يا محمد واقترب يا ابا جهل حتى
تبصر ما ينالك من اخذ الزبانية اياك **سورة القدر** بسم الله الرحمن الرحيم
قوله شهادة له بالنباهة اي بالشهرة في رفعة القدر وكمال الشرف التي تقوم
مقام تصريح باسمه في ارجاع الضمير اليه يقال شيء نبه ونبيه اي مشهور ونبه الرجل
بالضم نباهة اي شرف واشتهر **قوله** وانزاله فيها جواب عما يقال القرآن لم ينزل
جملة في وقت واحد بل انزل منجما مفرقا في زمان ممتد بين اوله واخره ثلث وعشرون
سنة فما وجه قوله انا انزلناه في ليلة كذا واجاب عنه بثلاثة اوجه الاول ان المراد ابتدأنا
بانزاله على طريق التنجيم والتفصيل في ليلة القدر بناء على ان البعثة كانت في رمضان
والثاني ان السؤال انما يرد ان لو كان المراد انزاله الى الارض والى الرسول صلى الله عليه وسلم
فانه الذي كان منجما في ثلث وعشرين سنة وليس المراد ذلك بل المراد ما روي عن ابن
عباس ان جبرائيل عليه السلام نزل به جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا
واملاه جبرائيل على السفرة ثم كان جبرائيل عليه السلام ينزله على النبي عليه السلام منجما مفرقا على حسب
المصالح والسفرة جمع سافر بمعنى كاتب من السفر وهو الكتابة والسفرة الكرام البررة
هم الملائكة في السماء الدنيا والثالث ان السؤال انما يرد ان لو كان ليلة القدر ظرفا
للانزال على معنى ان الانزال وقع في ذلك الزمان المعين وليس كذلك بل المعنى انا انزلناه

في فضل ليلة القدر وبيان شرفها وقدرها وهذا المعنى لا ينافي كون الانزال مفرقا
في ثلث وعشرين سنة فان قيل ينبغي ان يقال على الوجه الثاني انزلناه الى السماء الدنيا
لان الاطلاق يوهم الانزال الى الارض والى الرسول صلى الله عليه وسلم قلنا لا ضير لان انزاله
الى السماء بمنزلة انزاله الى الارض من حيث انه تعالى اذا شرع في امر يتمه لا محالة
ومن حيث ان السماء الدنيا كالمشترك بيننا وبين الملائكة السفرة فهي لهم مسكن
ولنا سقف وزينة فانزال القرآن هناك كانزاله هنا **قوله** وهي في اوتار
العشر الاخير من رمضان الجمهور على انها باقية متكررة في كل سنة مختصة برمضان
لقوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن مع قوله انا انزلناه في ليلة القدر فانهما
يستلزمان ان يكون ليلة القدر في رمضان والا يلزم التناقض ثم اختلفوا في تعينها
على ثمانية اقوال فقيل هي الليلة الاولى من رمضان وقيل هي الليلة السابعة عشر منه
وقيل التاسعة عشر منه وقيل الحادية والعشرون وقيل الثالثة والعشرون
وقيل الرابعة والعشرون وقيل الخامسة والعشرون وقال ابي ابن كعب وجماعة
من الصحابة السابعة والعشرون وقيل التاسعة والعشرون والذي عليه معظم العلماء
انها ليلة السابع والعشرون وذكروا فيه امارات ضعيفة احدها حديث ابن
عباس رضي الله عنه ان السورة ثلثون كلمة وقوله هي السابعة والعشرون
منها ومنها ما نقل ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ليلة القدر تسعة
احرف وهو مذكور في هذه السورة ثلث مرات فيكون السابعة والعشرون
ومنه انه كان لعثمان بن ابي العاص غلام فقال يا مولاي ان البحر يعذب
ماؤه ليلة من الشهر قال اذا كانت تلك الليلة فاعلمني فاذا هي السابعة والعشرون
من رمضان **روي** عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في ليلة القدر
من اماراتها انها ليلة بلجة سمحة لا باردة ولا حارة تطلع صبيحتها ليس لها
شعاع يقال بلجت نفسي اي اطمأنت فقوله لا باردة ولا حارة بيان
لما قبلها قال عبيدة بن عمر كنت في ليلة السابعة والعشرون في البحر فاخذت
من مائه عذبا سلسا ومن قال انها هي الليلة الاخيرة من رمضان استدل بقوله
عليه السلام ان الله تعالى في كل ليلة من شهر رمضان عند الافطار اعتق الله تعالى الف

فوجدته

الف

الف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا العذاب فاذا كان آخر ليلة من شهر رمضان اعتق الله تعالى
في ذلك اليوم بعدد من اعتق من اول الشهر الى آخره ولان ليلة الاولى كمن ولد له ذكر فهي
ليلة الشكر والليلة الاخيرة ليلة الفراق كمن مات له ولد فهي ليلة صبر وقد علمت فرق ما
بين الشكر والصبر فان الشاكر مع المزيد لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم والصابر
مع الله تعالى لقوله تعالى ان الله مع الصابرين **قوله** والداعي الى اخفائها ان يحيي من يريدها
ليالي كثيرة كما اخفى رضاه في الطاعات حتى يرغبوا في الكل واخفى غضبه في المعاصي
ليحترزوا عن الكل واخفى وليه فيما بين الناس حتى يعظموا الكل واخفى المستجاب
من الدعوات ليدعوه بكلها واخفى الاسم الاعظم ليعظموا كل الاسماء واخفى الصلوة
الوسطى ليحافظوا على كل الصلوة واخفى وقت الموت ليكون المكلف على احتياط في
جميع الاوقات **قوله** وتسميتها بذلك لشرفها على ان القدر بمعنى المنزلة والشرف
نقل عن الزهري انه قال ليلة القدر بمعنى ليلة العظمة والشرف من قولهم لفلان قدر عند فلان
اي منزلة وشرف ويدل على هذا الوجه قوله ليلة القدر خير من الف شهر ثم ان القدر والشرف
يحتمل ان يرجع الى العامل فيها على معنى ان من اتى فيها بالطاعات صار ذا قدر وشرف
ويحتمل ان يرجع الى نفس العمل على معنى ان الطاعة الواقعة في تلك الليلة لها قدر وشرف
زائد **قوله** او لتقدير الامور فيها عن الواحدي ان القدر في اللغة بمعنى التقدير وهو جعل
الشيء على مقدار غيره من غير زيادة ولا نقصان وقال سميت بها لانها ليلة تقدير الامور
والاحكام عن ابن عباس رضي الله عنه ان الله تعالى قدر فيها كل ما يكون في تلك السنة من مطر
ورزق واحياء واماتة الى مثل هذه الليلة من السنة الآتية ويسلم الى مدبرات الامور
من الملائكة وهم اسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبرائيل عليهم السلام ونظيره قوله تعالى فيها
يفرق كل امر حكيم **واعلم** ان تقدير الله تعالى لا يحدث في تلك الليلة فانه تعالى قدر المقادير
قبل ان يخلق السموات والارض بل المراد اظهار تلك المقادير للملائكة في تلك الليلة بان
يكتبها في اللوح المحفوظ وهذا القول اختيار عامة العلماء وعن ابي بكر الوراق سميت
ليلة القدر لانه نزل فيها كتاب ذو قدر على رسول ملك ذي قدر على امة لها قدر ولعله تعالى
انما ذكر لفظ القدر في هذه السورة ثلث مرات لهذا السبب وقال الخليل سميت ليلة القدر
اي ليلة الضيق لان الارض تضيق فيها بالملائكة فالقدر بمعنى الضيق كما في قوله تعالى

القدر

ثلث مرات سحم

ومن قدر عليه رزقه **قوله** وذكر الالف اما للتكثير فان العرب تذكر الالف ولا تريد
حقيقتها وانما تريد المبالغة في الكثرة كما في قوله تعالى يود احدهم لو يعمر الف سنة
بمعنى جميع الدهر او لما روي عن مجاهد انه قال كان في بني اسرائيل رجل يقوم الليل حتى
يصبح ثم يجاهد حتى يمسي فعل ذلك الف شهر فتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمون من ذلك فانزل الله تعالى هذه السورة لنبيه ان ليلة القدر لامتك خير من
الف شهر لذلك الاسرائيلي الذي حمل السلاح الف شهر وهي ثلثة وثمانون سنة واربعة
اشهر واصل انا اننا فحذف احدى النونات كراهة اجتماع الامثال **قوله** وما ادريك
ما ليلة القدر اي اي شيء اعلمك ما هي اي انك لا تعلم كنهها ولم تبلغ درايتك غاية
فضلها ومنتهى علو قدرها فانها اعظم من ان تبلغها دراية احد وما مبتدأ وادريك
خبره وما في قوله ما ليلة القدر مبتدأ ثان وليلة القدر خبره ومحل الجملة النصب على انه
مفعول ثان لادرى ومفعوله الاول الكاف وادرى مع مفعولها خبر ما الاولى كما مر
ثم بين فضيلة تلك الليلة من ثلثة اوجه **الاول** قوله ليلة القدر خير من الف شهر
والثاني من فضائل هذه الليلة قوله تعالى تنزل الملائكة والروح فيها **والثالث** من
فضائلها قوله تعالى سلام هي حتى مطلع الفجر **قوله** وتنزلهم الى الارض وهو الاظهر لان
الاحاديث دلت على ان الملائكة ينزلون اتباعا الى مجالس الذكر والدين فلان ذلك في هذه
الليلة مع عمومها اولى لان مع مطلق النزول لا يفهم منه الا النزول من السماء
الى الارض وقيل ان الملائكة ينزلون باسرهم الى السماء الدنيا في ليلة القدر فان قيل
ان الملائكة لهم كثرة عظيمة لا يحتمل الارض كلهم وكذا السماء فانها مملوءة بحيث
لا توجد فيها موضع قدم الا وفيه ملك فكيف يسع الجميع سماء واحدة قال النبي صلى الله عليه وسلم
اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع
او قائم قلنا اذا وقع التعارض بين الكتاب وخبر الواحد نقضي بما يدل عليه الكتاب مع
انه لا تعارض هنا لما روي انهم ينزلون فوجا فوجا فمن نازل وصاعد كاهل الحج
فانهم على كثرتهم يدخلون الكعبة ومواضع النسك باسرهم لكن الناس بين داخل
وخارج ولهذا السبب مده الى غاية طلوع الفجر وكذلك ايضا ذكر لفظ تنزل الذي
يفيد التدريج والمرة بعد المرة ثم من قال بانهم ينزلون الى الارض اختلفوا في

جاهد نسخه

ينزلون سائر الايام اليه
نسخه

في سبب نزولهم على وجوه فقال بعضهم انه تعالى وعد في الآخرة بان الملائكة يدخلون
عليهم من كل باب سلام عليكم ثم قالوا انك لو اشتغلت في الدنيا بعبادتي لنزلت
الملائكة حتى يدخلوا عليكم للتسليم والزيادة فان نظر الملائكة الى الارواح ونظر البشر
الى الاشباح فكما ان البشر اذا راوا صورة حسنة اقبلوها وما لوا اليها فكذلك
الملائكة لما راوا في روحك صورة حسنة وهي معرفة الله تعالى وطاعته احبوا ورغبوا
في زيارتك وتمنوا لقائك لكن كانوا ينتظرون الاذن كما قالوا وما نتنزل
الا بامر ربك وقال الله تعالى في هذه الآية باذن ربهم فانه يدل على انهم استاذنوا
اولا فاذنوا **روي** عن النبي صلى الله عليه وسلم انهم ينزلون ليسلموا علينا وليشفعوا لنا
فمن اصابته التسليم غفر له ذنبه **وقيل** ان الله تعالى جعل فضيلة هذه الليلة في الاشتغال
بطاعته في الارض فهم ينزلون الى الارض لتصير طاعاتهم اكثر ثوابا كما ان الرجل يذهب
الى مكة لتصير طاعته هناك اكثر ثوابا فيكون المقصود من الاخبار بنزولهم فيها
ترغيب الانسان في الطاعة ومن الناس من خص لفظ الملائكة ببعض فوق الملائكة
وهم سكان سدرة المنتهى **وعن** كعب ان سدرة المنتهى فيها ملائكة لا يعلم عددهم
الا الله سبحانه وتعالى يعبدون الله ومقام جبرائيل في وسطها ليس فيها ملك الا وقد اعطي الرأفة
والرحمة للمؤمنين ينزلون مع جبرائيل عليه السلام ليلة القدر فلا تبقى بقعة من الارض الا وعليها
ملك ساجد او قائم يدعو للمؤمنين والمؤمنات وجبرائيل لا يدع واحدا من الناس الا صافحهم
وعلامة ذلك من اقشعر جلده ورق قلبه ودمعت عيناه فان ذلك من مصافحة جبرائيل عم
من قال في تلك الليلة ثلث مرات لا اله الا الله غفر له بواحدة ونجاه من النار بواحدة
وادخله الجنة بواحدة وفي الحديث انه عليه السلام قال اذا كان ليلة القدر ينزل الملائكة
الذين هم سكان سدرة المنتهى وفيهم جبرائيل ومعه الوية ينصب لواء منها على قبري
ولواء على بيت المقدس ولواء في المسجد الحرام ولواء على طور سيناء ولا يدع مؤمنا ولا مؤمنة
الا سلم عليه الا مدمن الخمر واكل لحم الخنزير والمتضمخ بالزعفران **واول** من يصعد الى السماء
جبرائيل عم حتى يصير امام الشمس فيبسط جناحين اخضرين لا ينشرهما الا تلك الساعة
من يوم تلك الليلة ثم يدعو ملكا ملكا فيصعد الكل ويجتمع نور الملائكة ونور جناح جبرائيل عم
ومن معه من الملائكة بين الشمس وسماء الدنيا يومهم ذلك مشتغلين بالدعاء والاستغفار للمؤمنين

المقدس نسخه

ولا يدع نسخه

ولمن صام رمضان احتسابا فاذا امسوا دخلوا السماء الدنيا فيجلسون خلفا خلفا
فيجتمع اليهم ملائكة فيسألونهم عن رجل رجل وعن امرأة امرأة حتى يقولون ما فعل
فلان وكيف وجدتموه فيقولون وجدناه في عام اول متعبدا وفي هذا العام او في هذا
العام مبتدعا فلان كان في عام الاول مبتدعا وفي هذا العام متعبدا فيكفون
عن الدعاء للاول ويشتغلون الدعاء للثاني ويقولون وجدنا فلانا تاليا وفلانا راكعا
وفلانا ساجدا فهم كذلك في ليلتهم حتى يصعدوا الى السماء الثانية وهكذا يفعلون
في كل سماء حتى ينتهوا الى السدرة فيقول لهم السدرة يا سكان حدثوني عن الناس فان لي
عليهم حقا واني احب من احب الله فذكر كعب انهم يعدون لها الرجل والمرأة باسمائهم
واسماء ابائهم ثم يصل ذلك الخبر الى الجنة فتقول الجنة اللهم عجلهم الي والملائكة
واهل السدرة يقولون آمين آمين وذكروا في الروح اقوالا احدها انه ملك
عظيم لو التقم السموات والارضين كانت ذلك لقمة واحدة وفي التيسير وينزل الروح
في تلك الليلة وهو ملك من تحت العرش رجلاه في تخوم الثرى السابعة ورأسه تحت عرش
الجبار وله الف رأس كل رأس اعظم من الدنيا وفي كل رأس الف وجه وفي كل وجه الف
فم وفي كل فم الف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان الف نوع من التسبيح والتحميد
والتمجيد لكل لسان لغة لا يشبه الاخرى فاذا افتح افواهه بالتسبيح خرت ملائكة
اهل سبع سموات سجدا مخافة ان يحرقهم نور افواهه وانما يسبح الله تعالى
غدوة وعشية فينزل تلك الليلة فيستغفرون للصائمين والصائمات من
امة محمد صلى الله عليه وسلم بتلك الافواه كلها الى طلوع الفجر وقيل انها طائفة من الملائكة
لا يراهم الملائكة الا ليلة القدر كالزهاد الذين لا يراهم الا يوم العيد وقيل انه خلق
من خلق الله تعالى يأكلون ويلبسون ليسوا من الملائكة ولا من الانس ولعلهم خدم اهل
الجنة وقيل يحتمل انه عيسى عليه السلام انه اسمه ثم انه ينزل في موافقة الملائكة
ليطالع امة محمد عليه السلام وقيل انه القرآن لقوله تعالى وكذلك اوحينا اليك
روحا من امرنا وقيل انه الرحمة لما قرئ لا تيأسوا من روح الله بالضم فانه تعالى
يقول الملائكة ينزلون ورحمتي تنزل في اثرهم فيجدون سعادة الدنيا وسعادة الآخرة
والاصح ان الروح ههنا جبرائيل عليه السلام وتخصيصه بالذكر لزيادة شرفه كانه تعالى

يقول الملائكة في كفة والروح في كفة وقوله تعالى باذن ربهم يدل على انهم كانوا يرغبون
الينا ويشتاقون فيستأذنون في النزول الينا فيؤذن لهم فان قيل يرغبون الينا مع
علمهم بكثرة ذنوبنا قلنا لا يقفون على تفصيل المعاصي روي انهم يطالعون اللوح
فيرون فيه طاعة المكلف مفصلة فاذا وصلوا الى معاصيه ارخي الستر فلا يرونها
فيقولون سبحان من اظهر الجميل وستر على القبيح ولانهم يرون في الارض من انواع الطاعات
اشياء ما رأوها في عالم السموات احدها ان الاغنياء يجيئون بالطعام من بيوتهم
فيجعلون ضيافة للفقراء يأكلون طعام الاغنياء ويعبدون الله وهذا نوع من
طاعة لا توجد في السموات وثانيها انهم يسمعون انين العصاة وهو لا يوجد في السماء
وفي الحديث القدسي لانين المذنبين احب الي من زجل المسبحين فيقولون
تعالوا نذهب الى الارض فنسمع صوتا هو احب الى ربنا من صوت تسبيحنا وكيف
لا يكون احب [illegible] وزجل المسبحين اظهار لكمال المطيعين وانين العصاة اظهار
[illegible] لغفارية رب العالمين ويجوز ان يكون الروح في قوله والروح فيها مرفوعا
بالابتداء وفيها خبره والضمير المجرور في فيها للملائكة ويجوز ان يكون مرفوعا بالفاعلية
عطفا على الملائكة وفيها متعلق تنزل والضمير فيها الليلة قوله من اجل كل امر قدر
في تلك السنة من خير وشر او مما فيه صلاح المكلف في دينه ودنياه على ان يكون
كل امر بمعنى خير الدنيا والآخرة فان قيل من فسر الليلة المباركة في قوله انا انزلناه في ليلة
مباركة بليلة القدر لما فيها من البركة والمغفرة للمؤمنين يمكنه ان يفسر كل امر بما
قدر في تلك السنة من الارزاق والآجال ونحوهما اذ لا يلزم المخالفة بين هذه الآية
وبين قوله فيها يفرق كل امر حكيم واما من فسر الليلة المباركة بليلة النصف
من شعبان كما ذهب اليه الاكثرون فانه يلزمه ان يقول ان تقدير الاعمار والارزاق
والآجال والمصائب ونحوها يكون في ليلة النصف من شعبان لقوله فيها يفرق
كل امر حكيم فان ضمير فيها يرجع الى الليلة المباركة وقد فسر بليلة النصف فكيف يمكنه
ان يفسر كل امر في هذه الآية بما قدر في تلك السنة فانه يلزم القول بتقدير المقادير
يكون في ليلة النصف وفي ليلة القدر قلنا يمكنه ذلك ايضا بناء على ان ههنا ثلثة
اشياء الاول نفس تقدير الامور والاحكام اي تعيين مقاديرها واوقاتها وذلك في

كيف صح

بتسبيحنا

في الازل قبل ان يخلق السموات والارض والثاني اظهار تلك المقادير للملائكة بان يكتبها
في اللوح المحفوظ وذلك يكون في ليلة النصف وثالثها اثبات تلك المقادير في نسخ وتسليم
تلك النسخ الى اربابها من المدبرات فتدفع نسخة الارزاق والنباتات والامطار الى
ميكائيل ونسخة الحروب والرياح والجنود والزلازل والصواعق والخسف الى جبرائيل
ونسخة الاعمال الى اسرافيل صاحب سماء الدنيا ونسخة المصائب الى ملك الموت
هذا ما لخصته من مواضع متعددة والله اعلم بحقيقته وقيل يقدر في ليلة البراءة
الآجال والارزاق وفي ليلة القدر يقدر الامور التي فيها الخير والبركة والسلامة
وقيل يقدر في ليلة القدر ما يتعلق به اعزاز الدين وما فيه النفع العظيم للمسلمين
واما ليلة البراءة فيكتب فيها اسماء من يموت ويسلم الى ملك الموت **قوله** ما هي الا سلامة
اشارة الى ان قوله هي مبتدأ وسلام خبره ومعناه السلامة وقدم الخبر ليفيد الحصر كما في نحو
تميمي انا اي لا يحدث فيها داء ولا شيء من الشر والآفات كالرياح والصواعق ونحو
ذلك مما يخاف منه بل كل ما ينزل في هذه الليلة انما هو سلامة ونفع وخير ولا يستطيع
الشيطان فيها سوءا وفي الحديث ان الشيطان لا يخرج في هذه الليلة حتى يضيء فجرها
ولا يستطيع ان يصيب فيها احدا بخبل ولا داء او ضرب من ضروب الفساد ولا ينفذ فيه
سحر ساحر والليلة ليست من نفس السلامة بل ظرف لها ومع ذلك وصفت بالسلامة
للمبالغة في اشتمالها عليها كما يقال انما فلان حج وغزو والمراد انه ابدا مشغول بهما
ثم اشار الى احتمال ان يكون السلام بمعنى التسليم قال الجوهري السلام السلامة والسلام الاسم
من التسليم والمعنى ان ليلة القدر من غروب الشمس الى طلوع الفجر او الى وقت طلوعه سلام
اي يسلم فيها الملائكة على المطيعين فان الملائكة ينزلون فوجا فوجا من ابتداء الليل
الى طلوع الفجر ولترادف النزول وكثرة السلام وتتابعهما وصفت الليلة بانها سلام
مع انها زمان التسليم لا نفسه لان لكثرة وقوعه فيها صارت كانها نفس التسليم فوصفت به
كما يقال رجل عدل والخليل عم لما سلم عليه سبعة من الملائكة صارت نار نمرود بردا
وسلاما عليه فلا يبعد ان يكون نار الله الموقدة ببركة تسليم الملائكة على المؤمنين
بردا وسلاما حتى تقول جهنم جز يا مؤمن فان نورك اطفأ لهبي لكن ضيافة
الخليل لهم كانت عجلا مشويا وهم يريدون منا قلبا مشويا **قوله** على انه كالمرجع

كالمرجع في انه مصدر ميمي جاء على خلاف القياس فان قياس المصدر الميمي من الثلاثي
ان يجيء على مفعل بفتح العين واذا كان المطلع بكسر اللام اسم زمان الطلوع يكون على
خلاف القياس فان قياس اسم الزمان من يفعل ويفعل بفتح العين وضمها ان يكون على مفعل
بفتح العين فظهر ان مطلع الفجر بكسر اللام مخالف للقياس سواء حمل على المصدر او على اسم
الزمان ولا يجوز ان يكون المطلع بمعنى موضع الطلوع اذ لا معنى له ههنا وفي الكشف
ان السلام بمعنى الفاعل اي مسلمة سواء بمعنى التسليم او السلامة ولا بد من هذا التقدير ليصح
ان يكون حتى غاية له ومتعلقة به لانه اذا حمل على المصدر لم يجز تعلق حتى به
لانه يستلزم الفصل بين الصلة والموصول بالمبتدأ الذي هو قوله هي وذلك لا يجوز
وقيل جاز ان يتعلق الغاية بتنزل وفيه تعسف لان جملة سلام هي فصلت
بين العامل والمعمول وهي اجنبية عنهما الا ان يقال انها في موضع من الضمير المجرور
في قوله فيها اي تنزل الملائكة والروح فيها ذات سلامة او سلام فلا يكون اجنبية
عن العامل وفائدة الغاية تعميم الاسلام او السلامة على التفريق كل الليل وقيل تم
الكلام عند قوله باذن ربهم ثم ابتداء فقيل من كل امر سلام هي حتى اي سلام من كل
امر يخوف من بلاء وكيد الشيطان ثم قال حتى مطلع الفجر اي ذلك الى
طلوع الفجر **سورة البينة وهي ثمان آية** بسم الله الرحمن الرحيم
فانهم كفروا بالالحاد في صفات الله بيان لوجه توصيف الله تعالى اهل الكتاب
بالكفر قبل بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم وذلك ان طريق الكفر غير منحصر
في انكار الدين الناسخ وتكذيبه بل يكون به ككفر اليهود بتكذيب عيسى عليه السلام
وانكار دينه وقد يكون بانكار حكم من احكام اصل الدين والعدول فيه
عن الحق ككفر النصارى قبل بعثة رسولنا صلى الله عليه وسلم بالالحاد في صفات الله تع
والعدول فيها عن الصواب كما قالوا في صفة العلم انها اقنوم من الاقانيم الثلثة
انتقلت الى بدن عيسى عليه السلام ونحو ذلك **قوله** منفكين عما كانوا عليه من دينهم
فان قيل كيف يصح ان يفسر قوله تعالى منفكين بالانفكاك عن الكفر الذي كانوا عليه حتى
يكون معنى الاية يقتضي انهم صاروا منفكين عن كفرهم عند اتيان الرسول واتفقوا
عنده على الايمان واتباع الحق الذي جاء به عليه السلام لان كلمة حتى لانتهاء الغاية

فيقتضي ان يكون الحال التي بعد الغاية مخالفة للتي كانت قبلها وقوله بعد ذلك وما تفرق الذين
اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة يقتضي ان كفرهم قد ازداد عند مجيء الرسول
صلى الله عليه وسلم ولا يخفى ان هذا المقتضى مناقض لمقتضى الآية الاولى بالتفسير المذكور
وهذه المناقضة انما لزمت من ذلك التفسير فيكون ذلك التفسير محالا او باطلا وجوابه
ما اشار اليه صاحب الكشاف فجعل الآية الاولى على كونها حكاية من الله تعالى لما كانوا يقولون
قبل بعثته عليه السلام وهو قولهم لا ننفك عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود
الذي هو مكتوب في التورية والانجيل وهو محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه اجمعين
فاذا بعث نتفق على تصديقه ونجتمع على قبول دينه والدخول فيه **قوله** وما تفرقوا
الا من بعد بعثته الزام عليهم بعد حكاية زعمهم الباطل وكلامهم الزائغ على سبيل التوبيخ
والتعيير اي كانوا يعدون الاجتماع على الحق بوقت مجيئه ثم كان ثمرته انه ما فرقهم
عن الحق ولا اقرهم على الكفر الا مجيئه فاذا كانت الاولى من باب حكاية كلامهم لا
اخبارا ابتدائيا منه تعالى عن حالهم وكانت الآية الثانية وهي قوله وما تفرق الذين الخ
اخبارا عن الواقع ارتفع الاشكال لان محصول الآيتين ان الذين وقع كان على خلاف
ما وعدوا واما اذا فسر الآية الاولى بان يقال لم يكونوا منفكين عن الوعد باتباع
الحق اذا جاءهم الرسول الموعود في التورية والانجيل فحينئذ لا اشكال ولا جواب **قوله**
ومن للتبيين كما في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان لان الكفار كانوا جنسين احدهما
اهل الكتاب كفرق اليهود والنصارى وكانوا كفارا باحداثهم في دينهم ما كفروا به
كقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله وتحريفهم كتاب الله ودينه والثاني المشركون
الذين كانوا لا ينتسبون الى كتاب فذكر الله تعالى الجنسين بقوله الذين كفروا على الاجمال
ثم اردف ذلك الاجمال بالتفصيل والتبيين وهو قوله من اهل الكتاب والمشركين وهو
في محل النصب على انه حال من الواو في كفروا اي كائنين منهم ومنفكين خبر كان من
انفك الشيء عن الشيء اذا فارقه وانفصل عنه فالمعنى ان قلوبهم ما خلت عن كفرهم
الذي كانوا عليه الى وقت البعثة والبينة الحجة الظاهرة التي بها يتميز الحق من
الباطل وذكر في تعيين المراد بالبينة في هذه الآية احتمالات الاول انها هي الرسول
صلى الله عليه وسلم فانه عم باعتبار [illegible] ادعائه الرسالة وبتبليغه عن الله عز وجل

وبينة

وبينة اي حجة واضحة على نبوته باعتبار استجماع مكارم الاخلاق الحميدة المرضية
وبلوغه في ذلك الى حد الاعجاز واقصى درجات الكمال بحيث افحم الحكماء المهذبين وعجزهم
عن ان يتشبهوا به في شيء من مكارم اخلاقه **والثاني** انها هي القرآن **والثالث**
ان المراد بها مطلق معجزاته عليه السلام وكون كل واحد منها حجة واضحة على نبوته ظاهر
من حيث ان كل واحد منها يفحم من هو بصدد المعارضة ويعجزه عن ان ياتي بما [illegible]
قوله بافحام من يتحدى به اي باسكاته من الطلب منه ان ياتي بمثل ما اتى به من شواهد
نبوته يقال افحم القصيب بفتح الحاء فيها افحموا اذا بكى حتى ينقطع صوته وكلمه
ا حتى افحمه اي اسكته في خصومة او غيرها ويقال تحديت فلانا اذا باريته و
عارضته في فعل نازعته الغلبة **قوله** بدل من البينة بنفسه من غير تقدير مضاف
فيكون بدل الكل وهذا على تقدير ان يراد بالبينة الرسول نفسه صلى الله عليه وسلم **وقوله**
او بتقدير مضاف مثل وحي رسول الله او كتابه على تقدير ان يراد بالبينة القرآن او معجزة
رسول من الله على تقدير ان يكون المراد بها المعجزة وعلى التقديرين يكون من قبيل بدل
الكل ويكون قوله يتلو صحفا صفة رسول وان جعل رسول مبتدأ مخصصا بقوله
من الله يكون قوله يتلو صحفا خبره وان جعل مخصصا بقوله يتلو صحفا يكون قوله
من الله في موضع النصب على الحال اما من صحف او من المنوي في مطهرة ويكون خبر
المبتدأ محذوفا والتقدير رسول الله يتلو صحفا مطهرة كائنة من الله كفى ببينة او اعظم
او اجل او اوضح بينة **وقوله** فيها كتب قيمة مبتدأ وخبر والجملة في محل النصب
على انها صفة لقوله صحفا **قوله** والرسول وان كان اميا جواب لما يقال كيف نسب
تلاوة الصحف المطهرة الى الرسول مع انه كان اميا لا يكتب ولا يقرأ عن كتاب وانما
يقرأ ما اوحي اليه عن ظهر القلب وتوضيح الجواب انه عليه السلام وان كان اميا يتلو ما اوحي
اليه عن ظهر قلبه الا ان متلوه الذي هو القرآن لما كان مصدقا لصحف الاولين مطابقا
لها في اصول الشرايع والاحكام صار متلوه كانه هو صحف الاولين وكتبهم فعبر عنه باسم
الصحف مجازا والصحف جمع صحيفة وهي ظرف المكتوب ومحله فلذلك فسره الزمخشري
بقوله قراطيس ونقل عن الراغب ان الصحيفة اسم للمبسوط من الشيء كصحيفة الوجه
والصحيفة التي يكتب فيها وجمعها صحايف وقيل المراد هو جبرائيل فلا اشكال في نسبة

تلاوة الصحف اليه لانه ليس اميا **قوله** وما تفرق الذين اوتوا الكتاب عما كانوا عليه اي
ما كانوا عليه وهو كونهم غير منفكين عن كفرهم بل ثابتين متفرقين متفقين على ما كانوا
عليه من دينهم الى وقت مجيء الرسول وما فرقوا عما كانوا عليه من الاتفاق على الكفر بان
تفرقوا فرقا بان صار البعض منهم مؤمنا وبقي الباقون على الضلال القديم او بان تردد
وتشكك وتحير في دينه ومعتقده الاول وفي سائر الاديان بعد ما كان كل فريق جازما
بدينه معتقدا في حقيقته فاليهودي في يهوديته وكذا النصراني وعبدة الاصنام وبقي الباقون
على كونه جازما بكفره القديم واشار المص بتفسير هذه الآية على هذا الوجه الى دفع ما
يتوهم من التناقض بينها وبين الآية الاولى كما ذكرناه في اثناء بيان ما يتعلق بها كما
استبعد ما ذهب اليه صاحب الكشاف فمن حمل الآية الاولى على كونها حكاية من الله تع لما كانوا
يقولونه قبل بعثته عليه السلام بناء على انه خلاف الظاهر اذ الظاهر انها اخبار من الله تع عن حالهم
ووجه الدفع ان مقتضى كلمة حتى ان يكون الحال بعد تحقق مضمون مدخولها بخلاف ما كان
قبل ذلك وهذه المخالفة حاصلة على هذا التفسير من غير احتياج الى حمل الآية الاولى
على الحكاية فان حكم المغيا بالبعثة هو بقاء الجميع على الكفر الذي كانوا عليه وعدم
انفكاكهم عنه فاذا تفرقوا بعد البعثة بان آمن بعضهم او تردد في دينه فقد تحقق
مقتضى كلمة حتى من غير لزوم التناقض بين الآيتين ● لله دره ما اوجز كلامه وحقق
رموزه واشاراته **قوله** او عن وعدهم اي وما تفرقوا عن وعدهم بان الرسول الموعود اذا
بعث يجتمع على تصديقه واتباع دينه بسبب ان اخلفوا الوعد واصروا على الكفر القديم
قوله فيكون كقوله وكانوا من قبل الآية تفريع على الوجه الثاني ووجه الشبه بين الآيتين اشتراكهما
في كونهما مسوقتين لتوبيخ من كفر بمن صدقه وعظم قدره قبل فانهم يستفتحون به عم اي طلب
الفتح والظفر على اعدائه بحرمته ومكانته عند ربه بان يقولوا اللهم انصرنا عليهم بحرمة نبيك
الذي وعدتنا ببعثته ثم انه عم لما بعث كفر به لا انه كفر بمن صدقه قبل فكذا الكفر من وعد
بانه عم اذا بعث يتفق على تصديقه ثم كفر حين بعثته عليه السلام **قوله** للدلالة على شناعة
حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى يعني المقصود من قوله تع وما تفرق الذين
اوتوا الكتاب توبيخهم على التفرق وتعييرهم بذلك وانكار فعلهم واهل الكتاب اولى واحق بهذا
التعيير لانهم كانوا عالمين به وبحقيقة امره لوجود مناقبه وصفاته في كتبهم فلذلك خصهم بالذكر

بالذكر فان جحود العالم اقبح من انكار الجاهل مع ان تفرق المشركين يفهم من التنصيص
على تفرق اهل الكتاب بطريق الاولى لانهم اذا تفرقوا مع علمهم كان غير العالم بامره اولى
بالتفرق **قوله** في كتبهم بما فيها كل واحد من حرفي الجر متعلق بمقدر بامروا والوجه في
تقدير كل واحد من الظرفين لا يظهر الا بنقل كلام الامام بعبارته وهو قوله في قوله وما امروا
وجهان احدهما ان يكون المراد وما امروا في التورية والانجيل الا بالدين حنيفا فيكون المراد
انهم كانوا مامورين بذلك الا انه تع لما اتبعه بقوله وذلك دين القيمة علمنا ان ذلك
الحكم كما انه كان مشروعا في حقهم فهو مشروع في حقنا وثانيهما ان يكون المراد وما امر اهل
الكتاب على لسان محمد صلى الله عليه وسلم الا بهذه الاشياء وهذا اولى لثلثة اوجه احدها ان الآية
على هذا التقدير يفيد شرعا جديدا وحمل كلام الله تع على ما يكون اكثر فائدة اولى وثانيها وهو
ان ذكر محمد عليه الصلوة والسلام قد تقدم ههنا وهو قوله حتى تاتيهم البينة وذكر سائر الانبياء عم
لم يتقدم وثالثها انه تع ختم الآية بقوله وذلك دين القيمة فحكم بان ما هو متعلق بهذه
الآية دين قيم فوجب ان يكون شرعا في حقنا سواء قلنا بانه شرع من قبلنا او شرع جديد
اختص به نبينا صلى الله عليه وسلم انتهى كلامه المتعلق بان المراد بالامر هل هو الامر
الوارد عليهم بالسنة انبيائهم او الامر الوارد بلسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
الا ان المص اختار خلاف ما اختاره الامام من وجهين لما لا يخفى من ضعف كل واحد من
الوجوه الثلثة التي ذكرها لبيان اولوية ما اختاره وقال الامام في قوله ليعبدوا الله ان
هذه اللام لام الغرض والمعتزلة لما كانوا يوجبون تعليل افعال الله تع واحكامه بالاغراض
لا جرم اجروا الآية على ظاهرها فقالوا معنى الآية وما امروا بشيء الا لاجل ان يعبدوا
الله على هذه الصفة واهل السنة لما قالوا ان يكون فعل من افعال الله تع لغرض بناء
على ان من فعل فعلا لغرض فهو ناقص في ذاته مستكمل بذلك الغرض تعالى الله عن ذلك
لم يكن لهم حمل هذه الآية على ظاهرها فاضطروا الى تاويلها بان جعل اللام صلة واضمروا
بعدها ان [illegible] والتقدير وما امروا الا ان يعبدوا بمعنى بان يعبدوا او عن ابن
مسعود رضي الله عنه انه قرأ كذلك قال الفراء العرب يجعل اللام في موضع ان في الامر والارادة
كثيرا قال تعالى في الارادة يريد الله ليبين ويريدون ليطفئوا نور الله وقال في الامر
وامرنا لنسلم اي ان نسلم بمعنى بان نسلم والمص خالفه ايضا في الاحتياج الى [illegible] المذكور

وحمل الآية على ظاهرها حيث قدر قوله بما فيها ليكون المعنى وما امروا بما في كتبهم بشيء من الامور
الا لاجل ان يعبدوا الله بالاخلاص على ان يكون الاستثناء من اعم العالم وحملها على معنى وما امروا
بشيء الا بان يعبدوا الله بالاخلاص حتى يكون المامور به مذكورا صريحا لكونه خلاف الظاهر
من حيث استلزامه لان يجعل اللام صلة. واتحاد ان صلة والباء الجارة قبلها وكل ذلك خلاف
الظاهر وليدل الكلام على انهم انما امروا في كتبهم بما امروا لاجل عبادة الله مع الاخلاص ليكون
اشارة الى ان الحكمة الاصلية في جميع ما يؤمرون به هو العبادة بالاخلاص ليكون تحريضا لهم على
تحصيل هذه الحكمة. وتوبيخا لهم على تعليق امرهم فان اتفاق ما معهم من الكتب وهذا القرآن
المجيد على دين التوحيد واخلاص العبادة له مع يوجب الاجتماع على قبوله والتدين بدينه والتجنب
عن مخالفته والتفرق عنه وهم قد علموا الامر وتركوا ما عندهم امتثال حكمه وامره على ان
من اليهود من قال عزير ابن الله ومن النصارى من قال عيسى هو الله ومنهم من قال هو
ابنه ومنهم من قال ثالث ثلثة وعامة اليهود مشبهة والكل مشرك مخالف للتوحيد مناف
لاخلاص العبادة له تعالى فعلى هذا احتمال ان يكون المشركين من اوصاف اهل الكتاب وعطف قوله
والمشركين في اول السورة من قبيل عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الذات فان قيل كيف
يتاتى للمحقق حمل اللام على ظاهرها ويجعل فعل الله معللا بالغرض وهو لا يقول به قلنا فعله تعالى
وان لم يكن معللا بالغرض الا انه مغيا بالحكم والمصالح وكثيرا ما يستعمل لام الغرض في الحكم المترتبة
على الفعل سببا لها به في ترتيبها **قوله** مخلصين حال من فاعل ليعبدوا وكذا حنفاء حال اخرى
على قول من جوز حالين من ذي حال واحد ومن الضمير في مخلصين على قول من لم يجوز ذلك
وفي حصر علة كونهم مامورين بما في كتبهم في عبادة الله بالاخلاص حيث قيل وما امروا
الا لاجل ان يعبدوا اي لان يتذللوا ويعظموه غاية التذلل والتعظيم ولا يطلبوا
في امتثال ما كلفوا به شيئا آخر سوى التذلل لمربيهم ومالكهم كثواب الجنة والخلاص من النار
دليل على ما ذهب اليه اهل السنة من ان العبادة ما وجبت لكونها مفضية الى ثواب الجنة
او الى البعد والنجاة عن عذاب النار بل لاجل انك عبده وهو ربك لو لم يحصل في الدين ثواب
ولا عقاب البتة ثم امرك بالعبادة وجبت لمحض العبودية ومقتضى الربوبية والمالكية
وفيه ايضا اشارة الى ان من عبد الله للثواب والعقاب فالمعبود في الحقيقة هو الثواب والعقاب
والحق واسطة. ونعم ما قيل من آثر العرفان للعرفان فقد قال بالثاني ومن آثر العرفان لا

تشبيها على الفعل بحسب الوجود كم

نعم

لا للعرفان بل للمعروف فقد خاض في لجة الوصول والعبادة وهي التذلل ومنه طريق معبد
اي مذلل ومن زعم انها الطاعة فقد اخطأ لان جماعة عبدوا الملائكة والمسيح والاصنام
وما اطاعوهم ولكن في الشرع صارت اسما لكل طاعة الله اديت له على وجه التذلل والنهاية
في التعظيم والعبادة بهذا المعنى لا يستحقها الا من يكون واحدا في صفاته الذاتية والفعلية
فان كان له مثل لم يمكن ان يصرف اليه نهاية التعظيم فثبت بما قلنا انه لا بد في كون الفعل
عبادة من شيئين احدهما غاية التعظيم ولذلك قيل ان صلوة الصبي ليست بعبادة
لانه لا يعرف عظمة الله فلا يكون فعله غاية التعظيم وثانيهما ان يكون مامورا به ففعل اليهود
ليس بعبادة وان تضمن نهاية التعظيم لانه غير مامور به فاذا لم يكن فعل الصبي عبادة
لفقد التعظيم ولا فعل اليهود لفقدان الامر فكيف يكون ركوعك الناقص عبادة
والحال انه لا امر به ولا تعظيم فيه وهذه النكتة تتعلق بالموعظة والاخلاص ان تاتي
بالفعل خالصا لداعية واحدة ولا يكون لغيرها من الدواعي تاثير في الدعاء الى ذلك الفعل
فكانه تعالى يقول عبدي لا تسع في اكثار الطاعة بل في اخلاصها لاني ما بذلت كل مقدوري
لك حتى اطلب منك كل مقدورك بل بذلت البعض فاطلب البعض اطلب نصف
مثقال من عشرين مثقالا من الذهب وشاة من الاربعين لكن القدر الذي فعلته
لم ارد بفعله سواك هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا فلا ترد بطاعتك سواي
واجعل جميع ما تفعل لاجلي وهو قوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وجعل
جميع ما ياتي به من الطاعة خالصا لربه ينافي ان يستثني شيئا منها النفس كان يطلب
به الجنة والنجاة من النار وان كان لا بد من ذلك وكالمباح الذي يوجد منه في الصلوة
كالحكة والتنحنح فان ذلك حظ استثناه النفس فانتفى به الاخلاص فكيف اذا استثنى
شيئا منها للغير مثل ان يريد به الرياء والسمعة حتى قالوا لو زاد في العبادة عبادة
اخرى لاجل الغير مثل ان يزيد في خشوع الصلوة لان الناس يرونه لم يجز لانه ينافي
الاخلاص وكذا لا يجوز دفع الزكوة الى الوالدين والمولودين ولا العبيد ولا الاماء لانتفاء
الاخلاص فاذا كان طلب صلة الوالدين والاولاد منضما الى نية اصل القربة منافيا
للاخلاص فكيف يبقى الاخلاص اذا انضم اليها طلب حظ نفس وقضاء شهوته **قوله** حنفاء
مائلين عن العقائد الزائغة اشارة الى ان اصل الحنف الميل والانقلاب والاحنف الذي

فاشفق

انقلب احدى ابهامي رجليه على الاخرى وعن ابن زيد الحنف انقلاب ظهر القدم حتى
يصير بطنا فالاحنف هو الذي يمشي على ظهر قدميه من شقها الذي يلي خنصرها
وقال الامام وقيل المراد من قوله حنفا اى مستقيمين والحنف هو الاستقامة وانما
سمي مائل القدم احنف على سبيل التفاؤل كقولك للاعمى بصير وللمهلكة مفازة
انتهى والمصرح في تفسير مفهوم الحنف معنى الميل والاستقامة لان الميل عن العقايد
الزايغة انما يكون بالاستقامة فيها **قوله** دين الملة القيمة قيل لا بد من هذا التقدير
لانه اذا لم يحمل على هذا كان من قبيل اضافة الموصوف الى صفته التي بمنزلة اضافة
الشيء الى نفسه كما في نحو الصلوة الاولى ومسجد الجامع فان تقديرها صلوة الساعة
الاولى ومسجد الوقت الجامع فحذف المضاف اليه واقيمت الصفة الى مقام والملة
والدين متحدان بالذات متغايران بالاعتبار فان الشريعة المبلغة الى الامة
بتبليغ الرسول اياها من قبل الله تعالى يسمى ملة باعتبار انها تكتب وتملى ودينا
باعتبار انها تطاع فان الدين الطاعة يقال دان له اى اطاعه والدين ايضا
العادة والشان وايضا الجزاء المكافاة يقال دانه دينا اى جازاه ولهذا
المغايرة الاعتبارية بينهما جاز اضافة احدهما الى الاخر وعن الراغب ان الدين
اعم من الاسلام لانه يستعمل في الحق والباطل والاسلام لا يستعمل الا في الحق قال تعالى
ان الدين عند الله الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه انتهى وهو
لا ينافي اتحاد الدين والملة بالذات غايته ان يكون الملة ايضا اعم من الاسلام والمراد
من القيمة اما المستقيمة او القايمة قال الزجاج القيمة المستقيمة التي لا عوج فيها
يبين الحق من الباطل من قام يقوم اصله قيومة فادغم كما في سيد وهو كقولهم قام
الدليل على كذا اذا ظهر واستقام وعن الخليل ان القيمة جمع القيم والقيم القائم واحد
ومجاز الاية وذلك دين القائمين لله بالتوحيد وعن الراغب ان القيمة ههنا اسم
للامة القائمة بالقسط المشار اليه بقوله تعالى كنتم خير امة وقوله تعالى كونوا قوامين
بالقسط شهداء لله من قولهم قام فلان بالامر يقوم به اذا اجراه على وجهه ومنه
يقال للقائم بامر القوم القيم وبعض اهل الاديان لما بالغوا في باب الاعمال من
غير احكام الاصول وهم اليهود والنصارى والمجوس فانهم ربما اتعبوا انفسهم
في الطاعات

المرجية

في الطاعات ولكنهم ما حصلوا الدين الحق بتحصيل الاعتقاد المطابق وبعضهم حصلوا
الاصول واهملوا الفروع وهم المرجية الذين يقولون لا يضر المعصية مع الايمان
قال الله تعالى خطاء الفريقين في هذه الاية وبين انه لا بد من العلم والاخلاص في قوله
مخلصين ومن العمل في قوله ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ثم قال ذلك المجموع كله
هو دين القيمة اى الملة المستقيمة المعتدلة فكما ان مجموع الاعضاء بدن واحد كذلك
هذا المجموع دين واحد ثم القيم من يقوم بمصالح من يعجز عن اقامة مصالح نفسه فكانه
سبحانه يقول القائم بتحصيل مصالحك عاجلا واجلا هو هذا المجموع **قوله**
يوم القيمة او في الحال يريد ان المراد بنار جهنم اما حقيقة النار واما ما يؤدي
اليها من العقايد الزائغة والاعمال الباطلة بطريق المجاز المرسل فاستقرارهم
فيها على الاول يكون يوم القيمة وعلى الثاني يكون في الدنيا وذكر كفروا بلفظ الفعل
والمشركين بلفظ اسم الفاعل تنبيها على ان اهل الكتاب ما كانوا كافرين من اول الامر
لانهم كانوا مصدقين بالتورية والانجيل ومقرين بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم
ثم انهم كفروا بذلك بعد مبعثه عليه السلام بخلاف المشركين فانهم ولدوا على عبادة الاوثان
وانكار الحشر والقيمة **قوله** واشتراك الفريقين في جنس العذاب جواب عما يقال
ان المشركين كانوا ينكرون الصانع وينكرون النبوة وينكرون القيمة واما اهل
الكتاب فانهم كانوا مقرين بكل هذه الاشياء الا انهم كانوا منكرين لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم
فكان كفر اهل الكتاب اخف من كفر المشركين واذا كان كذلك فكيف يجوز التسوية
بين الفريقين في العذاب وجوابه ان الفريقين لما اشتركا في اعظم الجنايات
وهو الكفر استحقوا اعظم العقوبات وهو الخلود في نار جهنم فانها نار في موضع عميق
مظلم هائل لا مفر عنه البتة يقال بئر جهنام اذا كان بعيد القعر ولما كفروا
طلبا للرفعة صاروا الى اسفل السافلين واشتراكهما في هذا الجنس من العذاب
لا يوجب اشتراكهما في نوعه **قوله** وقرا نافع البريئة بالهمزة على الاصل لانه من
برا الله الخلق بمعنى فهو البارئ الموجد والمخترع من العدم الى الوجود وقرا الباقون
بغير همزة على التخفيف كالنبي وهي فعيلة بمعنى مفعولة والقراءة بالهمزة وان كان
هو القياس والاصل الا ان ترك الهمزة اجود من حيث ان جمهور العرب قد التزموا

كافرين

على تخفيف الهمزة فيه وفي النبي فكانت القراءة بالهمزة كالشيء المرفوض المتروك
المخالف للاستعمال وقيل هي من البرى وهو التراب لانها خلقت منه وقد بان قراءة
من قرأها بالهمزة تدل على ضعف قول من قال انها من البرى الذي هو التراب الا ترى
انه لو كان كذلك لما جاز قراءتها بالهمزة البتة وتوسيط ضمير الفصل في قوله اولئك
هم شر البرية لافادة الحصر اي شر البرية هم دون غيرهم وكيف لا وهم شر من
السراق لانهم سرقوا من كتاب الله تع نعوت محمد صلى الله عليه وسلم وشر من قطاع
الطريق لانهم قطعوا طريق الدين الحق على الخلق وشر من الجهال الاجلاف لان
الكفر مع العلم يكون كفر عناد فيكون اقبح من كفر الجهال وظهر منه ان وعيد العلماء السوء
اعظم من وعيد كل احد ومن تاب منهم واسلم خرج من الوعيد وقيل لا يجوز ان
يدخل في الآية من مضى من الكفار لان فرعون كان شرا منهم واما الآية الثانية
الدالة على ثواب المؤمنين فعامة فيمن تقدم وتأخر لانهم افضل الامم قوله تع
وعملوا الصالحات مقابلة الجمع بالجمع فيفهم منه انه لا يكلف الواحد بجميع الصالحات
بل لكل مكلف حظ فحظ الغني الاعطاء وحظ الفقير الاخذ والصبر والقناعة
قوله تع جزاؤهم مبتدأ وجنات عدن خبره وفي الكلام حذف مضاف اي دخول
جنات وعند ظرف للجزاء وخالدين حال وذو الحال وعامله كلاهما مضمران يدل عليه
جزاؤهم والتقدير يجزون بها خالدين ولا يجوز ان يكون ذو الحال الضمير المجرور ه
في جزاؤهم كما زعم مكي محتجا بان المصدر ههنا ليس في تقدير ان والفعل حتى يلزم
ان لا يفرق بينه وبين ما يتعلق به فانه انما يمتنع ان يفصل بينه وبين ما تعلق
به اذا كان بمعنى ان افعل وان يفعل وليس الامر كما ذكره لان الاحداث منها جعلت
عاملة فلا بد من يكون في تقدير ان والفعل واذا كان كذلك يقع الفصل بين المصدر
الذي هو جزاؤهم ومعموله الذي هو خالدين بالخبر الذي هو جنات عدن وذلك
لا يجوز عند جميع النحاة وابدا ظرف زمان وهو تأكيد للخلود اي لا يموتون فيها
ولا يخرجون **قوله** فيه مبالغات اي مبالغات في علاء قدرهم واجلاء شأنهم
وتقديم مدحهم على بيان مصيرهم ومآلهم مع ان الكلام مسوق لبيان مآل الفريقين
وعاقبة امرهم مبالغة في علاء شأنهم وانما قلنا ان الكلام مسوق لبيان عاقبة

عاقبة الفريقين لانه تع لما ذكر حال الكفار بقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب
والمشركين اولا ثم ذكر ثانيا حال المؤمنين في قوله وما امروا الا ليعبدوا الله ثم
اعاد في آخر السورة ذكر الفريقين فبدأ بذكر الكفار واخبر انهم في نار جهنم واتبع
هذا الاخبار ذمهم بانهم شر البرية علم من ذلك ان الكلام مسوق لبيان عاقبة
الفريقين فكان المناسب لذلك ان يقدم بيان عاقبة المؤمنين على مدحهم بانهم
خير البرية فلما عكس هذا الترتيب احتجنا الى طلب النكتة في ذلك كانت المبالغة
المذكورة صالحة لان تكون نكتة فحكمنا بانها هي النكتة فيه ولله جعل الجنات
الموصوفة جزاء لهم على تلك المبالغة ظاهر لان جلالة الجزاء تدل على جلالة شأنهم
من حيث اتصافهم عما وصفوا به من الايمان والعمل الصالحات والحكم على ذلك
الجزاء بانه من عند ربهم يدل على علو قدره وعلو قدره يدل على علو قدر صاحبه ه
قوله جمع جنات فانه يدل على ان لكل مكلف جنات كما يدل عليه قوله تع ولمن خاف
مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان فذكر للواحد اربع جنات
والسبب فيه انه بكى من خوف الله وذلك البكاء انما نزل من اربعة اجفان اثنان
دون الاثنين فاستحق به جنتين دون الجنتين فحصل له اربع جنان لسبقه بالبكاء
باربعة اجفان وقيل انه تع قابل الجمع بالجمع في قوله جزاؤهم عند ربهم جنات وهو
يقتضي مقابلة المفرد بالمفرد فيكون لكل مكلف جنة واحدة لكن ادنى تلك الجنان
مثل الدنيا بما فيها عشر مرات كذا روي مرفوعا ويدل عليه قوله تع ملكا كبيرا ه
قوله وتقييدها اضافة فانه يفيد ان يكون المعنى جزاؤهم بساتين اقامة لا يخرجون
منها ولا يبغون عنها حولا فان العدن بمعنى الاقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام
قوله ووصفها بما يزداد لها نعيما فان نقصان وعيب قد يكون بانعدام الماء
الجاري اذ يد لطفا من الراكد فالله تع نفى النقصان بانعدام الماء عنها
أزيد بيانا
بان وصفها بانها ذوات الماء ثم وصفها بما يزداد لها نعيما بان جعل ماءها
جاريا ونفى نقصانها بكثرة الماء بقوله من تحتها والالف في الانهار للتعريف فيكون
منصرفة الى الانهار المذكور في القرآن نهر الماء ونهر اللبن ونهر العسل ونهر الخمر وفي
توصيفها بالجري بعد ما جعل الجنان الموصوفة جزاء اشارة الى مدحهم بالمواظبة على

على الطاعات كانه تعالى يقول طاعتك كانت جارية ما دمت حيا على ما قال واعبد ربك
حتى يأتيك اليقين فلذلك كانت انهار كرمي جارية الى الابد ولعل المص اراد بالوصف
في قوله وصفا بما يزداد لها نعتا الوصف المعنوي الذي هو اعم من الوصف
النحوي لئلا يخرج كون تلك الجنان بالنسبة اليهم دار الخلود عن الوجوه الدالة
على المبالغة مع ان الخلود في الجنة خير من الجنة كما ان رضاء الله في الجنة خير
في الجنة ولما كان المكلف مخلوقا من جسد وروح واثم اجتهد بهما في طاعة ربه
اقتضت الحكمة ان يجزيه بما يتنعم ويستريح كل واحد منهما فجنة
الجسد هي الجنة الموصوفة وجنة الروح هو رضاء الرب فلذلك استانف
بيان حصوله للمكلف في دار الكرامة بقوله رضي الله عنهم **سورة الزلزلة
مكية وايتها ثمان** بسم الله الرحمن الرحيم اضافة الزلزال الى الارض
لما دلت على اختصاصه بها وتعرفه بسببها ولم يتبين ان ذلك المعين المخصوص
بها اي اضطراب هو بين المص اولا بانه الاضطراب الذي قدره الله تعالى للارض
عند احدى النفختين فانه قد سبق في علم الله تعالى وقضائه ان تحرك تحريكا شديدا
عند النفخة الاولى لفناء الدنيا وعند الثانية لبعث الموتى احياء من بطن الارض كما
يخرج الولد من بطن امه فقوله زلزالها مثل قولك لاعطينك اعطاءك
اي ما قدرت في نفسي ان اعطيك اياه وبينه ثانيا بان تعريف الاضافة
في زلزالها لافادة العموم والاستغراق كتعريف اللام في نحو ان الانسان لفي خسر
فان المصدر المضاف اذا لم يقصد به العهد يفيد العموم فمعنى زلزالها جميع
ما يمكن في حقها من الزلزال وجميع ما يحتمله المحل من خصوصيات الاضطراب
وبينه ثالثا بان تعريف الاضافة فيه [illegible] للاشارة الى المعهود وهو
القدر اللائق بها في الحكمة وهو الزلزال الشديد الذي يستحق ويقتضيه
في كونها قاعا صفصفا بانقلاع جبالها وتلالها وتطاير ما عليها كالعهن المنبث
حتى تمتد وتتسع لاهل الموقف من الجن والانس وصفوف الملائكة مع عظم
جرمها وصلابتها فانها لا تصل الى هذه الغاية الا بزلزال شديد يصيرها
كذلك فكان ما سواه ليس زلزالا بالنسبة اليها ونحوه قولك اكرم التقي اكرام

الارض صح
الارض صح

اكرامه واهن الفاسق اهانته تريد ما يستحقانه ويليق بهما من الاكرام والاهانة
والزلزال بالكسر مصدر وبالفتح اسم بمعنى المصدر وفعلال بالفتح لا يوجد الا في المضاعف
كالصلصال والقلقال وقد جاء ناقة خزعال اذا كان بها ظلع وقسطال وهو الغبار
وليسا من المضاعف واما القهقار فلغة ضعيفة واللغة الفصيحة قهقر
بتشديد الراء وهو الحجر الصلب واما بهرام وشهرام فعجميان **قوله** الدفاين والاموات
فمن قال المراد بهذه الزلزلة الاولى استدلالا بقوله يوم ترجف الراجفة تتبعها
الرادفة فان المراد بالرجفة فيه ما يكون عند النفخة الاولى فهو يحمل الاثقال على
الكنوز المدفونة في الارض ومن قال المراد الزلزلة الثانية يفسر الاثقال بالاموات
وعلى التقديرين تشبيه ما في الارض من الدفاين بامتعة البيت واثقالها فعبر عنها
بالاثقال مجازا **روي** عن ابي عبيدة والاخفش انه اذا كان الميت في بطن
الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها وقيل للجن والانس ثقلان لان الارض
تثقل بهم اذا كانوا في بطنها ويثقلون عليها اذا كانوا فوقها وقيل اثقال الارض
اسرارها فيومئذ يكشف الاسرار ولذلك قال يومئذ تحدث اخبارها فتشهد لك
او عليك **قوله** لما يبهرهم من الامر الفظيع الهائل يغلبهم اشارة الى ان الاستفهام
في ما لها للتفظيع والتهويل فان من رأى تلك الزلزلة الهائلة سواء كان ممن آمن
بالبعث والقيامة او كفر وانكره يجوز ان يقول هذا القول بما يغلبهم من الهول
وفرط التحير حين ما غشيهم واخذتهم زلزلة الساعة بغتة الا ان المؤمن يقول
بعد ما تدارك الامور ورجع اليه عقله وفكره هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
واما الكافر فامره ظاهر لانه عاش ومات اعمى ولذلك قيل الكافر احمق الحيوة واحمق
الموت وبهذا ظهر ضعف استدلال من خص هذا القول بالكافر بان المؤمن يعلم حالها
ولا يجزع ولا يضطرب بل يتيقن انها مقدمة البعث الذي وعده الرحمن لان هذا
التيقن لا ينافي الدهشة في اول الوهلة وما لها مبتدأ وخبره وهي كلمة تعجب اي
لاي شيء زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في جوفها من الاثقال يقولها من هو
متعجب لما يراه من العجائب التي لم تسمع بها الآذان ولا ينطق بها اللسان **قوله** تحدث
الخلق اشارة الى ان المفعول الاول لتحدث محذوف وهو الخلق واخبارها مفعول الثاني

الا ان المقصود لما كان ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق اقتصر على المفعول الثاني وانما
قلنا ان المقصود ذلك لانه لما سئل عن لاجل زلزالها واخراجها كان المقام مقام ان
يبين جواب الارض وتحديثها بان السبب الذي حملها على هذه الزلزلة والاخراج
ما هو ويكفي في هذا البيان ذكر الاخبار التي حدثت الارض بها ولا حاجة الى ذكر
الخلق الا ان الارض لكونها جمادا لا فهم لها ولا تمييز لم يكن ان يكون تحديثها بلسان
المقال المتوقف على الحيوة والعقل بل ذلك بلسان الحال فان الارض لما
بطلت حالتها الاولى واضمحل جميع ما عليها بسبب الزلزلة دل ذلك على ان
الدنيا قد انقضت والآخرة قد اقبلت والمحاسبة والجزاء قد ادرك وقتها •
فلذلك وقعت هذه الزلزلة والاخراج وهذه الدلالة اقيمت مقام التحديث
فعبر عنها به فقال الجمهور ان الله تع يجعل الارض حيوانا عاقلا ناطقا ويعرفها
جميع ما عمل عليها فح تشهد لمن اطاع وعلى من عصى روي عن ابي هريرة رضي الله عنه
انه عليه السلام قرا هذه فقال اتدرون اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان
اخبارها ان تشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها تقول عمل كذا كذا يوم
كذا وكذا فهذه اخبارها فقال انها تخبر بما عمل عليها يقول للمؤمن وحد الله
وصلى علي وصام وحج وزكى ويقول للكافر كفر علي واشرك وسرق وزنا
وود الكافر انه سيق الى النار **قوله** اذا اصل عطف قوله بدل ذكر لانتصاب
اذا وجهين الاول انها منصوبة بجوابها وهو تحدث ويومئذ بدل ههنا فالعامل
فيه هو العامل فيها والثاني انها منصوبة بمضمر نحو اذكر اذا زلزلت او اذا
زلزلت يظهر جميع احوال الخلق فيجازى كل احد بما يستحقه ويدل على هذا المحذوف
ما بعد قوله يومئذ الى آخر السورة فح يكون انتصاب يومئذ بتحدث ويكون
ظرفا له اصالة لا بدلا من ظرف آخر ولا يجوز ان يكون العامل في اذا نفس زلزلت
كما ذهب اليه مكي فان لها على من وما في نحو من يضرب وما تفعل افعل
فان ما بعدهما يعملان فيهما فكذا يعمل في اذا وانما قلنا انه لا يجوز في اذا لان
اذا مضاف الى الفعل الذي بعده والمضاف مع المضاف اليه كالشيء الواحد
فكما لا يجوز ان يعمل بعض الكلمة في بعض فكذلك لا يجوز ان يعمل المضاف اليه
في المضاف

في المضاف وليس كذلك اذا الشرطية مع الفعل لانها ليست بمضافة الى الفعل •
فاعرف الفرق بينهما **قوله** تحدث بسبب ايحاء ربك لها بان احدث فيها ما دل
على الاخبارات والباء في بان ربك اوحى لها سببية متعلقة بتحدث وان •
المعنى ان الله الارض تسخيرها وتذليلها بان حملها على التحديث طائعة او كارهة
ثم ان كان تحديثها بلسان الحال فطريق تسخيرها على التحديث هو ان احدث فيها
احوالا دالة على الاخبار فمعنى تحديث الارض ح دلالة ما عليها من الاحوال المحدثة و
معنى الايحاء • احداث تلك الاحوال الدالة فيها وان كان تحديثها بلسان المقال
يكون طريق الايحاء والتسخير احياؤها وانطاقها وامرها بالتحديث **قوله** اذ يقال
حدثته كذا وبكذا جواب عما يقال كيف يكون بدلا من اخبارها وهو مفعول ثان
لتحدث عدى اليه الفعل بلا واسطة حرف فقوله بان ربك ان جعل بدلا منه كان
هو المقصود بالمفعولية وقد عدى اليه الفعل بواسطة الباء فاجاب عنه بان كلا واحد من
الاستعمالين فصيح فعدى الى المبدل منه بنفسه والى المبدل بواسطة الحرف جريا على كل واحد
من الاستعمالين فكانه قيل تحدث اخبارها تحدث ان ربك اوحى لها او تحدث باخبارها
بان ربك اوحى لها وعلى هذا الوجه كان الظاهر ان يقول يومئذ تحدث خبرها بالافراد
لان ما بعده لما كان بدلا عنه لزم ان يكون الخبر الذي حدثت الارض به هو ايحاء الرب تع
لها وهو خبر واحد لا اخبار متكثرة الا ان ايحاء الله تعالى اياها وان كان في نفسه خبرا واحدا
لكنه لتضمنه معاني كثيرة وفوائد عظيمة نزل منزلة اخبار كثيرة فعبر عنه بلفظ الجمع ولما
ورد ان يقال ان فعل الايحاء يتعدى بالى كما في قوله واوحى ربك الى النحل فلم عدى في الاية
باللام ولم يقل اوحى لها اجاب عنه اولا بان معنى اوحى لها اوحى اليها كما في قوله وشدها
بالراسيات الثبت اوحى لها القرار فاستقرت وثانيا بان اللام على اصل معناها اي فعلنا
ذلك لاجلها حتى تتوسل الارض بذلك الى التشفي من العصاة بيان لوجه كون الايحاء لاجل الارض
قوله من مخارجهم متعلق بقوله تع يصدر بمعنى ينصرف ويرجع فان الصدر ضد الورود
فالوارد الجائي والصادر المنصرف والناس قد وردوا القبور فدفنوا فيها ثم صدروا عنها
الى موقف الحساب ليروا اعمالهم في كتبهم او ليروا جزاء اعمالهم **قوله** متفرقين بحسب مراتبهم
فان بعضهم يذهب به الى الموقف راكبا مع الثياب الحسنة مع بياض الوجه والمنادي بين

يديه هذا ولي الله وآخرون يذهب بهم بالذلة وسواد الوجه حفاة مع السلاسل
والاغلال والمنادي ينادي بين يديه هذا عدو الله وقيل معنى اشتاتا ان كل فريق
مع شكله اليهودي مع اليهودي والنصراني مع النصراني **قوله** ولعل حسنة الكافر
وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران في نقص الثواب والعقاب جواب عما يقال
ان حسنات الكافر محيط بكفره وسيئات المؤمن معفوة اما ابتداء واما بسبب
اجتناب الكبائر فما معنى الجزاء بمثاقيل ذرة من الخير والشر وحاصل الجواب الاول
ان حسنات الكافر وان كانت محبطة بمعنى انه لا يستحق بها ثوابا الا انه ذلك لا ينافي
ان يرى جزاء تلك الحسنات بان ينقص من عقاب كفره بمقدار تلك الحسنات وكذا سيئات
المؤمن وان معفوة من حيث انه لا يعذب بها الا ان ذلك لا ينافي ان يرى جزاءها
بان ينقص من ثواب ايمانه وصالح اعماله بمقدار تلك السيئات واحباط تلك الحسنات
والسيئات لا يكون قادحا في عموم هذه الآية وحاصل الجواب الاخير بين ظاهر واجيب عنه
ايضا بجعل بان معنى الآية فمن يعمل مثقال ذرة من خير وهو كافر فانه يرى ثواب ذلك
في الدنيا حتى يلقى الآخرة وليس له فيها خير ومن يعمل مثقال ذرة من شر
وهو مؤمن فانه يرى عقوبة ذلك في الدنيا في نفسه واهله وماله حتى يلقى الآخرة
وليس له فيها شيء وقال ابن عباس رضي الله عنه ليس من مؤمن ولا كافر عمل
خيرا او شرا الا اراه الله اياه واما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته
واما الكافر فيرد حسناته ويعذبه بسيئاته **قوله** والذرة النملة الصغيرة
قال الكلبي الذرة اصغر النمل وقال ابن عباس رضي الله عنه اذا وضعت راحتك
اي يدك على الارض ثم رفعتها فكل واحد مما لزق بها من التراب ذرة وعلى
الوجهين مثقال ذرة بمعنى زنة ذرة وقرأ هشام باسكان هاء يره في الموضعين
وصلا ووقفا وباقي السبعة يقرؤنها باشباع ضمة الهاء اي موصولة بالواو
وصلا وبسكونها وقفا كسائر هاءات الكناية وهذه الآية نزلت ترغيبا في الخير ولو كان
قليلا فانه يوشك ان يكثر وتحذيرا من الشر والذنب وان كان قليلا فانه يوشك
ان يكون كثيرا ولهذا قال عليه السلام اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة
طيبة **سورة العاديات عشر آيات** بسم الله الرحمن الرحيم وهي

اتقوا الناس

هو بان

وهي جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو وهو المشي بسرعة والياء منقلبة عن الواو
لكسرة ما قبلها نحو الغازيات من الغزو والضبح صوت يسمع من افواه الفرس واجوافها
اذا عدون وهو صوت غير الصهيل والحمحمة وذكر لانتصاب ضبحا ثلثة اوجه الاول
انه مصدر مؤكد لفعل محذوف اي تضبح ضبحا على تاويل العاديات بالجماعات او يضبحن
جريا على لفظها وهذا الفعل المقدر في موضع النصب على انه حال من عاديات والثاني
انه مصدر مؤكد للعاديات لان الشرط في عامل المفعول المطلق ان يتحد في المعنى لا في اللفظ
والاتحاد في المعنى حاصل هنا لان الضبح لكونه من لوازم العدو صار مدلولا له لا بالبا
فكان قوله والعاديات في معنى والضابحات فصح انتصاب ضبحا على انه مفعول مطلق له
والثالث انه حال من المنوي في العاديات فقوله والعاديات ضبحا اي ضابحة في العدو
على ارادة الجماعة او ضابحات على اللفظ فقوله ضبحا من باب رجل عدل وكذا الكلام في انتصاب
قدحا فانه يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف اي يقدحن قدحا والقدح الصك
والضرب فان الخيل يضربن بحوافرهن وسنابكهن الحجارة فيخرجن منها نارا ويجوز
ان يكون مصدرا للموريات لانها بمعنى القادحات اي يدل عليها التزاما ويجوز
ان يكون حالا من المنوي في الموريات بان يكون المصدر بمعنى الفاعل اي قادحة وانتصاب
صبحا على الظرف وقد اشار اليه بقوله اي في وقته **قوله** تغير اهلها على العدو اشارة
الى ان اسناد الاغارة الى الخيل مجاز والمراد اربابها لانهم هم المغيرون لا خيلهم ومعنى الاغارة
في اللغة الاسراع يقال اغار اذا اسرع وكانوا يغيرون على العدو صباحا لانهم في
الليل يكونون في الظلمة فلا يبصرون شيئا واما النهار فالناس يكونون كالمستعدين
للمدافعة والمحاربة واما هذا الوقت فالناس يكونون في الغفلة وعدم الاستعداد **قوله**
فاثرن به معطوف على ما قبله من لفظ اسم الفاعل حملا على معناه لان المعنى والخيل اللاتي
عدون فاورين فاغرن فاثرن واصله اثورن نقلت حركة الواو الى الثاء قبلها وقلبت
الواو الفا فصار اثارن فحذفت الالف لاجتماع الساكنين فبقي اثرن بوزن افلن يقال
اثار التراب اذا هاج واثرته اذا هيجته **قوله** غبارا اوصياحا قال الامام في النقع
قولان احدهما انه الغبار وقيل انه مأخوذ من نقع الصوت اذا ارتفع فالغبار سمي نقعا
لارتفاعه وقيل هو من النقع في الماء فكان صاحب الغبار خاض فيه كخوض الرجل في الماء

والثاني ان النقع الصياح من قوله ما لم يكن نقع ولا لقلقة يعني الصياح في الاغارة
عليهم صياح النوايح وارتفاع اصواتهن واضطراب المصيبة ان ضمير به راجع الى
الزمان الذي وقع الاغارة فيه وهو الصبح فيكون الباء بمعنى في وقيل يرجع
الى المكان الذي وقعت الاغارة فيه وذلك المكان ان لم يسبق ذكره صريحا الا
ان قوله فالمغيرات صبحا يدل عليه لان الاغارة لا بد لها من موضع فالباء ايضا
للظرفية وقيل راجع الى العدو المذكور بقوله والعاديات اي واثرن بالعدو
ونقعا فالباء سببية وكذا في ضمير فوسطن به احتمال رجوعه الى النقع لغيره
ذكرا على ان يكون الباء متعلقا بمحذوف منصوب على الحالية من المنوي في قوله
فوسطن **روي** عن مقاتل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية
الى حي من كنانة وامر عليهم المنذر بن عمرو واحد النقباء فتمكث ما شاء الله
ان تمكث ولم يأته خبرها فقال المنافقون قتلوا جميعا فاخبره الله تعالى
عنها بقوله والعاديات ضبحا الى آخرها وبين بذلك سلامتهم وانهم
توسطوا في وقت الصبح جماعة الاعداء فاغاروهم وظفروا عليهم غانمين
سالمين وان المنافقين كاذبون في قولهم انهم قتلوا جميعا فان جعلنا الالف
واللام في العاديات للعهد كان المقسم بخيل تلك السرية وان جعلناها
للجنس كان ذلك قسما بكل خيل عدت في سبيل الله واتصفت بالصفات المذكورة
وعلى التقديرين فهي مستحقة لان يقسم بها لاتصافها بتلك الصفات الشريفة
قوله اثر كما لهن اعتبره اظهارا لشرفهن الا انه لم يجعلهن مقسما بهن
فان الاقسام انما يكون بما فيه شرف وكمال وعدوهن ما دعتهن في الارتفاع الى
درجات الكمالات الروحانية وضبحهن ما طرأ عليهن من التعب بسبب اجتهادهن
في مباشرة اسباب ذلك الارتفاع وقوله اذا لهن ظرف لقوله والمغيرات على النهوض
والماحية للرسوم البشرية والعادات الطبيعية وقت ان طلع عليهم صبح
العرفان وتجلى لهم انوار هذه صفات الجلال والجمال قوله تع لربه متعلق بكنود
قدم للفواصل اي لكنود لنعم ربه عن الواحدي ان الكنود منع الحق والخير والكنود
الذي يمنع ما عليه والارض الكنود وهي التي لا تنبت شيئا ثم للمفسرين عبارات

عبارات في تفسيره قال ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد وعكرمة والضحاك رح
وقتادة رضي الله عنه الكنود الكفور قالوا ومنه سمي الرجل المشهور بكندة
لانه كند اباه ففارقه وعن الكلبي رح ان الكنود بلسان عرب كندة العاصي
وبلسان بني مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور وروى ابو امامة
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الكنود الكفور الذي يمنع رفده ويأكل وحده
ويضرب عبده واعلم ان معنى الكنود لا يخرج عن ان يكون كفرا او فسقا وكيف ما
كان فلا يمكن حمله على كل الناس فلا بد من صرفه الى كافر معين على ما روي انها
نزلت في قرط بن عبد الله وقيل نزلت في صاحب وكان رجلا بخيلا وكان
من بخله انه كان لا يوقد النار اذا نام الناس فاذا انتبهوا اطفأ ناره لئلا ينتفع
بها احد في كان في عصره فانه الطائي المشهور بالسخاء واجتمع معهما في عصرهما
ثالث يقال له الاشعث وكان مشهورا بالطمع حتى اذا راى انسانا يحك عنقه
يظن انه ينزع قميصه ليدفعه اليه ويؤيده قوله تعالى افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور
فانه لا يليق الا بالكافر المنكر لذلك الامر وان حملت على الكل يكون المعنى ان طبع
الانسان يحمله على ذلك الا اذا عصمه الله تع بلطفه وتوفيقه من ذلك
قوله لظهور اثره عليه الى اشارة الى انه ليس المراد حقيقة الشهادة لان قوله تع
لشهيد ذكر مطلق اي غير مقيد بزمان فيدل على انه شهيد في عموم الاوقات وليس كذلك
بل المراد من شهادته على نفسه بالكنود انه امر ظاهر لا يمكنه ان يجحده ويتكره
فصار بذلك كانه شهد به على نفسه وقيل يشهد على نفسه بذلك في الاخرة ويعترف
بذنوبه **قوله** او ان الله على ان يكون ضميرانه الله جل ذكره بناء على ان الاصل في الضماير
ان يرجع الى اقرب ما ذكر مما يصح ان يرجع اليه والاقرب في هذه الآية هو لفظ الرب
فيكون الآية وعيدا او زجرا له عن المعاصي من حيث انه تع يحصي عليه اعماله وعلى الاول
هي تاكيد لكونه كنودا لنعمة ربه ويؤيد الاول وهو رجوع ضميرانه الى الانسان ان ضمير
قوله وانه لحب الخير لشديد بعده راجع الى الانسان فناسب ذلك ان يرجع ضمير الآية
التي قبلها الى الانسان ايضا ليحصل حسن الانتظام ويحترز عن تفكيك الضماير **قوله** جمع
محصلا في الصحف كلمة في متعلقة بجمع بقرينة ما في الكشاف من قوله ومعنى حصل جمع

في الصحف اي اظهر محصلا مجموعا واصل التحصيل اخراج الشيء المستور بآخر المعمور فيه
واخذه منه كاخراج اللب من القشر واخراج الذهب من حجر المعدن والبر
من التبن والدهن من اللبن والدردي والجمع والاظهار من لوازمه **قوله**
او ميز وفي الكشاف وقيل ميز بين خيره وشره ومنه قيل للمنخل المحصل اي آلة
التحصيل وتمييز الدقيق عن النخالة فانه لا بد من التمييز بين الواجب والمندوب
والمباح والمكروه والمحظور فان لكل واحد حكما على حدة فيتميز البعض عن البعض
وتخصيص كل واحد منها بحكمه اللائق به هو التحصيل **قوله** وتخصيصه لانه الاصل
جواب عما يقال لم خص اعمال القلوب بالذكر في قوله تعالى وحصل ما في الصدور
واهمل ذكر اعمال الجوارح اجاب عنه بان اعمال الجوارح تابعة لاعمال القلب فانه
لولا البواعث والارادة في القلوب لما حصلت افعال الجوارح ولذلك جعل الله تع
القلوب اصلا في المدح والذم حيث قال وجلت قلوبهم وقال آثم قلبه والعامل
في الظرف وهو قوله تع اذا بعثر لا يخلو من ان يكون يعلم او بعثر او لخبير او مدلول
قوله تع ان ربهم بهم يومئذ لخبير لا يجوز ان يعمل فيه يعلم كما زعم قوم لان الانسان
لا يراد منه العلم في ذلك الوقت ويراد منه ذلك في الدنيا فلا بد ان يؤول النظم
على وجه يفيد معنى قوله افلا يعلم الانسان الآن ان الله تع عالم به اي بجميع ما عمله
سرا او جهرا من خير وشر فيجازيه على حسب ذلك ولا بعثر كما زعم آخرون لهذا
الوجه ولان بعثر اضيف اليه اذا والمضاف اليه لا يعمل في المضاف لانه بمنزلة ان
يعمل بعض الكلمة في بعضها ولا خبير لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها واذا كان
كذلك ثبت ان العامل فيه مدلول قوله ان ربهم بهم يومئذ لخبير اي
افلا يعلم الانسان في الدنيا ان الله مجازيه اذا بعثر او افلا يعلم علم الله تعالى
اياه اذا بعثر فيكون هذا المدلول الذي قدر عاملا في اذا احد مفعولي
يعلم ويمكن ان ينصرف قوله من قال ان العامل في اذا هو يعلم بان ما ذكرنا من ان
الانسان لا يراد منه العلم في ذلك الوقت انما يرد اذا كان ضمير يعلم راجعا
الى الانسان وذلك غير لازم لجواز ان يرجع الى الله عز وجل ويكون مفعولا يعلم
محذوفين والتقدير افلا يعلمهم الله تع عاملين بما عملوا اذا بعثر على ان يكون العلم

العلم كناية عن المجازاة والمعنى افلا يجازيهم اذا بعثر يكون قوله ان ربهم بهم يومئذ
لخبير تحقيقا وتقريرا لذلك المعنى وتصريحا بالوعيد والتهديد والمعنى صحيح
لا غبار فيه **قوله** يومئذ معمول لقوله لخبير وحيلولة اللام بينهما لا تمنعه من ان يعمل
فيما قبله لان حكم هذه اللام وحقها ان يكون في اول الكلام كان لكنها اخرت لاجل
دخول ان على المبتدا حتى لا يجتمع حرفا تاكيد فان قيل كيف يصح ان يكون يومئذ
ظرفا لخبير مع انه يوهم اختصاص علمه بهم بذلك اليوم والحال انه تع لم يزل عالما
ويمتنع ان يسبقه جهل ما ابدا قلنا العلم كناية عن الجزاء وهو يقع يومئذ فاللازم
اختصاص تمام الجزاء بذلك اليوم والامر كذلك **قوله** وانما قال ما ثم قال بهم
اشارة الى جواب ما يقال عبر عن اهل القبور اولا بكلمة ما وهي في الاغلب
لا تطلق الا على غير اولي العلم واطلاقها على اولي العلم قليل نادر كما حكى ابو زيد سبحان
ما سخركن لنا وسبحان ما يسبح الرعد بحمده وقال تع وما ملكت ايمانهم كذا في
شرح الرضي والظاهر ان المثالين الاولين من قبيل ما استعمل فيه كلمة ما في صفات
العلم كما مر في قوله تع والسماء وما بناها وان المثال الثالث من قبيل قوله عم
ليس للنساء من الولاء الا ما اعتقن او اعتق من اعتقن حيث عبر عليه السلام
عن المعتق بفتح التاء بلفظ ما وعن المعتق بكسر التاء بلفظ من الحاقا للرقيق الذي
يتعلق به العتق بالبهايم من حيث انه محجور عن التصرف مثلها بخلاف المعتق
بكسر التاء فانه لحريته عاد الى حالته الاصلية وهي الانسانية فعبر عنه بمن كذا
افاده الشريف الجرجاني في شرح الفرائض ثم انه تع عبر عن اهل القبور بضمير العقلاء
حيث قال ان ربهم بهم ولم يقل ان ربها بها فما الحكمة في ذلك وجوابه انهم ما داموا
اموات وجمادات فعبر عنهم في تلك الحال بما يعبر به عن غير اولي العلم وانهم
يوم القيمة احيا عقلاء فعبر عنهم بضمير من يعقل باعتبار تلك الحال توفية لكل
للحال حقها

سورة القارعة احدى عشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم
القرع الضرب بشدة واعتماد ثم سميت الحادثة العظيمة من حوادث الدهر قارعة
قال الله تع ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة واتفقوا على ان القارعة
اسم من اسماء يوم القيمة سمي بها اما لان الاجرام العلوية والسفلية تصطكان اصطكاكا
شديدا

عند تخريب العالم فبسبب تلك القرعة سمي يوم القيمة بالقارعة او لانه تقع فيه الحالة
التي تقرع الناس بالاهوال والافزاع والسموات بالانشقاق والانفطار والشمس والقمر
وسائر الكواكب بالانتثار والجبال بالدك والنسف والارض بالزلزال والتبديل
والخسف قال المص في سورة الحاقة في تفسير قوله تعالى كذبت ثمود وعاد بالقارعة
اي بالحالة التي تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتثار قوله تعالى
القارعة مبتداء وما مبتداء ثان والقارعة خبره والجملة خبر للمبتداء الاول ووضعت
القارعة موضع الضمير العائد الى المبتدأ تفخيما لشانها وافادة لزيادة التهويل وتقدير
الكلام القارعة اي شيء هي ثم زادها تفخيما حيث قال وما ادريك اي اي شيء
اعلمك ما القارعة فانها حادثة عظيمة وحالة هائلة لا تحيط بها دراية احد وما الاولى
مبتداء وما الثانية مبتداء ثان والقارعة خبر المبتداء الثاني والجملة في محل النصب على انها
مفعول ثان لادريك ومفعوله الاول الكاف وادريك مع ما في حيزها في محل الرفع على انه
خبر المبتداء الاول فان قلت اذا اخبرت عن شيء بشيء فلا بد ان تستفيد منه علما
زائدا وقوله وما ادريك يفيد كونك جاهلا به فكيف يعقل ان يكون هذا خبرا
قلنا حصل لنا بهذا الخبر علم زائد لانا كنا نظن انها قارعة كسائر القوارع وبهذا
التجهيل علمنا انها قارعة فاقت القوارع في الهول والشدة والفراش جمع فراشة
قال الزجاج هو الحيوان الذي يتهافت في النار والمبثوث المفرق يقال بثه اذا فرقه
شبه الله تعالى الخلق وقت البعث في هذه الاية بالفراش المبثوث وفي اية اخرى
بالجراد المنتشر ووجه التشبيه بالجراد هو الكثرة والاضطراب وبالفراش المبثوث
اختلاف جهات حركاتهم اذا بعثوا فزعوا فيذهب كل واحد منهم الى جهة غير جهة الاخرى
كالفراش فانها اذا ثارت لا تتجه الى جهة واحدة بل تختلف جهاتها قيل الفراش غوغاء الجراد
فان الجراد اذا صارت له اجنحة وكاد يطير ولم يطر فانه يسمى غوغاء وقد شبه الناس
به عند البعث من حيث انهم يموج بعضهم في بعض ويركب بعضهم بعضا من شدة الهول
قوله وانتصاب يوم بمضمر دلت عليه القارعة اي هي تقرع يوم يكون ويحتمل ان يكون
معمولا لاذكر مضمرا او قيل القارعة مرفوع على انه فاعل فعل مضمر ويوم منصوب به تقديره
ستاتي القارعة يوم يكون قوله كالصوف ذي الالوان فان الجبال مع كونها مختلفة الالوان
على ما قال

على ما قال ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود اذا تفرقت
اجزاؤها وازيل التاليف والتركيب عنها يصير مشبها بالعهن وهو الصوف
الملون بالوان مختلفة اذا جعل منفوشا متبدل الاجزاء قال الخليل النفش مدك الصوف
حتى ينتشر ووجه الشبه هو التلون والتفرق جميعا قوله بان ترجحت مقادير
انواع حسناته اشارة الى ان المراد من الموازين جمع موزون وهو العمل الذي له وزن
وخطر عند الله تعالى وثقله رجحانه واضافة المقادير الى الانواع من باب مقابلة
الجمع بالجمع فيفيد انقسام الاحاد الى الاحاد اي اذا ترجح مقدار كل نوع من انواع
اعماله الصالحة على مقدار ما يقابل ذلك النوع من سياته يطيب عيشه
وقال المتكلمون ان نفس الحسنات والسيات لا يصح وزنها بل المراد الصحف المكتوبة
فيها الحسنات والسيات يوزن او يجعل النور علامة الحسنات والظلمة علامة السيات
فيوزن النور بالظلمة فاما ان يترجح عليها او يخف منها وقيل الموازين
جمع ميزان وذكره بلفظ الجمع تعظيما له وعن ابن عباس ان الميزان له لسان
وكفتان يوزن به اعمال المكلفين فيؤتى بحسنات المطيع في احسن صورة فترجح فالجنة
له ويؤتى سيئات الكافر في اقبح صورة فتخف وزنه فيدخل النار وكيف
لا يثقل ميزان حسنات المطيع وانها في الدنيا كانت اثقل شيء على النفس وحق الميزان
لا يدخل فيه الا الحسنات ان يثقل وكذا المعاصي واتباع الباطل كانت اخف شيء
على النفس في الدنيا والميزان الذي لا يوضع فيه الا المعاصي السيئات حق له ان
يخف قال مقاتل انما كان كذلك لان الحق ثقيل والباطل خفيف قوله فامه هاوية
قيل للماوي ام على سبيل التشبيه لان الماوى يضم اهله الى نفسه كما تضم الام ولدها
الى نفسها قوله ذات حمي على ان الالف صيغة الفاعل للنسبة لا للحدوث مثل تامر
ولابن والحمي اشتداد الحرارة يقال حمي التنور بكسر الميم حميا اي اشتد حره
والمعنى ان سائر النيران بالنسبة اليها كانت ليست حامية وهذا القدر
كاف في التنبيه على قوة سخونتها نعوذ بالله من انواع عذابه ومن انواع
عذابه ومبادي يودي اليها قولا وفعلا وخلقا سورة التكاثر ثمان ايات
بسم الله الرحمن الرحيم والتفاعل يستعمل على احد ثلثة اوجه الاول مفاعلة

الاثنين فصاعدا او الاثنين التكلف في اظهار ما ليس فيه نحو تعاميت عن امر كذا
اذا تكلفت عمى عنه ونحوه التفاعل والتمارض والثالث ان يستعمل بمعنى الثلاثي
نحو تباعدت عن الامر اي بعدت عنه فلفظ التكاثر في هذه الآية يحتمل الوجهين
الاولين فيحتمل ان يراد متكاثرة الاثنين مالا او عددا بان يقول كل واحد منهما
لصاحبه انا اكثر منك مالا واعز نفرا او يحتمل تكلف الكثرة فان الحريص على الدنيا
يتكلف جميع عمره بتكثير ماله وكذا الحريص على الجاه وسائر طرق اللهو وتعريف
التكاثر ليس للاستغراق لان التكاثر والتفاخر في السعادة الحقيقية غير مذموم
شرعا اذا كان على طريق الاعتراف بنعم الله تعالى عليه وقصد ان يشكرها وتشويقا
لغيره للاقتداء به كما ذكر في قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث ومن ذلك ما روي
من تفاخر العباس بان السقاية بيده وتفاخر شيبة بان المفتاح بيده الى
ان قال علي رضي الله عنه وانا قطعت خرطوم الكفر بسيفي فصار الكفر مثلة
فاسلمتم فشق ذلك فنزل قوله اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن
آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله اي في الثواب فتعين
ان تعريف التكاثر للعهد والمعهود هو التكاثر في امور الدنياوية والسعادات
الفانية فان اجناس السعادات ثلاثة الاول السعادات النفسانية كالعلم والعفة
والاخلاق الحميدة والثاني السعادات البدنية كالصحة والقوة والجمال والثالث
السعادات التي تطوف بالبدن من خارج وهي قسمان احدهما ضروري وهو المال والجاه
والآخر غير ضروري وهو الاقرباء والاعوان وهذا الذي عددناه في المرتبة
الثالثة انما يراد كلها لاجل البدن بدليل انه اذا تألم عضو من اعضائه فانه يجعل المال
والجاه فداء له فالسعادات البدنية تكون اصلا بالنسبة اليها وهي انما
تقصدها لاجلها والسعادات البدنية ايضا انما يقصدها العقلاء للسعادات
النفسانية فان الشخص ما لم يكن صحيح البدن لم يتفرغ على اكتساب السعادات
النفسانية الباقية التي هي اصل السعادات واذا عرفت هذا فنقول العاقل
ينبغي ان يكون سعيه في تقديم الاهم على المهم والتفاخر بالمال والجاه والاعوان
والاقرباء تفاخر باخس المراتب من اسباب السعادات والاشتغال به والسعي

والسعي في تكثيره يمنع الانسان من تحصيل السعادات النفسانية كالعلم والعمل فيكون
ذلك ترجيحا لاخس مراتب السعادة على اشرفها وذلك عكس الواجب وضد
الحزم فلهذا السبب ذمهم الله تعالى بقوله الهاكم التكاثر اي شغلكم التكاثر بكل ما
يكون من الدنيا ولذاتها وشهواتها عن السعادات النفسانية المؤدية الى السعادات
الابدية فان اصل الالهاء الصرف الى اللهو والعبث والتكاثر اذا صرف العبد الى اللهو يكون
العبد منصرفا اليه ومعلوم ان الانصراف الى الشيء يقتضي الاعراض عن غيره
فتفسير الهاكم عن كذا بشغلكم تفسير له بما يلزم اصل معناه الا انه صار حقيقة
عرفية بالغلبة قوله اذا استوعبتم اه يعني ان قوله تعالى زرتم المقابر كناية عن
معنى صحيح انتقلتم من ذكر الاحياء عند تفاخركم بالعدد الى ذكر الاموات
والنكتة في هذه الكناية التهكم بهم لان زيارة القبور شرعت لتذكير الموت
وترك الدنيا والاعراض عن المباهات وهؤلاء عكسوا الامر من حيث جعلوا زيارة
القبور وسيلة الى المباهات بالدنيا وكثرتها فعلى هذا يكون المراد بالتكاثر في الآية التكاثر
في العدد والكثرة فاورد ما روي في سبب نزول هذه السورة من ان بني عبد
مناف وبني سهم تفاخروا وادعى كل واحد منهما انهم اكثر عددا فيبعد ان يكون المراد
التكاثر في العدد قوله فكثرهم بنو عبد مناف اي غلبوهم بالكثرة من قولهم كاثرناهم
فكثرناهم اي غلبناهم بالكثرة على ما ذكر في باب المغالبة انهم اذا ارادوا الاخبار
بالغلبة في فعل نقلوا الافعال اللازمة من باب فعل بضم العين الى باب نصر ويذكر وله
بعد فاعل مسند الى الغالب فيه نحو كارمني زيد فكرمته اي غالبني في الكرم فغلبته فيه
ومثله كاثرناهم فكثرناهم وقول بني سهم ان البغي اهلكنا اي بغي الاعداء والقتال
معهم اهلكنا فعدوا المجموع احياءنا وامواتنا مع مجموع احيائكم وامواتكم ففعلوا
ذلك فزاد بنو سهم فنزلت الآية فمعناها الهاكم التكاثر باحيائكم فلم ترضوا حتى
انتقلتم الى ذكر الاموات مفتخرين بهم فكانه تعالى يعجبهم من انفسهم ويقول هب
انكم اكثر منهم عددا فماذا ينفع ذلك بل الذي يهمكم تحصيل الكمالات النفسانية
وقيل المراد بالتكاثر هو التكاثر بالمال ويستدل عليه بما روي انه عليه السلام سمع انه يقرأ هذه
الآية الهاكم التكاثر ويقول بعدها اي يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك

الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت فعلى هذا
يكون قوله حتى زرتم المقابر بمعنى حتى متم فانه كثيرا ما يعبر عن الموت بزيارة
القبور فيقال لمن مات زار قبره فمعنى الآية الهيكم حرصكم على تكثير اموالكم
عن طاعة ربكم اتاكم الموت وانتم على ذلك **قوله** وانما حذف الملهى الملهى عنه
ضمير عنه راجع الى الالف واللام في الملهى والمعنى وانما حذف الذي الهى عنه وعلل
الحذف بعلتين الاول تعظيم الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين فان عظمة
الشيء يكون باعثة على عدم ذكره كما اذا بني الفعل للمفعول عند عظم الفاعل
نحو قتل الخارجي اذا قتله الامير والثانية المبالغة والتعميم لكل ما حقه ان يشتغل
به فانه اذا لم يذكر الملهى عنه يذهب الوهم فيه كل مذهب فيدخل فيه ما يحتمل
المقام مثل الهيكم عن ذكر الله وعن الواجبات او المندوبات مما يتعلق بالقلب
كالعلم والتفكر والاعتبار او بالجوارح كانواع الطاعات حتى عن التدبر في امر القارعة
والاستعداد لها قبل الموت ان نظرنا الى ما قبل هذه الآية او عن التدبر في امر القبر واهوال
ان نظرنا الى ما بعد هذه الآية فالمعنى الهيكم التكاثر عما يسعدكم في القبر وينجيكم عن
شدائده فنسيتم امره حتى زرتموه **قوله** اذا عاينتم ما ورائكم قال الحسن لا يغرنكم
كثرة من ترى حولك فانك تموت وحدك وتبعث وحدك وتحاسب وحدك
وقال تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم
وراء ظهوركم وهذا يمنعكم عن التكاثر فلذلك رد الله على الذين الهيهم التكاثر
بالعدد والاموال والاولاد وردعهم بقوله كلا اي ليس الامر كما يتوهم هؤلاء
من ان فضل الانسان وسعادته بكثرة اعوانه وقبائله وامواله واولاده فكلمة كلا
ردع عن الاشتغال بما لا يعنيه وفي الردع عنه تنبيه على الخطأ الذي يدل عليه
ما بعد كلا **قوله** تكرير لتأكيد الردع والانذار فهو ردع بعد ردع
ووعيد بعد وعيد الا ان الثاني لما كان اشد من الاول وابلغ جيء بينهما بكلمة
ثم **قوله** او الاول عند الموت في وقت ما يبشر به المحتضر من جنة او نار او في
حين سؤال منكر ونكير يقولان من ربك وما دينك ومن نبيك والثاني
عند النشور حين ينادي المنادي شقي فلان شقاوة لا سعادة بعدها وحين

وحين يقال وامتازوا اليوم ايها المجرمون فعلى هذا لا يكون التكرير للتأكيد لحصول
التغاير بينهما بتغاير زماني العلمين ومتعلقيهما فان يلقى كل واحد من الزمانين
نوعا آخر من العذاب واعادة كلمة الزجر والردع من حيث انها عقبت في
كل موضع بشيء غير ما عقب به في الموضع الآخر قال لا تفعلوا كذا فانكم تستحقون
به من العذاب كذا لا تفعلوا كذا فانكم تستوجبون به ضربا آخر من العذاب والزجر
المعلل يتعدد باعتبار تعدد علته ويكون كلمة ثم على بابها من المهلة لبعد ما
بين الموت والنشور وكذا بين القبر والنشور وفي قوله سوف تعلمون خطاء
رأيكم وقوله لو تعلمون ما بين ايديكم من رؤية الجحيم وغيرها من الاهوال اشارة
الى ان تعلمون في المواضع الثلاثة بمعنى تعرفون حيث قدر له مفعول واحد او لم
يقدر له مفعول بان يجعل المقصود تحقق نفس العلم لا اثبات متعلقه لم يكن بعيدا
قوله علم الامر اليقين الحاث ره اي ان اليقين صفة موصوف محذوف فيكون
اليقين بمعنى المتيقن به وان انتصاب علم بنزع الخافض واتفق المفسرون على
ان جواب لو محذوف واختلفوا في تقديره فقيل تقديره لو تعلمون علم اليقين
لتركتم التفاخر والتكاثر وقيل لو علمتم ماذا يجب عليكم لتمسكتم به وقيل
لو علمتم لاي شيء خلقتم لاشتغلتم به **قوله** فحذف الجواب للتفخيم اي التهويل
لتفخيم التهويل فانه اذا حذف الجواب يذهب الوهم كل مذهب فيكون التهويل
اعظم بناء على ان كل واحد من تلك المذاهب المحتملة مما يجب ان يصرف المكلف
ما في وسعه من الاهتمام اليه وان يحصل مع انه لم يلتفت الى شيء من ذلك
ولم يحصله قط بحكم احتمال كونه جواب لو وصحته وما يكون جواب لو يجب كونه
غير حاصل لعدم حصول الاول ولا شك ان من ترك واجبات كثيرة عظمت
جنايته فيعظم خوفه وهذا على تقدير ان يكون الجواب غير معين عند المخاطب بل
ذهب ذهنه بسبب الحذف الى مذاهب محتملة واذا كان متعينا عنده بان
كان محذوفا فالحذف حينئذ يكون للتفخيم ذلك المحذوف من حيث ان عدم ذكره
يفيده ابهاما فيكون حذفه بمنزلة ذكره منكرا او لو ذكر منكرا لافهم منه التفخيم
فكذا اذا كان مفهوما من الكلام على وجه الابهام **قوله** ولا يجوز ان يكون قوله

لانه

لترون الجحيم جواب لو لا لانه محقق الوقوع فان رؤية الجحيم سيحصل لهم البتة ولو كان قوله لترون الجحيم جواب لو لوجب ان لا يحصل لهم هذه الرؤية لان ما كان جواب لو اذا كان مثبتا يدل الكلام على انتفائه وان كان منفيا يدل على وقوعه بناء على ما اشتهر من ان لو يفيد امتناع الثاني لامتناع الاول فقوله لترون الجحيم مثبت فلو جعل جواب لو لكان المعنى انكم لا ترونها لكونكم جهالا وهو غير صحيح نعم ان قيل المراد من هذه الرؤية رؤيتها بالقلب في الدنيا وهذه الرؤية لا يحصل لهم في الدنيا فصح ان يكون جواب لو على معنى لو تعلمون اليوم في الدنيا بما بين ايديكم كعلم الامر المتيقن به لترون الجحيم بعيون قلوبكم ثم لترونها عين اليقين عند معاينتها بعين الرأس قلت فعل الرؤية اذا تعلق بالاعيان المرئية يكون الظاهر ان يراد به رؤية العين لا رؤية القلب وترك الظاهر خلاف الاصل ومما يدل عليه ان قوله لترون الجحيم لا يصح ان يكون جواب لو ان قوله ثم لتسألن يومئذ عن النعيم عطف عليه وهو اضراب عن امر كائن لا محالة ولا يخفى ان عطف ما هو كائن لا محالة على ما لا يقع ولا يوجد قبيح في النظم **قوله** بل هو جواب قسم محذوف فاللام في لترون لام جواب القسم والقسم لتاكيد الوعيد وافادة ان ما اوعد به في قوله سوف تعلمون مما لا ريب فيه وابهم ما اوعد به في ذلك القول تفخيما للوعيد بكونه مبهما متناولا لامور متعددة ثم اوضح ذلك بقوله لترون الجحيم وذكر في فائدة التكرير ثلثة اوجه **الاول** انه لتاكيد الوعيد ونون التاكيد تقتضي كون تلك الرؤية اضطرارية بمعنى انكم لو خليتم ورأيكم لما ابصرتموها ولكنكم تحملون على رؤيتها شئتم او ابيتم **والثاني** ان الرؤية الاولى الرؤية من البعيد فانها تبرز للغاوين فيرونها وهم في الموقف كما قال تعالى وبرزت الجحيم للغاوين والرؤية الثانية اذا صاروا الى شفير النار دفعا يتوانى الحفرة وما فيها من الحيوانات المؤذية وكيفية السقوط فيها والتي كانت من البعيد رؤيتها ببعض خواصها واحوالها مثل رؤية لهبها ودخانها ولا شك ان الرؤية الثانية اجلى واكشف فلذلك خصت بانها نفس اليقين حيث قيل ثم لترونها عين اليقين **والثالث** ان المراد بالرؤية الاولى رؤية القلب وهي المعرفة وبالثانية رؤية العين وهذه المعرفة لا تحصل الا لمن اصر على كفره

بناء

٧٧

على كفره بناء على ان الهاه التكاثر اياه عن النظر في امور دينه واحوال معاده الا عند الموت وفي القبر وعند البعث الى ان يعاينوها وكونها محقق في تلك الاوقات يمنع من ان يكون لترون الجحيم في الدنيا فلا يمكن ان يقال هذه المعرفة متحقق الوقوع فلا يجوز اي يكون لترون الجحيم بهذا المعنى جواب لو وانما قلنا انه لا يمكن ان يقال ذلك لان الكلام فيمن الهاهم التكاثر عن النظر في امر الدنيا فلا يكون معرفة البعث والمجازات بالجنة والجحيم حاصلة لهم فلا يمكن ان يقال معرفة الجحيم في الدنيا محقق الوقوع بالنسبة اليهم حتى يتفرع عليه عدم جواز كونه جواب لو فظهر بهذا تعليل المص عدم جواز ذلك بكون رؤية الجحيم محقق الوقوع مبني على ان يكون الرؤية بمعنى الابصار لا بمعنى المعرفة **قوله** اي الرؤية التي هي نفس اليقين اشارة الى ان انتصاب عين على انه مصدر لترونها اي لترونها رؤية هي عين اليقين ولعله جعل الرؤية التي هي سبب اليقين من نفس اليقين مبالغة وقيل انتصاب عين اليقين على انه مصدر من غير لفظ الفعل حملا على المعنى لان راى بمعنى عاين **قوله** والخطاب مخصوص بكل من الهاه دنياه عن دينه مثل كفار مكة الذين نزلت هذه السورة في حقهم ومن شاركهم في هذا الوصف ملحق بهم سواء كان من فسقة المؤمنين او من الكفار فيسألون يوم القيمة عن شكر ما كانوا فيه من الخير والنعم ولم يشكروا رب النعيم حيث اتبعوا شهوات انفسهم واتخذوا اهويتها الهتهم ثم يعذبون على ترك الشكر حتى يظهر لهم ان الذي ظنوه سبب سعادتهم النعيم مخصوصا بما يشغله عن طاعة الله والاشتغال بشكره والذي يدل على هذا التخصيص امران الاول القرينة فان ما سبق من الخطاب كله لمن الهاه دنياه فكذا هذا والثاني النصوص الدالة على ان المؤمن لا يؤاخذ بما تناوله من الطيبات وهي الحلال الذي ينتفع به على الوجه المشروع ومن قال ان الاية مخصوص بالكفار استدل ايضا بالنصوص ومنها ما روي ان ابا بكر لما نزلت هذه الاية قال يا رسول الله ارايت اكلة اكلتها معك في بيت ابي الهيثم الانصاري من خبز شعير ولحم عناق وبسر قد ذنب وماء عذب ان يكون من النعيم الذي يسأل عنه فقال عليه السلام انما ذلك للكفار ثم قرأ وهل نجازي الا الكفور هكذا رواه الامام وهي تدل على ان السورة مدنية والاكثرون على انها مكية وروى الامام ابو الليث هكذا ان ابا بكر رضي الله تعالى سأل رسول صلى الله تعالى عليه وسلم عن اكلة اكلتها معه في بيت

من الكفر والفسق واما صلحاء المؤمنين بانهم خارجون عن هذا الخطاب منه

الله

١٠٥

ابي الهيثم فقال يا رسول الله انخاف علينا ان يكون هذا من النعيم الذي نسأل عنه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما ذلك للكفار ثم قال عليه السلام ثلث لا يسأل الله تعالى
العبد عنها يوم القيمة ما يواري به عورته وما يقيم به صلبه وما يكنه من الحر والقر
وهو مسئول بعد ذلك عن كل نعمة قوله وقيل يعمان اي الخطاب عام للكافر والمؤمن
الصالح والفاسق والنعمة عام لكل نعمة فيسأل الكل واحدا انه هل شكر على ما انعم عليه
من النعيم او كفر لما روي عنه عليه السلام ان اول ما يسأل عنه العبد يوم القيمة من النعيم
ان يقال له الم نصحح لك جسمك ونروك من الماء البارد وروي ايضا انه لا يزال
قدما عبد حتى يسأل عن اربع عن عمره فيما افناه وعن ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه
وعن شبابه فيما ابلاه وماذا عمل بما علم وقيل اعظم النعم انه يسوغه لانه ما يأكله
ويشربه ويسهل اخراجه وقيل النعيم صحة الابدان والانتفاع بمنافع الحواس
فيسأل الله تعالى عبده فيما استعملوها وهو اعلم بذلك منهم وذلك لقوله ان السمع والبصر
والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا فان النفس الانسانية كانت في اول الخلقة خالية
عن العلوم والمعارف فالله تعالى اعطاها هذه الحواس لتستفيد بها العلوم ان فعلى الحطها
السمع لتسمع مواعظ الله والبصر لتبصر دلائل الله والفؤاد لتعقل عظمة فيسأل في الجائي
امر استعملها فظهر ان الحق الخطاب عام للكل لكن الكافر يسأل توبيخا لانه ترك الشكر
ويسأل المؤمن تشريفا لانه شكر واطاع وفي التيسير ان كلمة ثم في قوله ثم لتسألن
يومئذ عن النعيم للترتيب في الاخبار لا في الوجود فان السؤال بانك اشكرت
في النعيم ام كفرت يكون في موقف الحشر قبل دخول النار وقيل هو بعد النار
يسأل الكافر فيها سؤال التوبيخ لقوله تعالى كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها
الم يأتكم نذير وقوله تعالى ما سلككم في سقر فيسأل الكافر فيها ليضطر الى الاعتراف
بالتقصير في شكرها وبقصر همته على استيفاء اللذات كأكل المطاعم البهية ولبس
الملابس البهية وركوب المراكب السنية وسكون المساكن العالية مشتغلا
بانواع اللهو والطرب ومجانبا عن تحلية النفس بالفضائل العلمية والعملية وقالوا لو كنا
نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فيقال لهم قد استوفيتم ما اردتم من الحظوظ
ونسيتم لقاء يومكم هذا فنسيكم حتى بقيتم في عذاب الهون

سورة العصر ثلث ايات

بسم الله الرحمن الرحيم اقسم بصلوة العصر لفضلها فانه كثيرا ما يطلق العصر ويراد صلوته
قال مقاتل يقال اذن للعصر اي لصلوته وصليت العصر اي صلوته ودليل فضلها قوله عليه السلام
الصلوة الوسطى صلوة العصر فثبت به انها افضل الصلوات لان تخصيص الصلوة الوسطى
بعد قوله حافظوا على الصلوات تنصيص على فضلها وقوله عم من فاتته صلوة العصر
فكانما وتر اهله وماله اي فهو صار كمن صار موتورا بان قتل له اهل واصيب ماله
فلم يدرك بدم قتيله وضمان ماله الجوهري الموتور الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه
روي ان امرأة كانت تصيح في سكك المدينة وتقول دلوني على النبي عليه السلام
فقال لها ما حدث قالت يا رسول الله ان زوجي غاب عني فزنيت فجاءني ولد من الزنا فالقيت
الولد في دن من الخل حتى مات ثم بعنا ذلك الخل فهل لي من توبة فقال عليه السلام اما
الزنا فعليك الرجم بسببه واما القتل فجزاؤه جهنم واما بيع الخل فقد ارتكبت به
الكبيرة لكن ظننت انك تركت صلوة العصر وفي هذا الحديث اشارة الى تفخيم امر هذه الصلوة
ولان اسواق العرب انما تقوم وقت العصر لانه وقت ارتفاع الحرارة بسبب انبساط ظل الحيطان
على الارض فكان ذلك وقت تجارتهم وكسبهم والاشتغال بتحصيل اسباب معاشهم فكان
اداء صلوة العصر اشق والكلفة في ادائها اكثر وقد ثبت ان افضل الاعمال اشقها وقوله عم
من حلف بعد العصر كاذبا لا يكلمه الله ولا ينظر اليه يوم القيمة ولا يزكيه قوله او بعض النبوة
وهو من زمان بعثه عليه السلام الى انقراض امته في آخر الزمان واحتج من ذهب الى هذا القول
بقوله عليه السلام انما مثلكم ومثل من كان قبلكم من الامم مثل رجل استأجر اجيرا فقال من يعمل لي
من الفجر الى الظهر بقيراط فعملت اليهود ثم قال من يعمل من الظهر الى العصر بقيراط فعملت
النصارى ثم قال من يعمل من العصر الى المغرب بقيراطين فعملتم انتم فغضب اليهود والنصارى
ثم قالوا نحن اكثر عملا واقل اجرا فقال الله تعالى وهل نقصت من اجركم شيئا قالوا لا
فهذا فضلي اوتيه من اشاء فكنتم اقل عملا واكثر اجرا فهذا الخبر دل على ان العصر
هو الزمان المختص به وبامته فلا جرم اقسم الله تعالى به ايذانا بشرفه فاذا كان الزمان الذي هو
كالظرف له وجريان شرعه ودينه بهذه المثابة من الشرف فقس عليه شرف نفس المظروف
وفي رواية البخاري عن سالم بن عبد الله عن ابيه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول انما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الامم كما بين صلوة العصر الى غروب الشمس اوتي اهل التورية

التورية فعملوا بها حتى اذا انقضت النهار عجزوا فاعطوا قيراطا ثم اوتي اهل الانجيل
الانجيل فعملوا الى صلوة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا ثم اوتينا القرآن فعملنا الى غروب
الشمس فاعطينا قيراطين قيراطين فقال اهل الكتابين اى ربنا اعطيت هؤلاء
قيراطين قيراطين واعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن كنا اكثر عملا قال الله تعالى هل ظلمتكم من اجركم
من شيء قالوا لا قال فهو فضلي أوتيه من اشاء **قوله** او بالدهر واستعمال لفظ العصر في مطلق
الزمان وهو الدهر كثير شايع ويجوز ان يقسم به لما فيه من انواع العجايب بحسب اختلاف فصوله
وتعاقب ليله ونهاره واختصاص كل واحد منها بحكم يختص به مما يتعلق به انتظام احوال
المخلوقات وفيه ما هو اعجب من كل عجيب وهو ان العقل لا يقوى الحكم عليه لا بالوجود ولا
بالعدم اما انه لا يقدر على ان يحكم بعدمه لانه يطرء عليه القسمة الى السنين والشهور
والايام والساعات ويحكم عليه بالزيادة والنقصان والمطابقة وكونه ماضيا ومستقبلا
[فكيف] يكون معدوما واما انه لا يقدر على ان يحكم عليه بانه موجود فلان هذه الامور لا يطرء على الزمان
الحاضر لانه غير قابل للقسمة والماضي والمستقبل معدومان فيكون ما يتركب معدوما ايضا
فكيف يمكن الحكم عليه بالوجود ولان بقية عمر المرء لا قيمة له فلو ضيعت الف سنة ثم تبت
في اللمحة الاخيرة من العمر بقيت في الجنة ابد الاباد فظهر لك ان اشرف الاشياء حيوتك
في تلك اللمحة فكان الدهر والزمان من جملة احوال النعم فلذا اقسم الله تعالى بها بيت
نقلست كه بيش شقيق بلخى بيرى آمد وكفت كه بسيار معصيتها كرديم
اكنون آمدم كه توبه كنم شقيق كفت دير آمدي دير آمدي وبير كفت
ذود آمدم ذود آمدم شقيق كفت جكونه بير كفت هركه بيش ازمرك آيد
ذود آمده باشد شقيق كفت ذود آمدي ونيك كفتي وهذه الرواية تؤيد
ما ذكر من ان اللمحة الباقية اشرف الاشياء لمن تاب فيها **قوله** والتعريض
بنفي ما يضاف اليه من الخسران بالجر عطفا على الاشتمال قيل اى انه تعالى اقسم بالدهر
لكذا وللتعريض بنفي ما ينسبونه اليه بمثل قولهم وما يهلكنا الا الدهر ووجه التعريض
انه تعالى لما اقسم به علم انه كسائر مخلوقاته التي اقسم بها في السورة المتقدمة مما
يتعلق بخلقه حكمة عظيمة ومصلحة مهمة وانه بمعزل عن ان ينسب شيء من الحوادث
كما ظنه الدهرية والا لكان شريكا له ومبغوضا عنده فلا يقسم به والخير والخسران
بمعنى

بمعنى مثل الكفر والكفران ومعناه النقصان وذهاب رأس المال فان رأس المال في حق
جنس الانسان هو نفس عمره فهو في جميع سعيه وصرف عمره في المطالب مهلك ومضيع عمره
الا المؤمن العامل فانه ما هلك عمره وماله لانه اكتسب بهما سعادة الابدية
فيه بجواني تجاراتهم حيث ظفروا بالشريف الباقي في مقابلة الخسيس الفاني **قوله**
والتعريف للجنس بشهادة الاستثناء فانه قد تقرر ان صحة الاستثناء من جملة ادلة
العموم والاستغراق **قوله** والتنكير للتعظيم اى لفي خسر عظيم لا يعلم كنهه الا الله
والذنب يعظم في حقه الذنب او لانه في مقابلة النعم العظيم وكلا الوجهين حاصلان
في ذنب العبد في حق ربه فلا جرم كان ذلك الذنب في غاية العظيم **قوله** وهذا
من عطف الخاص على العام اى ذكر التواصي بالامرين بعد ذكر العمل الصالح مع
ان العمل الصالح كما يتناول ما يتعلق بتكميل نفسه يتناول ايضا ما يتعلق
بتكميل غيره كالتواصي المذكور للمبالغة في فضله وشرفه بابراز انه امر مغاير للمعطوف
عليه خارج عن مدلوله من غاية شرفه وذلك مثل عطف جبرائيل عليه السلام على
الملائكة لذلك وان خص العمل بما يتعلق بتكميل نفسه فقط اى من غير ان يقصد به
تكميل غيره لا يكون عطف وتواصوا من قبيل عطف الخاص على العام بان يكون على الظاهر
وهو عطف احد المتغايرين على الآخر وهو ظاهر **قوله** ولعله تعالى انما ذكر سبب الربح
وهو الامور الاربعة الايمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر
فانه تعالى لما استثنى من اتصف بهذه الاربعة عن الكون في خسر اشعر ذلك بكون
الاوصاف الاربعة علة الاستثناء المذكور وسببا للربح من المستثنى منه وفي جانب
الخسران اقتصر على ذكر الحكم وهو الخسر ولم يذكر سببه فلما اتجه طلب الفرق
بينهما تصدى في بيان الفرق بان المقصود الاهم الفوز بالسعادات
الابدية ومعرفة اسبابه بخلاف الخسر ومعرفة اسبابه فانه لا يتعلق به قصد القاصد
فاكتفى ببيان المقصود فصرح ببيان اسباب الفوز ولم يتعرض بغير المقصود
مع ان التصريح المذكور يتضمن الاشعار بان اسباب الخسران ما هي من حيث انه
علق الفوز بهذه الاوصاف الاربعة اشعر ذلك انه عند انتفائها ينتفي الفوز بالمطلوب
وهو الخسران كما روى عنه عليه السلام انه قال الناس رجلان عالم ومتعلم وسائر الناس

قصد قاصد سعه

١١٧

همج لا خير فيهم صرح عليه السلام بان من لا علم له حتى يعمل به بمقتضى علمه ثم
ان لم يكن متعلما بتوصية غيره فهو همج ساقط عن درجة الانسانية وهذا التصريح
بما اشعر به سابق كلام وايضا تعداد مثالب اهل العيب والتقصير ينافي
مقتضى الكرم فلذلك لم يفصل اسباب الخسران وهذا مالا يخفى بها وعيد شديد من حيث
دلالتها على ان الانسان لا ينجو من الخسران بتكميل خاصة نفسه بل لا بد معه
من الاهتمام بشان غيره بنصيحته وامره بالمعروف ونهيه عن المنكر وكرر
التواصي ليتضمن الاول الدعاء الى الحق والثاني الثبات عليه او الاول الامر بالمعروف
والثاني النهي عن المنكر **سورة الهمزة وايها تسع** بسم الله الرحمن الرحيم
في الصحاح اللمز العيب والاشارة بالعين ونحوها يقال لمزه يلمزه وقرئ
بها قوله تعالى في الصحاح ومنهم من يلمزك في الصدقات ورجل لماز ولمزة اي
عياب ثم قال والهمز مثل اللمز والهامز والهماز العياب والهمزة مثله ثم
قال ولهزه بالرمح طعنه في صدره ولهز الفصيل ضرب امه برأسه
عند الرضاع وقال التهزم التكسير يقال تهزم القثاء اذا ايبس فتكسر وهزمت
الجيش هزما وهزيمة فانهزموا انتهى كلامه وللمفسرين الفاظ في تفسيرها
قال ابن عباس رضي الله عنه الهمزة المغتاب واللمزة العياب وقيل الهمز
باليد واللمزة باللسان وقيل الهمزة بالمواجهة واللمز بظهر الغيب وقيل الهمز
ما يكون جهرا واللمز سرا بالحاجب والعين وقيل لابن عباس رضي الله عنه
من الهمزة واللمزة الذين يهددهم الله بالويل فقال هم المشاؤن بالنميمة
المفرقون بين الاحبة كلها الى اصل واحد وهو الطعن واظهار العيب فما ذكره
فما ذكره المص خلاصة هذه الوجوه فقوله تعالى لمزة بدل من همزة والتاء
فيهما للمبالغة في الوصف كالتي في علامة ودواية ولذلك يقال رجل همزة
وامرأة همزة وقد اطرد ان بناء فعلة بضم الفاء وفتح العين للمبالغة في الفاعل
اي للمكثر المتعود لما خذ الاشتقاق واسكان العين يكون للمبالغة في المفعول
يقال رجل لعنة اذا كان يلعنه الناس وضحكة اذا كانوا يضحكون منه بان يكون
مسخرة بلهم فالاول هو الذي يفعل به لغيره والثاني هو الذي يفعل به غيره

الناعتون للناس
بالعيب جميع هذه
الوجوه متقاربة
راجعة صح

غيره ولما بولغ في وصفهم بان عبر عنه بصيغة فعلة بولغ في جزائه ايضا
وهو النبذ في الحطمة فان الحطم الكسر فلما عبر عن الناس بصيغة فعلة
دل على ان ذلك شانها وعادتها كما ان ذلك الوصف دأبهم وعادتهم فجوزوا
جزاء وفاقا لاعمالهم وزاد عليها بان قوبل كسر الاضلاع بكسرهم للاعراض بان
يعبر عن الجزاء بلفظ النبذ المنبئ عن الاستخفاف والاستقلال في مقابلة ظنهم بانفسهم
اهل الكرامة والكثرة ونظيره قوله تعالى فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم شبههم
استحقارا لهم واستقلالا لعددهم بحصيات اخذهن آخذ في كفه فطرحهن في البحر
قوله ونزولها في الاخنس بن شريق وكان يلمز الناس ويغتابهم وخاصة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبي
صلى الله عليه وسلم وراءه ويطعن عليه في وجهه وقال المحققون الوعيد الذي في هذه
السورة عام بكل من يفعل هذه الفعل كائنا من كان وذلك لان خصوص السبب لا يقدح
في عموم اللفظ وقال قوم انه مختص باناس معينين كالاخنس والوليد وامية بن
خلف وعموم اللفظ لا ينافي ان يكون المراد منه شخصا معينا كما لو قال لك احد
لا ازورك ابدا فتقول كل من لم يزرني لا ازوره تريد به من تخاطبه فقط لا كل احد
وقد تقرر في اصول الفقه انه يجوز تخصيص العام بقرينة العرف ونحوه ولا يخفى انه
لا حاجة الى هذا التكلف **قوله** بدل من كل كانه قيل ويل للذين جمع او منصوب
باضمار اعني او مرفوع بتقدير هو وعلى التقادير فهو وصف معنوي له وانما وصفه
الله تعالى بهذه الوصف لانه يجري مجرى السبب للهمز واللمز من حيث انه اعجب نفسه
بما جمع من المال وظن ان كثرة المال سبب لعز المرء وفضله فلذلك استنقص غيره
ولم يجعل وصفا نحويا لكل لانه نكرة والنكرة وان تخصصت بالاضافة الى النكرة
لا يصح توصيفها بالموصولات **قوله** وجعله عدة على ان يكون قوله وعدده ماخوذا
من العدة وهي الذخيرة المعدة لحوادث الدهر من المال والسلاح يقال اعددت
الشيء لكذا او عددته له اذا جعلته عدة وذخيرة وقوله او عده مرة بعد
اخرى على ان يكون ماخوذا من العد وهو الاحصاء ونقل الى بناء فعل لتكثير الفعل
كما في جمع على قراءة التشديد فان جمع المخفف انما يدل على مجرد صدور الجمع منه

ولا يدل على تعدده ووقوعه وتكرره واما جمع المشددة فانه يدل على كثرة الجمع وتعدده
بان جمع من ههنا وههنا في ازمنة متعددة متطاولة **قوله** ويؤيده انه قرأ وعدده
على ان يكون العدد اسما مضافا الى ضمير المال بمعنى مقدار المعدود وانتصابه بالعطف
على قوله مالا فالمعنى الذي جمع مالا وضبط عدده واحصاه على ان يكون جمع عدد المال
عبارة عن ضبط عدده وكناية عن كثرته وقيل وعدده بفك الادغام فعل اتصل
به ضمير المفعول المنصوب بمعنى وعده فيكون معطوفا على جمع وعلى التقديرين يؤيد
قراءة التخفيف ان عدده بالتشديد ماخوذ من العد بمعنى الاحصاء **قوله** تركه خالدا
في الدنيا وجه قوله تع يحسب ان ماله اخلده بثلثة اوجه والمراد بالخلود في تلك الوجوه
الخلود في الدنيا والحسبان حقيقة في الوجه الاول واستعارة تمثيلية في الوجهين
الاخيرين والظاهر ان قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده استيناف على الوجه الاول
وجملة حالية من المنوي في جمع على الوجهين الاخيرين ويجوز ان يكون جملة حالية
على جميع التقادير وتقدير الوجه الاول على تقدير ان يكون جملة استينافية انه
لما قيل جمع مالا وعدده فكانه قيل ما باله يجمع المال ويهتم به ويترك بسببه الاستعداد
لما بعد الموت فقيل انه لرؤيته ان الحيوة والسلامة عن الامراض والآفات تدور
على مراعات الاسباب الظاهرة يحسب حقيقة ان المال سبب خلوده في الدنيا
حتى ان نابت نائبة يتداركها بالمعالجات المناسبة لدفعها فاحبه كما يحب مسببه
وهو الخلود في الدنيا وتقدير المعنى على تقدير كون الجملة حالية قريب من هذا التقدير
ووجه الاستعارة في الوجه الثاني انه ليس ممن يحسب حقيقة لكن شبه حاله في حب المال
واستغراق همه بجمعه وتكثيره ونسيانه الموت وما بعده من قوارع الآخرة بسببه بحال
من يحسب ان ماله يخلده فاطلق في حقه هذا التركيب مجازا والوجه الثالث قريب
من الثاني الا ان طريق التشبيه فيه تشبيه حاله في حب الدنيا طول آماله ومناه
الاماني البعيدة وحمله على ان يعمل عمل من لا يظن الموت بحسب الخلود بحال من يحسب ان ماله
اخلده في الدنيا فاطلق في حقه ما يطلق على من يحسب ذلك حقيقة والحال المشبهة
في الوجهين هي الغفلة عن الموت وما بعده الا ان تلك الغفلة في الوجه الثاني ناشئة
عن حب المال والحرص الشديد على جمعه وتكثيره وفي الوجه الثالث ناشئة عن حب الدنيا

عن حب الدنيا والاستغراق في همومها واوقاتها والشغف باللذات الفانية **قوله** وفيه تعريض
اي وفيه تهديد لمن يحسب ان ماله اخلده بالويل والهلاك واشارة الى ان ثمة مخلدا ينبغي
للعاقل ان يكب عليه الا انه غير المال وهو العمل الصالح والسعي للآخرة فانه هو الذي يخلد
صاحبه في الدنيا بالذكر الجميل وفي الآخرة في النعيم المقيم وانما قال اخلده ولم يقل يخلده
لان المراد ان هذا الانسان يحسب ان المال ضمن له الخلود واعطاه الامان من الموت
فكانه حكم قد فرغ منه ولذلك ذكره بلفظ الماضي قال الحسن ما رأيت يقينا لا شك
فيه اشبه بشك لا يقين فيه كالموت ونعم ما قال قوله تع وما اوقده الله لا يقدر ان
يطفئه غيره يعني ان اضافة النار اليه تع لتفخيمها والدلالة على انها ليست كسائر
النيران وتوصيفها بالموقدة يدل على ان ايقادها مسند الى الله تع وانها قد
اوقدت بامره وقدرته فلا تخمد ابدا وفي الحديث اوقد عليها الف سنة حتى احمرت
ثم الف سنة حتى ابيضت ثم الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة عن علي بن
ابي طالب رضي الله عنه كرم الله وجهه عجبا ممن يعصي الله على وجه الارض والنار
تسعر من تحته **قوله** تعلو اوساط القلوب يقال طلع الجبل واطلع عليه اذا علاه
والفؤاد وسط القلب يعني ان تلك النار تحطم العظام وتاكل اللحوم فتدخل في
اجواف محبي الشهوات وتصل الى صدورهم وتعلو على افئدتهم وتستولي عليها
الا انها لا تحرقها اذ لو احرقت لمات اصحابها وقد قال الله تع لا يموت فيها
ولا يحيى **روي** عنه عليه السلام ان النار تاكل اهلها حتى اذا اطلعت على افئدتهم
انتهت ثم ان الله يعيد لحمهم وعظمهم مرة اخرى **قوله** من آصدت الباب
قد مر في سورة البلد ان آصدت الباب واوصدته لغتان بمعنى اطبقته
واغلقته وان الاول افعل من مهموز الفاء مثل آمن والثاني افعل ايضا الا
انه من معتل الفاء مثل اوصل يوصل وكونها مطبقة عليهم كونها بحيث لا فرجة
فيها حتى يخلص اليهم منها روح ويخفف عنهم كرب **قوله** تحق اي تشتاق
والاجبال جمع جبل **قوله** اي موثقين في اعمدة اشارة الى ان في عمد في موضع نصب
على الحال من الضمير المجرور في عليهم والعمد جمع عمود للكثرة كادم جمع اديم والاعمدة للقلة
والعمد بضمتين جمع عمود ايضا كرسول ورسل او جمع عماد ككتاب وكتب والمقاطع

جمع مقطرة وهي خشبة فيها خروق تدخل فيها ارجل المحبوسين **قوله** تقطر فيها
اللصوص اي يلقون على احد قطريهم بقال طعنه فقطره تقطيرا اي القاه على
احد قطريه وهما جانباه فتقطر اي تسقط **سورة الفيل مكية وهي خمس آيات بسم الله الرحمن الرحيم**
قوله اختلفوا في تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم
باربعين سنة وقيل بثلثة وعشرين سنة وقيل مولده عليه السلام بعد يوم العسكر
الفيل بخمسين يوما والاكثرون على انه في العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكان قبل مبعثه باربعين سنة **قوله** وهو وان لم يشهد تلك
الواقعة جواب عما قيل ما وجه قوله تعالى الم تر مع ان اصل الرؤية ان يكون بصرية
وان الاستفهام فيه للتقرير فكان المعنى قد رايت وشاهدت وهو عليه السلام
لم يشاهده وحاصل جوابه ان المراد بالرؤية هنا رؤية القلب وهي العلم وعبر
عنه بالرؤية لكونه علما ضروريا مساويا في القوة والجلاء للمشاهدة والعيان
وانما قلنا انه علم ضروري لان طريق حصوله الخبر المتواتر وهو يفيد علما ضروريا
لا سيما قد تايدت الاخبار المتواترة بمشاهدة آثار تلك الواقعة **روي** عن
ابن عباس رضي الله عنه انه راى من الحجارة التي اهلك الله بها قوم ابرهة
الاشرم عند ام هاني نحو قفيز مخططة بخطوط حمر كالجزع الظفاري وعن
عايشة رضي الله عنها رايت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين
يستطعمان وكان عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم وابو مسعود الثقفي
شاهدان من فوق الجبل عسكر ابرهة حين رماهم الطير بالحجارة فهلكوا
فقال عبد المطلب لصاحبه صار القوم بحيث لا يسمع لهم ركز فانحطا
من الجبل فدخل العسكر فازا موتى فجمعا من الذهب والجواهر وحفر كل
واحد منهما لنفسه حفرة وملأها من المال وكان ذلك سبب غناهما وهذا
كله من آثار تلك الواقعة فقد شاهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل له بذلك
علم ضروري بها يوازي العيان فكانه تعالى قال الم تعلم يا محمد بالاخبار المتواترة
المتايدة بمشاهدة الآثار علما يوازي العيان في الايقان **قوله** لان المراد تذكير
ما فيها من وجوه الدلالة الى آخره يعني ان الاشياء لها ذوات ولها كيفيات

كيفيات باعتبارها تدل على مدلولاتها وكلمة ما تدل على الاول وكيف على الثاني
والمقصود في هذا المقام ليس تذكير تلك الواقعة التي هي هلاك الطائفة المذكورة
لان كونها كهلاكهم لا يدل باعتبار نفسه على كمال علمه تعالى وقدرته وانما يدل عليه باعتبار
ما فيه من وجوه الدلالة وكيفيات الاهلاك فلذلك اختير ما يدل على الكيفيات
على ما يدل على نفس الذات **قوله** فانها من الارهاصات تعليل لكون ايقاع تلك الواقعة
للدلالة على عزة بيته وشرف نبيه والارهاصات هي الامور الخارقة للعادة
التي جرت على يد نبي قبل بعثته وقبل التحدي ماخوذ من الرهص بالكسر وهو الصف
الاسفل من الحائط فانه يجوز في مذهبنا تقدم خوارق العادة على زمان البعثة
تاسيسا للنبوة ومقدمة لها كاظلال الغمام وتكلم الحجر والمدر للنبي صلى الله
عليه وسلم قبل دعوى النبوة ومن هذا القبيل الهلاك من قصد تخريب الكعبة
المعظمة حال كونها موضع الاشراك بالله تعالى بعبادة غيره من الاوثان اذ فيه
دلالة على بعثة من يعظم البيت ويطهره عن الاوثان والرجس ويدعو الى الحق عبادة
الرحمن ويعظم شعائر الله باخلاص الطاعة له ولو كره المشركون وهذا البيت مولده
ومسكنه الى ان هاجر عنه بامر الله ومهبط ما يوحى اليه وقبلة امته الى يوم القيمة
فحفظ عن ارجل الاعداء وايديهم يدل على عزته وشرفه ولدلالته على عزته وشرفه
وقعت تلك الواقعة قبل بعثته على وجه التاسيس والارهاص والاشرم الشق
يقال شرمه اي شقه وابرهة سمي الاشرم لانه كان مشقوق الانف واصحمة اسم النجاشي
ملك الحبشة وكان اصحمة قد بعث ارياطا بعسكر من الحبشة الى ارض اليمن
فغلب عليها واستقر امره فيها زمانا ثم نازعه رجل من الحبشة يقال له ابرهة
بن الصباح في امر الحبشة فتفرقت الحبشة فرقتين فكانت فرقة مع ارياط
وفرقة مع ابرهة فكان الامر على ذلك الى ان قتل ابرهة ارياطا واجتمعت
الحبشة لابرهة وغلب على اليمن واقره النجاشي على عمله ثم ان ابرهة راى
الناس يتجهزون ايام الموسم الى مكة لحج بيت الله الحرام فبنى كنيسة بصنعاء
لم يبن لملك مثلها وسماها القليس واراد ان يصرف اليها حاج العرب فسمع
به رجل من بني مالك بن كنانة فخرج اليها فدخلها ليلا فقعد فيها فقضى حاجته ولطخ

الاشراك بالله

بالعذرة قبلتها فبلغ ذلك ابرهة فقال من اجترء علي فقيل صنع ذلك
رجل من العرب من اهل ذلك البيت سمع بالذي قلت فحلف ابرهة
عند ذلك ليهدمن ومرض ابرهة فتساقطت انامله ومات حتى انشق
صدره فخرج قلبه منه ولم يفلت منهم الا وزيره ابو يكسوم فاد وطائر
يطير فوقه ولم يشعر به حتى دخل على النجاشي فاخبره بما نالهم فلما استم كلامه
رماه الطير فسقط ومات فاري الله تع النجاشي كيف كان هلاك اصحابه قوله
وقرئ الم تر بسكون الراء قيل هذا السكون باب الشعر لا القرآن لما فيه من اسقاط
الالف والفتحة قبلها ترى واثر الجازم انما هو سقوط الالف وحده وكيف
منصوب بقوله فعل لا بقوله تر لان كيف فيه معنى الاستفهام فلا يعمل فيه ما قبله
والكيد ارادة المضرة بالغير على الخفية والمراد به ههنا تعطيل الكعبة وتخريبها
فان قيل انما سماه كيدا وامره كان ظاهرا فانه كان يصرح انه يريد هدم البيت
وتخريبها والجواب انه كان يظهر ان مقصوده هدم البيت واراده انتقاما
ممن قعد في كنيسته الا ان الذي كان يضمره في قلبه هو الحسد للعرب فكان
اصل مقصوده من هدم البيت ان يصرف الشرف الحاصل لهم بسبب الكعبة
منهم ومن بلدتهم الى نفسه والى بلدته فكان هدمه كيدا في حق العرب قوله
في تضييع وابطال كما يقال ضل اللبن في الماء اذا ذهب وغاب فلما ارادوا ان يكيدوا
قريشا بالسبي والقتل والبيت بالتخريب والهدم ابطل الله تع كيدهم بان اهلكهم
جميعا قوله وارسل عطف على قوله الم يجعل لان الاستفهام فيه للتقرير فكان المعنى
قد جعل ذلك وارسل ابابيل صفة لطير اجماعات متفرقة لانها كانت افواجا
فوجا بعد فوج وترميهم صفة اخرى لطير او حال منها لانها قد خصصت بالصفة
قوله والطير اسم جمع فيجوز تذكيره وتانيثه اما تذكيره فلان الجمع مذكر واما تانيثه
فلحمله على المعنى لانه بمعنى الجماعة قوله معرب سنك كل ذكر في بيان ماخذ السجيل اربعة
اوجه الاول انه كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة وهما سنك وكل
فالسنك الحجر والكل الطين اي ترميهم بحجارة متحجرة من هذين الجنسين والثاني
انه من السجل وهو الدلو الكبير اذا كان فيه ماء يقال سجلت الماء سجلا فانسجل

فانسجل اي صببته بالدلو فانصب قوله من سجيل بمعنى ان تلك الحجارة
كانت مما صبته الله عليهم من خزائنه قهره والثالث من الاسجال بمعنى
الارسال يقال اسجلت البهيمة مع امها اذا ارسلت وهذا اسجل اي
مرسل مطلق والمعنى انها مما ارسل الله عليهم والعذاب يوصف بالارسال
لقوله تع وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم وقوله فارسلنا عليهم الطوفان
والرابع انه ماخوذ من السجيل الذي هو الكتاب فكان السجيل اخذ منه وجعل
علما للديوان اعمالهم فكانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون
قوله من سجين بمعنى مما كتبه الله في ذلك الكتاب قوله كورق زرع فسر
العصف اولا بورق الزرع الذي شأنه ان يقطع فتعصف الرياح اي
تذهب به الى هنا وهنا وفسر الماكول بانه الذي اكل نفعه بان وقع فيه
الاكال شبههم به في فنائهم وذهابهم بالكلية او من حيث انه حدثت فيهم
بسبب رميهم بتلك الحجارة منافذ وشقوق كالزرع الذي اكله الدود او بانه
الذي اكل حبه وبقي تبنه وعلى هذا التفسير يكون المعنى كعصف ماكول الحب
كما تقول زيد حسن بمعنى حسن وجهه اجري الحسن على زيد مع انه حال وجهه اعتماد
اعتمادا على انفهام المعنى المراد شبههم بزرع اكل حبه في ذهاب ارواحهم
وبقاء اجسادهم ثم فسر العصف ثانيا بالتبن لانه تعصف به الريح عند
التذرية وتفرقه عن الحب وفسر الماكول حينئذ بالذي اكلته الدواب ثم
القته روثا فيبس وتفرقت اجزاؤه شبه تقطع اوصالهم بتفرق اجزاء
الروث وفيه مبالغة حسنة وهي انه لم يكتف بجعلهم اهون شيء في الزرع
وهو التبن الذي لا يجدي طائلا حتى جعلهم رجيعا الا انه عبر عن الرجيع بالماكول
على طريق الكناية مراعاة لحسن الادب واستهجانا لذكر الروث كما كنى بالاكل
في قوله تعالى كانا ياكلان الطعام عن نقل الاكل وما يلزمه من التبول والتغوط
لذلك روي انه تع لما رد الحبشة من مكة بهذه الكيفية عظمت العرب قريشا
وقالوا انهم اهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة دفع عدوهم فكان ذلك نعمة
عظيمة من الله تع عليهم سورة القريش واياتها اربع بسم الله الرحمن الرحيم

اتفقوا على ان قريشا ولد النضر بن كنانة واختلفوا في تسميتهم قريشا فقيل سموا
بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار
روي ان معاوية سأل ابن عباس رضي الله عنه لم سميت القريش قريشا
فقال باسم دابة في البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تُعلى اي تشبيها لهم بها من حيث
ان اتصافهم بهذه الصفات والتصغير للتعظيم وقيل سموا قريشا لانهم كانوا
كسبين بتجاراتهم وضربهم في البلاد ولم يكونوا اهل زرع ولا ضرع فهو مأخوذ
من القرش وهو الكسب يقال فلان يقرش لعياله اي يكسب فهو قارش
فقريش تصغير قارش والقياس ان يقال قويرش غير انه رخم وصغر
كقولهم حُرَيث في حارث وقيل انهم كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي
بن كلاب في الحرم حتى اتخذوها مسكنا فسموا قريشا لذلك لتقرشهم اي لتجمعهم
يقال تقرشوا اي اجتمعوا وقرشتهم اي جمعتهم ولذلك سمي قصي مجمعا قال
شاعر ابوكم قصي كان يدعى مجمعا به جمع القبائل من فهر قال علماء اهل اللغة
ألفت الشيء الفا وألفته ايلافا والافا بمعنى واحد اي لزمته ودمت
عليه وتركته تقول العرب الفت كذا اي لزمته فعلى هذا يكون معنى الآية
لالف قريش هاتين الرحلتين **قوله** وجمعهم بينهما ولزومهم اياهما و
ثباتهم عليهما متصلا لا منقطعا بحيث اذا فرغوا من هذه اخذوا في هذه
وبالعكس والظاهر على هذا المعنى ان يكون اللام في لايلاف متعلق بما قبلها
والتقدير فجعلهم كعصف مأكول لالف قريش اي اهلك الله اصحاب الفيل
ليبقى قريش وما الذي قد الفوه من الرحلتين وذكر عطا عن ابن عباس رضه
ان السبب في الفهم بالرحلتين هو ان قريشا اذا اصاب واحدا منهم مخمصة
خرج هو وعياله الى موضع وضربوا على انفسهم خباء حتى يموتوا وكانوا على
ذلك الى ان جاء هاشم بن عبد مناف وكان سيد قومه فقام خطيبا في قريش
فقال انكم احدثتم حدثا تقلون فيه وتذلون وانتم اهل حرم الله واشراف ولد آدم
والناس لكم تبع قالوا نحن تبع لك فليس عليك منا خلاف فجمع كل بني
اب على الرحلتين في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام لان

قوله

ليتجروا

كغنيهم

لان بلاد اليمن حامية وحارة وبلاد الشام مرتفعة باردة ليتجروا فما بدا لهم
من التجارات فما ربح الغني قسم بينه وبين فقرائهم حتى كان فقيرهم كغنيهم
فجاء الاسلام وهم على ذلك فلم يكن في العرب بنو اب اكثر مالا ولا اعز من قريش
وقال الشاعر الخالطين فقيرهم بغنيهم حتى يكون فقيرهم كالكافي فان قيل
كيف كان ما فعل الله باصحاب الفيل سببا لدوام قريش على ما الفوا به
من الرحلتين اجيب بان انتظام احوال مكة لما كان منوطا بهاتين الرحلتين
وانهم انما كانوا يربحون في اسفارهم لان ملوك النواحي كانوا يعظمون اهل
مكة ويقولون هؤلاء جيران بيت الله وسكان حرمه وولاة الكعبة حتى
انهم كانوا يسمون اهل مكة اهل الله فكانوا بذلك آمنين في اسفارهم ولا
يتخطفون ولا يتعرض بهم في نفوسهم ولا في اموالهم فلو تم للحبشة ما عزموا
عليه من هدم الكعبة لزال عنهم هذا العز والشرف وانقطع تعظيم الملوك
واحترامهم اياهم ولصار سكان مكة كسكان سائر النواحي يتخطفون من كل
جانب ويتعرض بهم في نفوسهم واموالهم فلما اهلك الله تع اصحاب الفيل و
جعل كيدهم في تضليل ازداد تعظيم ملوك الاطراف لهم فازدادت تلك المنافع
والمتاجر فلهذا قال الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل لايلاف قريش
رحلتي الشتاء والصيف ويجوز ان يكون الايلاف تعدية الالف على ان يكون
الف الشيء والفته غيري بمعنى لزمته والزمنيه الله تع اي فعلنا باصحاب الفيل
ذلك لنؤلف قريشا رحلتيها ونلزمهم اياهما والالزام على ضربين الزام بالتكليف
والامر والالزام بالمودة والموانسة فاذا احب المرء شيئا لزمه ومنه
والزمهم كلمة التقوى كما ان الالجاء ضربان احدهما لدفع الضرر كالهرب من السبع
والثاني لطلب النفع العظيم كما يجد مالا عظيما ولا مانع من اخذه لا عقلا ولا
شرعا ولا حسا فانه كالملجأ الى الاخذ وكذا الدواعي التي يكون دون الالجاء تارة
يكون لدفع الضرر واخرى لجلب النفع وهو المراد في قوله لايلاف قريش ايلافهم
فان قيل كيف يجوز ان يتعلق هذه اللام بما في المتقدمة وحق كل سورة ان يكون
مستقلة بنفسها ولا يتعلق ما في احدى السورتين بما في الاخرى قلنا من ذهب

الى كون اللام متعلقة بما قبلها طائفتان احدهما قالوا بانهما ليستا بسورتين
بل هما سورة واحدة واحتجوا عليه بان ابي بن كعب جعلهما في مصحف سورة
واحدة وبما روي ان عمر رضه قرأ في صلوة المغرب في الركعة الاولى والتين
وفي الثانية الم تر ولايلاف معا من غير ان يفصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم
وما ذكر من استبعاد تعلق اللام بما قبلها لا يرد على هذه الطائفة وهو ظاهر
والطائفة الثانية وهم الاكثرون قالوا كل واحدة منهما سورة منفصلة عن
صاحبتها وتعلق اول هذه السورة بما قبلها لا ينافي ذلك لان القرآن كله كالسورة
الواحدة وكالآية الواحدة يصدق بعضها بعضا ويبين بعضها معنى بعض وقولهم
ان ابيا رضه لم يفصل بينهما معارض باطباق الكل على الفصل بينهما وعلى هذا التقدير
وهو ان الايلاف بتقدير الالف يجوز ان يكون تعلق اللام بما بعده وهو قوله فليعبدوا
كما اختاره المصنف فيكون الايلاف مصدرا من المبني للمفعول مضافا الى مفعوله الاول
واطلق عن مفعوله الثاني حيث لم يقيد بتعلقه به ثم جعل المقيد به بدلا
عن ذلك المطلق تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظم المنة فيه لكونه نعمة عظيمة
وقيل الاقرب ان يكون قوله لايلاف قريش عاما لجميع كل مؤانسة وموافقة
كان بينهم في السفر والحضر وفي جميع احواله وقوله ايلافهم رحلة الشتاء والصيف
من قبيل عطف الخاص على العام تعظيما له كعطف جبرائيل على الملائكة ووجه التعظيم
كون تينك الرحلتين قوام معاشهم ومدار انتظام احوالهم لانهم كانوا يسكنوا
بواد غير ذي زرع وفائدة ترك واو العطف التنبيه على انه كل النعم والاول اظهر
قوله والفاء لما في الكلام الخ ورد ان يقال اذا كانت اللام متعلقة بقوله فليعبدوا
لزم توسط فاء التعقيب بين العامل ومعموله ولا وجه له اجاب عنه بان قوله
فليعبدوا جزاء شرط محذوف قدم عليه معموله والمعنى ما ذكره وقدم قوله لايلاف
قريش على عامله وعلى الفاء ليكون عوضا عن الشرط المحذوف والرحلة بالكسر الارتحال
وبالضم الجهة التي يرحل اليها واصل الرحلة السير على الراحلة فهي الناقة القوية ثم
استعمل في كل سير وارتحال والايلاف والايناف واحد وضدهما الايحاش قوله
او المحذوف اي ان اللام غير متعلقة لا بما قبلها ولا بما بعدها قال محيي السنة في

تفسيره حاكيا عن الكسائي والاخفش اللام في قوله لايلاف هي لام التعجب
كانه يقول اعجبوا لايلاف قريش لايلافهم رحلة الشتاء والصيف وتركهم
عبادة رب هذا البيت ثم امرهم بعبادته بقوله فليعبدوا وهذا كما يقول
لزيد واكرامنا اياه على وجه التعجب اي اعجبوا لذلك والعرب اذا جاءت بهذه
اللام اكتفوا بها دليلا على التعجب من غير اظهار فعل التعجب انتهى ووجه
التعجب انهم كل يوم يزدادون غيا وجهلا وانغماسا في عبادة الاوثان والله تعالى
يؤلف شملهم ويدفع الآفات عنهم وينظم اسباب معاشهم ولا شك انه غاية
التعجب مع عظم حلم الله وكرمه والظاهر على هذا الوجه ان يكون قوله فليعبدوا
معطوفا على مقدر اي لينتهوا عن هذا الكفران فليعبدوا والفاء للتعقيب
قوله كالتضمين في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت الذي قبله تعلقا لا يصح
معنى الآية وهو كذلك لان المعمول يتوقف في تمام معناه على عامله وعلى تعلقه
قوله اي بالرحلتين اشارة الى ان المراد بالجوع هو المجاعة الشديدة التي حملتهم
هاشم على الرحلتين بسببها لا المجاعة التي اصابتهم بدعوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين كذبوه وهي قوله اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف
فاشتد عليهم القحط واصابهم الجهد حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة فقالوا
يا محمد ادع الله فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخصبت البلاد
واخصب اهل مكة بعد القحط وهذا الاطعام لم يحصل بالرحلتين بل بدعوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن على بابه اي اطعمهم من اجل جوع عظيم
كانوا فيه قبل الرحلتين وقيل بمعنى بعد اي اطعمهم بعد الجوع الذي اصابهم
قال صاحب الكتاب الفرق بين عن ومن ان عن يقتضي حصول جوع قد
زال بالاطعام ومن يقتضي المنع من لحاق والمعنى على هذا اطعمهم فلم يلحقهم
جوع وآمنهم يلحقهم خوف فيكون من لابتداء الغاية والمعنى اطعمهم في بدء جوعهم
قبل لحاقه اياهم وآمنهم في بدء خوفهم قبل اللحاق سورة الماعون مكية وهي سبع آيات
بسم الله الرحمن الرحيم قوله استفهام معناه التعجب يعني ان هذا اللفظ وان كان
في صورة الاستفهام لكن الغرض بمثل هذا المبالغة في التعجب كقولك أرأيت فلانا فاذا ريك

وللمذا عرض نفسه ثم قيل انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وقيل انه خطاب لكل
عاقل ورأيت هنا يجوز ان يكون من رؤية البصر او بمعنى العرفان فيتعدى الى مفعول واحد
وهو الموصول كانه قال ابصرت المكذب او اعرفته وان يكون بمعنى العلم فيكون بمعنى
اخبرني فيتعدى الى اثنين الاول الموصول والثاني محذوف قدره الزمخشري من هو وقدره
القرطبي امصيب هو ام مخطئ او المعنى ارايت يا عاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور
دلائله ووضوح بيناته ايفعل ذلك لغرض فكيف يليق بالعاقل جر العقوبة الابدية
الى نفسه من غير غرض او لاجل الذنب او كيف يليق بالعاقل ان يبيع الكثير بالقليل **قوله**
سهل امرها اى امر هذه القراءة او امر الهمزة اى حذفها يعني ان وقوع حرف الاستفهام
في اول الكلام جعل امر حذف الهمزة سهلا يسيرا مع ان حذفها مختص بالمضارع نحو ترى
وارى واما نحو رايت لم يسمع من العرب ووجه التسهيل ان الماضي بسبب دخول حرف
الاستفهام عليه شابه المضارع لان في الطلب معنى الاستقبال فاخذ حكم المضارع كذلك مع
وقوع الهمزة في اوله ثقل وقوع همزة اخرى بعدها فسهل حذفها لذلك ايضا وحذفها
في الاية اسهل من حذفها في البيت الذي ذكره الزمخشري وهو صاح هل رايت
او سمعت براع رد في الضرع ما قرى في العلاب لان البيت وان كان فيه حرف الاستفهام
لكن تلك الحرف ليست بهمزة فلو لم يحذف فيه همزة رأيت لم يلزم الثقل الحاصل من
اجتماع الهمزتين بخلاف الاية قوله صاح اصله يا صاحب فحذف حرف النداء وحذف
المنادى فصار صاح قوله ما قرى اى ما جمع يقال قريت الماء في الحوض اى جمعته
والعلبة ما يجلب فيه من جلد او خشب وجمعه علب وعلاب **قوله** الذي يحتمل الجنس
فيكون عاما لكل من كان مكذبا بالدين **قوله** ان ابا جهل كان وصيا ليتيم فجاءه
عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه ولم يعبأ به فآيس الصبي فقال له اكابر قريش
قل لمحمد يشفع لك وكان غرضهم الاستهزاء به ولم يعرف اليتيم ذلك فجاء النبي صلى الله
عليه وسلم والتمس منه وهو عليه السلام ما كان يرد محتاجا فذهب معه الى ابي جهل فقام
ابو جهل ورحب به وبذل المال لليتيم فعيره قريش وقالوا اصبوت فقال لا
والله ما صبوت ولكن رايت عن يمينه وعن يساره حربة خفت ان لم اجبه
يطعنها في وكان ابو سفيان ينحر جزورين في كل اسبوع ففي يوم من الايام دع

دع يتيما سأله لحما والدع الدفع بعنف وجفوة قال تعالى يوم يدعون الى
نار جهنم دعا **قوله** ولا يحض اهله وغيرهم اشاره الى ان مفعول يحض محذوف
اى لا يحض نفسه ولا يأمر به غيره ولا بد مع تقدير المفعول من تقدير المضاف
اى لا يحث غيره على اطعام طعام المسكين من اجل بخله به واضافة الطعام الى
المسكين للاشعار بان ذلك حق المسكين وانه انما منع المسكين مما هو حقه وذلك
نهاية البخل وقساوة القلب وخساسة الطبع ولو كان مصدقا بالجزاء والجزاء
لما اقدم على ايذاء الضعيف ومنع المعروف فان دفع اليتيم الضعيف عن ماله
وعن حق نفسه ظلم وحرام لا يقدم المرء عليه الا مع الغفلة عن الجزاء والجزاء
واما دفعه بترك المواساة معه واعانته بقضاء حوائجه الضرورية وكذا عدم حث
غيره على المواساة المحتاجين واطعام المساكين فانه وان لم يكن في نفسه اثما وحراما
لكنه يصلح علامة لعدم اعتقاده بالجزاء وتكذيبه من حيث ان السبب في ذلك كله
هو التكذيب بالجزاء وانتفاء هذه المثبرات كلها لما كان متفرعا ومسببا بتكذيب
الجزاء رتب عليه قوله فذلك الذي الخ على قوله يكذب بالفاء السببية للايذان
بان دع اليتيم وعدم حث غيره على معاونة المحتاجين بسبب التكذيب بالجزاء
وجعل الزمخشري قوله فذلك جواب شرط محذوف وجعل تقدير الكلام ان طلبت
علمه فذلك يدع الخ **قوله** يرون الناس اعمالهم بيان بمعنى المفاعلة في هذا
الفعل فان يراؤن مفاعلة من الاراءة والمرائي يرى الناس عمله وهم يرونه الثناء
عليه والاعجاب فان قيل ما الفرق بين عن صلوتهم وبين في صلوتهم فالجواب ان
معنى في ان يكون الانسان شارعا في الصلوة طلبا لمرضاته وتقربا اليه وتذللا بين يديه
ولكنه يعتريه السهو فيها بوسوسة الشيطان او حديث النفس وذلك لا يكاد
يخلو عنه احد ومعنى السهو عن الصلوة عدم المبالاة بها والاعتناء بشأنها فيخرج
وقتها لذلك وان شرع فيها في وقتها لا يريد بها مرضاة الله تعالى والتقرب اليه
والامتثال لامره فينخفض ويرتفع ولا يدري ما يفعل وذلك فعل المنافقين
وهو شر من ترك الصلوة لانه استهزاء بالدين فثبت ان السهو في الصلوة
من افعال المؤمن لانه شرع فيها بنية صحيحة واعتقاد صادق وعن الصلوة

والجزاء بيان

من افعال الكافر وان باشر صورة الصلوة بفعله لكنه ساه غافل عن حقيقتها لانعدام
قصده ونيته **قوله** او للتسبب على معنى فويل لهم وجه السببية انه لما ذكر المكذب
بالجزاء باوصاف الذميمة التي ادى اليها تكذيبه بالدين تسبب عن ذكره على هذا
الوجه الدعاء عليهم بالويل والهلاك والفاء انما يدل على سببية قبلها من الاوصاف
لاستحقاقهم بالويل ووضع الظاهر في موضع الضمير يدل على سببية ما بعدها من
الاوصاف ايضا لاستحقاق المذكور بناء على ان تعليق الحكم على الموصوف يشعر بعلية
الوصف فان قيل كيف جعل المصلين وهو جمع قائما مقام ضمير الذي ولفظ الذي
ليس بجمع قلنا معناه الجمع لان المراد به الجنس والفرق بين المرائي والمنافق ان
المنافق يبطن الكفر ويظهر الايمان والمرائي انما يظهر زيادة الخشوع واثار الصلاح
ليعتقد من يراه انه من اهل الصلاح وحقيقة الريا طلب ما في الدنيا بالعبادة
ولا يكون المرائي مرائيا باظهار فرائض الله تع من نحو الصلوة والزكوة لان حقهما
الاعلان من اجل انهما من اعلام الدين وشعائر الاسلام فيستحق تاركهما الذم واللعن
فيجب اظهارها نفيا للتهمة عن نفسه **قوله** او ما يتعاون في العادة اي يتداوله
الناس بالعارية ويعين بعضهم بعضا باعارتها واستعارتها وقيل انه اسم لما لا يمنع
في العادة ويسأله الفقير والغني وينسب مانعه الى سوء الخلق ولوم الطبيعة
كالفأس والقدر والدلو والمقدحة والغربال والقدوم ونحوها ويدخل فيه الملح
والنار فانه روي ثلثة لا يحل منعها الماء والنار والملح ومن ذلك ان يلتمس جارك
ان يخبز في تنورك او يضع متاعه عندك يوما او نصف يوم واصحاب هذا
القول قالوا الماعون فاعول من المعن وهو الشيء القليل وسميت الزكوة ماعونا
لانه يؤخذ من المال ربع العشر وهو قليل من كثير والمقصود من الآية على هذا الزجر
عن البخل بهذه الاشياء القليلة فان البخل بها نهاية الدناءة والمنافقون كانوا
كذلك لقوله تع الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل وقال مناع للخير معتد اثيم
ومن فسر الماعون بالزكوة كابي بكر وعلي وابن عباس وابن عمر والحسن وسعيد
بن جبير وعكرمة وقتادة وغيرهم رضوان الله عليهم اجمعين استدلوا بذكره
عقيب الصلوة فانه يدل على ان المراد به هو الزكوة وبما روي عنه في آخر

منعها ح

في آخر سورة وهو قوله عليه السلام من قرأ سورة ارايت غفر الله له ان كان للزكوة
مؤديا فانه يوهم ان الماعون هو الزكوة وقيل اصله معونة والالف عوض من الهاء
سورة الكوثر ثلث آيات بسم الله الرحمن الرحيم اصل انا اننا فحذف احدى
النونات كراهة لاجتماع الامثال والاعطاء بلغة اهل اليمن الكوثر فوعل
من الكثرة كنوفل من النفل والعرب تسمي كل شيء كثير العدد وكثير القدر والخطر
كوثرا فهو بناء يفيد المبالغة في الكثرة والافراط قيل لاعرابية رجعت ابنها من
السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر اي بالعدد الكثير من الخير وهذا هو معنى الكوثر
في اللغة وذهب اكثر المفسرين الى ان الكوثر نهر في الجنة استدلالا بما روي عنه عم
ولعله انما سمي ذلك النهر كوثرا لكثرة ما فيها من المنافع على ما قال عم انه نهر في
الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير قيل من جملة خيره انه انفجر منه انهار الجنة
كما روي انه عليه السلام ما في الجنة بستان الا وفيه من الكوثر نهر جار قيل انه حوض
في الجنة ووجه التوفيق بين هذا القول والقول الاول ان يقال لعل ذلك النهر
ينصب في هذا الحوض او لعل الانهار انما يسيل من ذلك الحوض فيكون الحوض
كالمنبع وقيل الكوثر اولاده ودليله ان هذه السورة نزلت ردا على من عابه بعدم
الاولاد فالمعنى انه يعطيه نسلا يبقون على مر الزمان فانظر كم قتل من اهل البيت
ثم العالم ممتلي منهم وقيل الكوثر اتباعه واشياعه الى يوم القيمة ولا شك
له الكثرة من الاتباع ما لا يحصيهم الا الله تع روي انه عم قال بينا اكون مع
الانبياء اذ يظهر امة من الناس فنبتدرهم بابصارنا ما منا من نبي الا وهو يرجو
ان يكون امته فاذا هم غر محجلون من اثار الوضوء فاقول امتي ورب الكعبة
فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يظهر لنا مثل ما ظهر اولا فنبتدرهم بابصارنا
ما من نبي الا ويرجو ان يكون امته فاذا هم الغر المحجلون من اثار الوضوء فاقول
امتي ورب الكعبة فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يرفع لنا ثلثة امثال ما قد وقع
فنبتدرهم فذكر كما ذكر في المرة الاولى والثانية ثم قال ليدخلن ثلث فرق
من امتي قبل ان يدخلها احد من الناس لقد قال عم تناكحوا تكثروا فاني اباهي
بكم الامم يوم القيمة ولو بالسقط فاذا كان يباهي بمن لم يبلغ حد التكليف

فكيف بمثل هذا الجم الغفير فلا جرم حسن منه تع ان يذكر هذه النعم الجسيمة فقال
انا اعطيناك الكوثر وقيل الكوثر علماء امته وهو لعمري الخير الكثير لانهم كانبياء
بني اسرائيل من حيث ان هؤلاء الانبياء كما يتبعون النصوص الماخوذ من الوحي
في واقعات الاحكام ونوازل الحوادث فكذلك علماء امته يتبعون النص الالهي
ويستنبطون منه الاحكام باجتهادهم ثم تفضلهم على سائر الانبياء من جهتهم
ما روي انه يجاء يوم القيمة الرسل والانبياء ويتبعهم اممهم فربما يجيء الرسول
ومعه رجل ورجلان ويجاء بكل عالم من علماء امته ومعه الالوف الكثيرة فيجتمعون
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فربما يزيد عدد متبعي بعض العلماء على عدد متبعي
الف من الانبياء عليهم السلام وقيل الكوثر هو القرآن وفضائله لا تحصى ولو ان
ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت
كلمات قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي
ولو جئنا بمثله مددا وقيل الكوثر هو الاسلام وقيل هو الفضائل الكثيرة
التي فيه وقيل العلم وقيل المقام المحمود الذي هو الشفاعة وقيل الكوثر
النبوة ولا شك انها الخير الكثير لانها المنزلة التي هي نائبة الربوبية
ولهذا قال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل المراد من الكوثر جميع نعم الله
على محمد صلى الله عليه وسلم وهو المنقول عن ابن عباس رضي الله عنهما الكوثر يتناول
جميع النعم وليس حمله البعض اولى من حمله على الباقي فوجب حمله على الكل فيتناول
خيرات الدنيا ما كانت واصلة اليه والآخرة ما كانت واصلة اليه حين كان
بمكة والخلف في كلام الله تع محال فوجب في حكمة الله تع ابقاؤه في دار الدنيا الى حين
يصل اليه تلك الخيرات فكانت الآية بشارة له والوعد بانهم لا يقدرون
على ان يضروه بشيء ويوصلوا اليه كيدهم ومكرهم بل يصير امرهم كل يوم
وقوعه ويجوز ان يكون صيغة الماضي على حقيقتها بناء على ان الاسعاد والاشقاء
والاغناء والافقار ليس امرا يحدث الآن بل كان حاصلا في الازل بمحض
الاختيار والمشية من غير ان يكون شيء منها معللا بعلة اصلا فكانه تع
يقول ما اخترناك وما فضلناك لاجل طاعتك وجدك واهتمامك فيها

فيها والا كان يجب ان لا نعطيك الا بعد اقدامك على الطاعة بل انما
اخترناك واعطيناك بمجرد الفضل والاحسان اليك من غير موجب يقتضيه
ولا باعث يؤدي اليه ويدل عليه قوله عليه السلام قبل من قبل لا لعلة ورد
من رد لا لعلة وكيف لا يكون الامر كذلك وفعل الله تع صفته وما يكون منا من
الطاعة وبذل الوسع في تحصيل رضاته صفتنا وصفة الخلق لا يكون مؤثرة
في صفة الخالق بل المؤثر في صفتنا انما هو صفة الخالق ولهذا قال من قال لا اعبد ربا
يرضيه طاعتي ويسخطه معصيتي بل يريد ان رضاه وسخطه قديمان وطاعتي ومعصيتي
محدثان والمحدث لا يؤثر في القديم بل رضاه عن العبد في الازل هو الذي حمله على طاعته
فيما يستقبل وكذا السخط بالعبد حمله على مخالفته وعصيانه ولا حول ولا قوة الا بالله
قوله شكرا لانعامه عليه لقوله دم على الصلوة فان كثرة الانعام يوجب مداومة
المنعم عليه على شكر المنعم فلما بين الله تعالى كثرة انعامه عليه بقوله انا اعطيناك الكوثر
فرع عليه قوله فصل فانه بمنزلة ان يقال فاشكر لكون الصلوة جامعة لاقسام
الشكر وهي ثلث الاول الشكر بالقلب ان يعلم ان تلك النعم منه لا من غيره والثاني
الشكر باللسان وهو ان يمدح المنعم ويثني عليه والثالث بالجوارح وهو ان يخدمه
ويتواضع له والصلوة جامعة لهذه الاقسام قوله فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة
متفرع على ما ذكر من الامور الاربعة وهي قوله خلاف الحي عنها المرائي فيها بقوله
خلافا لمن يدعهم ويمنع عنهم الماعون وبيان وجه المقابلة ان الله تعالى وصف
المنافقين في السورة المتقدمة باربعة امور اولها البخل وهو المراد من قوله
يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين والثاني ترك الصلوة وهو المراد من قوله
الذين هم عن صلوتهم ساهون والثالث الرياء في الصلوة وهو المراد من قوله
الذين هم يراؤن والرابع منع الزكوة وهو المراد من قوله ويمنعون الماعون فذكر
في هذه السورة الكريمة في مقابلة تلك الصفات الاربعة صفات اربعة تقابل تلك
الصفات المتقدمة فذكر في مقابلة الذين هم عن صلوتهم ساهون قوله فصل اي
دم على الصلوة وذكر في مقابلة الذين هم يراؤن قوله لربك اي ايت بالصلوة خالصا
لوجه الله لا لمراياة الناس وذكر في مقابلة الذي يدع اليتيم ويمنعون الماعون قوله

والنحر اى اذبح البدن التى هى خيار الاموال وتصدق بلحومها على المحاويج فان بذل
خيار الاموال يقابل البخل وصرفها الى المحاويج يقابل منع الماعون وقول المصنف قدم على
على الصلوة من غير تقييد الصلوة بالاضافة الى العبد ونحوه اشارة الى ان المراد بها
جنس الصلوة وانها خصت بالذكر لكونها عماد الاعمال الدينية وقيل المراد بالصلوة
صلوة العيد وبالنحر التضحية والمقصود الامر بتاخير التضحية من صلوة العيد
لانهم كانوا يقدمون التضحية على الصلوة فنزلت هذه الاية قال المحققون
هذا القول ضعيف لان عطف الشئ على غيره بالواو لا يوجب الترتيب واقترانه
ذكر النحر بالصلوة لا يستدعى ان يحمل الصلوة على ما يقع فى يوم النحر فالاقرب هو
القول الاول **قوله** ان من ابغضك البغض ضد الحب فالمبغض ضد المحب
فقوله من ابغضك اى من لا يحبك بل يعاديك لمى لفتك لهم هو الابتر لبغضه
لك علة لكونه هو الابتر ومعنى التعليل مستفاد من تعليق الحكم بالمشتق الذى هو
الشانى وهو المبغض فانه يفيد علية الماخذ وهو البغض وفى الصحاح الشنأة بالفتح
والمد مثل الشناعة البغض وقد شنئته شنأ وشنأة ومشنأ وشنأنا بالتحريك وشنأنا
بالسكون اى ابغضته والبتر فى اللغة استيصال القطع وبترت الشئ بترا اى
قطعته وبتر بالكسر بترا اى صار ابتر او هو مقطوع الذنب ويقال للذى لا عقب له
ويقال ايضا لمن انقطع عنه الخير قال السدى كان قريش يقول لمن مات الذكور
من اولاده ابتر فلما مات ابنه عليه السلام القاسم وعبد الله بمكة وابراهيم بالمدينة
قالوا ابتر وليس له من يقوم مقامه **روى** ان العاص بن وائل كان يقول ان
محمدا ابتر لا ابن له يقوم مقامه بعده فاذا مات انقطع ذكره واسترحم منه فاخبر العزيز
ان شانئك ومن عاداك هم المبتورون فتولى سبحانه بنفسه اى من غير واسطة
جوابهم وسلى نبيه عليه السلام على ما هو سنة الاحباب فان الحبيب اذا سمع من
يشتم حبيبه تولى بنفسه جوابه فقال تع ان مبغضك الذى نسب اليك
البتر هو المقطوع من خير الدنيا والاخرة المنسى ذكره فيهما وان ذكر ذكر باللعن
واما انت فكل من يولد الى يوم القيمة من المؤمنين فهم اولادك واعقابك
وذكرك مرفوع على المنابر وعلى لسان كل عالم وذاكر الى اخر الدهر فمثلك لا يقال

لا يقال ابتر قال اهل العلم هذه السورة مع كونها اقصر سورة فى القرآن قد احتوت
على معان بليغة واساليب بديعة منها دلالة استهلال السورة على عظمة العطية
رب السموات والارض الذى لا ينقص شئ مما فى خزائن قدرته بكثرة نواله وافضاله
والكوثر وان كان خيرا كثيرا فان اعطاءه كثير ومنها ايراده بصيغة الماضى مع
ان العطايا الاخروية واكثر ما يكون فى الدنيا لم يحصل بعد تحقيقا لوقوعه مع
ان الاعطاء لا يستدعى تمكن الموهوب له من تصرف الموهوب وقت الهبة
فان اقر لولده الصغير بصغره له يصح ان يقال انه اعطاه تلك الصيغة
مع ان الصبى فى تلك الحال لا يكون اهلا للتصرف ومنها تاكيد الجملة بان الجارى
مجرى القسم وكلام الصادق مصون عن الكذب والخلف فكيف اذا بالغ فى التاكيد
فان تقديم المبتدا وبناء الفعل عليه يفيد التاكيد ايضا لاشتمال الكلام به على تكرر
الاسناد ومنها الاتيان بصيغة تدل على المبالغة فى الكثرة ومنها حذف الموصوف
بالكوثر لان حذفه من فرط الشياع والابهام ما ليس فى اثباته ومنها تعريفه بلام
الاستغراق ومنها فاء التعقيب الدالة على التسبب فان الانعام سبب للشكر والعبادة
ومنها ما فى قوله لربك من التعريض لمن كانت صلوته ونحره لغير الله ومنها
تخصيص الصلوة بالذكر للاشارة الى انها عماد الاعمال الدينية وافضلها ثم اشارة
الى العبادة المالية بذكر ما هو اشنى منها وهو النحر ومنها حذف متعلق النحر اكتفاء
بذكره فى الصلوة اذا التقدير فصل لربك وانحر له ومنها مراعاة السجع
فانها من الصنايع البديعة الى غير ذلك مما لا يحصى ولا يقدر **سورة الكافرون مكية
وايها ست ايات** بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** يعنى كفرة مخصوصين
وهم الذين قالوا له عليه السلام نعبد الهتك سنة وتعبد الهتنا سنة يريد ان الالف واللام
فى قوله تعالى الكافرون وان كانت للجنس بحسب الظاهر حيث وقع الكافرون صفة لاى
الا ان المقصود العهد فان تخصيص العام بحسب القرائن شايع كما تقول يا ايها الرجل ادخلوا
الدار فانك لا تامر به جميع الرجال بل تامر الذين تشير اليهم باقبالك عليهم وقرينة
فى الاية هى انه لا يجوز ان يكون قوله تعالى لا اعبد ما تعبدون خطابا مع كل الكفرة لان
فيهم من يعبد الله كاليهود والنصارى فلا يجوز ان يقال لهم لا اعبد ما تعبدون

ولا يجوز ايضا ان يكون قوله ولا انتم عابدون ما اعبد خطابا مع الكل لان في الكفار
من آمن و صار بحيث يعبد الله تع فبهذه القرينة علمنا ان الخطاب للكفرة
المخصوصين الذين سبق في علم الله تعالى موتهم على الكفر **قوله** فان لا لا تدخل
على المضارع بمعنى الاستقبال يعني اذا دخلت لا على المضارع يجب ان يكون ذلك المضارع
بمعنى الاستقبال لانه لا تدخل ابدا الا على المضارع الموصوف فانها قد تدخل على الماضي بشرط
التكرير نحو فلا صدق ولا صلى وكذلك تدخل على الاسم نحو لا رجل في الدار وكذا ما
فانها تدخل على غير المضارع كثيرا كقوله تع ما كان محمد وما هذا بشرا واختلفوا
في ان التكرير ههنا هل هو للتاكيد ام لا واذا لم يكن للتاكيد فباي طريق حصلت المغايرة حتى
يكون كل جملة لتاسيس معنى على حدة فذهب جماعة الى ان القرينة الثانية وهي قوله تع
ولا انا عابد ما عبدتم تاكيد للقرينة الاولى وهي قوله لا اعبد ما تعبدون وان القرينة
الرابعة وهي قوله ولا انتم عابدون ما اعبد تاكيد للثانية وهي قوله ولا انتم عابدون
ما اعبد ومثله فباي آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما وفائدة التاكيد ههنا
قطع اطماع الكفار وتحقيق للاخبار بانهم يموتون على الكفر وانهم لا يسلمون ابدا
فان هؤلاء الكفار رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرارا وقالوا له نريد ان يقع
الصلح بيننا وبينك بان نعبد آلهتك مدة وتعبد آلهتنا مدة فسكت عليه السلام
في كل مرة ولم يجبهم احتياطا من انه لو ثبت فهمهم بالترديد والتلبيس لتاذوا وحصلت
النفرة عن الاسلام في قلوبهم فوقع في قلوبهم انه قد مال الى دينهم بعض الميل فلا جرم
دعت الحاجة الى التاكيد ابطالا لانه عمهم الباطل فنزلت هذه السورة ونزل ايضا
قوله قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون فتارة وصفهم بالجهل لانه اصل
الخبائث وتارة بالكفر لانه كالثمرة للجهل فلما نزلت السورة وقراها على رؤسهم
شتموه وآيسوا منه هذا خلاصة المعنى على تقدير ان يحمل التكرير على التاكيد وذهب
آخرون الى ان كل جملة لافادة معنى على حدة واختاره المص حيث قدمه في الذكر على
احتمال كونه للتاكيد وبين طريق المغايرة ببيان كل قرينة مقيدة بزمان غير زمان
القرينة الآخر فحمل القرينة الاولى على الاستقبال بشهادة كلمة لا الداخلة على المضارع
وحمل القرينة الثانية على الحال او الماضي فكان المعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه

ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولست في الحال او في الماضي بعابد بما عبدتم
من الاصنام وحمل القرينة الثالثة وهي قوله ولا انتم عابدون ما اعبد على الاستقبال
بقرينة مقابلتها للقرينة الاولى المحمولة على الاستقبال وحمل القرينة الرابعة هذا
التركيب بعينه على استغراق النفي وشموله عليها لجميع الازمنة بناء على ان الجملة
الاسمية يفيد الدوام واذا دخلت عليها حرف النفي تفيد دوام النفي ثم قال
ويجوز ان يكونا تاكيدين على طريقة ابلغ اي يجوز ان يكون القرينة الثالثة تاكيدا
للقرينة الاولى على طريقة ابلغ لان القرينة الاولى لنفي الاستقبال والقرينة الثالثة
يفيد دوام النفي في جميع الازمنة كما مر آنفا فتفيد ما افادته الاولى مع زيادة فكانت
تاكيدا لها على طريقة ابلغ وكذا القرينة الرابعة يجوز ان يكون تاكيدا للثانية
على ابلغ وجه لان الثانية حملت بقرينة المقابلة على نفي الاستقبال والرابعة محمولة
على عموم النفي فيكون ابلغ منها ويرد على تجويزه ان يكون قوله ولا انا عابد محمولا
على الماضي كما اشار اليه بقوله او فيما سلف ان عابد اسم فاعل وقد عمل فيما عبدتم
فكيف يصح بمعنى الماضي والحال ان انما يعمل اذا كان بمعنى الحال والاستقبال الا ان يقال
اعماله حال كونه بمعنى الماضي مبني على حمله على حكاية الحال الماضية كما في قوله تعالى
وكلبهم باسط ذراعيه وقوله والله مخرج ما كنتم تكتمون ونحوهما **قوله** وهو عليه السلام
لم يكن موسوما قبل البعثة بعبادة الله تع وهذا الفرق يقتضي ان يعبر عن عبادتهم
بلفظ الماضي وعن عبادته عليه السلام بما يدل على الحال حيث لم يكن فيما مضى مشتهرا بكونه عابدا
لله وفي الفرق المذكور نظر لانه عليه السلام لم يزل موحدا الله تع منزها له عن كل ما لا يليق بجلال
ذاته متجنبا عن اصنامهم يقف على مشاعر ابراهيم عليه السلام ومناسكه ويحج البيت
وهذه كلها عبادة واي عبادة اعظم من توحيد الله تع ونبذ الاصنام وقد سمى الله تع
معرفته عبادة حيث قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال المفسرون
معناه الا ليعرفون فعبر عن المعرفة بالله تع بالعبادة وقد ثبت في الاحاديث الصحيحة
انه عليه السلام كان يتحنث قبل البعثة في غار حراء وجوابه ان جميع ذلك مسلم الا ان
المراد بالعبادة التي نفيت عنه عليه السلام قبل البعثة وهي اعمال الجوارح الواقعة على
سبيل الامتثال للامر الشرعي فان العبادة قد تطلق على هذا المعنى والايمان والنية

ـا لم يكن ساجدا

١١٨

والاخلاص شروط لصحة العبادة بهذه المعنى وآباها ارادمن تخالف فقيها واحد اسند عا
اشد على الشيطان من الف عابد وقد اختلف في انه عليه السلام هل كان متعبدا بالعبادة
بهذا المعنى قبل نبوته عليه السلام اولا فقال الامام الرازي وجماعة من اصحاب الشافعي
وابو الحسين البصري واتباعه الى انه عليه السلام لم يكن متعبدا بهذا المعنى واجابوا
عن الطواف والتحنث وغيرهما من المكارم بانها ليست بعبادة بهذا المعنى لانها يجب
ان يكون مسبوقة بامر الله تع ومأمور بها من قبله ولا امر قبل البعثة فكان ما وقع
منه عليه السلام قبلها من قبيل الجري على العادة المستمرة القديمة والمكارم الحسنة المقبولة
من غير ان ينظر قبلها لكونه طاعة الله تعالى او بنى على طريق الامتثال لامر الله تع
قال الامام في تفسير سورة البينة العبادة في الاصل هي التذلل ومن زعم انها طاعة
فقد اخطأ لان ما وقع من المشركين من عبادة الملائكة والمسيح والاصنام عبادة
وليست بطاعة لانهم ما اطاعوهم لان الاطاعة عبارة عن امتثال الامر وهم ما امروا
المشركين بذلك ولكن في الشرع صارت اسما لكل طاعة الله تع اديت على وجه التذلل
ونهاية التعظيم فظهر بهذا انه لا بد في كون الفعل عبادة من شيئين احدهما غاية التعظيم
ولذلك قلنا ان صلوة الصبي الغير العاقل ليست بعبادة لانه لا يعرف عظمة الله تع
فلا يكون فعله غاية التعظيم والثاني ان يكون الفعل مأمورا به ففعل اليهود ليست
بعبادة وان تضمن نهاية التعظيم لانه غير مأمور به انتهى كلامه **قوله** وانما قال
ما دون من اي في القرينة الثانية والرابعة وهما قوله تع ولا انتم عابدون
ما اعبد والمراد بما اعبد في الموضعين هو الله تع مع ان اصل ما ان لا يطلق
على اولي العلم واما كلمة ما في قوله لا اعبد ما تعبدون وفي قوله ولا انا عابد ما عبدتم
فانها واقعة في موقعها لان المراد بهما الاصنام واجاب عنه بجوابين الاول ان
الله تع عبر عنه بلفظ ما لان ما يراد به نفس ذاته تع بل اريد به الوصف وهو الحق
ولما حمل ما في ما اعبد على الحق حمل في قوله ما عبدتم وما تعبدون على الباطل تحقيقا
للتقابل والثاني انه لما عبر عن المعبودات الباطلة بما على الاصل عبر عن المعبود
بالحق ايضا به للمطابقة والمشاكلة فان المقابلة يحسن ما لا يحسن حال الانفراد
ثم ان رايت جواب ثالث بقوله وقيل انها مصدرية محصولة انه انما يحتاج الى الاعتذار

الى الاعتذار باحد الوجهين ان لو كان ما موصولة وليست كذلك بل هي مصدرية
في المواضع اي لا اعبد عبادتكم اي مثل عبادتكم ولا بد من هذا التقدير لان الشخص
لا يفعل نفس فعل غيره ولكن يفعل مثل فعله وكذا الكلام في اخواتها **قوله** وقيل الاوليان
بمعنى الذي فالمعنى لا اعبد الاصنام ولا تعبدون الله تع والاخريان مصدريتان
والمعنى ولا انا عابد مثل عبادتكم المبنية على الشرك ولا انتم عابدون مثل عبادتي المبنية
على اليقين والظاهر ان مقصود القائل حمل هذه القرائن الاربع على التاسيس بيان
التغاير بينها بهذا الوجه ولا دخل له في الجواب اذ لا تعرض فيه لوجه التعبير عنه تع
بكلمة ما في القرينة الثانية وانما اخره الى هنا من حيث ان له تعلقا بهذه المواضع
ايضا **قوله** فليس فيه اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد وان كان ظاهر العبارة يشعر
كلا منهما فان قوله لكم كفركم بالله يشعر الاذن في الكفر وهو غير صحيح لانه عم
بعث للمنع عن الكفر فكيف يأذن فيه فلما قيل معنى قوله لكم دينكم انكم لا تتركونه
ابدا لان الله تع قد علم انكم تموتون عليه كان هذا الكلام فذلك لقوله ولا انتم عابدون
ما اعبد حيث كان بيانا لمحصل معناه فهو بهذا المعنى لا يكون مشعرا بالاذن
في الكفر ولو كان المراد بالاذن في الكفر لكان ذلك منعا له عليه السلام عن الجهاد
لان كونه عليه السلام مأمورا بان يأذن لهم في الثبات على الكفر يستلزم منعه عنه
فلما لم يكن المراد بالاذن لم يكن فيه دلالة على المنع من الجهاد ايضا وان في الدين
بالحساب كان المعنى لكم حسابكم ولي حسابي ولا يرجع الى كل واحد منا من عمل صاحبه
اثر البتة والدين قد يستعمل بمعنى الدعاء كما في قوله تع ادعوا الله مخلصين له الدين
ومعنى الاية على هذا لكم دعاؤكم وما دعاء الكافرين الا في ضلال وان تدعوهم
لا يسمعوا دعاءكم ويستجيب الذين امنوا ادعوني استجب لكم وفي الصحاح الدين
العادة والمعنى لكم عادتكم المأخوذة من اسلافكم ومن الشياطين ولي عادتي المأخوذة
من الملائكة ومن الوحي ثم يبقى كل واحد على دينه حتى تلقون الشياطين والنار والقى
الملائكة والجنة ولم اجد تفسير الدين بالعادة ولعل ما وقع في النسخ من تحريف الناسخين

سورة النصر مدنية وايها ثلث ايات بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** اظهاره
اياك على اعدائك النصر في الاصل الاعانة يقال نصرت فلانا اذا اعنته على تحصيل مطلوب

الامام وقيل الدين [illegible] العادة وان [illegible]

الذي كان متعلقاً به وجعل نصر الله تعالى اياه عم كناية عن اظهاره اياه على اعدائه اي
اي جعله اياه غالباً على اعدائه يقال ظهرت على فلان اذا غلبت عليه لانه اذا نصر الله
عبداً على اعدائه فبالضرورة يكون غالباً عليه ولم يبق النصر على ظاهره ليظهر الفرق
بينه وبين الفتح حتى يظهر وجه عطفه مع انه لو ابقي على ظاهره يصح العطف
ايضاً لان النصر كالسبب للفتح ولا بعد في عطف المسبب على السبب فان قيل
لا شك ان فتح مكة وسائر البلاد وقع بنصرة الصحابة من المهاجرين والانصار
فما السبب في اضافة الفعل الصادر عنهم الى الله تعالى حيث قيل نصر الله والجواب
ان افعالهم مستندة الى ما في قلوبهم من الدواعي والصوارف وتلك الدواعي والصوارف
امور حادثة فلا بد لها من محدث وليس هو العبد والا لزم التسلسل فلا بد
ان يكون ان يكون هو الله تعالى فيكون المبدأ الاول والمؤثر الابعد هو الله تعالى
ويكون المبدأ الاقرب هو العبد فمن هذا الاعتبار صارت النصرة المضافة
الى الصحابة بعينها مضافة الى الله تعالى وهذه الاضافة لتعظيم المضاف اي
نصر لا يليق الا بالله ولا يليق ان يفعله الا الله والمجيء حقيقة في الاعيان التي
تتحرك بآلة المشي ومجاز في المعاني والظاهر ان يقال اذا وقع نصر الله — وتوضيحه
حصل الا انه عبر عن الوقوع والحصول بالمجيء للاشعار المذكور لان الحوادث التي
قدر في الازل وجودها فالله سبحانه قدر لحدوث كل واحد منها اسباباً معينة
واوقاتاً مقدرة لا يحدث منها الا اذا تحقق اسبابها وحضر اوقاتها فكونها
مربوطة بتلك الاوقات بكونها متوجهة اليها بحيث تقرب منها شيئاً فشيئاً
وشبه وقوعها عند حضور اوقاتها بمجيئها اليها فاطلق اسم المجيء على ذلك الوقوع
ثم اشتق منه لفظ جاء فكان استعارة تبعية ومثل هذا الكلام يقصد به
تنبيه المخاطب على قرب مجيء ما اسندت المجيئة اليه وتوصيته بما يتعلق بمجيئه
فقولك اذا جاء غائبك فاصنع به كذا وكذا انما يقال للتنبيه والتوصية المذكورين
فلذلك قال المص وقد قرب النصر من وقته وظهر من هذا التقرير ان هذه السورة
نزلت قبل فتح مكة عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه ينصر على اهل مكة وانه
يفتحها عليه مع ان كلمة اذا ظرف لما يستقبل فلا يقال فيما قد وقع وجاء اذا وقع

اذا وقع واذا جاء وقيل انها نزلت بعد فتح مكة وانها فتحت في سنة ثمان ونزلت
هذه السورة سنة عشر وروي انه عم عاش بعد نزول هذه السورة سبعين
يوماً ولذلك سميت سورة التوديع لان فيها توديع الدنيا والتوجه الى دار البقاء
وروي انه عليه السلام عاش بعد نزولها ستين يوماً مستديماً للتسبيح والاستغفار
عن عايشة رضي الله عنها انه عليه السلام كان بعد نزول هذه السورة يكثر ان يقول
سبحانك اللهم وبحمدك اغفر لي وعن ابن مسعود رضي الله عنه لما نزلت هذه السورة
كان عم يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي انك التواب الغفور
وقال مقاتل انه عم عاش بعد نزولها حولاً ونزل اليوم اكملت لكم دينكم فعاش بعده
ثمانين يوماً ثم نزل الآية الكلالة فعاش بعدها خمسين يوماً ثم نزل لقد جاءكم
رسول من انفسكم فعاش بعدها خمسة وثلثين يوماً ثم نزل واتقوا يوماً
ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها احد عشر يوماً وفي رواية اخرى عاش سبعة
ايام والله اعلم بحقايق الاحوال قال النحويون اذا منصوب بسبح والتقدير
فسبح بحمد ربك اذا جاء نصر الله فكانه تعالى يقول جعلت الوقت ظرفاً لما تريد
وهو النصر والفتح وكثرة الاتباع والامم وملأت ذلك الظرف من هذه الاشياء
وبعثت اليك فلا ترده الي فارغاً بل املأه من العبودية ليتحقق معنى تهادوا
تحابوا او كانه قال عم باي شيء املأ هديتك وانا فقير فقال الله تعالى في المعنى
ان لم تجد شيئاً آخر فاملأه من تحريك اللسان بالتسبيح والتحميد والاستغفار فلما فعل عم
ذلك حصل معنى تهادوا فلا جرم حصلت المحبة فكان عم حبيب الله واعلم ان — فلا افلح
صفات الحق منحصر في قسمين سلبية وثبوتية والسلوب متقدم على الايجاب
والتسبيح اشارة الى التعرض للصفات السلبية لواجب الوجود وهي صفات
الجلال والتحميد اشارة الى الصفات الثبوتية له تعالى وهي صفات الاكرام ولما امر بالاستغفار
بتوصيف واجب الوجود بصفاته السلبية والثبوتية وهو موقوف بجميع صفات كماله
امره بعده بالاستغفار لان الاستغفار فيه رؤية قصور النفس وفيه رؤية وجود
الحق وفيه طلب ما هو الاصلح والاكمل للنفس من حضرة وهاب العطايا وهذا الطريق
اعني النزول من المؤثر الى الاثر اشرف طرق الناظرين فان لهم طريقين في سيرهم

منهم من يقول ما رايت شيئاً الا ورايت الله بعده ومنهم من يقول ما رايت شيئاً
الا ورايت الله قبله ولا شك ان التنزل من المؤثر الى الاثر اجل مرتبة من الصعود
من الاثر لان الاستدلال بالاصل على التبع اقوى من الاستدلال بالتبع على الاصل ولكن
هذه الطريقة اشرف الطريقين قدم الاشتغال بالخالق على الاشتغال بالنفس فذكر
اولاً من الخالق امرين احدهما التسبيح والثاني التحميد ثم ذكر في المرتبة الثالثة
الاستغفار وهو حالة ممزوجة من الالتفات الى الخالق ووجه الترتيب ما ذكر
انفاً قوله يدخلون في موضع النصب على انه حال من الناس ان جعلت
رويت بمعنى الابصار والعرفان وان جعلت بمعنى العلم كان مفعولاً ثانياً وافواجاً
حال من الضمير في يدخلون والفوج الجماعة الكثيرة روي عن الحسن انه قال
لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة اقبلت العرب بعضها على بعض
فقالوا اما اذا ظفر باهل الحرم فليس لاحد به طاقة وقد كان الله اجارهم
من اصحاب الفيل ومن كل من ارادهم بسوء ثم اخذوا يدخلون في الاسلام افواجاً
افواجاً من غير قتال كانت تدخل القبيلة باسرها بعدما كانوا يدخلون
فيه واحداً واحداً واثنين اثنين قوله جماعات كثيفة الكثافة الغلظ
ضد الرقة والمراد بها ههنا الكثرة اي افواجاً بعد فوج قوله فتعجب اي قل سبحان
الله والحمد لله تعجباً مما اراك من عجيب انعامه وهو الغلبة على اهل الحرم
فان هذه الكلمة يقال عند التعجب عادة فصح ان يفسر الامر بالتسبيح بالامر
بالتعجب كذلك ولا سيما المقام مقام التعجب ولعل الوجه في اطلاق هذه
الكلمة عند التعجب كما ورد في الاذكار ولكل اعجوبة سبحان الله وهو ان الله تعالى
عند مشاهدة الامر العجيب الخارج عن حد امثاله يستبعد وقوعه وينفعل
نفسه منه كانه استقصر قدرة الله تعالى فلذلك خطر على قلبه ان يقول من
قدر عليه واوجده ثم تدارك انه في الزعم مخطئ فقال سبحان الله تنزيهاً
لله تعالى عن العجز خلق عجيب يستبعد وقوعه ليتيقنه بانه تعالى على كل شيء قدير
قوله او قصد تسمية الصلوة بالتسبيح من حيث انها لا تخلو عنه
فكانه جزء منها فالتسبيح مجاز مرسل فيها وحمل اللفظ على المجاز لما وجب

ممزوجة بنا

ا واحداً

لما وجب ان يستدعى ان يسند الى قرينة معينة ايد هذا التفسير بما روي من
انه عم صلى ثماني ركعات يوم فتح مكة داخل البيت ثم قال بعضهم انه عليه السلام
عنى به صلوة الشكر فصلاها يوم الفتح ثماني ركعات وقال الاخرون هو صلوة
الضحى وقال الاخرون صلى ثماني ركعات اربعة للشكر واربعة للضحى وقد
ورد لفظ التسبيح في القرآن بمعنى الصلوة حيث قال فسبحان الله حين
تمسون وحين تصبحون وقال فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس قوله
فنزهه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما المراد بالتسبيح في قوله تع فسبح بحمد
ربك فقال تنزيه الله تع من كل سوء فانه تعالى منزه في ذاته عن الامكان و
ما يتفرع عليه وفي صفاته كالجهل والعجز بل هو عالم بكل المعلومات قادر على كل
المقدورات وصفاته متنزهة عن التغييرات وفي افعاله فان شيئاً من افعاله
لا يكون لجلب نفع او دفع ضر بل هو مستغن عن كل الموجودات ومستول
عليها بالاعدام والايجاد قوله او فاثن على الله بصفات الجلال الثناء اعم من
التنزيه لتناوله التوصيف بالصفات الثبوتية والسلبية الا انه خص
الثناء بالتوصيف بصفات الجلال وهي صفات تقتضي كمال الذات ولا يكون لها
اثار في خلقه كالعزة والغنى والملك والتقديس والعلم ونحوها وصفات الاكرام
صفات لها في خلقه مثل القدرة والارادة والتخليق والترزيق والاحياء والاماتة
واثار لها وجعل الحمد بمعنى الشكر الذي يكون بمقابلة الفواضل المتعدية
وصفات الاكرام لئلا يخلو التقييد بالحال عن الفائدة ولا يكون تحصيل المعنى فاثن
مثنياً فان قوله بحمد ربك حال من المنوي في فسبح اي سبح حامداً اي مقدراً
ان تحمده بعد التسبيح كانه يقول لا يتأتى لك الجمع بين لفظي التسبيح والتحميد في التلفظ
فاجمعهما نية كما انك يوم النحر شرع في صلوة العيد مقدراً ان تنحره بعده
فيجتمع لك ثوابهما فكذا الامر ههنا قوله هضما للنفس اشارة الى الحكمة الداعية الى
امر النبي المعصوم من الذنب بالاستغفار وهضم النفس كسرها بان يعدها قاصراً
عن البلوغ الى درجة الكمال في المعرفة والعبادة ويقول عرفناك حق معرفتك وما عبدناك
حق عبادتك ولما كان مراتب السير الى الله تع غير متناهية كان كل مرتبة من مراتب

العرفان فوقه مراتب اخر وعلى حسب تفاوت مراتب العرفان تفاوت العبادة
والتذلل المتفرعة على معرفة عظمة المعبود فاذا وصل العبد الى مرتبة في العبودية
ثم تجاوز عنه فبعد تجاوزه عنه يرى ذلك المقام قاصرا فيستغفر الله تعالى منه
وهذا القدر انما يحتاج اليه على تقدير ان يكون معنى قوله تعالى واستغفره
واستغفر لنفسك اي اقبل ان معناه استغفر الله لذنب امتك فالامر
ظاهر لانه تعالى امره بالاستغفار لذنب امته في قوله واستغفر لذنبك
وللمؤمنين والمؤمنات وههنا لما كثرت الامة كثرت ذنوبهم فصار الاستغفار
لهم اوجب واهم **قوله** كان توابا لمن استغفره منذ خلق المكلفين يعني ان
كان ههنا للدلالة على استمرار ثبوت خبرها لفاعلها منذ خلق المكلفين
ومن كان شانه هذا فلا يقبل استغفارك وتوبتك فلا يرد ان يقال ان
الافعال الناقصة انما تدل على زمان ثبوت خبرها لفاعلها فكان يدل على
ذلك الثبوت في الماضي ويكون يدل على انه في الحال والمستقبل فالمفهوم من الاية
انه تعالى تواب غفار في الماضي وكونه توابا في الماضي كيف يكون علة للاستغفار
في الحال او المستقبل ووجه سقوط هذا الوهم على توجيه المصنف ظاهر ومعنى كونه
تعالى توابا انه يكثر منه قبول التوبة ويبالغ فيه وفيه ايماء الى انه يجب على العبد ان يكون
مكثرا مبالغا في الاشتغال بالتوبة **قوله** وانه نعي والنعي كالرمي والنعي فعل كالتقي
معناهما خبر الموت والنعي ايضا الناعي وهو الذي ياتي بخبر الموت يقال نعاه
نعيا اي اتى اليه خبر الموت **قوله** ولعل ذلك اي ولعل الوجه في كون نزول هذه
السورة نعيا له عليه السلام وهو انها تدل على حصول النصر من عند الله وجعله اياه
عليه السلام غالبا على اعدائه وعلى حصول الفتح ودخول الناس في الدين افواجا
وذلك يدل على تمام امر الدعوة وانقطاع الاحتياج اليها بعد بلوغ امر الدين
الى كماله وتمام الدعوة والتبليغ يوجب الموت لانه لو بقي بعد ذلك مشتغلا
بالتسبيح والحمد والاستغفار فارغا عن امر الامة لكان كالمعزول عن الرسالة
قوله وانه تنبيه على ان العاقل يجب ان يستكثر التوبة اذا قرب اجله
ولهذا ولهذا سميت سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا والاحبة

ولا باس في ان نذكر قصة فتح مكة على وجه الاختصار **روي** انه لما كان
صلح الحديبية وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اغار بعض من
كان في عهد قريش على خزاعة وكانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
فجاء سفير ذلك القوم واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم ذلك عليه
ثم قال اما ان هذا العارض ليخبرني ان الظفر يجيء من الله تعالى ثم قال لاصحابه
انظروا فان ابا سفيان يجيء ويلتمس ان يجدد العهد فلم تمض ساعة ان جاء
الرجل ملتمسا لذلك فلم يجبه الرسول عليه السلام ولا كابر الصحابة فالتجاء
الى فاطمة فلم ينفعه ذلك ورجع الى مكة آيسا وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم
للسير الى مكة ثم يروى ان سارة مولاة بعض بني هاشم اتت المدينة فقال عليه السلام
لها جئت مسلمة قالت لا لكن كنتم الموالي وبي حاجة فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم
بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فاتاها حاطب بعشرة دنانير
واستحملها كتابا الى اهل مكة نسخته اعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا
حذركم فخرجت سارة ونزل جبرائيل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليا وعمارا وجماعة وامرهم ان ياخذوا الكتاب والا فاضربوا عنقها فلما ادركوها
خبئته وحلفت فسل علي رضي الله عنه سيفه وقال والله ما كذبنا فاخرجته من عقيصة
شعرها واستحضر النبي عليه السلام حاطبا وقال ما حملك عليه فقال والله ما كفرت منذ
اسلمت ولا اجبتهم منذ فارقتهم لكن كنت غريبا في قريش وكل من معك من المهاجرين
لهم قرابات بمكة يحمون اهاليهم فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا
دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال عليه السلام وما يدريك يا عمر لعل الله عز وجل
قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا
عمر رضي الله عنه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار الى ان نزل بمر الظهران
في عشرة آلاف من المسلمين ولم يتخلف من المهاجرين والانصار عنه احد
فقال العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكة عنوة انه لهلاك قريش الى آخر الدهر فركب بغلة رسول الله عليه السلام
وقال اخرج الى الاراك لعلي ارى حطابا او صاحب لبن او داخلا يدخل مكة

فيخبرهم الى مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتونه ويستأمنونه قبل
ان يدخلها عنوة قال العباس وخرجت واني اطوف في الاراك
التمس ما خرجت له اذ سمعت صوت ابي سفيان وحكيم بن حزام
وبديل بن ورقاء وقد خرجوا يتجسسون الخبر فعرفت صوته فقلت
يا ابا حنظلة فعرف صوتي فقال ابو الفضل فقلت نعم قال ما لك فداك
ابي وامي قلت ويحك يا ابا سفيان هذا والله رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد جاء بما لا قبل لكم به بعشرة الاف من المسلمين قال وما الحيلة قلت والله
لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب في عجز هذه البغلة حتى اتي بك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمنه فاردفته فخرجت اركض به بغلة رسول
الله صلى الله عليه وسلم كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا هذا عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم على بغلة رسول حتى مررت بنار عمر بن خطاب فقال من
هذا وقام الي فلما راى ابا سفيان على عجز الدابة قال ابو سفيان عدو الله
الحمد لله الذي امكن منك بغير عهد ولا عقد ثم اشتد نحو رسول الله صلى
الله عليه وسلم وركضت البغلة وسبقته بما يسبق به الدابة البطيئة الرجل
البطيء فنزلت عن البغلة ودخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل
عليه عمر فقال يا رسول الله هذا ابو سفيان قد امكن الله منه بغير عهد ولا عقد
فدعني اضرب عنقه فقلت يا رسول الله قد اجرته ثم تجري بين العباس وعمر
رضي الله عنهما بحث طويل فقال رسول صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس
الى رحلك فاصبحت فاتني به قال فذهبت به الى رحلي فبات عندي فلما اصبح
غدوت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راه قال ويحك يا ابا سفيان
الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال اظن انه واحد ولو كان ههنا غير الله
لنصرنا واغنى شيئا وقال يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم اني رسول الله
فقال ان لي شكا في ذلك قال العباس قلت له ويحك اسلم واشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان يضرب عنقك فقال فشهد شهادة الحق
واسلم ثم التمس ابو سفيان الامان لاهل مكة فقلت يا رسول الله ان ابا سفيان

رجل يحب

رجل يحب هذه الفخر فاجعل له شيئا قال نعم من دخل دار ابي سفيان فهو
آمن فقال ومن يسع داري فقال ومن دخل المسجد فهو آمن فقال
ومن يسع المسجد فقال ومن القى سلاحه ودخل مسكنه فهو آمن فخرج
ابو سفيان من عنده ومضى حتى اتى مكة فصرخ في المسجد باعلا
صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به فقالوا قمه
قال من دخل دار ابي سفيان فهو آمن قالوا ويحك وما يغني عنا دارك
ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن ومن دخل مسكنه واغلق عليه بابه فهو
آمن فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد الحرام حتى جاء رسول الله عليه السلام
ووقف على باب المسجد وقال لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده واعز
جنده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم
فقالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم
فلذلك سمي اهل مكة الطلقاء ومن ذلك كان علي رضي الله عنه يقول لمعوية
ايستوي المولى والمعتق يعني اعتقناكم حين مكننا الله تع من رقابكم ولم يقل
اذهبوا فانتم معتقون بل قال الطلقاء لان المعتق لا يجوز ان يرد الى الرق
والمطلقة يجوز ان تعاد الى رق النكاح واهل مكة كانوا بعد على الكفر فكان
يجوز ان يخونوا فيسترقهم مرة اخرى ولان الطلاق يختص للنسوان
وقد القوا السلاح واخذوا المساكين كالنسوان فلما تشبهوا بهن وصفهم بما
يوصف به النساء ثم اجتمع الناس للبيعة على الاسلام فجلس لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم على الصفا وعمر بن خطاب رضي الله عنه اسفل منه يأخذ على
الناس فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا فلما فرغ من بيعة
الرجال بايع النساء وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من رمضان سنة
ثمان واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمسة عشر ليلة يقصر
الصلوة ثم خرج الى هوازن وثقيف فهذا قصة فتح مكة بشر فيها الله تعالى

سورة تبت واياتها خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله هلكت او خسرت فان التباب يستعمل بمعنى الهلاك كما في قولهم شابة

عم رسول

قد اجرته

ام نابتة بمعنى ام هالكة ومنه قوله تعالى وما كيد فرعون الا في تباب اي في الهلاك
ويستعمل ايضا بمعنى الخسران ومنه قوله تعالى وما زادوهم غير تتبيب اي غير تخسير
بدليل انه قال في موضع آخر غير تخسير واصل معناه هو الخسران المؤدي الى الهلاك
قيل المراد بيدي ابي لهب نفسه كما في قوله تعالى بما قدمت يداك اي نفسك ومنه
المثل المضروب لمن جنى على نفسه يداك اوكتا وفوك نفخ مورده ان رجلا
اراد ان يعبر البحر على زق قد نفخ فيه وشد وكاءه فلم يحسن احكامه حتى اذا
توسط البحر خرجت منه الريح فكاد ان يغرق فاستغاث رجلا على زورق قد مر
بالقرب منه فاستغاث به فقال له الرجل يداك اوكتا وفوك نفخ فكان مثلا يضرب
للجاني على نفسه وهذا التعبير شائع في كلامهم يقولون اصابه يد الدهر اي اصابه
نفس ذلك فعلى هذا يكون قوله تبت يدا ابي لهب دعاء عليه بهلاك نفسه
قوله وقيل انهما خصتا الخ يعني قيل المراد باليدين نفس الجارحتين المخصوصتين
والمقصود من الكلام الدعاء عليه بهلاك يديه وخصتا بالدعاء بهلاكهما لقصده
بهما رمي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انذره بعذاب الآخرة كانه قيل شلت يداه
كيف قصد ان يرمي بهما مثل النبي المكرم وهو يدعوه لينجيه من شقاوة الابد الى
سعادة الدارين عن ابن عباس رضي الله عنه انه عليه السلام كان يكتم امره في اول البعث
ويصلي في شعاب مكة ثلث سنين الى ان نزل وانذر عشيرتك الاقربين فصعد
الصفا ونادى يا آل غالب فخرجت آل غالب من المسجد ثم نادى يا آل لوي
فحضروا عنده ثم نادى يا آل مرة فاجتمعوا عنده ثم نادى يا آل كلاب ثم قال
يا آل قصي فقال ابو لهب قد اجتمع عندك قبائل قريش بطنا بطنا فما
عندك فقال ان الله امرني ان انذر عشيرتك الاقربين وانتم الاقربون
اني لا املك لكم من الدنيا حظا ولا من الآخرة نصيبا الا ان تقولوا لا اله الا الله
فاشهد بها لكم عند ربكم عند ذلك فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا فاخذ
حجرا ليرميه به فمنعه الله من ذلك حيث لم يستطع ان يرميه وهو قوله
تبت فنزلت السورة **قوله** وقيل المراد بهما دنياه واخرته فاليدان على هذا
مجاز مرسل من قبيل اطلاق اسم السبب على المسبب كما اذا اريد بهما النفس الا انه يكون

يكون من قبيل اطلاق اسم الجزء على الكل **قوله** ولانه لما كانت من اصحاب النار كانت
الكنية اوفق بحاله اي ادل عليها من اسمه وذلك لان ابي لهب باعتبار معناه
الاضافي تصلح ان يكون كناية عن حاله وهي كونه جهنميا لان معناه باعتبار اضافته
ملابسة اللهب كما ان معنى ابو الخير وابو الحرب بذلك الاعتبار ملابسة
الخير والحرب واللهب الحقيقي لهب جهنم وهذا المعنى يلزم انه جهنمي فثبت ان
هذه الكنية بمعنى باعتبار معناها الاصلي الاضافي تصلح كناية عن كونه جهنميا انتقالا
من الملزوم الى اللازم وانها اوفق وادل على حاله التي هي كونه جهنميا فلذلك اختير
الكنية على الاسم لان الاسم لا يدل على حاله والكنية وان كان المراد بها المعاني
العلمية وهي ذوات المسمى بها لكنهم يعتبرون في الكنى المعاني الاصلية ايضا ولهذا
كانت النكتة اوفق بحاله اي ادل على كونه من اصحاب النار وهذا معنى قول صاحب
التلخيص في تعريف المسند اليه بايراده علما قد يكون كناية عن معنى يصلح له العلم
فليرجع اليه **قوله** وقرئ ابو لهب بالواو مع ان القياس الياء لكونه مضافا اليه كما هو
قراءة الجمهور ووجه القراءة بالواو وان الشخص لما كان مشهورا بهذه الكنية صارت
بمنزلة اسم العلم فلم يتغير في شيء من الاحوال لان الاعلام لا يغير كما يقال علي بن
ابو طالب ومعاوية بن ابو سفيان لذلك **قوله** وتب اخبار بعد دعاء يعني
ان الجملة الاولى دعاء عليه بالهلاك كقوله قتل الانسان ما اكفره والمقصود بيان
استحقاقه لان يدعى عليه بالهلاك فان حقيقة الدعاء شان العاجز وهو الله تعالى
منزه عنه والجملة الثانية اخبار عن قبول دعائه ووقوع مطلوبه على سبيل التفاؤل
في مثل قولك اهلكه الله وقد فعل والعاويات في البيت يروى بالواو من عوى الكلب اذا
صاح وبالدال من عدا في المشي اي اسرع ولعل ولعل المراد بها الكلاب الكلبة وهي
التي يأخذها شبه الجنون يسري مرضه الى من يعضه ووجه دلالته قراءة وقد
تب على ان يكون الجملة الثانية اخبارا على الدعاء فان قيل اذا دل الدليل على ان
المراد بالجملة الثانية الاخبار بعد الدعاء ينبغي ان يتعين ذلك وينقطع احتمال
ان يكون كل واحد منهما اخبارا ولكن يراد بالاول هلاك عمله وبالثاني هلاك
نفسه كما اشار اليه بعدها الوجه في تجويز ذلك الاحتمال قلنا ان المراد بالدليل

جنى

ثم عند ذلك

جوازه لا دليل تعيينه بالمرادية بحيث لا يصح ارادة غيره فمعنى قول من ذهب الى
على جوازه ولم يجعل الجملة الثانية تكريرا للاولى للتاكيد لانه لو كان الامر كذلك لما تخلل
العاطف بينهما **قوله** او الاول اخبار عما كسبت يداه اي اخبار بهلاك عمله وانه
محروم عما يترتب عليه من المنافع والثانية اخبار بهلاك نفسه فانه هالك ه
ضايع في الدنيا والاخرة وانما عبر عن عمله باليدين لان اكثر الاعمال انما يحصل بمباشرة
اليدين **قوله** نفي لاغناء المال عنه اي يجوز ان يكون ما نافية عارية عن الاعراب المحلي
فعلى هذا يكون مفعول قوله اغنى محذوفا اي لم يغن عنه ماله شيئا وهو اثبات فجوابا
عما كان يقول ان ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي واولادي ويتوهم
من صدقه وفيه تجهيله وتهكم بما كان يفتخر به من المال والبنين ويجوز ان يكون
للاستفهام الانكاري فيكون في موضع النصب باغنى اي اي شيء اغنى عنه ماله حين نزل
به التباب والبلاء فانه لا احد اكثر مالا من قارون وما دفع عنه الموت والعذاب ه
ولا اعظم ملكا من سليمان فهل دفع ذلك عنه الموت ولم يصرح لان المراد من الاغناء
الاغناء فيما اذا قال بعضهم في عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم فانه كان يعتقد ان يده
هي العليا وانه مخرجه من مكة ومذله ويغلب عليه اعتمادا على كثرة امواله واولاده
وقال بعضهم بل المعنى انها لم يغن عنه في دفع النار ولذلك قال سيصلى نارا فانه
تصوير الهلاك بحيث يظهر معه عدم اغناء المال وما كسب ويؤيد هذا المعنى
ما روي عنه من قوله ان كان ما يقوله ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي
واولادي **قوله** وكسب على ان ما في وما كسب مصدرية **وقوله** او مكسوبه
على ان يكون موصولة او موصوفة اي والذي كسبه او شيء كسبه والموصول وكذا الموصوف
عبارة عن المكسوب فلذلك فسرها به والكسب ايضا بمعنى المكسوب ثم
انه يحتمل ان يكون المراد بماله رأس المال من اي نوع كان وبمكسوبه ما اكتسبه
باصل ماله من النتائج والارباح والاتباع ويحتمل ان يكون المراد بماله المال
الذي ورثه من ابيه وبما كسب الذي كسبه نفسه ويحتمل ان يكون المراد بماله ما في
يده من المال مطلقا وبكسب ما اكتسب من الاعمال او من ولده قال ابن عباس ما كسب ولده
وقد ورد في الحديث تسمية الولد كسبا في قوله عليه السلام ان اطيب ما ياكل الرجل

الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وفي قوله عليه السلام انت ومالك لابيك
قوله وقد افترسه اي اهلكه وكان ذلك بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليه
لشدة عداوته **روي** عن عروة بن الزبير ان عتبة بن ابي لهب وكان تحته بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد ان يسافر الى الشام فقال لآتين محمدا فلاوذينه
فاتاه فقال يا محمد انه كافر بالنجم اذا هوى وبالذي دنى فتدلى ورد عليه ابنته
وطلقها فقال عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا
عنده فوجم لها اي اشتد حزنه حتى امسك عن الكلام لاجل تلك الدعوة وقال ما
اغناك يا ابن اخي عن مثل هذه الدعوة فرجع الى ابيه فاخبره ثم رجع الى ابيه
فاخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير
فقال ان هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اغيثونا يا معشر قريش
هذه الليلة فاني اخاف على ابني من دعوة محمد فجمعوا اجمالهم واناخوها حولهم
واحدقوا بعتبة فسلط الله الاسد والقى السكينة على الابل فجعل الاسد يتخللهم
ويشم وجوههم حتى وجد عتبة وافترسه فقال حسان بن ثابت من يرجع
العام الى اهله فما اكيل السبع بالراجع قد كان لكم هذا عبرة للسيد المتبوع والتابع
فعلى هذه الرواية احتمل ان يكون قوله تبت يدا ابي لهب اخبارا عن هلاك
نفسه وقوله وتب اخبارا عن هلاك ولده عتبة وكون نزول هذه السورة
متقدما عن هلاكهما لا ينافي كونه اخبار الواقع فيها بلفظ الماضي لان ذلك
مبني على انه كان في معلومه تعالى انه يحصل ذلك **قوله** ومات ابو لهب بالعدسة
الجوهري العدسة بثرة تخرج بالانسان وربما قتلت قال الامام هذه الاية تضمنت
الاخبار عن الغيب من ثلثة اوجه احدها الاخبار عنه بالتباب وقد كان كذلك
وثانيها الاخبار عنه بعدم الانتفاع بماله وولده كذلك وثالثها الاخبار عنه
بانه من اهل النار وقد كان كذلك لانه مات على الكفر **روي** ابو رافع مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب وكان الاسلام دخل
بيتنا فاسلم العباس واسلمت ام الفضل وكان العباس يهاب القوم ويكتم اسلامه
وكان ابو لهب تخلف عن بدر فبعث مكانه العاص بن هشام ولم يتخلف

عفلك يا ابن اخي
فرجع عتبة الى ابيه
وانا خواسه
واحدقوا اي احاطوا به

اوق يونس

رجل منهم الا بعث مكانه رجلا آخر فلما جاء الخبر عن واقعة اهل بدر وجدنا
في انفسنا قوة وكنت رجلا ضعيفا وكنت اعمل القداح انحتها في حجرة
زمزم فكنت جالسا وعندي ام الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر
اذ اقبل ابو لهب يجر رجليه بشر حتى جلس على طنب الحجرة وكان ظهره الى ظهري فبينا
هو جالس اذ قال الناس هذا ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال
ابو لهب كيف الخبر يا ابن اخي فقال لقينا القوم ومنحناهم اكتافنا يقتلوننا
كيف ارادوا وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين
السماء والارض فقال ابو رافع فرفعت طنب الحجرة فقلت اولئك والله الملائكة
فاخذني وضربني على الارض ثم برك علي فضربني وكنت رجلا ضعيفا فقامت
ام الفضل الى عمود فضربته على راسه فشجته وقالت استضعفته ان غاب سيده
والله نحن مؤمنون منذ كثير وقد صدق فيما قال فانصرف ذليلا فوالله ما عاش الا
سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته ولقد تركه ابناه ليلتين او ثلثا لم يدفناه
حتى انتن في بيته وكانت قريش تتقي العدسة وعدوها كما تتقي الناس الطاعون
ويقولون نخشى هذه القرحة ثم دفنوه وتركوه فهذا معنى قوله تع ما اغنى عنه
ماله وما كسب **قوله** وليس فيه ما يدل على انه لا يؤمن حتى يستدل به على وقوع
التكليف بما لا يطاق بناء على انه لا شك ان ابا لهب مكلف بان يؤمن بجميع ما جاء به عم
من عنده تع ومن جملة ما جاء به من عنده قوله تع سيصلى نارا ذات لهب فهو مكلف
بان يؤمن بهذا القول ومضمونه ولو كان فيه ما يدل على انه لا يؤمن لكان مكلفا بان
يؤمن وهو في المعنى تكليف بان لا يؤمن فيكون تكليفه بالايمان تكليفا له بان يجمع
بين النقيضين وليس ذلك في وسع العبد وطاقته فاذا كان ابو لهب مكلفا
بالايمان واستلزم ذلك تكليفه بما ليس في وسعه ثبت بذلك وقوع التكليف بما لا
يطاق مع ان العلماء اتفقوا على عدم وقوعه استدلالا بقوله تع لا يكلف الله
نفسا الا وسعها فانه يدل على عدم وقوع ذلك وان لم يدل على عدم جوازه والامر
في قوله انبئوني باسماء هؤلاء للتعجيز لا للتكليف وقوله حكاية عن المؤمنين
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ليس المراد بالتحميل التكليف بما لا طاقة لهم به

اكنافنا

وقوع

به بل اتصافها بما لا يطاق لما من العوارض [illegible] اذ قد تبين ان التكليف بما لا
يطاق غير واقع باتفاق العلماء فاعلم انهم اختلفوا في جوازه فمنعه الحنفية
والغزالي من الشافعية والمعتزلة وجوزه الاشعري ومن تابعه ومن اراد زيادة التفصيل
في هذه المسئلة فعليه مراجعة علم الكلام والمراد بما لا يطاق اعم مما كان في نفسه كالجمع
بين الضدين او ممكنا في نفسه خارجا عن قدرة العبد كخلق الاجسام واما ما يمتنع
بناء على ان الله تع علم خلافه او اراد خلافه كايمان الكافر وطاعة الفاسق فلا نزاع
في وقوع التكليف به لكونه مقدور المكلف بالنظر الى نفسه **قوله** عطف على المستكن
في سيصلى نارا اي سيصلى هو وامرأته وحسن العطف على المضمر المرفوع المتصل من غير
تاكيد بالمنفصل للفصل بالمفعول وصفته وطول الكلام بين المعطوفين وام جميل بنت
حرب اخت ابي سفيان بن حرب عمة معاوية وكانت في غاية العداوة لرسول
صلى الله عليه وسلم **قوله** يعني الحطب واجاب عنه ثلثة اوجه **الاول** انه ليس المراد
بالحطب الحطب المتعارف بل المراد به ما حملته من الاثام والاوزار بسبب معاداتها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وترغيبها زوجها على ايذائه عليه السلام فالحطب مستعار لتلك
الاثام تشبيها لها بالحطب الحقيقي في ان كل واحد منهما سبب لايقاد النار واشتعالها
اما الاوزار فانها توقد بها نار جهنم كما ان الحطب توقد به نار الدنيا **والثاني** ان الحطب
مستعار للنميمة فانها يتوقد بها نار الخصومة والحرب كما ان الحطب تتوقد به نار الدنيا
والحرب يطلق عليه اسم النار قال الله تع كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله فعلى التقديرين
يكون قوله تع في جيدها حبل من مسد ترشيحا للاستعارة والاستعارة المرشحة ما
اقترن بها ما يلائم المستعار منه وهو ههنا الحطب الحقيقي ويلائمه ان يلقي حامله الحبل
على جيدها بان يجعل حزمة ويحمله على ظهره بالحبل المرسل على الجيد **والثالث** ان الحطب
على حقيقته الا انها لا تحمله لمصلحة بينها حتى يقال انها من بيت النعم فكيف تحطب بنفسها
بل المراد انها لشدة عداوتها تحمل بنفسها الشوك والحطب لاجل ان يلقيه بالليل
في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتأذى به عند خروجه للصلوة وقرأ عاصم بالنصب
على الشتم والذم اي اذم حمالة الحطب ومن قرأ مرفوعا جعله نعتا لامرأته وجاز ذلك
لان الاضافة معنوية اذ الحمالة للمضي او خبر مبتدأ محذوف اي حمالة **قوله** اي حمالة

قال الواحد المسد في كلام العرب الفتل مسد الحبل مسده مسدا اذا اجاد فتله ورجل
ممسود اذا كان مجدول الخلق والمسد ما مسد اي فتل من الحبل من اي شيء
كان اي سواء ذلك الحبل مفتولا من جلود الابل او الليف او الخوص او الحديد
قوله او تصوير لها بصورة الحطابة الظاهر انه على تقدير ان يكون الحطب
على حقيقته لان تصوير المذكور انما يظهر اي على تقدير ان تحمل حزمة الشوك
وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون مع كونها في بيت العز والعز
والمقصود من تصويرها بصورة الحطابة تحقير شانها وتعييرها بذلك الفعل
ايذاء لها ولزوجها حتى تشتجر على مثله او بيان ان حالها في نار جهنم يكون على نحو
ما كانت عليها في الدنيا جزاء وفاقا لعملها فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب
جهنم من شجر الزقوم او نحوه وفي جيدها سلسلة من النار كما انها على هذه
الصورة قوله الظرف وهو قوله تعالى في جيدها في موضع الحال في قوله وامرأته
وقد مر انها معطوفة على المستكن في سيصلى وحبل فاعل الظرف لاعتماده على ذي الحال
قوله او الجزاء اي وهو في موضع الخبر على ان يكون وامرأته مبتدا وحبل فاعل الظرف
ايضا لاعتماده على المبتدا سورة الاخلاص مكية ومدنية وايها اربع آيات بسم الله الرحمن الرحيم
قوله الضمير للشان او لما سئل عنه يعني ان ضمير هو فيه وجهان الاول انه ضمير الشان
لانه موضع التفخيم وتفسير الشيء بعد ذكره مبهما يفيد ذلك فيكون مبتدا
والجملة الاسمية بعده خبره والخبر الجملة لما كان عبارة عن المبتدا متحدا معه بالذات
استغني عن العائد والثاني انه عائد الى المسئول عنه المدلول عليه بالسؤال
الصادر منهم قبل نزول السورة قال الضحاك ان المشركين ارسلوا عامر بن
الطفيل الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا شققت عصانا وسببت آلهتنا وخالفت
دين آبائك فان كنت فقيرا اغنيناك وان كنت مجنونا داويناك وان هويت
امراة زوجناكها فقال عليه السلام لست فقيرا ولا مجنونا ولا هويت امراة انا
رسول الله ادعوكم من عبادة الاصنام الى عبادته فارسلوه ثانية وقالوا له
قل له بين جنس معبودك امن ذهب او فضة فانزل الله هذه السورة فقالوا
ثلثمائة وستون صنما لا يقوم لحوائجنا فكيف يقوم الواحد بحوائج الخلق

الخلق فنزلت والصفات صفا الى قوله ان الهكم لواحد قوله واحد بدل او خبر ثان
بيان لاعراب الآية على الوجه الثاني فان هو ح لان الشان فانه مبتداء وقوله الله خبره واما
احد فيحتمل ان يكون بدلا من قوله الله وان يكون خبرا بعد خبر والمشهور عند النحاة ان
النكرة الغير الموصوفة لا يكون بدلا من المعرفة حتى لا يكون ما هو انقص في الدالة على الذات
المرادة بالنسبة وما هو الا تم فيها توطئة لذكره واحد نكرة غير موصوفة فجعله بدلا من
لفظ الجلالة مخالف لهذه القاعدة لما لم تكن متفقا عليها فان ابا علي جوز
ابدال النكرة غير الموصوفة من المعرفة مال المصنف الى مذهبه وبنى الكلام عليه حيث
جوزوا ابدال احد من لفظ الجلالة قوله بدل مجامع صفات الجلال اي المجتمع
معها على ان مجامع اسم فاعل من جامعه اي اجتمع معه او جمعه فاعل يجيء بمعنى
فعل يقال سافر وعاقبت اللص وكون الاحدية جامعة لجميع صفات الجلال وهي
الصفات السلبية ان احدية الشيء عبارة عن كونه واحدا في ذاته وصفاته
وافعاله والوحدة في ذاته بان لا يكون منقسما الى ابعاض واجزاء خارجية ولا عقلية
والله تعالى يجب ان يكون كذلك لانه لو كان مركبا في الخارج لكان مفتقرا الى كل واحد
من اجزائه وكل واحد من اجزائه غيره فيكون مفتقرا الى غيره والمفتقر الى الغير ممكن
في نفسه ومبدأ الممكنات يمتنع ان يكون ممكنا في نفسه ولو كان مركبا
في العقل لكان مشاركا لغيره في ماهية ذلك الغير حتى يحتاج الى فصل
يميزه عنه وذلك يستلزم امكان الواجب ايضا لان كل ماهية لما سواه
تقتضي الامكان فلو كان تلك الماهية ماهية للواجب لزم امكانه
والوحدة في صفاته بان لا يكون له نظير ولا شبيه يضاهيه في شيء من صفاته
والوحدة في افعاله بان لا يكون له شريك في شيء منها بان يكون مبدا الممكنات
متعددا وكل ذلك يستدعي الامكان وينافي الوجوب فثبت ان الاحدية
مستلزمة لكونه ليس بمركب باحد انحاء التركيب اي لا تركيبا خارجيا ولا عقليا
ولكونه ليس بمتعدد باحد انحاء التركيب لا بطريق عليه التعدد بحسب صفاته ولا
بحسب افعاله والاحدية بهذا المعنى يستلزم كونه ليس بجسم لان كل جسم مركب
في ذاته من الاجزاء وكونه ليس بمتحيز لان كل متحيز منقسم من حيث انه

لفظ ح
ه النحاة بيان

بمعنى مغاير له وكونه بحيث لا يكون ما هيته موضوعة للتعيين بان يكون غيره مشاركاً في الحقيقة الواجبة وخواصها للالوهية ومتميزاً عنه بحسب التعيين العارض لها لانه لو كان كذلك لكان كل واحد منهما مركباً مما به المشاركة والمباينة وقد مر ان التركيب ينافي الوجوب لذاته فثبت ان كونه احداً يستلزم كونه واحداً لا تعدد فيه بوجه ما وانها جامعة لجميع الصفات السلبية واما كونه لفظة دالة على جميع صفات الكمال فلان الاله هو الذي يستحق العبادة لذاته وقد مر ان العبادة اسم لكل طاعة اديت على وجه التذلل ونهاية التعظيم فلا يستحق الا من يكون مستقلاً في الايجاد والتربية بما يليق باحوال المخلوق في جسمانية وروحانية وهذا الاستقلال لا يتصور الا ممن كان موصوفاً بالقدرة التامة والارادة النافذة والعلم المتعلق بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات وغير ذلك من سائر صفات الكمال فاذا تقرر هذا ثبت ان الاخبار عن مسئولهم بانه الله احد مع وجازة اللفظ تم بياناً واكمل تعريف له بما هو في وسع الغير اذ لا سبيل الى معرفة كنه ذاته وانما الذي في وسعهم معرفته بصفاته الذاتية والفعلية وبصفاته السلبية وهذا الاخبار كاف بمعرفته بهذا الوجه لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد **قوله** ولعل ذلك اي اي ولعل وجه الفرق بين السور الثلث حيث وقع الاتفاق على تصدير واحدة منها بقل وعلى عدم التصدير به في الثانية وقرئ بهما في الثالثة **قوله** فلا يناسب ان يكون منه اي ان يكون كل واحد من المتاركة ومعاتبة العم واقحام من عند نفسه من غير ان يكون مأموراً به من قبل الله تعالى المتاركة المخالفة من الشقاق وهو الخلاف كان كلا من المتخالفين اخذ في شق وهو الناحية من الجبل والموادعة المتاركة وتقرير كل من الفريقين الآخر على دينه ولفظ الموادعة فيهما عند من من النسخ معطوف بالواو والظاهر ان يعطف بكلمة او ويكون المعنى لان السورة من اولها الى آخرها اما متاركة بان يكون قوله لكم دينكم ولي دين مقصوداً ما سبق وتأكيداً له واللام في قوله لكم ولي متعلق بالثبات والدوام المقدر وهذا هو الذي اختاره المصنف في تفسير السورة لعدم استلزامه لكون الآية منسوخة

منسوخة بآية القتال بخلاف الوجه الثاني فانه يستلزم ان يكون آخر السورة منسوخاً بها من حيث كونه دالاً على الاذن في الكفر واما موادعة بان يكون المقصود من السورة الموادعة المستفادة من قوله لكم دينكم ولي دين ويكون ما قبله تمهيداً لها واذا عطف بالواو يكون المعنى ان السورة متاركة نظراً الى اولها وموادعة نظراً الى آخرها وهذا هو الوجه المرجوح عند المصنف من الوجهين الذين ذكرهما في تفسير السورة وبناء الكلام على الوجه المرجوح لا وجه له فالوجه ان يعطف بكلمة او واما ان المتاركة والموادعة لا يناسب ان يقع كل واحد منهما من عند نفسه عليه السلام من غير ان يكون مأموراً به من قبل الله تعالى فلانه عليه السلام ارسل لدعوة الخلائق الى اتباعه واطاعته في جميع ما جاء به من عند الله تعالى فكيف يليق به ان يقول لهم من عند نفسه انتم مني في شق وناحية وانا كذلك في شق منكم لا يتراءى ناراهما او ان يوادعهم ويتركهم وما يدينون ولانه كيف يليق بالحكيم ان يحكم على احد ويقول له من عند نفسه انك ممن ختم الله على قلبه فلا تؤمن ابداً ولا يعبد الله وانما يتأتى له ذلك اذا بين الله تعالى ان الامر كذلك وامره ان يخبره واما ان معاتبة عمه ومشافهته بهذا التغليظ الشديد لا يناسب ان يقع منه عليه السلام الا من عند نفسه ولا بان يؤمر بذلك من قبل الله فلان للعم حرمة كحرمة الاب لان اب الرجل وعمه شعبتان من اصل واحد كما قال عليه السلام عم الرجل صنو ابيه وكل من كان في منصب الرسالة والدعوة الى الحق يجب عليه ان يكون معاملته مع عامة قوم باللطف واللين كما قال الله تعالى لموسى عليه السلام وهارون عليه السلام فقولا له قولا لينا وقال لنبي عليه السلام ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاذا وجب مراعاة اللينة مع عامة القوم فكيف بالعم لا سيما ممن هو على خلق عظيم ومبعوث رحمة للعالمين فلهذا السبب لم يقل له ذلك لئلا يكون مشافهة لعمه بالشتم والتغليظ وان شتم عمه بقوله تبا لك الهذا دعوتنا فكانه تع يقول اسكت انت وتخلق بما انزلت عليك واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما فانا اشتمه اجيبه عنك فانزل قوله تبت يدا ابي لهب روي ان ابا بكر رضي الله عنه

انك سامحه

كان يوزبه واحد فبقي ساكتاً فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع ذلك ان تم ويزجره
فلما شرع ابو بكر في الجواب سكت الرسول قال ابو بكر ما السبب في ذلك قال لانك
لما كنت ساكتا كان الملك يجيب عنك فلما شرعت في الجواب انصرف الملك وجاء الشيطان
فظهر ان الآية والحديث تنبيه من الله تعالى ورسوله على ان من يشافه السفيه كان
الله معه ذاباً عنه وناصراً له ومعيناً **قوله** واما هذا فتوحيد يقول به تارة ويؤمر
بان يدعوا اليه اخرى يعني ان المقصود من هذه السورة لما كان توحيده تعالى
لم يلزم تصديرها بقل بل جاز فيها الامران وذلك لان غاية ما لزم من عدم
تصديرها به ان يكون ذم معتقد او يتكلم به من عند نفسه ولا محذور فيه
فلذلك جاز فيها الامران الا ان تصديرها به اشهر واكثر لان الدعوة الى التوحيد
من المصالح المتعلقة بالنبوة بل هي اول المصلحة التي امر عليه السلام بالقيام عليها
هذا تقرير مراده من قوله ولعل ذلك الى آخره ويرد على ظاهر كلامه ان قوله به
تارة وهي اللازم من عدم تصدير السورة بقل يفهم منه ان عدم التصدير يدل
على وقوع الكلام من قبل عليه السلام ويفهم من قوله تبت معاتبة عمه فلا يناسب ان
يكون منه ان عدم التصدير يدل على انه عم لا مدخل له في هذه الكلام وانما يتلوه
على انه كلام الله المنزل اليه وبينهما منافاة فليتأمل واختلف القراء في احد
الله الصمد فقرأ بالتنوين والتحريك هكذا احدن الله الصمد وهو القياس
لانه لما التقى ساكنان التنوين ولام التعريف في لفظة الله حرك اولهما
بالكسر **وعن ابي عمرو** احد الله بضم الدال من غير تنوين ووجه هذه
القراءة ان التنوين نون ساكنة والنون تشابه حروف اللين في انها من حروف
الزيادة فلما شابهتها اجريت مجراها لان حذف لالتقاء الساكنين فانه يقال
رمى القوم ويرمي القوم ويغزو القوم بحذف حروف اللين لالتقاء الساكنين فكذلك
حذفت النون في احد الله الصمد لذلك ولهذا ايضا حذفت النون الساكنة في الفعل
المجزوم نحو لم يك ينفعهم ايمانهم ولا تك في مرية وعن ابي عمرو احد الله الصمد بالسكون
الدال وقطع همزة الوصل من غير سكت بينهما على اجراء الوصل مجرى الوقف لاستمرار
الوقف عليه وكثرته في السنتهم وفرارا من تنافر الحركة والتنوين وهو قال ادركت

القراء يقرؤنها كذلك وصلا على السكون وقوله تعالى هو الله احد
ثلثة كل واحد منها اشارة الى مقام من مقامات السائرين الى الله تعالى فالمقام
الاول مقام المقربين وهم الذين نظروا الى ماهيات الاشياء وحقايقها من حيث
هي هي فلا جرم ما رأوا موجودا سوى الله تعالى لان الحق هو الذي لذاته يجب وجوده
واما ما عداه فممكن والممكن اذا نظر اليه من حيث هو هو كان معدوما فهؤلاء
لم يروا موجودا سوى الله تعالى وكلمة هو وان كانت للاشارة المطلقة ومفتقرة
في تعيين المشار بها الى سبق الذكر باحد الوجوه او الى ما يعقبها مما يفسره الا انهم يشيرون
بها الى الحق سبحانه ولا يفتقرون في تلك الاشارة الى ما يميز الذات المرادة من غيرها
لان الافتقار الى المميز انما يحصل حيث وقع الابهام بان يتعدد ما يصلح لان يشار اليه
وقد بينت انهم لا يشاهدون بعيون عقولهم الا الواحد فقط فلهذا السبب كان لفظ
هو كافية العرفاء التام لهؤلاء والمقام الثاني مقام اصحاب اليمين وهو دون المقام
الاول وذلك لانهم شاهدوا الحق موجودا وشاهدوا الخلق ايضا موجودا فحصلت الكثرة
في الموجودات فلا جرم لم يكن لفظ هو كافية في الاشارة الى الحق بل لابد هناك من
مميز به يتميز عن الخلق فهؤلاء احتاجوا الى ان يقترن لفظة الله بلفظة هو فقيل
لاجلهم هو الله لان لفظة الله اسم للموجود الذي يفتقر اليه ما عداه ويستغني هو
عن كل ما عداه فيتميز به الذات المرادة عما عداه والمقام الثالث مقام اصحاب
الشمال وهو اخس المقامات وهم الذين يجوزون ان يكون الواجب الوجود اكثر
من واحد فقرن لفظ الاحد بما تقدم ردا على هؤلاء وابطالا لمقالتهم فقيل هو
هو الله احد **قوله** السيد المصمود اليه في الحوائج وهذا التفسير نقله صاحب التيسير
عن ابن عباس رضي الله عنه الا انه ليس فيه لفظ السيد وهو المناسب بما نقله
عن اهل اللغة ان الصمد فعل بمعنى مفعول كنفض وقبض بمعنى منقوض ومقبوض
مأخوذ من صمده اذا قصده وهو من باب نصر ودخل **وروي** عن ابن عباس
رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية قالوا ما الصمد قال عليه السلام هو السيد الذي يصمد اليه في الحوائج
فلا شك ان من يقصد اليه في جميع المهمات ويرفع اليه جميع الحاجات يكون مستغنيا
عن كل ما عداه وكاملا في جميع صفاته وافعاله فهو غاية السيادة ونهاية رفعته

ان الله تع وعلو القدر فقوله تفسير للصمد وما بعده صفة كاشفة له قال الذي
الصمد المقصود اليه في الرغائب المستغاث به عند المصائب وقال ابو هريرة رضي الله عنه
الصمد المستغني عن كل احد والمحتاج اليه كل احد فقوله فهو الموصوف به على
الاطلاق قال حجة الاسلام الغزالي ومن جعله الله تعالى مقصد العباد في
مهمات دينهم ودنياهم واجرى على لسانه ويده حوائج خلقه فقد
انعم عليه بحظ من هذا الوصف لكن الصمد المطلق هو الذي يقصد اليه في جميع
الحوائج وهو الله جل ذكره وقال صاحب التيسير وقوع هذا الاسم على احد
يعظم من البشر انما هو على الاستعارة لانه ليس احد من المخلوقين وان عظم شانه
وعلت رتبته الا وهو موصوف بالنقص عاجز عن ابلاغ من يقصد غاية
امله فالصمد في الحقيقة من هو ملجأ كل مستغيث به في نوازله ومن بيده ناصية
كل من خليقته قوله وتعريفه لعلمهم بصمديته فان العرب بل اكثر الخلق يعرف
انه تع هو الذي يقصد اليه في الحوائج وان جميع ما سواه مفتقر اليه كما قال الله تعالى
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فلذلك جاء لفظ الصمد معرفا
بخلاف احديته فانه لا يخطر ببال اكثر الخلق ان في الموجود ذاتا لا تركيب ولا انقسام
ولا تأليف فيه بوجه من الوجوه فضلا عن كونه واحدا في صفاته بان لا يكون
له نظير وشبيه في افعاله بان لا يكون له شريك فيها وذلك لانهم لا يعرفون من
الموجودات غير المحسوسات وكل محسوس ينقسم قسمين فتعين انهم لا يعرفون موجودا
هو احدي ذاته لا انقسام اصلا فنكر لفظ احد لذلك قوله للاشعار وجه الاشعار
ان قوله الله الصمد جملة اسمية طرفاها معرفتان فتدل على انه لا صمد في الوجود سوى الله تع
فان زيد الامير يفيد قصر الجنس على زيد وقصر الصمدية على من اتصف بالالوهية
ونفيها عن من سواه يشعر بان من انتفت الصمدية عنه لا يستحق الالوهية
وهذا المعنى انما يحصل بتكرير اسم الله تع وجعل الصمد خبرا عنه فانهم لما سألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يبين ان معبوده من اي جنس هو اجيبوا بانه الله الذي
يستقل بالخلق والايجاد ومن ضرورته ان يكون موصوفا بالصفات الاضافية
كالعلم المحيط بجميع المعلومات والقدرة التامة والارادة النافذة وغير ذلك من

من صفات الكمال ثم ابدل لفظ احد ليفيد انه منزه عن جميع انحاء التركيب
والتعدد وعما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز وكونه حالا في المتحيز او محلا له
ونحو ذلك ثم تبين لهم ان الله هو الصمد اي السيد المستغني عن جميع ما سواه
القاضي لحوائج كل ذلك بمقتضى حكمته للاشارة الى انه ليس له شريك في ملكه ولا ضد
ولا ند فهو الواحد في ذاته وصفاته وافعاله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
ولو قيل هو الله احد الصمد من غير تكرير اسم الله تعالى لكان كل واحد من قوله احد
والصمد خبرا بعد خبر على تقدير ان يجعل ضمير هو راجعا الى المسئول عنه ويكون
لفظة الله خبرا عنه واما ان جعل قوله الله احد جملة مفردة لضمير الشان وخبرا
عنه فيجعل الصمد خبرا بعد خبر للجلالة ويكون المعنى ان الشان انه تعالى متصف
في الواقع بالاحدية والصمدية وعلى كلا التقديرين يكون الكلام خاليا عن الاشعار
المذكور واذا كرر مع عدم الاحتياج اليه لا بد ان يكون ذلك لا بد ان يكون
لنكتة والاشعار المذكور يصلح ان يكون نكتة فيحمل عليه قوله لانه كالنتيجة
للاولى او الدليل عليها وجه الاول ان من له الوحدة في ذاته وصفاته وافعاله بان كان
مبدع الكل وحافظه ومدبره فلا جرم لا يصمد في الحوائج الا اليه فكونه صمدا متفرعة
على احديته ووجه الثاني ان من كان ملجأ كل مستغيث لا بد ان يكون في اعلى
درجات الكمال منزها عن جميع وجوه النقصان فوجب ان يكون احدا الخ قوله
لانه لم يجانسه حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا من مجانسها
والحمار وان لم يكن من نوع الفرس لكنه من جنسه فان القوة المولدة يكون
وسيلة الى توليد المماثلة او المجانس لا يكون وسيلة الى توليد المباين ونفي
المجانسة يستلزم نفي المماثلة علل المصنف نفي كونه تع والدا بعلتين الاولى ان
ان الولد لا بد ان يكون من جنس الوالد لمصاحبة مع من يجانسه فلا انسه
فلا ولد والثانية ان الولادة مبتنية على الاحتياج الى ما يعينه في حياته
ويخلفه عنه بعد وفاته فلا احتياج ولا فناء ولا ولادة يتفرع عليهما بكلمة
او في قوله او يخلفه عنه لتقسيم احوال الوالد وقدم نفي كونه والدا على نفي كونه
مولودا مع ان المولودية سابقة على الوالدية فان الشخص يولد اولا ثم

يكون والدا ابناء على ان نفي كونه والدا اهم بالنسبة الى نفي كونه مولودا من حيث
ان الكفرة ادعوا ان له ولدا ولم يدع احد ان له والدا فان مشركي العرب قالوا
الملائكة بنات الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فلهذا السبب بدئ بالاهم فقال
لم يلد ثم اتبعه بقوله ولم يولد تقليلا لقوله لم يلد لانه لما وقع الاتفاق على انه لم يكن
ولدا لغيره ثبت انه لم يلد غيره **قوله** ولعل الاقتصار على لفظ الماضي وعدم
التعرض بانه هل يلد في المستقبل ام لا مبني على ان المقصود من الآية تكذيبهم في قولهم
ولد الله وان الملائكة بنات الله وان فلانا وفلانا ابن الله ومرجع الجميع انه ولد
في الزمان الماضي فلذلك رد عليهم وكذبهم بان قال لم يلد في الماضي ولو كان المقصود
بيان انه تعالى هل يصح ان يلد في احد الازمنة ام لا لم يصح الاقتصار على لفظ الماضي وليس
كذلك **قوله** وذلك لانه لا يفتقر الى شيء ولا يسبقه عدم يعني ان قوله ولم يولد تنزيه
له عن النقصان اللازم من كونه معلولا لغيره ومن كونه حادثا فان كل مولود حادث
معلول للوالدة **قوله** اي وان لم يكن احد يكافيه اشارة الى ان احد اسم يكن وكفوا
خبره وله ظرف لغو متعلق بكفوا لما فيه من معنى الفعل والظرف بكفيه واتجه الفعل
اي لم يكن احد شبيها له ويجوز ان يتعلق بيكن لانه فعل والمص اختار الاول
حيث قال يكافيه **قوله** وكان اصله ان يؤخر الظرف اي الظرف المعهود ههنا
وهو له لانه صلة اي لغو وفضلة لا يفتقر اليه الكلام في تمامه والظرف المستقر هو الذي
يفتقر تمام الكلام اليه بان يكون خبرا فيه كما في قولك ما كان فيها احد خير منك
فان الظرف فيه مستقر لانه خبر كان واللغو ما يكون الكلام تاما بدونه كما في قوله
ما كان احد خيرا منك فيها فان الظرف فيه لغو لان الكلام تام بدونه الظرف
فان قولك ما كان احد خيرا منك كلام تام لاستيفاء كان اسمه وخبره ولما في الآية
ظرف لغو لان الكلام تم بدونه باسم كان وخبره والاصل في الكلام الفصيح ان يؤخر
اللغو عن فاعله ومفعوله لانهما مقصودان بالنسبة اليه وتقديم المقصود اولى
وافصح فيكون تقديم اللغو قبيحا مخلا بالفصاحة لكونه خلاف الاصل لكن يترك
هذا الاصل اذا عرض للظرف اللغو ما يجعله منها بالنسبة الى الفاعل او المفعول
ويقدم عليهما لكونه اهم منهما نظرا الى ذلك العارض كما يقدم المفعول على الفاعل

وقالت اليهود عزير ابن الله نعوذ بالله صح

لوالده صح

ههنا

على الفاعل اذا عرض له ما يجعله منها بالنسبة الى الفاعل فان المقصود في الآية نفي
ان يكون احد كفوا بشيء ما مطلقا بل المقصود نفي كونه كفوا بالنسبة اليه تعالى
ومصب هذا المعنى ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك اهم شيء واعتنى واحق
بالتقديم واجراه **قوله** ويجوز ان يكون حالا معطوفا من حيث المعنى على قوله وكان اصله
ان يؤخر وتقدير الكلام على ان يكون الظرف حالا من المنوي في كفوا انه لم يكن
احد كفوا كائنا له فيكون له ظرفا مستقرا قائما مقام عامله ويجوز ان يكون خبر
يكن وكفوا حالا من احد لانه في الاصل كان صفة لاحد فلما تقدم عليه انتصب حالا
لامتناع تقديم الصفة على الموصوف وفيه ضمير يعود الى ذي الحال **قوله** لان
المراد منها نفي اقسام الامثال فان المقصود من قوله لم يلد ان ينفي عنه تعالى القسم
المخصوص من اقسام المثل وهو الولد ومن قوله ولم يولد ان ينفي عنه القسم الآخر
وهو الوالد ومن قوله ولم يكن له كفوا احد ان ينفي عنه باقي الاقسام كالصاحبة
والشريك فحصل بذلك تناسب تلك الجملة باعتبار المسند اليه لكون المسند اليه
في كل واحد من الجمل قسما من اقسام المثل وتناسبها باعتبار المسند ظاهر لان المسند
فيها هو الانتفاء وبذلك يتحقق الجامع بين تلك الجمل الى حالها التوسط بين
كمال الاتصال وكمال الانقطاع وقد تقرر في بحث العطف ان الحكم في مثل تلك الجمل
ربط بعضها ببعض بالعطف وتوضيح المقام ان الجملتين اللتين لا محل لهما من الاعراب
ولم يكن للاولى حكم لم يقصد اعطاؤه للثانية قد يكون بينهما كمال الاتصال بان
يكون الثانية مؤكدة للاولى او بدلا منها او بيانا لها وقد يكون بينهما كمال الانقطاع
وذلك يكون بامرين الاول باختلافهما خبرا او انشاء لفظا ومعنى او معنى فقط
والثاني بانعدام الجامع بينهما واذا انتفى الامران يتحقق كمال الانقطاع واذا لم
يكن بينهما كمال الاتصال ولا كمال الانقطاع بل كان حالهما التوسط بين كماليهما
بان لم يكن الجملة الثانية مؤكدة للاولى ولا بدلا منها ولا بيانا لها واتفقتا خبريتين
او انشائيتين وبينهما جامع بان يكون المسند اليه في احد الجملتين هو المسند اليه في الاخرى
نحو زيد يشعر ويكتب ومناسبا له بان يكون اخوين او صديقين او عدوين نحو زيد
شاعر وعمرو كاتب وبان يكون المسند اليه ايضا متناسبين كالشعر والكتابة وكالعطاء

وكالاعطاء والمنع في قولك زيد يعطي ويمنع فانهما متناسبان بالتضاد فحكم
الجملتين العطف وان لم يكن بين المسند اليهما تناسب نحو خفي ضيق وقلم
ضيق او كانا متناسبين لكن لم يكن المسندان متناسبين نحو زيد شاعر وعمرو
طويل ولم يجز العطف **قوله** وقرأ حمزة ويعقوب اه قرأ العامة بضم
الكاف والفاء وحمزة اسكن الفاء وابدل الهمزة واوا [illegible] وقفا خاصة
وابدلها حفص واوا مطلقا والباقون بالهمزة مطلقا وقد تقرر ان كل اسم
على ثلثة احرف اوله مضموم فانه يجوز في عينه الضم والاسكان الا في قوله تعالى
وجعلوا له من عباده جزءا **قوله** فان مقاصده لمحصورة في بيان العقايد
والاحكام والقصص وقيل ام ما في القرآن علوم ثلثة علم المبدأ وعلم
المعاد وعلم ما بينهما اعني الصراط المستقيم وهذه السورة الكريمة كافلة
بعلم المبدأ الذي هو ثلث ما نطق به جميع القرآن فكانت بهذا الاعتبار
معادلة لثلث القرآن كما **روي** من قوله عم والذي نفسي بيده انها لتعدل
ثلث القرآن **قوله** ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك اي
من امهات علوم القرآن فان المقصود بالذات منها علم المبدأ وصفاته وما عداه
ذرايع اليه **عن سهل بن سعد** جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وشكا اليه
الفقر وقال اذا دخلت بيتك فسلم ان كان فيه احد وان لم يكن فسلم على
نفسك واقرأ قل هو الله احد مرة واحدة ففعل الرجل ذلك فادر الله عليه
رزقا حتى افاض على جيرانه **روي** عن بعض الصحابة انه كنا في تبوك
فطلعت الشمس ولها ضياء وشعاع ما رأيتها على تلك الحالة قبل ذلك فتعجب
كلنا من ذلك فنزل جبرائيل عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لي
ارى الشمس اليوم طلعت بيضاء وشعاع لم ارها طلعت فيما مضى مثلها فقال
ذلك **ان معاوية** بن معاوية الليثي مات بالمدينة فبعث الله تعالى سبعين
الف ملك يصلون عليه فهل لك ان اقبض لك الارض فتصلي عليه قال نعم
فصلى عليه ثم رجع **وروي** انه قال فهل لك ان تصلي عليه ثم ضرب جناحه
الارض فازال الجبال وصار عليه السلام كانه مشرف عليه فصلى هو واصحابه عليه

عليه ثم قال عليه السلام بم بلغ فقال جبرائيل عليه السلام كان يحب سورة الاخلاص ويكثر
قراءته بالليل والنهار في ممشاه وقيامه وقعوده **وروي** انه عليه السلام دخل المسجد
فسمع رجلا يدعو ويقول اسألك يا الله يا احد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن
له كفوا احد عفوك عفوك عفوك ثلث مرات فقال عليه السلام غفر لك غفر لك
غفر لك ثلث مرات فان قيل لم قال تعالى في هذه السورة لم يلد وفي سورة بني اسرائيل
لم يتخذ ولدا اجيب بان النصارى فريقان منهم من قال عيسى ولد الله حقيقة
ومنهم من قال اتخذه ولدا تشريفا كما اتخذ ابراهيم عليه السلام خليلا تشريفا
فنفى الامرين في الآيتين فقوله لم يلد اشارة الى نفي الولد في الحقيقة وقوله لم يتخذ
ولدا اشارة الى نفي القسم الثاني **سورة الفلق مدنية وآيها خمس آيات** بسم الله الرحمن الرحيم
الفلق بسكون اللام الشق يقال فلقت الشيء فلقا فانفلق وتفلق اي شققته
فانشق وتشقق والفرق التمييز والتبيين قال تعالى وقرآنا فرقناه اي بيناه والفرق
بين الشيئين فيه معنى الشق اذا لم يصير كل واحد منهما فرقة متميزة عن الآخر والمص
حكم بان كل واحد من لفظي الفلق والفرق بتحريك العين فعل بمعنى مفعول اي بمعنى المفلوق
عنه وذلك انما يتحقق بان يكون الشيء مستورا محجوبا بالآخر ثم تشقق الحجاب الساتر
عن وجه المستور ويزول فيظهر ذلك المستور وينكشف بسبب زواله فذلك الحجاب
المشقق المفلوق والمحجوب المنكشف بزواله مفلوق عنه ثم الظاهر ان يبقى المفلوق
عنه على عمومه فان للممكنات باسرها اعيانا ثابتة في علم الله تعالى مستورة
تحت ظلمة العدم فان ظلمات العدم غير متناهية ساترة لجميع الممكنات
والله تعالى فلق تلك الظلمات بنور التكوين والايجاد فاظهر ما في علمه من المكنونات
فكانت باسرها مفلوقا عنها كشاة صارت مسلوخا عنها بسلخ ما عليها عن الجلد
وكصبح صار مفلوقا عنه بازالة ما عليه من ظلمة الليل فظهر ان مفهوم المفلوق عنه
لجميع الممكنات الا انه مقول عليها بالتشكيك فانه اظهر واولى فيما يخرج من اصله كالعيون
من الارض والجبال قال الله تعالى وفجرنا الارض عيونا وان منها لما يتفجر منه الانهار
وكالامطار من السماء وكالنبات من الحب والنوى والارض وكالاولاد من
الارحام فان المفلوق عنه اظهر فيها بالنسبة الى المخلوق على وجه الابداع **قوله**

ويخص عرفا بالصبح هذا هو الموقوف مبني على ان يكون نور الصبح وضوء النهار اصلا سابقا
يطرأ عليه ظلمة الليل فتستره تارة وتنفلق عنه اخرى وهو عكس ما يدل عليه قوله تعالى وآية
لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون فانه يدل على ان ظلمة الليل اصل يغشاها ضوء النهار
عند طلوع النير فتصير كمن يلبس ثوبا شفافا وينسلخ عنها عند غروبه ويؤيده هذا
المعنى تقديم الظلمات في قوله تعالى وجعل الظلمات والنور ويشهد عليه العقل ايضا
ولا ضير اذ لكل وجهة **قوله** وتخصيصه لما فيه من تغير الحال جواب عما يقال
مقام الاستعاذة والاعتصام والامتناع يقتضي تعظيم المستعاذ به ولا شك ان تعظيمه
على تقدير تعميم الفلق لجميع الممكنات اعظم واقوى منه على تقدير تخصيصه بالصبح
فان المعنى على الاول قل يا محمد اعوذ اي امتنع واعتصم واحترز برب جميع الممكنات
ومكون جميع الكائنات ولا يخفى ان الصبح احد الامور الداخلة في هذا العموم فيكون
التعظيم فيه اتم فما وجه التخصيص وتحصيل الجواب ان التعميم وان كان له مناسبة
بهذا المقام الا ان التخصيص له وجه آخر يناسب مقام الاستعاذة ايضا فان من العائذين المستعيذين مقصوده
ان يتغير حاله بان يخرج من ضيق الخوف والخشية الى فضاء الامن والسعة ويتخلص
عن وحشة الغم والحزن بنيل الفرح والسرور وتخصيص الصبح على هذا اللون
لما فيه من تغير الظلمة وزوالها باشراق نور الصبح وتبدل وحشة الليل
وثقلته بسرور الصباح وخفته فان الليل ثقلته بكون الانسان فيه
كاللحم على وضم وهو الخشب الذي يقطع اللحم عليه فاذا طلع الصبح يتبدل
ذلك بالخفة والسرور ولهذا يجد كل مريض ومهموم خفته في وقت السحر روي
ان يوسف عليه السلام القي في الجب وجعت ركبته وجعا شديدا فبات ليلة
ساهرا فلما قرب طلوع الصبح نزل جبرائيل عم باذن الله تع يسأله ويأمره
بان يدعو ربه فقال جبرائيل ادع انت وانا اؤمن فدعا جبرائيل وامن يوسف عم
فكشف الله تع ما كان به من الضر فلما طاب وقت يوسف عليه السلام قال يا جبرائيل
وانا ادعو ايضا وتؤمن انت فسأل يوسف ربه ان يكشف الضر عن جميع
اهل البلاء في ذلك الوقت فلا جرم ما من مريض الا يجد نوع خفة في آخر الليل وروي
ان دعاءه في الجب كان هذا يا عدتي في شدتي ويا مونسي في وحشتي ويا صاحبي

ويا راحم غربتي ويا كاشف كربتي ويا مجيب دعوتي ويا الهي ويا اله ابائي ابراهيم
واسحاق ويعقوب ارحم صغر سني وضعف ركني وقلة حيلتي يا حي يا قيوم يا
ذا الجلال والاكرام وفي وقت الصبح ايضا محاكاة لاختلاف احوال الناس في فاتحة
يوم القيمة من حيث ان الخلق في الليل كالاموات والدور كالقبور ثم منهم من
يخرج من داره مفلسا عريانا لا يلتفت اليه ومنهم من كان مديونا فيجر
الى الحساب ومنهم من كان ملكا مطاعا فيقدم اليه المراكب ويقوم الناس
بين يديه فكذا الحال في يوم القيمة بعضهم مفلس عن الثواب عار عن لباس التقوى
ومنهم من عليه حقوق الله تع وحقوق عباده ما لا طاقة له فيجر الى الملك
الجبار ومنهم من كان عبدا مطيعا لربه في الدنيا فصار ملكا مطاعا في العقبى
يقدم اليه البراق ولما اشتمل وقت الصبح على هذا التغير والتبدل وكان حاكيا
لاختلاف احوال الناس وتغيرها في فاتحة يوم القيمة كان تخصيص الفلق به مناسبا
لمقام الاستعاذة لاشعاره بان من قدر على التغيرات اي المدلول عليها بالصبح يقدر
ايضا ان يدفع عن العائذ كل ما يخافه ويحذر منه **قوله** ولفظ الرب ههنا اوقع اي
الصق وانسب وقوعا جواب عما يقال ما السبب في انه تع حين امر بالاستعاذة عند
افتتاح قراءة القرآن قال فاستعذ بالله وقال في موضع آخر وقل رب اعوذ بك من همزات
الشياطين وقال ههنا اعوذ برب الفلق فعبر عن المستعاذ به باسم قال اعوذ برب
الفلق واجاب عنه بان الشر المستعاذ منه في هذه السورة هو الشر المضاف الى
عالم الخلق وهو عالم المحسوسات من الاجسام والجسمانيات وانما سمي عالم الاجسام والجسمانيات
بعالم الخلق لان الخلق هو التقدير والمقدار من لواحق الجسم وشرور عالم الخلق مضار
بدنية والاستعاذة عن المضار البدنية تربية مناسب ذلك ان يعبر عن المعبود عندها
باسم الرب فكان جعل تربية الله تع له فيما تقدم وسيلة الى تربيته له فيما يأتي من الزمان
او كان العبد يقول التربية والاحسان دأبك القديم فلا تهملني وما وقع في قوله تعالى
من شر ما خلق يجوز ان يكون موصولة وعائدها محذوفا اي من شر كل ما خلق مما يكون
له شر وان يكون مصدرية اي من خلقه اي مخلوقه تسمية للمفعول بالمصدر وقسم الشرور
المضافة الى عالم الخلق الى الاختياري والطبيعي وقسم الاختياري الى ما لا يتعدى اثره الى الغير كالظلم

بل يلزمه كالكفر وسائر الآثام اللازمة والى ما يتعدى اثره كالظلم سواء تعلق بالمال
او بالبدن او بالعرض ويدخل فيه افتراس السباع وعضها واكلها ولدغ الحيات
والعقارب **قوله** وليل عظم ظلامه بغيبة الشفق ثم يمتلئ الارض ظلمة الجوهري
الغسق اول ظلمة الليل وقد غسق الليل يغسق غسوقا اي اظلم والغاسق الليل اذا غاب
الشفق وكل شيء اسود فهو غاسق وغسق الجرح غسقا اي سال منه ماء اصفر والغاسق
السائل وسمي الليل غاسقا لانصباب ظلامه على الارض وقال الزجاج الغاسق في اللغة هو
البارد وسمي الليل غاسقا لانه ابرد من النهار والوقوب هو الدخول في شيء
آخر بحيث يغيب عن العين يقال وقب يقب وقوبا اذا دخل **قوله** وتخصيصه اي
مع اندراجه تحت عالم الخلق وقد استعيذ من شره انفا ووجه التخصيص الاشارة
الى تفنني شره لكثرته وعسر دفعه فيه اما كثرته فلان السباع تخرج في الليل من آجامها
والهوام من اماكنها وكذا السراق واهل النهب وسائر متربصي الفرصة ينتشرون
فيه **عن عكرمة** ان عقارب الجن ترسل في تلك الساعة واما عسر دفع ما وقع فيه
من الشر فلان ظلمة الليل يستتر القاصد بالسوء فيأخذ من قصده على غرة وغفلة
فلا تمكن من دفعه بنفسه ولا باستعانة غيره لان الغوث يقل فيه ولان الشاهر على انسان
بالليل سلاحا فقتله المشهور عليه لا يلزمه قصاص ولو كان نهارا يوجد فيه الغوث **قوله**
وقيل المراد اي بالغاسق اذا وقب هو القمر وسمي به لانه يكسف فيغسق اي يذهب
ضوءه ويسود ووقوبه دخوله في ذلك الاسوداد والكسوف ودليله ما **روي**
عنه عليه السلام اخذ بيد عايشة رضي الله عنها فاشار الى القمر وقال استعيذي بالله
من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب قال الامام وعندي فيه اي في تسمية القمر
غاسقا وجه آخر وهو انه صح ان القمر في جرمه غير مستنير بل هو مظلم فهذا المراد من كونه
غاسقا واما وقوبه فهو المحاق والمحاق نوره في آخر الشهر والمنجمون يقولون انه في آخر
الشهر يكون نحوسا قليل القوة لانه لا يزال ينقص نوره الا ويزداد بسبب ذلك
نحوسته ولذلك لا تشتغل السحرة بالسحر الذي يورث التمريض الا في ذلك الوقت وهذا
مناسب بسبب نزول السورة فانها نزلت لاجل انهم سحروا النبي عليه السلام لاجل
التمريض واذا في قوله تعالى وقب منصوب باعوذ اي اعوذ بالله من كذا في وقت كذا **قوله**

قوله والنفث النفخ مع ريق وقيل انه النفخ فقط بلا ريق ومنه قوله عليه السلام
ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى
تستكمل رزقها الجوهري النفل شبيه بالبزق وهو اقل منه اوله البزق ثم
النفل ثم النفث ثم النفخ **قوله** وتخصيصه اي تخصيص النفث من بين طرق
السحر ومقدماته والسحر باي طريق كان يفتتن الناس به فينبغي ان يستعاذ
من شر السواحر مطلقا لما السبب في تخصيص السواحر اللاتي يعقدن عقدا
وينفثن عليها ومحصول الجواب ان هاتين السورتين نزلتا لان يستشفي بهما
الرسول صلى الله عليه وسلم من شر السحر الكائن بالنفث في العقد فلذلك
خص ذلك بالمذكور **روي** ان غلاما من اليهود كان يخدم النبي صلى الله
عليه وسلم فاقترحت اليهود منه فلم يزالوا به حتى اخذ لهم مشاطة راس
النبي صلى الله عليه وسلم وعدة اسنان من مشطه واعطاها اليهود
فسحروه فيها وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له لبيد بن اعصم ثم
دسها في بئر بني زريق يقال لها ذروان فمرض النبي صلى الله عليه وسلم
وانتشر شعر راسه ولبث ستة اشهر وجعل يذوب ولا يدري ما عراه
فبينا هو نائم اذ اتاه ملكان فقعد احدهما عند راسه والآخر عند رجليه
فقال الذي عند رجليه للذي عند راسه ما بال الرجل قال طب وما طب
قال سحر قال ومن سحره قال لبيد بن اعصم اليهودي قال بم طب قال
بمشط ومشاطة قال واين هو قال في جف طلعة تحت راعوفة في
بئر ذروان والجف وعاء الطلع وغشاؤه والراعوفة حجر في اسفل
البئر يترك هناك اذا احتفرت البئر ليجلس عليه من ينقي البئر اذا اراده
وتنقيتها فانتبه النبي صلى الله عليه وسلم مذعورا وقال يا عايشة
اما شعرت ان الله تعالى اخبرني بدائي ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كانه الحناء ثم رفعوا
الصخرة فاخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة راسه عليه السلام واسنان من
مشطه واذا وتر يعقد فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فانزل الله

هاتين السورتين فجعل عليه السلام كلما يقرأ آية انحلت عقدة ووجد عليه السلام
بعض خفة حتى اذا انحلت العقدة الاخيرة قام عليه السلام كانما انشط من عقال
وجعل جبرائيل عليه السلام يقول بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك من حاسد
وعين الله يشفيك والمعتزلة انكروا صحة هذه الرواية وتاثير السحر فيه عليه السلام
وقالوا كيف القول بصحتها والله تعالى يقول والله يعصمك من الناس وقال لا يفلح الساحر
حيث اتى ولان تجويزه يفضي الى القدح في النبوة ولان [الكفار] كانوا يعيرونه بانه مسحور
فلو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين في تلك الدعوة ولحصل فيه عليه السلام
ذلك العيب ومعلوم ان ذلك غير جائز وقال اهل السنة هذه القصة قد صحت
عند جمهور اهل النقل وصحتها لا تستلزم صدق الكفرة في قولهم انه مسحور وذلك
لانهم كانوا يريدون بكونه مسحورا وذلك لانهم كانوا يريدون بكونه مسحورا انه
مجنون ازيل عقله بسبب السحر فلذلك ترك دين ابائه واما ان يكون
بالم يجده في بدنه فذلك مما لا ينكره احد وبالجملة فالله تعالى ما كان يسلط عليه
لا شيطانا ولا انسيا يؤذيه فيما يتعلق بنبوته وعقله واما الاضرار به من
حيث بشريته وبدنه فلا يبعد فيه وتاثير السحر فيه عليه السلام لم يكن من حيث
انه عليه السلام نبي وانما كان في بدنه من حيث انه انسان وبشر فانه عليه السلام
يعرض له من حيث بشريته ما يعرض لسائر البشر من الصحة والمرض والموت
والاكل والشرب ودفع الفضلات وتاثير السحر فيه من حيث بشريته
لا يقدح في نبوته وانما يكون قادحا فيها لو وجد للسحر تاثير في امر يرجع
الى النبوة ولم يوجد ذلك كيف والله تعالى يعصمه عن ان يضره احد فيما يرجع اليها
كما لم يقدح كسر ثناياه يوم احد فيما ضمنه الله انه تعالى من عصمته في قوله تعالى والله يعصمك
من الناس **قوله** وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل فعلى
هذا النفاثات هي جنس النساء اللاتي شانهن ان يغلبن على الرجال ويحولنهم
عن ارائهم وعزائمهم التي تصمموا على امضائها لا مطلقا النفوس السواحر وشرهن
غلبتهن على الرجال الضابطين لامرهم المحترزين عما لا ينبغي في سيرتهم الامر
بالجد والانتصاف في جميع احوالهم فيغلبن عليهم بانواع المكر والحيلة فان كيدهن
يؤيد هذا

يؤيد هذا النفث قوله صلى الله عليه وسلم يا معشر النساء تصدقن فاني اريتكن اكثر
اهل النار فقلن ولم يا رسول الله قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رايت
من ناقصات عقل ودين اذهب برهب الرجل الحازم من احداكن والى زم الضابط
لامره المتبصر في سيرته شبهت عزايم الرجال وآراؤهم بعقد الحبال فاطلق عليها
اسم العقد وشبه ابطال تلك العزايم بالحيل بحل عقد الحبال بتليينها بنفث الريق عليها
ليسهل حلها فمعنى الاية ان النساء لاجل استقرار حبهن في قلوب الرجال يتصرفن
فيهم ويحولنهم من راي الى راي اخرى ومن عزيمة الى عزيمة اخرى فامر الله تعالى
رسوله بالتعوذ من شرهن فلذلك قال الامام الاجل محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله
ان النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين **وقيل** في جوابه
ان النساء رياحين خلقن لكم وكلكم تشتهي شم الرياحين **قوله** وافرادها
بالتعريف جواب ما يقال لم عرف النفاثات ونكر غاسق وحاسد مع اشتراك الجميع
في كونه مستعاذا منه وجوابه ان كل نفاثة شريرة فعرف النفاثات ليفيد الاستغراق
ليفيد الاستعاذة من جميع افرادها وليس كل غاسق وحاسد شريرا فنكر **قوله**
قوله لاغتمامه بسروره تعليل لاختصاص ضرر الحسد بالحاسد قبل عمله بمقتضى
حسده اي بمقتضى حسده لاغتمام الحاسد وتحزنه بسرور المحسود وبنعمته **روي**
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه لله در الحسد ما اعدله بقتل الحاسد قبل ان
يقتل المحسود **قوله** وتخصيصه لانه العمدة في اضرار الانسان بل الحيوان غيره
ذكره المص لتخصيص كل واحد من الفاسد والنفاثات والحاسد بالذكر مع ان
الشرور المضافة اليها مندرجة تحت شر عالم الخلق لانها اما من قبيل الاجسام
والجسمانيات وجها مستقلا مناسبا له وتوضيح الوجه المذكور لتخصيص الحسد بالذكر
لان الحسد لما كان معظم الاسباب الحاملة للحيوان على اضرار غيره فانه انما يضر غيره طمعا
غالبا فيما عنده واستكراها لرؤيته عند غيره كان الحسد بذلك كانه كل السبب
لضرر الحيوان وضرره فلذلك لم يكتف باندراجه تحت عالم الخلق بل خص بالذكر و
والتعوذ من شره بخصوصه **قوله** ويجوز ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه
كالقوى فسر الغاسق اولا بالليل المظلم اذا دخل ظلامه في ضوء النهار وستر كل شيء ثانيا

بالقمر اذا دخل في الكسوف ثم فسر النفاثات اولا بالسواحر وثانيا بحسب النفوس اللاتي يبطلن
عزايم الرجال ثم فسر الحاسد بالانس المتصف بالحسد اذا عمل بمقتضى حسده
واشار ههنا الى تفسير كل واحد من هذه الاوصاف الثلثة بتفسير آخر
ففسر الغاسق بما يخلو عن حقيقة النور وعما يضاهيها كالقوى النباتية
والحيوانية فانها تشبه النور في كونها سببا لظهور الاشياء كالنور فان القوى
الغاذية النباتية يزيد بها النبات في الطول والعرض والعمق وكذا القوى الحيوانية
وهي الحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب فان كل واحدة منها سبب لظهور
ما يختص بها من الآثار من الحيوان فخرج بهذا النور بذلك والجمادات العنصرية خالية
عن حقيقة النور وعما يضاهيها من القوى النفسانية فهي المرادة بالغاسق
كالقوى تمثيل للمضاهي
وشرورها ما يترتب عليها بحسب طبايعها من المضار
والمراد بما يخلو عن النور وما يضاهيه هو الجمادات وفسر النفاثات على سبيل
الاستعارة التصريحية بان شبه تزايدها في اقطارها الثلثة بحسب قوتها الغاذية
النباتية بمن ينفث في العقد فكانه قيل النفاثات قواها فان القوة الغاذية
النباتية هي التي تزيد في طول النبات وعرضه وعمقه وشرها ابقاؤها ما يترتب
على طبايعها من المضار وفسر الحاسد بالحيوان بان جعل كناية عنه بناء
على ان الحيوانية لازمة للحاسد ومبنى هذه التفاسير ان الانسان لا يتضرر عن
الاجسام الفلكية وانما يتضرر عن الاجسام العنصرية وهي اما جماد او نبات او حيوان
فامر الله تعالى بالاستعاذة عن كل واحدة منها بكلام على حدة **قوله** فانه انما يقصد
غيره غالبا طمعا فيما عنده جواب عما يرد على تفسير الحاسد بالحيوان فانه يفهم
من التعبير عن الحيوان بلفظ الحاسد في مقام الامر بالاستعاذة من شر الحيوان
ان منشأ شر الحيوان منحصر في وصف حسده وليس كذلك وتقرير الجواب ان
باقي الاوصاف الذميمة والاخلاق الرديئة وان جاز ان يكون منشأ شر الحيوان
وحاملا له على اضرار غيره الا ان غالب ما يحمله على الاضرار هو الحسد
فكان الحسد بذلك كأنه كل الحامل ولا حامل سواه فللتنبيه على هذا المعنى اضيف الشر الى اللفظ المشتق
المشعر بعلية المأخذ واختلفوا في انه هل يجوز الاستعاذة بالرقى والتعويذات
ام لا

ام لا منهم من يجوز واحتج عليه بما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى
فرقاه جبرائيل عليه السلام فقال بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك والله يشفيك
وبما روي عليه السلام قال من دخل على مريض لم يحضر اجله فقال اسأل الله العظيم
رب العرش العظيم ان يشفيك سبع مرات شفي **وبما روي** عن علي رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل على مريض قال اذهب البأس رب الناس
واشف انت الشافي لا شافي الا انت **وبما روي** ان عثمان بن ابي العاص الثقفي
قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبي وجع قد كاد يبطلني فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اجعل يدك اليمنى عليه وقل بسم الله اعوذ بعزة الله وقدرته من شر
ما اجد سبع مرات ففعلت ذلك فشفاني الله تعالى **وبما روي** انه عليه السلام اذا سافر
فنزل منزلا يقول يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك
وشر ما يخرج منك وشر ما يدب عليك واعوذ بالله من اسد واسود وحية
وعقرب وشر ساكن البلد ووالد وما ولد **وبما روي** ان عايشة رضي الله عنها
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى شيئا من جسده قرأ قل هو الله
والمعوذتين في كفه اليمنى ومسح بها المكان الذي يشتكي ومن الناس من منع
الرقى **بما روي** عن جابر رضي الله عنه انه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الرقى واجيب عنه بانه يحتمل ان يكون النهي عن الرقى المجهولة التي لا يعرف
حقايقها اما ما كان اصل موثوق به فلا نهي عنه كذا في التفسير الكبير **سورة والناس**
مدنية وآيها ست آيات بسم الله الرحمن الرحيم وقرئ قل عوذ ونحو ربعة
من الطير بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها **قوله** لما كانت الاستعاذة جواب
عما يقال لم اضيف لفظ الرب والملك الى الناس خاصة وهو رب العالمين
ومليكهم والههم وليس برب الناس خاصة ولم يعمم الاضافة كما في السورة
المتقدمة وتقرير الجواب ان شر المستعاذ منه في هذه السورة هي الوسوسة
وهي لا تتعلق الا بقلب الانسان فلذلك خص من بين المربوبين من يتضرر بالوسوسة
وهو الانسان اضاف كل واحد من لفظ الرب والملك والاله اليه بخلاف سورة
المتقدمة فان شر المستعاذ منه فيها هو شر عالم الخلق فان الغاسق

والنفاثات والحاسد من جملة عالم الخلق وشر عالم الخلق اضر بدنه لا يتعدى
الى القلب فلا يختص بالانسان بل يعم جميع ما له جسم وبدن فلذلك اضيف لفظ
الرب فيها الى ما يعم الانسان وغيره وهو الفلق فهو عليه السلام امر في السورة
المتقدمة بان يستعيذ من المضار البدنية وفي هذه السورة من المضار القلبية
الا انه ادرج نفسه الكريمة فيما تقدم في جملة من يتضرر بشر عالم الخلق حيث
لم يقل اعوذ بربه مع انه المناسب لانشاء العوذ الى ضمير المتكلم وحده وتوجه
الامر بالعوذ اليه بخصوصه من حيث ان ما ينبغي للمربوب الذي يخاف من ان
يصيبه مكروه وان يستعيذ بربه بان يضيف ربوبيته الى نفسه ويقول يا ربي
اعوذ بك من كذا لكن عدل عن هذا الطريق في السورتين بان اضيف الرب
في الاولى اى الفلق ومن الثانية الى الناس رعاية لجانب الشر المستعاذ منه
واشارة الى انه في الاولى يعم الانسان وغيره وفي الثانية يخص الناس ولا يخص
واحدا منهم بل يعمهم ولو اعتبر كل واحدة من صفة ربوبية والمالكية والالهية
من حيث كونها صفات الرب لكان المناسب تعميم الاضافة بان يقال رب
العالمين وملكهم والههم واعتبر خصوصية المستعيذ لكان المناسب تخصيصها
بان يقال ربي وملكي والهي لكن اعتبر حال الشر المستعاذ منه وعمومه في السورة
الاولى لغير الانسان وخصوصه في الثانية بالناس وعدم اختصاصه بفرد منهم فجعل
امر الاضافة على حسبه فكانه قيل في السورة الاولى اعوذ من شر ما يضر بالابدان
والاجسام بربها وفي الثانية اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم
قوله الرب قد لا يكون ملكا يعني ان المقصود من عطف البيان ايضاح
متبوعه اما بتعيينه او بتقليل اشتراكه ورب الناس بالاضافة فيه ابهام وشيوع
لانه قد يكون [crossed out] ملكهم وقد لا يكون كما يقال رب الدار ورب المتاع وقال تع
واتخذوا احبارهم ورهبانهم • اربابا من دون الله فلا جرم بينه واوضح بقوله
ملك الناس ثم ان ملك الناس ايضا قد يكون الها وقد لا يكون فبينه بقوله
اله الناس ويكون نهاية البيان وغاية التوضيح لان الها مفردا ومضافا لا يجوز
اطلاقه على غيره تع قوله وفي هذا النظم دلالة على انه حقيق بالاعاذة وجه

وجه الدلالة ظاهر لان من كان رب الناس بان مولى نعمهم الظاهرة والباطنة
ومالكهم الغالب عليهم والقادر على [crossed out] التصريف فيهم لان الملك هو الذي
يفتقر اليه غيره ويكون هو غنيا عن غيره والههم الذي يستحق العبادة لذاته
لكونه في غاية التقدس ونهاية العظمة والكبرياء كيف لا يكون حقيقا بالاعاذة
قادرا عليها قوله فانه اى الناظر يعلم اولا بما يرى عليه النعم [illegible]
لا اصله يعلم بمجيء قوله انه له ربا بعده قوله حتى يتحقق انه غني عن الكل لانه
اذا تيقن ان كل جود وكمال ينبع اصل الوجود انما هو فائض من سائر
من خزائن رحمته التي وسعت كل شيء تحقق عنده انه غني عن الكل وملكهم
قوله ويتدرج اى يمشي عطف على قوله يستدل يقال درج الرجل اى مشى
لما كانت صفة الربوبية مبداء معارف الناظر وصفة الالوهية منتهيها
تدرج في الاستعاذة بذات المستعاذ به الذي لا يدرك بكنه ذاته بل انما يدرك ه
بحسب اوصافه على حسب ما حصل له من معرفته بحسب الاوصاف فاستعاذ بمن علم بصفة
الربوبية ثم بصفة الملكية ثم بصفة الالوهية كما يتدرج في الاستعاذة
المعتادة بمن هو الوسيلة البعيد في حصول الامر ثم بالمتوسط ثم بالقريبة تنزيلا
للصفات المبني لفه منزلة الذوات قوله اشعارا بعظم الافة للتدرج بعد اعتبار
كونه معللا بقوله تنزيلا فافهم قوله وتكرير الناس يعني ان لفظ الناس المذكور
ثانيا وثالثا موضوع موضع الضمير لفائدتين الاول ان عطف البيان انما كان يحتاج
اليه ويؤتى به في موضع الاحتياج الى الايضاح والاظهار واظهار الاسم ادخل في الاظهار
والفائدة الثانية ان في اظهار الاسم اشعارا بشرف الانسان ووجه الاشعار انه تع
لم يكتف بان نسب صفة ربوبيته وملكيته والهيته الى ضمير الانسان بل صرح باسم الانسان
في كل واحدة منها فلولا ان الناس اشرف مخلوق لما ختم كتابه بهذا الاسلوب قوله اى
الوسوسة اشارة الى ان الوسواس اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة
والوسواس بالكسر مصدر كالزلزال وسمي الشيطان باسم الوسوسة للمبالغة في اتصافه
بها من قبيل رجل عدل اى مبالغ في العدل حتى صار كانه عين العدل فكذا الشيطان مبالغ
في الوسوسة حتى صار كانه عين الوسوسة ويجوز ان يحمل الكلام على تقدير المضاف اى من

شر ذي الوسواس والخناس صفة مبالغة من الخنوس وهو الرجوع والتأخر
قيل هو الاختفاء لقوله تع فلا اقسم بالخنس يعني النجوم لاختفائها بعد ظهورها
والخناس مجرور على انه صفة للوسواس والخناس صفتان للشيطان على حسب
حالتي الانسان كما ورد في الخبر ان الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فاذا
غفل وسوس واذا ذكر خنس اي تأخر وولى وقيل الخناس له رأس
كرأس الحية يضعه على ثمرة القلب يمنيه ويحدثه بكلام خفي يصل
مفهومه الى القلب من غير ان يسمع صوته والوسوسة الدعوة
الى الشر على خفية واصل الوسوسة الصوت الخفي وسميت دعوة شياطين
الجن والانس الى الشر بالوسوسة لان شياطين الجن تدعوا الى المعصية
ويزينها باخفاء ضررها اما بان يغتر العبد بسعة رحمة الله تع وعفوه
او يخيل اليه ان في العمر سعة فتتوب بعد ما قضيت شهوتك منها
او لانهم يدعون الى المعصية بكلام خفي يفهمه القلب من غير ان يسمع
صوته وكذا شياطين الانس تدعوا اليها باخفاء ضرره كونها شرا
وارادة المنافع والمصالح في مباشرتها واظهار انه ناصح له في ذلك
وفي الحقيقة يريد المكر والخيانة او يجعل مغرورا بان يذكر له سعة العفو
والرحمة او امكان التوبة بعد مباشرتها **قوله** وذلك كالقوة الوهمية
شبه الشيطان بها من حيث انه يوافق الانسان في المعاصي والشهوات
واذا آل امره الى الطاعة لله تعالى خنس واعرض عنه واخذ في المكر والحيلة
حتى يصرفه عنها **قوله** بيان للوسواس او للذي فيكون فعله والناس
على التقديرين عطفا على الجنة فيكون الشيطان الموصوف بانه وسواس
خناس ضربان جني وانسي كما قال شياطين الانس والجن وكما قال
ان شياطين الجن قد يوسوس تارة ويخنس اخرى فشيطان الانس
يكون كذلك وذلك لانه يلقي اليه الاباطيل ويرى نفسه في صورة الناصح
المشفق فان زجره السامع يخنس ويترك الوسوسة فان قبل السامع
كلامه بالغ فيه **قوله** او متعلقة بيوسوس فيكون من لابتداء الغاية

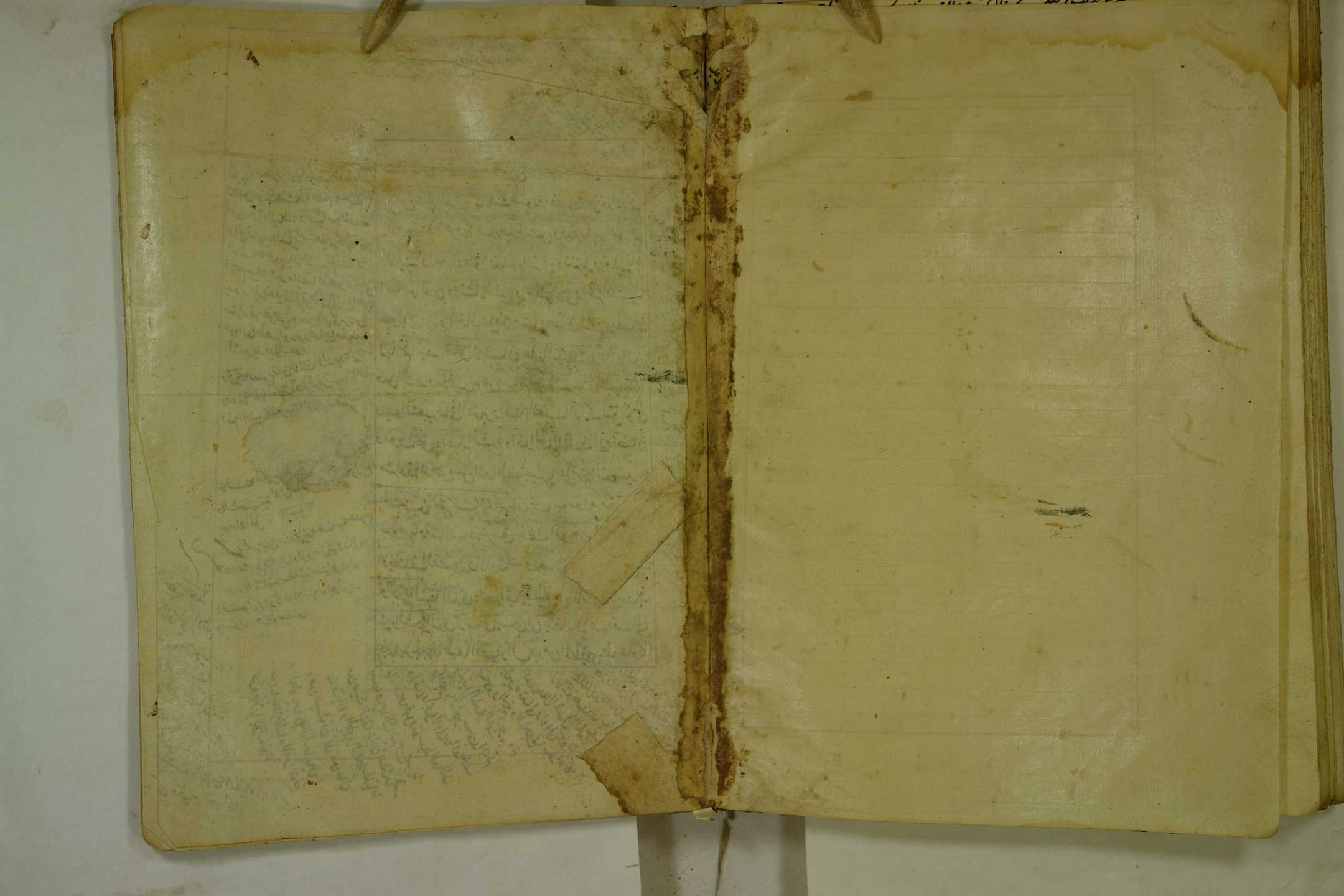
الغاية اي يوسوس في صدورهم من جهة الجن بان يلقي اليهم مثلا ان الجن
يضرون وينفعون ومن جهة الناس بان يلقي اليهم مثلا ان المنجمين والكهان
يعلمون الغيب **قوله** على ان المراد به ما يعم الثقلين فلذلك بين بالجني
والانسي واستدل من عمم الناس بالثقلين بان الجن قد سمي رجالا في موضع
ونفرا في موضع آخر وقوما في ثالث قال تع انه كان رجال من الانس يعوذون
برجال من الجن واذ صرفنا اليك نفرا من الجن ويا قومنا اجيبوا داعي الله
وهي من الالفاظ المستعملة في الناس فتبين بذلك ان اسم الناس يعم الثقلين
قوله وفيه تعسف لان كونه اسما واقعا على القبيلتين بعيد من اللغة
فان اهل اللغة متفقون على ان الجن والانس اسمان يخص كل واحد منهما بحقيقة
على حدة مباينة للاخرى وان احدى الحقيقتين سميت جنا لاجتنانهم
اي استتارهم عن اعين الناس والاخرى ناسا لظهور افرادها للبصر على
ان الناس من الايناس وهو الابصار قال تع آنس من جانب الطور نارا اي
ابصر فكما لا يطلق اسم الجن على بني آدم لانتفاء وجه تسمية الجن جنا
فيهم فكذلك ينبغي ان لا يطلق اسم الناس على الجن بناء على ان وجه تسمية الناس
ناسا منتف في الجن واما اذا اريد بالناس في قوله في صدور الناس الناسي
فح يمكن تقسيمه الى الجن والانس لان مفهوم الناس مشترك بينهما لان
كل واحد منهما موصوف بنسيان حق الله تع قوله ملك الناس لم يقرأ في المشهور
ههنا بالالف كما قرأ به في الفاتحة لان معنى المالك هو الرب فيلزم التكرار
هنا لاتحاد المضاف اليه بخلاف سورة الفاتحة فان ما اضيف اليه لفظ
الرب غير ما اضيف اليه المالك فلا تكرار فيها واعلم ان في هذه لطيفة بالغة
وهي ان المستعاذ به في السورة الاولى مذكور بصفة واحدة وهي رب الفلق
والمستعاذ منه ثلثة انواع من الآفات وهي الغاسق والنفاثات والحاسد
واما في هذه السورة فالمستعاذ به مذكور بثلثة اوصاف وهي الرب والملك
والاله والمستعاذ منه آفة واحدة وهي الوسوسة ومن المعلوم ان المطلوب
كلما كان اهم والرغبة فيه اتم واكثر كان ثناء الطالب قبل طلبه اكثر واوفر

والمطلوب في السورة المتقدمة هو سلامة البدن من الآفات وفي هذه السورة
سلامة الدين من وسوسة الشيطان فظهر من هذا ان في نظم السورتين
الكريمتين تنبيهاً على ان سلامة الدين من وسوسة الشيطان وان كانت
امراً واحداً الا انها اعظم مراد واهم مطلوب وان سلامة البدن عن تلك
الآفات وان كانت اموراً متعددة ليست بتلك المثابة في الاهتمام
والمطلوب اللهم ثبت قلوبنا على دينك ونسألك العفو والعافية
والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة بفضلك وكرمك ورحمتك
يا ارحم الراحمين والحمد لله رب العالمين

وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين وسلم تسليما
قد وقع الفراغ عن يد عبد ضعيف
يوسف بن ابراهيم مدرس
جودم المدرس بمدارس
مظفرية
عفي

اللهم اغفر لي ولوالدية وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات
الاحياء منهم والاموات برحمتك يا ارحم الراحمين والحمد لله رب العالمين
قد تم حاشية بيضاوى من سورة النبأ الى المعوذتين في سبع واربعين
ومائتين والف في شهر جمادى الاول في اليوم الثامن في اليوم الاحد
في وقت الضحى في حال اضطرابي في تنظيم معاشي اللهم ارزقنا في الدنيا والآخرة
هذا الكتاب تفسير شيخ زاده على البيضاوي

تجربة المركب مع العلم تجربة المركب مع القلم في الورطاس احسن الحال حروف



لانه اعظم النعم شانا وارفعها مكانا كيف لا وهو مدار للسعادة الدينية والدنيوية وعيار على سائر الكتب السماوية ابو السعود

سورة الرحمن مكية او مدنية واياتها ست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الرحمن علم القرآن لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية صدرها بالرحمن وقدم ما هو اصل النعم الدينية واجلها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه فانه اساس الدين ومنشأ الشرع واعظم الوحي واعز الكتب اذ هو باعجازه واشتماله على خلاصتها مصدق لنفسه ومصداق لها ثم اتبعه خلق الانسان علمه البيان ايماء بان خلق البشر وما تميز به عن سائر الحيوانات من البيان وهو التعبير عما في الضمير وافهام الغير لما ادركه لتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع واخلاء الجمل الثلاث التي هي اخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها على نهج التعديد

الشمس والقمر بحسبان يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما ويتسق بذلك امور الكائنات السفلية ويختلف الفصول والاوقات ويعلم السنون والحساب

والنجم النبت الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر الذي له ساق يسجدان ينقادان لله تعالى فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان

حق النظم في الجملتين ان يقال واجرى الشمس والقمر واسجد النجم والشجر او الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ليطابق ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال اشعارا بان وضوحه يغنيه عن البيان وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما في الدلالة على ان ما يحس به من تغيرات احوال الاجرام العلوية والسفلية بتقديره تعالى وتدبيره والسماء رفعها خلقها مرفوعة محلا ومرتبة فانها منشأ اقضيته ومتنزل احكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع الميزان العدل بان وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم امر العالم واستقام كما قال صلى الله عليه وسلم بالعدل قامت السموات والارض وما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كانه لما وصف السماء بالرفعة التي هي من حيث انها مصدر القضايا والاقدار اراد وصف الارض بما فيها مما يظهر به التفاوت ويعرف المقدار ويسوى به الحقوق والمواجب الا تطغوا في الميزان لئلا تطغوا اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه فان من حقه ان يسوى لانه المقصود من وضعه وتكريره مبالغة في التوصية به وزيادة حث على استعماله وقرئ

وقرئ لا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها على
ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل
والارض وضعها خفضها مدحوة للانام للخلق وقيل الانام
كل ذي روح فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات
الاكمام اوعية الثمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطي من
ليف وسعف وكفرى فانه ينتفع به كالمكموم وكالجذع
والحب والثمرة ذو العصف كالحنطة والشعير وسائر
ما يتغذى به والعصف ورق النبات اليابس كالتبن
والريحان يعني المشموم او الرزق من قولهم خرجت
اطلب ريحان الله تعالى وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف
والريحان اي وخلق الحب والريحان او اخص ويجوز
ان يراد وذا الريحان فحذف المضاف وقرأ حمزة والكسائي
والريحان بالخفض وما عدا ذلك بالرفع وهو فيعلان
من الروح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف وقيل
روحان قلب واوه ياء للتخفيف فباي آلاء ربكما تكذبان
الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله ايها
الثقلان خلق الانسان من صلصال كالفخار الطين
اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق
الله تعالى آدم من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا

ثم

على الماء اي مبسوطة ...

للانام لمن فوق الانام وهو جمع لا واحد له من لفظه بمعنى الخلق والجن والانس مما على الارض كما في ... فهي كالمهاد والفراش لهم يتقلبون عليها وينصرفون فوقها

ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله من تراب ونحوه وخلق
الجان الجن او ابا الجن من مارج من صاف من الدخان
من نار بيان لمارج فانه في الاصل للمضطرب من مرج اذا
اضطرب فباي آلاء ربكما تكذبان مما افاض عليكما في
اطوار خلقكما حتى صيركما افضل المركبات وخلاصة
الكائنات رب المشرقين ورب المغربين مشرقي الشتاء
والصيف ومغربيهما فباي آلاء ربكما تكذبان مما في ذلك
من الفوائد التي لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول
وحدوث ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك مرج البحرين
ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر
الملح والبحر العذب يلتقيان يتجاوران ويتماس سطوحهما
او بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان
يتشعبان منه بينهما برزخ حاجز من قدرة الله او من
الارض لا يبغيان لا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة وابطال
الخاصية ولا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما فبا
فباي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان كبار
الدر وصغاره وقيل المرجان الخرز الاحمر وان صح ان الدر
يخرج من الملح فعلى الاول انما قال منهما لانه يخرج من مجتمع
الملح والعذب او لانهما لما اجتمعا صارا كالشيء الواحد

فكان المخرج من احدهما كالمخرج منهما وقرأ نافع وابو عمرو
ويعقوب يخرج وقرئ يخرج ونخرج بنصب اللؤلؤ فبأي
آلاء ربكما تكذبان وله الجوار السفن جمع جارية وقرئ بحذف
الياء ورفع الراء كقوله لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها
ثمان المنشآت المرفوعات الشرع والمصنوعات وقرأ
حمزة وابو بكر بكسر الشين اي الرافعات الشرع واللاتي
ينشئن الامواج او السير في البحر كالاعلام كالجبال جمع علم
وهو الجبل الطويل فبأي آلاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن
والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها في البحر باسباب
لا يقدر على خلقها وجمعها غيره كل من عليها من على الارض
من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او من الثقلين
فان ويبقى وجه ربك ذاته ولو استقريت جهات الموجودات
او تفحصت وجوهها وجدتها باسرها فانية في حد ذاتها الا
وجه الله والوجه الذي يلي جهته ذو الجلال والاكرام ذو الاستغناء
المطلق والفضل العام فبأي آلاء ربكما تكذبان اي مما ذكرنا
من قبل وابقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلا
او مما يترتب على افناء الكل من الاعادة والحيوة الدائمة والنعيم
المقيم يسأله من في السموات والارض فانهم مفتقرون
اليه في ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم ويعن لهم والمراد

والمراد بالسؤال ما يدل على الحاجة الى تحصيل الشيء نطقا
كان او غيره كل يوم هو في شأن كل وقت يحدث اشخاصا
ويجدد احوالا على ما سبق به قضاؤه وفي الحديث من شأنه
ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين
وهو رد لقول اليهود ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا
فبأي آلاء ربكما تكذبان مما يسعف به سؤالكما وما يخرج
لكما من مكمن العدم حينا فحينا سنفرغ لكم ايها الثقلان
اي سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيمة فانه تعالى
لا يفعل فيه غيره وقيل تهديد مستعار من قولك لمن تهدده
سأفرغ لك فان المتجرد للشيء كان اقوى عليه واجد فيه وقرأ
حمزة والكسائي بالياء وقرئ سنفرغ اليكم اي سنقصد اليكم
والثقلان الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض
او لرزانة رأيهم وقدرهم او لانهما مثقلان بالتكليف فبأي
اي وقار رأيهم
آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم
ان تنفذوا من اقطار السموات والارض ان قدرتم ان تخرجوا
من جوانب السموات والارض هاربين من الله فارين من
قضائه فانفذوا لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان
الا بقوة وقهر وانى لكم ذلك او ان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا
ما في السموات والارض فانفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون

ولا تعلمون الا ببينة نصبها فتعرجون عليها بافكاركم
فباى آلاء ربكما تكذبان اى من التنبيه والتحذير والمساهلة
والعفو مع كمال القدرة او مما نصب من المصاعد العقلية
والمعارج النقلية فتنفذون بها الى ما فوق السموات العلى
يرسل عليكما شواظ لهب من نار ونحاس دخان قال تضيء
كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا (اى دخانا) او صفر مذاب
يصب على رؤسهم وقرأ ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس
بالجر عطفا على نار ووافقه فيه ابو عمرو ويعقوب فى رواية
وقرئ ونحس وهو جمع كلحف فلا تنتصران فلا تمتنعان ى
فباى آلاء ربكما تكذبان فان التهديد لطف والتمييز بين
المطيع والعاصى بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء
فاذا انشقت السماء فكانت وردة حمراء كالوردة وقرئت
بالرفع على كان التامة فيكون من باب التجريد كقوله فلئن
بقيت لارحلن بغزوة تحوى الغنائم او يموت كريم كالدهان
مذابة كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام او جمع دهن و
وقيل هو الاديم الاحمر فباى آلاء ربكما تكذبان اى مما يكون
بعد ذلك فيومئذ فيوم ينشق السماء لا يسئل عن ذنبه انس
ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين يخرجون من قبورهم
ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم

واما قوله

واما قوله فوربك لنسألنهم اجمعين ونحوه فحين يحاسبون
فى المجمع والهاء للانس باعتبار اللفظ فانه وان تأخر لفظا تقدم
رتبة فباى آلاء ربكما تكذبان مما انعم الله على عباده المؤمنين
فى هذا اليوم يعرف المجرمون بسيماهم وهو ما يعلوهم من الكآبة
والحزن فيؤخذ بالنواصى والاقدام مجموعا بينهما وقيل يؤخذون
بالنواصى تارة وبالاقدام اخرى فباى آلاء ربكما تكذبان هذه
جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها بين النار
يحرقون بها وبين حميم ماء حار آن بلغ النهاية فى الحرارة
يصب عليهم او يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار
اغيثوا بالحميم فباى آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه
موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب او قيامه على احواله من
قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد
المعنيين فاضاف الى الرب تفخيما وتهويلا او ربه ومقام
مقحم للمبالغة كقوله ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام
الذئب كالرجل اللعين جنتان جنة للخائف الانسى والاخرى
للخائف الجنى فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما
او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات
واخرى لترك المعاصى او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها
عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد فباى

اى غصه

صفة جنتين وما بينهما اعتراض

ذواتا افنان

فبأي آلاء ربكما تكذبان انواع من الاشجار والثمار جمع فن او
اغصان جمع غنن وهو الغصنة التي تتشعب من فروع
الشجر وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل
فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان حيث
شاؤا في الاعالي والاسافل قيل احدهما التسنيم والاخرى السلسبيل
فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق
من ديباج ثخين واذا كان البطائن كذلك فما ظنك بالظهائر
ومتكئين مدح للخائفين او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع
وجنا الجنتين دان قريب يناله القاعد والمضطجع وجنى
اسم بمعنى مجني وقرئ بكسر الجيم فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن
في الجنان فان الجنتان يدل على جنان هي للخائفين او فيما
فيهما من الاماكن والقصور او في هذه الآلاء المعدودة من
الجنتين والعينين والفاكهة والفرش قاصرات الطرف
نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لم يطمثهن انس
قبلهم ولا جان لم يمس الانسيات انس والجنيات جن
وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرئ الكسائي بضم الميم
فبأي آلاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان اي
في حمرة الوجنة وبياض البشرة وصفائهما فبأي آلاء ربكما تكذبان
هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب فبأي آلاء ربكما تكذبان

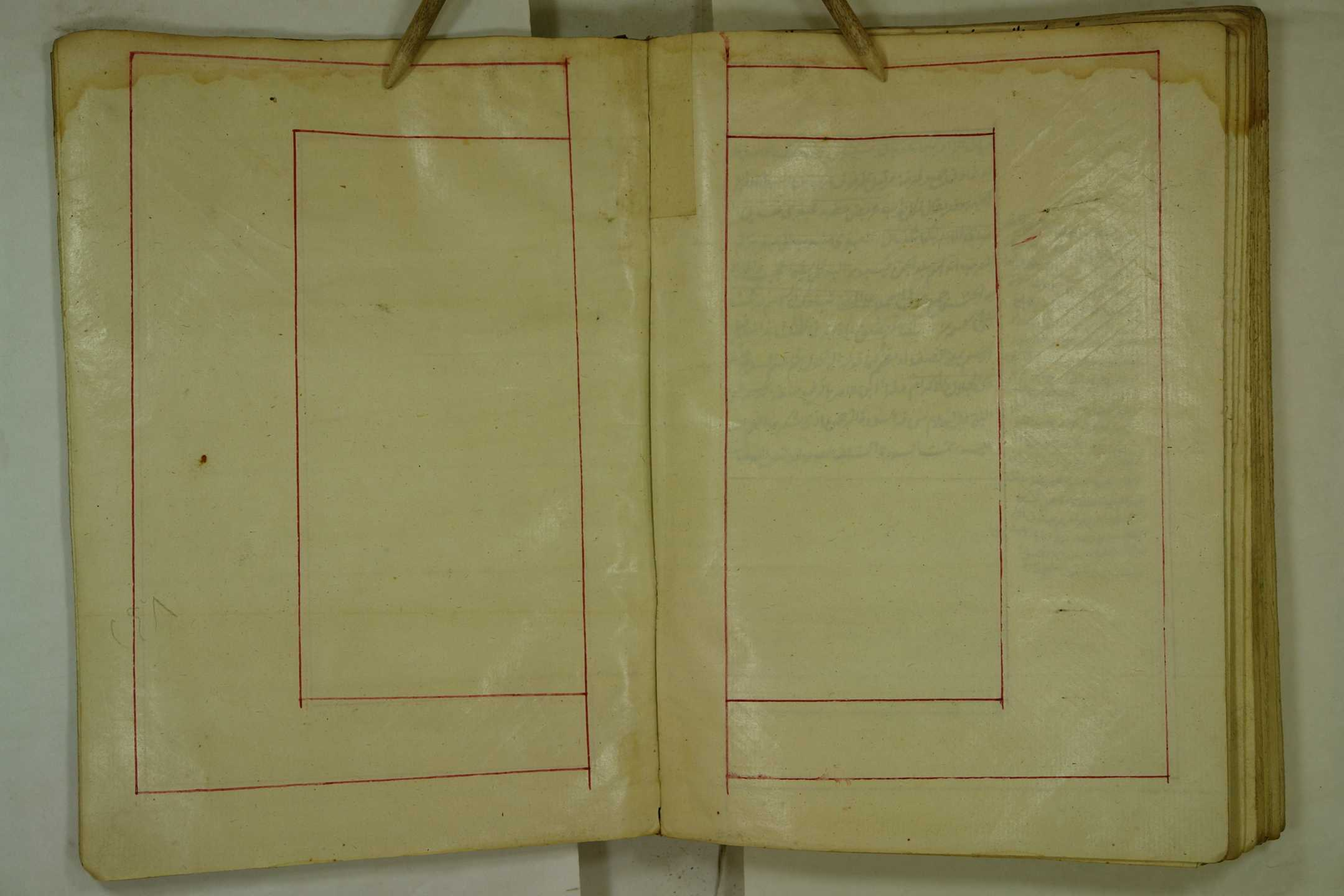
في الجنتان اي في كل واحدة منهما عين تجري كيف يشاء صاحبها في الاعالي والاسافل وقيل تجريان من جبل مسك وعن ابن عباس والحسن تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل احداهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين قال ابو الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله ابو السعود

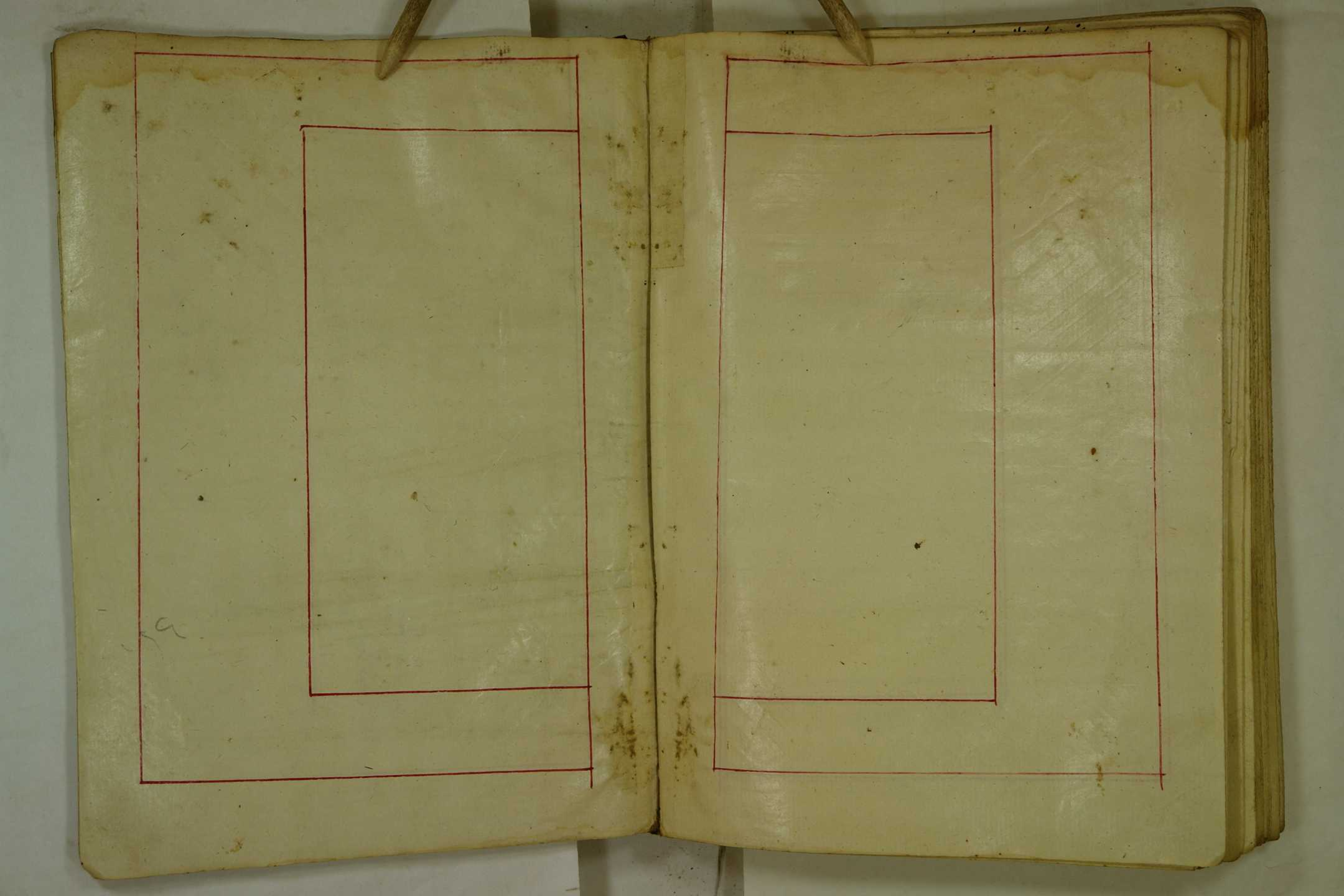
ومن دونهما جنتان ومن دون تينك الجنتين الموعودتين
للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين
فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان خضراوان تضربان
الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين
الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى
الاوليين الاشجار والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت
فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فوارتان
بالماء وهو ايضا اقل مما وصف به الاوليين وكذا ما بعده
فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطفهما
على الفاكهة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء
وثمرة الرمان فاكهة ودواء واحتج به ابو حنيفة رحمه الله
على ان من حلف لا يأكل فاكهة فأكل رطبا او رمانا لم يحنث
فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات اي خيرات فخففت
لان خير الذي بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل حسان
الخلق او الخلق فبأي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات
في الخيام قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة
ومقصورة اي مخدرة او مقصورة الطرف على ازواجهن فبأي
آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان كحور
الاوليين وهم اصحاب الجنتين فانهما يدلان عليهم فبأي

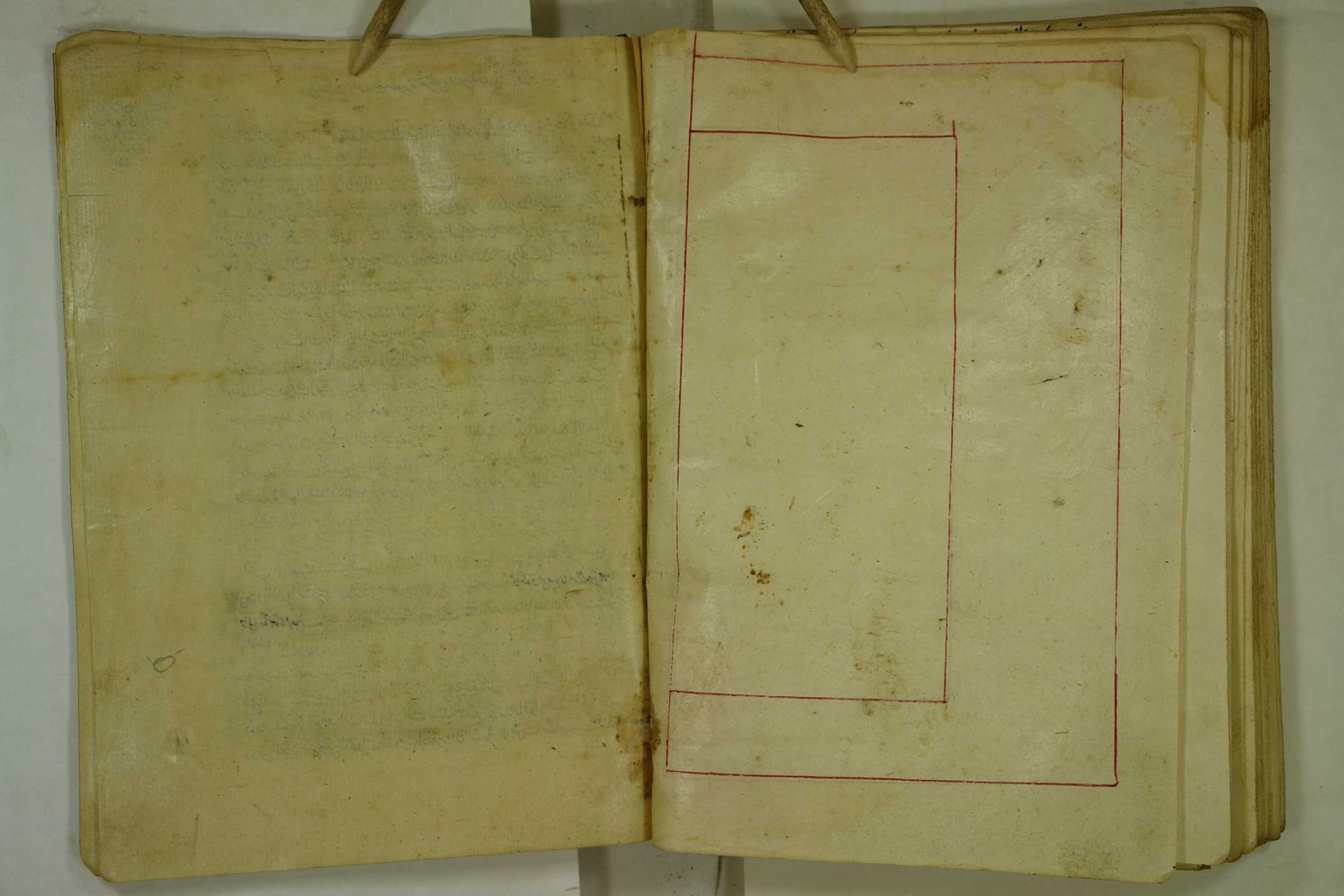


فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف وسائد
او نمارق جمع رفرفة وقيل الرفوف ضرب من البسط او ذيل
الخيمة وقد يقال لكل ثوب عريض خضر وعبقري حسان
فبأي آلاء ربكما تكذبان العبقري منسوب الى عبقر يزعم
العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب والمراد
به الجنس جمع حسان حملا على المعنى تبارك اسم ربك
تعالى الاسم من حيث انه يطلق على ذاته فما ظنك بذاته وقيل
الاسم بمعنى الصفة او مقحم كما قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما
ذي الجلال والاكرام وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم عن
النبي عليه السلام من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله
عليه تمت السورة الشريفة بعون الله الملك الوهاب

وقال هنا متكئين على رفرف خضر وهو فراش
اذا استقر عليه الولي طار به من فرحه
وشوقه اليه يمينا وشمالا او حيثما
يريده الولي وروي في حديث المعراج
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ
سدرة المنتهى جاء الرفرف فتناوله
من جبريل وطار به الى سند العرش
فذكر صلى الله عليه وسلم انه طار به يخفضه
ويرفعه حتى وقف به على ربه ثم لما
حان الانصراف تناوله فطار به خفضا
ورفعا يهوي به حتى اتاه الى جبرائيل
عليه السلام فالرفرف خادم بين يدي الله
من جملة الخدم يختص بخواص الامور
في محل الدنو والقربة كما ان البراق
دابة يركبها الانبياء مخصوصة بذلك
فهذا الرفرف الذي سخره لاهل الجنتين
وهو متكأهم وفراشهم يرفرف بالولي
ويطير به على حافات تلك الانهار وحيث
يشاء من خيامه وازواجه وقصوره
قوله خضر نعت الرفرف شيخ زاده







قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لكل شيء عروس وعروس
القرآن الرحمن رواه البيهقي
في شعب الايمان كذا في الاربعين
حرره افقر المحتاج
الى عفو ربه
الغفار
م

هذه شرح زاده على سورة الرحمن ولكن نقصان لعله ذاهبة ومفقوده

بسم الله الرحمن الرحيم قوله ثم اتبعه خلق الانسان يعني قدم تعليم القرآن للانسان على خلقته مع انه متأخر عنه في الوجود
من حيث ان الغاية من خلق الانسان كماله في القوة العلمية وذلك انما يكون بتلقي الوحي وتعرف ما يستنبط من علومه
فكان تعليم القرآن وتعرف احكامه وحكمه داعية الى خلق الانسان والداعي الى الشيء مقدم عليه لان الاهم بها ما قدم ثم ذكر
عقيب تعليم القرآن خلقه لانه اصل النعم لان سائر الكمالات انما يتفرع على الوجود وذكر بعد تعليم البيان لانه مما يتمكن به
من تعليم القرآن وتعلمه ويمكن ان يقال انه تعالى ذكر نعمة التعليم وعظمها على سبيل الاجمال ثم بين كيفية التعليم فقال
خلق الانسان علمه البيان قوله لمجيئها على نهج التعديد فان المقام مقام تعداد النعم والحث على شكرها والتنبيه
على تقصير الانسان فيه وذلك يقتضي ايرادها على نهج التعديد اذ به يظهر ان كل واحدة منها مستقلة في الاعتداد
بها والاعتناء بشانها منفردة عن النعم الباقية ولو جيء بالعاطف صارت الكل كالواحدة وفاتت هذه الفائدة
قوله يجريان بحسبان اشارة الى ان الشمس مبتدأ والقمر عطف عليه والخبر محذوف يتعلق بحسبان وان الحسبان مصدر
مفرد بمعنى الحساب كالشكران والكفران والغفران والرجحان لما ذكر نعمة ايجاد نفس الانسان الذي هو اصل جميع النعم
وانعامه عليه بتعليم البيان ذكر نعمتين عظيمتين سماويتين تترتب على نفس وجودهما وعلى كون حركتهما على حساب
معلوم وقانون مقرر فوائد لا تحصى ثم ذكر في مقابلتهما نعمتين ارضيتين وهما النجم والشجر وكلاهما من قبيل النبات
الذي هو اصل الرزق من الحبوب والثمار والحشيش للدواب قوله لتطابقا ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما
بالرحمن يعني ان هاتين الجملتين مثل الجمل السابقة واللاحقة في انهما اخبار مترادفة للرحمن مثلها وكل منها مشتمل
على الضمير الراجع الى المبتدأ وكان من حقهما ان تكونا كذلك الا انهما جردتا عن الضمير الرابط اشعارا بان وضوح
الامر اغنى عن البيان اذ من المعلوم ان الحسبان حسبانه وان المسجود له هو الرحمن ولا يذهب الوهم الى الغير قيل
اصل السجود في اللغة الاستسلام والانقياد به عز وجل وهو قد يكون طبعا وقد يكون قصدا واختيارا
والجمهور على نصب قوله تعالى والسماء رفعها على الاشتغال اي رفع السماء وهو معطوف على الجملة الصغرى
في قوله والنجم والشجر يسجدان وهي يسجدان وهي جملة مركبة من فعل وفاعل وهي مع المبتدأ جملة كبرى
وفي الآية دليل لسيبويه حيث يجوز النصب وان لم يكن في جملة الاشتغال ضمير عائد الى المبتدأ الذي تضمنته الجملة الكبرى
والاخفش يقول لا بد من ضمير مثاله هند نامت وعمرا اكرمته لاجلها لان جملة الاشتغال لما كانت معطوفة
على الخبر صارت خبرا منه فيشترط فيه ما يشترط في الخبر ولم يشترط الجمهور ذلك ولا اسند لا له بهذه الآية فان القراء
كلهم نصبوا السماء مع عدم الرابط الا من شذ منهم ورفعه عطف الجملة الاسمية الكبرى على مثلها قوله كانه
لما وصف السماء بالرفعة اشارة الى بيان التناسب بين الجملتين اللتين هما قوله والسماء رفعها وقوله
ووضع الميزان حتى يحسن لذلك محل العاطف بينهما وتقريره ان السماء والارض متناسبان من حيث التقابل
وانه

وانه قلما ينفك ذكر احدهما عن ذكر الآخر فلما وصف السماء بما هو وصف مدح لها وصف الارض بما فيها
مما ينوط به مصالح اهلها قوله وقرئ لا تطغوا على ارادة القول وان في ان لا تطغوا يجوز ان يكون
هي الناصبة وان لا بعدها نافية وتطغوا منصوب بان بتقدير لام العلة قبلها متعلقة بقوله ووضع
الميزان كما في قوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا ويجوز ان يكون مفسرة بمعنى اي ولا ناهية والفعل مجزوم
بها فلا يكون لان موضع من الاعراب كما في قوله تعالى وانطلق الملأ منهم ان امشوا بمعنى اي امشوا وشرط كون
ان مفسرة تقدم جملة متضمنة لمعنى القول قال ابو البقاء وان بمعنى اي والقول مقدر فجعل الشيخ المفسر
مقدرا لا ملفوظا به الا انه قد يقال قوله والقول مقدر ليس بجيد لانها لا تفسر القول الصريح فكيف بتقدير
ما لا يصح تفسيره الا ان يقال يعني كلامه وما هو بمعنى القول مقدر والطغيان مجاوزة الحد فمن قال الميزان
العدل قال طغيانه الجور ومن قال انه الميزان الذي هو آلة التسوية قال طغيانه البخس قال ابن عباس
رضي الله عنهما لا تخونوا من وزنتم له قوله تعالى اقيموا الوزن بالقسط اي اجعلوه مستقيما بالعدل
وما قال ابو الدرداء رضي الله عنه اقيموا لسان الميزان بالعدل وقيل هو كقولك اقام الصلوة اي اتى بها
في وقتها واقام الناس اسواقهم اي اتوا بها لوقتها فقوله اقيموا الوزن بالقسط تعاملوا بالوزن ملابسا
بالعدل لا تتركوه قوله تعالى ولا تخسروا العامة على ضم التاء وكسر السين من اخسر بمعنى نقص كقوله تعالى
واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون اي ولا تنقصوا ما توفون به من الحقوق ولا تزدادوا فيما تستوفونه
به وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وكسر السين من خسر يخسر من باب ضرب بمعنى نقص فيكون فعل وافعل
بمعنى يقال خسرت الشيء واخسرته اي نقصته لغتان بمعنى وقرئ بفتح التاء وضم السين بهذا المعنى
ايضا وقرئ بفتح التاء والسين من باب علم فانه لازم فيكون نصب الميزان مبنيا على الحذف والايصال
قيل لا حاجة الى ذلك لان خسر بكسر السين قد جاء متعديا قال تعالى خسروا انفسهم وخسر الدنيا والآخرة
واجيب بان خسر الذي في الآية ليس من ذلك الا ترى ان خسروا انفسهم وخسر الدنيا والآخرة معناه
ان الخسران واقع بهما وانهما بعدما كان وهذا المعنى ليس بمراد في الآية قطعا وانما المراد ولا تخسروا
الموزون في الميزان وقيل ذكر الميزان في هذا الموضع ثلث مرات فالاول بمعنى الآلة وهو قوله ووضع الميزان
الثاني بمعنى المصدر اي لا تطغوا في الوزن والثالث للمفعول اي لا تخسروا الموزون قوله جمع كم
وهو وعاء الثمر فيكون الكم هو الكفرى ولا ينافيه ما روي عن الاصمعي ان الكفرى وعاء طلع النخل
لان الطلع ما يطلع من النخل قبل ان ينشق والكم والكفرى اسمان لما هو الوعاء فيه وقد يطلق الكم على
الطلع والجمار شحمة النخل يعني دل درخت خرما وفي كلام لقد نشر لان الليف يغطي الجذع والسعف

والآخرة نسخة

بغطي الجمار والكفري يغطي التمر والسعف جمع سعفة وهي جريد النخل ما دام عليه الخوص فهو ورق
النخل واذا أجرد عنه الخوص يسمى جريدا قوله فانه ينتفع به كالمكموم يعني ان توصيف النخل
المعدودة من جملة ما في الارض من النعم بقوله ذات الاكمام انما يحسن لكون الاكمام من جملة النعم المنتفع
بها فان المقام مقام الامتنان بجلائل النعم وكثيرها فتخصيص الاكمام بالذكر دون الثمر لا يلائم المقام
قوله والعصف ورق النبات اليابس وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو تبن الزرع وورقه
الذي تعصفه الرياح اي تقطعه وتذهب به وقيل هو مثل الزرع وهو اول ما ينبت منه وكل
بقلة طيبة الريح سميت ريحانا لان الانسان يراح لها رائحة طيبة اي يشم يقال راح الشيء
يراحه ويريحه واراح الشيء يريحه اذا وجد ريحه وفي الحديث من قتل نفسا معاهدة لم يرح
رائحة الجنة ويروى لم يرح من راحه يريحه والريحان في الاصل مصدر ثم اطلق على الرزق وقال
ابن عباس ومجاهد والضحاك هو الرزق بلغة حمير والعرب تقول خرجت اطلب ريحان الله
اي رزقه وفي الحديث الولد ريحان الله اختلف النحاة في وزنه على وجهين احدهما ان وزنه فيعلان
في الاصل وعينه محذوف اصله ريوحان فقلبت الواو ياء لاجتماعهما وسبق احديهما بالسكون
ثم ادغمت الياء في الياء فصار ريحان ثم خفف كما في ميت وسيد وهين فبقي ريحان ووزنه
فيلان وثانيهما ان وزنه فعلان وهو من ذوات الواو واصله روحان قلبت واوه ياء للخفة
قوله وقرأ ابن عامر والحب اي قرأ كل واحد من لفظ الحب وذو العصف والريحان بالنصب
فيهن عطفا على قوله والارض وضعها على تقدير وخلق الحب ذا العصف والريحان او على الاختصاص
اي واخص الحب وفيه بحث لانه لم يدخل في مسمى الفاكهة والنخل حتى يخصه من بينها وقرأ باقي
السبعة برفع الثلثة عطفا على المرفوع قبلهن وهو فيها فاكهة اي وفيها ايضا هذه الاشياء ذكر
اولا ما يتناول حال الرفاهية لمحض التلذذ وهو الفاكهة وثانيا ما يصلح للتلذذ والتغذي ايضا
وهو ثمر النخل وثالثا ما يصلح للتغذي فقط فهو الحب قوله ويجوز ان يراد وذو الريحان اي ويجوز ان
يكون انتصاب الريحان بناء على انه في الاصل مجرور باضافة ذا المنصوب اليه فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
واعرب باعرابه ويجوز ان يكون ارتفاع الريحان عند من قرأ بالرفع هذا الوجه ايضا بان يكون اصله وذو الريحان
ففعل به ما تقدم قوله وقرأ حمزة والكسائي والريحان بالجر عطفا على العصف وما عدا ذلك بالرفع
عطفا على فاكهة قوله والخطاب للثقلين من الانس والجن لان الانام يتضمنهما وكون الخطاب في قوله سنفرغ
لكم ايها الثقلان للثقلين لا يستلزم كونه لهما في قوله ربكما تكذبان لكنه يؤيده بناء على ان السورة بمنزلة

للتغذي صح

بمنزلة كلام واحد فتوجه الخطاب اليهما في بعض اياتها يدل على توجهه اليهما في البواقي فاذا ثبت
ان الجن مكلفون كالانس خوطب الجنان بهذه الآيات وقيل الخطاب للذكر والانثى المدلول عليهما
بذكر الانسان ومما يدل على الاول ما روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه انه قال قرأ علينا رسول
صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال ما لي اراكم سكوتا للجن كانوا احسن منكم ردا
ما قرأت عليهم هذه الآية مرة فبأي الاء ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشيء من نعمتك ربنا
نكذب فلك الحمد قال الله تع لما افتتح السورة باسم الرحمن من بين اسمائه الحسنى فاشعر به ان ما
يذكره بعده من اثار رحمته البالغة ثم ذكر خلق الانسان وما يتفرع عليه من الآية العظام قال
فبأي الاء ربكما تكذبان تجديدا للنشاط من الطاعة ولازم شكر انعامه وحثا وتشريفا على مزيد
الشكر وتنبيها وايقاظا لمن اغتر بها لغفلة والتقصير فيه وتقريعا وتوبيخا على المشركين
الذين اتخذوا معه الهة اخرى اي كيف تشركون بربكم الذي رباكم بهذه النعم الجليلة بمحض رحمته
من لا يقدر على شيء منها واشراكهم به تعالى في قوة ادعاء ان له مدخلا في هذه النعم وهو جحود
لاستنادها اليه تعالى خاصة وترك شكرها في قوة الجحود لانعامه تعالى بها وكذا التقصير فيه
قوله لصلصلة اي يسمع له صوت من يبسه والصلصال اسم لهذا الطين ما لم يطبخ فاذا
طبخ بالنار يسمى فخارا او خزفا وتشبيهه بالفخار لصوته باليبس وقيل لانه اجوف قوله
فلا يخالف ذلك اه يعني انه تعالى قال هنا من صلصال كالفخار وقال في الحجر من صلصال من حما مسنون
وقال انا خلقناهم من طين لازب وقال ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ولا تخالف بينها في الحقيقة
وذلك انه تع اخذه من تراب الارض فعجنه فصار طينا ثم انتن وتغير فصار حما مسنونا اي منتنا ثم
يبس فصار صلصالا كالفخار قال الجوهري الحمأ المسنون المتغير المنتن وقال في موضع آخر الحمأة
الطين الاسود قوله او ابا الجن قال الحسن الجان ابو الجن خلق من لهب النار وآدم ابو الانس
خلق من صلصال كالفخار قوله من صاف من الدخان يعني ان المارج هو اللهب الصافي الذي
لا دخان فيه ومن الاولى لابتداء الغاية والثانية للبيان والنار الخالص المادة هو اللهب المضطرب
وقيل المارج ما اختلط بعضه ببعض من بين احمر واصفر واخضر فان النار المشتعل يشاهد فيها
الالوان الثلثة مختلطا بعضها ببعض من قولهم مرج امر القوم اذا اختلط قوله مشرقي الشتاء
والصيف ومغربيهما وقيل مشرقي الشمس والقمر ومغربيهما والاول اشهر وذكر غاية ارتفاعهما
وغاية انحطاطهما اشارة الى ان الطرفين يتناولان ما بينهما كما اذا قلت في وصف ملك عظيم

لهم صح

اخضر صح

الملك له المشرق والمغرب فانه يفهم منه ان له ما بينهما ايضا قوله يلتقيان حال من البحرين وهي
قرينة من الحال المقدرة ويجوز ان يكون مقارنة وبينهما برزخ يجوز ان يكون جملة مستانفة وان يكون
حالا اما من البحرين او من فاعل يلتقيان ولا يبغيان حال اخرى كالتي قبلها اى مرجهما غير باغيين او
يلتقيان غير باغيين ثم ان كان المراد بالبحرين الملح والعذب فهما يلتقيان عند انتهاء العذب
بجريانه الى الملح ثم انهما عند الالتقاء لا يبقى احدهما على الآخر على الفور بل يبقيان على حالهما
زمانا يسيرا مع ان شانهما الاختلاط والانفعال كل واحد منهما عن الآخر بحجز بينهما قدرة الله
وان كان المراد بهما بحرى فارس والروم فهما يلتقيان في المحيط وبينهما حاجز من الارض لا يبغيان
باغراق ما بينهما من الارض لتكون الارض بارزة يتخذها اهلها مسكنا ومهادا فقوله
لا يبغيان بمعنى لا يجاوز كل واحد منهما ما حد له على ان البغي مجاوزة الحد او هو من الابتغاء وهو
الطلب اى لا يطلبان غير ما قدر لهما قوله وان صح ان الدر يخرج من الملح اى ثبت دليل ان خروج الدر
من الملح فقط ليس بقطعي لجواز ان يكون الخروج عبارة عن التكوين ويتكون الصدف في كل واحد من
البحرين وان اتفق انهم لم يخرجوه الا من الملح واذا كان في البر اشياء تخفى على التجار المترددين فيه فكيف
بما في قعر البحر قوله فعلى الاول اى فعلى ان يراد بالبحرين البحر الملح والبحر العذب واما اذا اريد بهما
بحرا فارس والروم فلا سؤال ولا توجيه لان كلا منهما ملح وفي التيسير ثم قوله منهما مع ان خروج اللؤلؤ والمرجان
يكون من الملح دون العذب لان العذب والملح يلتقيان فيكون العذب كاللقاح للملح كما يقال يخرج الولد
من الذكر والانثى وانما تلده الانثى واعلم ان الاركان اربعة التراب والماء والهواء والنار فالله تع
بين بقوله خلق الانسان من صلصال ان التراب اصل لمخلوق شريف مكرم وبين بقوله وخلق الجان من مارج
من نار ان النار ايضا اصل لمخلوق آخر عجيب الشان وبين بقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ان الماء ايضا
اصل لمخلوق آخر قد رويته ثم ذكر ان الهواء له تاثير عظيم في جري السفينة كالاعلام فقال وله الجوار
المنشآت في البحر وخصها بالذكر لان جريها في البحر لا صنع للبشر فيه وهم معترفون بذلك فيقولون
لنا الفلك وله الملك اذا خافوا الغرق دعوا الله خاصة وسميت السفينة جارية لان شانها ذلك وان كانت
واقفة قوله ورفع بجعل المحذوف كالمنسى قوله الشرع بضمتين جمع شراع السفينة وهو قلعها قوله او
او المصنوعات اى المخلوقات من انشأ الله اى خلق والاول من نشأ السحاب وانشأها الله رفعها
وعن مجاهد المنشآت هي السفن التي رفع قلعها واذا لم يرفع قلعها فليس بمنشآت قوله اى الرافعات الشرع
ونسبة الرفع اليها مجاز كما يقال انشأ اقتحابه المطر قوله ذات مبني على ان يكون الوصف مجازا

مجاز عن الجملة والذات تشبيها لها بالوجه من حيث انها يتوجه اليها ويوصف بالشرف والقدر كالوجه الذي
هو اشرف اعضاء البدن ثم لما صح ان يعبر منه الجملة استعمل فيمن تنزه عن الاجزاء والاعضاء قوله
ولو استعيرت اشارة الى ان الوجه يجوز ان يكون كناية عن الجهة بناء على كل الجهة لا تخلو عن وجه يتوجه
اليها كما ذكر في قوله في جنب الله اى كل من عليها من الثقلين وما اكتسبوه من الاعمال هالك وضائع
الا ما توجهوا به جهة الله تعالى وعملوه ابتغاء لمرضاته فان قيل كيف افرد الرب في قوله وجه ربك
وثناه في قوله ربكما مع ان المخاطب واحد قلنا عظم الامر وفخامته اقتضى تعميم الخطاب لينبه فيه
الثقلان اندراجا اوليا الخطاب الثاني ليس بهذه المثابة فاتى به على ظاهر الحال قوله اى سنتجرد
لما وردان يقال ما الوجه في ان يوصف الله تع بالفراغ مع ان الفراغ للشيء يقتضي سابقة شغل
وانتهاء حتى يتمكن من شغل آخر يلحقه وهذا انما يكون في حق من يشغله شان عن شان والله تع
منزه عن ذلك اشار الى جوابه بوجهين الاول انه من قبيل الاستعارة التمثيلية حيث شبه انتهاء
الدنيا وما يتعلق بها من الشؤون من الابتلاء والاختبار بالامر والنهي والاحياء والاماتة والمنع والاعطاء
وتكوير الليل على النهار وتصريف الدهور والاعصار ونحو ذلك وبقاء شان واحد وهو جزاء المكلفين
بالثواب والعقاب بفراغ من يشغله شان عن شان عن اشتغاله وتجرده لمطلوب واحد فاستعملت العبارة
الموضوعة للهيئة الثانية وهي الفراغ في الهيئة الاولى وهي انتهاء الشؤون الى شان واحد ووجه الشبه ترتب
مجازات المكلفين على انتهاء شؤون الدنيا كما يترتب تعلق ذلك الشخص لهم على فراغه عن سائر اشغاله
مانعا عن تعلقه لذلك المهم ولا مانع في حقه تعالى ومع ذلك آخر امر المجازات الى قيام الساعة والنشأة
الاخرى لحكم اقتضته والوجه الثاني انه من قبيل الاستعارة التبعية التصريحية وطريقه ان تجعل العبارة
اذا صدرت على طريق التهديد ممن يشغله شان عن شان تكون كناية عن توفر النكاية والانتقام فانه من
فرغ عن كل شيء لاجل شخص بحيث لم يبق له شغل غيره يكون اقوى عليه واقدر على الانتقام فاذا قال
لمن يهدده سافرغ لك اى سنتجرد عن اشتغالي لمجازاتك يقصد به الاستقصاء في مجازاته واما اذا صدرت
عمن لا يشغله شان عن شان فيكون مجازا متفرعا على الكناية بان يشبه تجرده للجزاء وحده من غير اعتبار
الفراغ عما يمنع عنها بالفراغ للجزاء فاستعير اسم الفراغ للجزاء المجرد للجزاء كما يستعار لفظ الاسد للرجل
الشجاع بجامع الشجاعة ثم اشتق منه قوله سنفرغ لكم والجامع ما حظه معنى توفيه النكاية والاقتدار عليها
في كل واحد من الطرفين قوله سميا بذلك لثقلهما على الارض والثقل ضد الخفة يقال ثقل ثقلا مثل صغر صغرا
والثقل بالتحريك متاع المسافر وحشمه والارض بالحمولة التي تحمل الاثقال والجن والانس جعلا اثقالا محمولة عليها

وجعل ما سواهما كالعلاوة قوله او لرزانة رأيهم وفي التيسير سميا بذلك لان الثقل ماله وزن وقدر ولهما
زيادة قدر على غيرهما لما خصوا بالعقل والتمييز وتحمل الامانة والتكليف وقيل لانهما حملان على الارض قال تع
واخرجت الارض اثقالها اي احمالها وقال عليه السلام اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ان رضعنه عليه السلام
الى قدرهما ووزنهما انتهى كلام قوله الا بقوة اشارة الى ان السلطان القوة التي يتسلط بها على الامر لما بين الله تع
انه سيجيء وقت يتجرد فيه لمحاسبتهم ومجازاتهم وهددهم بما يدل على شدة اهتمامه بهما كان مظنة ان يقال
فلم اخر ذلك مع ماله كمال الاهتمام به فاشار الى جوابه بما محصوله انهم جميعا في قبضة قدرته وتصرفه لا يفوته
منهم احد فلم يتحقق باعث يبعثه على الاستعجال لان ما يبعث المستعجل على الاستعجال انما هو خوف الفوت فاذا لم يخف
ذلك قسم الدهر كله الى قسمين احدهما مدة ايام الدنيا والاخر يوم القيمة وجعل المدة الاولى ايام التكليف والابتلاء
والمدة الثانية للبحث والجزاء وجعل كل واحد من الدارين محل الرزايا ومنبع البلايا والنوائب ولم يجعل لواحد
من الثقلين سبيلا للفرار منهما والهرب مما قضاه فيهما فقوله فانفذوا امر تعجيز والمراد بيان انهم لا مهرب لهم
عن قضاء الله ولا خروج لهم عن ملكه وانهم لا يفوتونه ولا يعجزونه حتى لا يقدر عليهم فظهر بهذا التقرير ان
قوله يا معشر الجن متعلق بقوله سنفرغ لكم فكانا بمنزلة كلام واحد فلذلك لم يفصل بينهما بقوله فباي الاء ربكما تكذبان
بعد قوله الا بسلطان بالتنبيه والايقاظ والتحذير المستفاد من قوله سنفرغ لكم بالمساهلة والعفو المستفاد من قوله
فباي الاء بعد قوله سنفرغ لكم فانه يشعر بان الوقوف في الحساب الاء متعلقة بالمساهلة في الحساب والعفو عن
جرائم كثيرة ونحوها وقوله مع كمال القدرة مستفاد من قوله يا معشر الجن هذا ما فهمته من مراد المصنف
في هذا المقام والمعشر الجماعة العظيمة سميت به لبلوغها غاية الكثرة فان العشر هو العدد الكامل الكثير الذي
لا عدد بعده بتركيبه بما فيه من الاحاد فتقول احد عشر واثنا عشر وعشرون وثلثون اي اثنا عشرات وثلث عشرات
فاذا قيل معشر فكانه قيل محل العشر الذي هو الكثرة الكاملة قوله السليط عند عامة العرب وعند اهل اليمن دهن
السمسم كذا في الصحاح وفيه ايضا النحاس دخان لا لهب فيه وانشد البيت وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان المراد به هو الصفر المعروف يذيبه الله تع ويصبه على رؤسهم وقرأ ابن كثير بكسر الشين من شواظ والباقون بضمها
وهما لغتان بمعنى واحد وقرأ ابن كثير وابو عمرو بجر نحاس والباقون برفعه عطفا على شواظ وعلى تقدير الجر
يكون في الكلام حذف موصوف والتقدير شواظ من نار وبشيء من نحاس فيكون بشيء معطوفا على قوله شواظ
ويكون من نحاس صفة لشيء كما ان من نار صفة لشواظ فحذف الموصوف وهو شيء لدلالة ما قبله عليه ثم حذف
من لتقدم ذكرها في من نار فبقي نحاس مجرورا بمن المحذوفة وقرئ ونحاس بكسر النون وهو لغة بمعنى نحاس
بضم النون واما جمع نحس كصعب وصعاب وكعب وكعاب وقرئ ونحس بضم النون والحاء والسين مع التنوين

عطفا

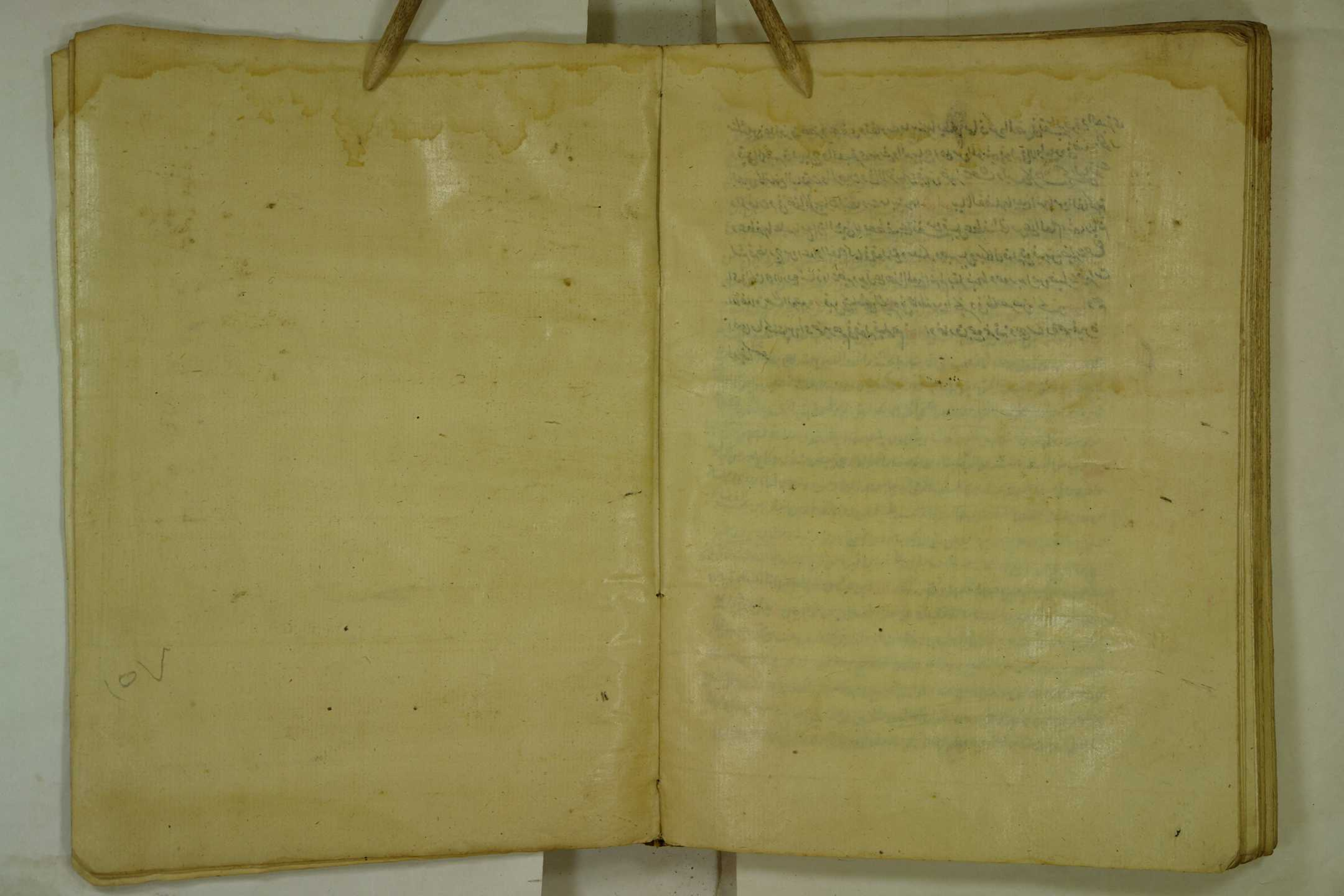
عطفا على قوله شواظ وهو جمع نحاس او جمع نحس وهو العذاب وقيل اصله نحوس فقصر بحذف واوه كما يقال
في جمع نجم نجم اصله نجوم قيل معنى قوله تع فاذا انشقت السماء فكانت وردة انها اذا انصدعت
يوم القيمة فكانت في حمرة الورد وهي الزهرة المعروفة التي تشم وفي جريان الدهن اي يذوب
ويجري كذوبان الدهن وجريه فتصير حمراء من حرارة نار جهنم وتصير مثل الدهن في رقتها وذوبانها
قوله كالدهان خبر ان لكانت وهو اما جمع دهن كقرط وقراط ورمح ورماح او اسم لما يدهن به
كالحزام والادام كقوله كانهما مزادتا متعجل فريان لما تدهنا بدهان يقال فريت المزادة اي عملتها
وصنعتها وخبر كانهما العينين شبههما بمزادتين جديدتين خرزهما متعجل فما احكم خرزهما ولم يدهنهما
فكانتا بحيث يكفان ماء على الدوام اي يقطران من وكف البيت اذا قطر منه ماء المطر وقيل اصل
لون السماء الحمرة وانها لكثرة الحوائل وبعد المسافة يرى لونها ازرق وذلك مثل عروق البدن فانها
حمر كحمرة الدم وترى بالحائل زرقا فان صح هذا فالمعنى كانت السماء لقربها من النواظر يوم القيمة وارتفاع
الحواجز ترى حمراء لان اصل لونها الحمرة والله اعلم قوله من باب التجريد وهو ان ينتزع من امر
ذي صفة امر مثله فيها لكمالها فيه جرد من السماء سماء اخرى تسمى وردة وهي كما جرد الحر من
نفسه كريما اخر لكمال صفة الكرم فيه والمشهور انه تشبيه محض بمعنى كانت حمراء
واللام في قوله فلئن ابقيت موطئة للقسم ولارحلن جوابه وقوله نحو الغنائم ظرف وروي
نحوي الغنائم او يموت بمعنى الا ان يموت منصوب بان مضمرة يعني بالكريم نفسه لان نحوى الكلام
يدل على انه لا يريد كريما غيره والظاهر ان يقال الا ان اموت كريما ليكون ذكرا في الكلام ويصرح
بانه الموصوف بالكرم الا انه بنى الكلام على التجريد للمبالغة في وصف نفسه بالكرم قوله
وذلك حين ما يخرجون من قبورهم يعني ان كل واحد من المجرمين والمتقين يخرجون من قبورهم
متميزين عن الطائفة الاخرى بسيماهم وجوه يومئذ ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها
غبرة ترهقها قترة ونحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يوم تبيض
وجوه وتسود وجوه فلا يحتاج في تمييز المذنب عن غيره الى ان يسأل عن ذنبه ان اراد احد
ان يطلع الى احوال اهل المحشر قوله بالنواصي قائم مقام الفاعل لقوله فيؤخذ والتقدير بالنواصي
منهم او بنواصيهم وليس في قوله ضمير يقوم مقام الفاعل يعود الى المجرمين لامرين احدهما ما حكاه
الاكابر الاكابر ان العرب تقول اخذت الناصية واخذت بالناصية ولا تكاد تقول اخذت الدابة
بالناصية بان تعدى اخذ الى مفعولين الى احدهما بنفسه والى الاخر بواسطة الباء وثانيهما لو كان فيه

ضمير لوجب ان يقال فيؤخذون لاجل تقدم ذكرهم لا يجوز ان يكون التقدير فيؤخذ كل واحد من النواصي
كما قيل لما ذكرت النحاس ان العرب لم تعد اخذ الى مفعولين احدهما بالباء وايضا فان الفاعل لا يحذف
والنواصي جمع ناصية وهي مقدم الراس اي تاخذ الملائكة بنواصيهم اي بشعور مقدم رؤسهم
واقدامهم فيقذفونهم في النار وقال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة من وراء ظهره
وقيل تسحبهم الملائكة قوله هذه جهنم اي يقال لهم هذه جهنم او هو خطاب من الله تعالى لنبيه عليه السلام
قل لهم هذه صفة جهنم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والاظهر ان يقال ان الكلام قد تم
عند قوله بالنواصي والاقدام وقوله هذه جهنم بيان لقربها كما يقال هذا زيد قد وصل اذا قرب فكانه
قيل جهنم التي يكذب بها المجرمون هذه قريبة غير بعيدة عنهم وان صفة لجهنم من انى يانى فهو آن
مثل قضى يقضي فهو قاض اي يحيى وبلغ اناه اي ادرك كماله وبلغ منتهاه قوله موقفه الذي يقف فيه
العباد اشارة الى ان الموقف مكان الوقوف في يوم القيمة للحساب واضافته اليه تعالى ليست لانه تعالى يقوم
فيه لانه تعالى متعال عن ذلك بل لان الملك له وحده وانه مالك يوم الدين والناس قائلون له منتظرون ما يحق
عليهم من قبله تعالى قوله او قيام على احوالهم فالمقام مصدر بمعنى المراقبة والحفظ مضاف الى فاعله كما في
قوله افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت فان القائم فيه ايضا بمعنى الحافظ والمهيمن والمعنى ولمن يعلم
ان الله قائم عليه مراقب له صدر عنه فيخافه لذلك فيطيعه ولا يجترئ على معصيته جنتان
قوله باحد المعنيين وهما كون المقام اسما لمكان الوقوف او مصدرا والحاصل ان اضافة المقام
الى الرب سواء كان اسم مكان او مصدرا اما ان يكون على ظاهرها بناء على ان الملك له تعالى وحده وانه
هو المهيمن والحافظ لكل لا واما ان لا تكون على ظاهرها بل يعتبر ان المقام باي معنى كان انما
هو مضاف الى ضمير من في من خاف وان اضافته الى الرب انما هي للتهويل والتخويف كالاجل فانه للعبيد
لقوله تعالى فاذا جاء اجلهم مع انه اضيف اليه تعالى في قوله ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر قوله ونفيت عنه
مقام الذئب اوله وماء قد وردت لوصل اروى عليه الطير كالورق اللجين ذعرت به القطا ونفيت
عنه مقام الذئب كالرجل اللعين اللجين الخبط هو ما سقط من الورق واروى اسم حبيبته
ونفيت عنه اي طردت وابعدت عن ذلك الماء وخص القطا والذئب بالذكر لان القطا
اهدى الطير الى الماء والذئب اهدى السباع اليه فهما اول بقاع الى المياه والرجل اللعين شيء
ينصب في وسط الزرع يستطرد به الوحوش ومعنى البيت رب ماء قد وردت لاروي محبوبي
لاروي وقد جاءت اليه لتغسل راسها او ثيابها به قوله والمعنى لكل خائفين منكما جنتان على طريق

على طريق التوزيع بان يكون احدى الجنتين لاحدى الخائفين والاخرى للاخر والظاهر ان المعنى ان كل
فرد من افراد الخائفين من اي فريق كان له جنتان قوله ذواتا افنان صفة لقوله جنتان وهو
تثنية ذات وهو تانيث ذو واصله ذوي والافنان جمع فن وهو النوع او فنن وهو الغصن
قوله وهي الغصنة التي ... بكسر الغين وفتح الصاد جمع غصن مثل قرطة في جمع قرط قوله
لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل اشارة الى ان توصيف الجنتين بقوله ذواتا افنان لتذكير
هذه النعم كانه قيل ذواتا اوراق وثمار واظلال قوله حيث شاء والتعميم مستفاد من عدم ذكر
مفعول تجريان الجوهري تسنيم اي علاه وقوله تعالى ومزاجه من تسنيم قالوا هو ماء في الجنة
سمي بذلك لانه يجري فوق الغرف والقصور قال ابو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت
عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله قوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان وقوله فيهما عينان تجريان من صفات
جنتان فصل بينهما بقوله فباي الاء ربكما تكذبان مع انه لم يفصل به بين الصفات الكائنة من قبيل العذاب
حيث قال يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس مع ان ارسال النحاس غير ارسال الشواظ وقوله يطوفون
بينها وبين حميم آن كلام مغاير للكلام الدال على ان جرمهم قريبة اليهم ترجيحا لجانب الرحمة على
جانب العذاب وتهييجا للنشاط الى معين وترغيبا لهم في اكتساب ما يقرب اليها قوله
متكئين يجوز ان تكون حالا من من في قوله ولمن خاف جمع حملا على معنى بعد الافراد حملا على لفظها
والعامل فيها الاستقرار اي استقر لهم جنتان في هذه الحال فبين حال عاملها محذوف اي يتنعمون فيهما متكئين
وقوله بطائنها من استبرق جملة اسمية في موضع الجر على انها صفة لفرش والاستبرق ما غلظ
من الديباج قيل هو استفعل من البريق وهو الاضاءة وقيل من البرقة وهو اجتماع الوان جعل
اسما فاعرب اعرابه قال ابن مسعود وابو هريرة رضي الله عنهما اذا كانت البطائن التي تلي الارض
هكذا فما ظنك بالظهارة ومن يعرف ذلك وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ظواهرها
نور يتلألأ قوله وجنا اسم بمعنى مجني سميت الثمار جنا لكونها بصدد الاجتناء الجوهري جنيت الثمرة
واجتنيتها جنى واجتنيتها بمعنى والجنى ما يجتنى من الشجر وكان اصله دانو مثل غاز من الدنو
وهو القرب قال ابن عباس رضي الله عنهما تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله ان شاء قائما
وان شاء قاعدا وان شاء مضطجعا وقال قتادة رحمه الله تعالى لا يرد يده بعد ولا شوك قال
القرطبي لم يطمثهن لم يصبهن بالجماع احد قبل ازواجهن قال الفراء الطمث الافتضاض وهو
افتراع البكر وقيل اصل الطمث الجماع المؤدي الى خروج دم البكر ثم اطلق على كل جماع طمث وان لم يكن

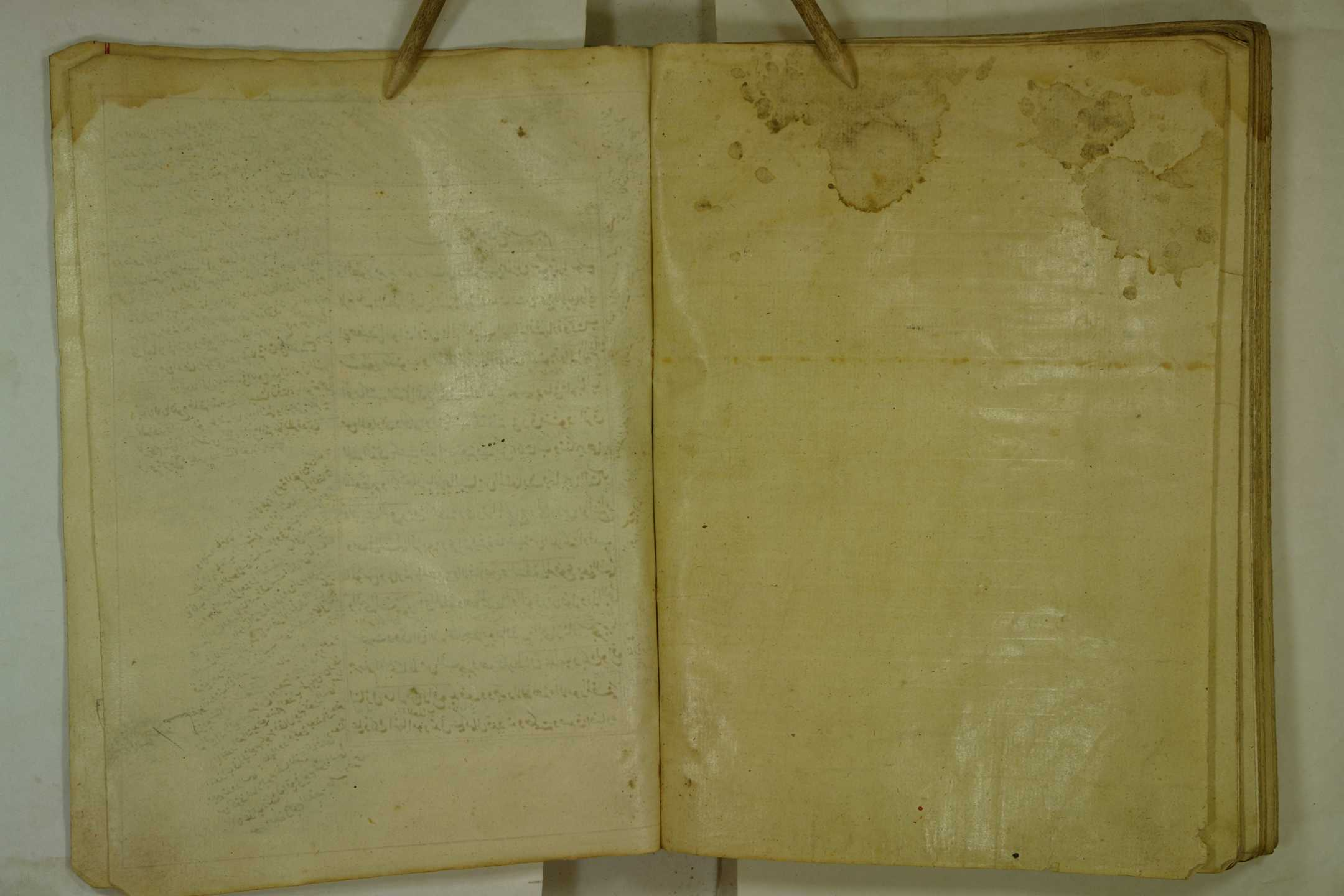
معه دم وقيل الطمث هو الدم الظاهر في الفرج سواء كان بسبب الحيض او الجماع فلذلك قيل
للحائض طامث كانه قيل للحائض لم يدمهن بالجماع انس قبلهم ولا جان وقال ابو عمرو الطمث
المس وذلك في كل شيء يمس قوله ويقال للمرتع ما طمث ذا المرتع قبلنا احد وما طمث
هذه الناقة حبل قط اي ما مسها عقال قوله لم يمس الانسيات اشارة الى ان مؤمن الجن
يدخلون الجنة ويثابون فيها كمؤمن الانس وتوقف في هذه المسئلة ابو حنيفة رحمه الله تعالى
بناء على ان الاثابة لا تجب عليه تعالى وانما هو تفضل الهي يتبع فيها بالنص ولم يرد فيمن آمن
من الجن الا سقوط عقوبة الكفر عنه فهم يبعثون ويحاسبون ويعذب من كفر منهم في
جهنم ويجعل من آمن منهم ترابا وهو قوله قوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم
واثابة مؤمني الجن عند من يقول بالحسن والقبح العقليين وبوجوب ثواب المطيع عليه تعالى
ظاهر ومن لا يقول بهما انما ذهب الى اثابتهم بالجنة والحور العين استدلالا بهذه الآية فانه تعالى
خاطب مؤمني الانس والجن بقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان على وجه الامتنان عليهم بحور موصوفات
تارة بقاصرات الطرف واخرى بمقصورات في الخيام وبكونهن لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان
فهم منه ان كل فريق منهم يدخلون الجنة ويثابون بنعيمها ويطمثون ما اعد لهم من الحور العين
قوله وبياض البشرة تشبيه على المرجان بناء على انه صغار اللؤلؤ وهي بيض متلألئة وكل واحد من الياقوت
والمرجان في صفاء اللون بحيث يرى السلك الذي فيهما من ورائهما ومن دونهما جنتان اي وجنتان
من دون تينك الجنتين المتقدمتين في المنزلة وحسن المنظر لمن دون الخائفين المقربين بحسب الفضائل
العلمية والعملية وهم اصحاب اليمين على ان يكون دون بمعنى الادنى رتبة ومنزلة لا بمعنى غير
قال ابن جريج هي اربع جنتان منها للسابقين المقربين فيهما من كل فاكهة زوجان وعينان تجريان
وجنتان لاصحاب اليمين فيهما فاكهة ونخل ورمان وقال ابن عباس رضي الله عنهما تانك للمقربين
وهاتان لاصحاب اليمين والجنتان الاوليان على هذا افضل من الاخريين ويدل عليه قوله تعالى
في الاخريين مدهامتان وقال في الاوليين ذواتا افنان وقوله في الاوليين عينان تجريان وقد قال
في الاخريين نضاختان النضخ دون الجري لان النضخ هو الفوران بحيث كلما اخذ منه شيء
عاد آخر مكانه ولا شك ان الجري ابلغ منه وقوله في الاوليين فيهما من كل فاكهة زوجان وقد قال
في الاخريين فيهما فاكهة ونخل ورمان وقوله في الاوليين متكئين على فرش بطائنها من استبرق وترك
ذكر الظهارة لرفعة شأنها وخروجها عن كونها مدركة بالعقول والاوهام وقد قال في الاخريين متكئين

متكئين على رفرف خضر وعبقري وتفاوت ما بينهما يعلم مما ذكره المص في تفسير الرفرف والعبقري
وقيل الاستبرق ديباج والعبقري موشى والديباج اعلى من الموشى وقوله في الاوليين في صفة الحور
العين كانهن الياقوت والمرجان وفي الاخريين فيهن خيرات حسان وليس كل حسن كحسن الياقوت
والمرجان وفي هذا الكل بيان لتفاوت ما بينهما قوله بيانا للفضل لما يعني انهما من الفاكهة
وعطفهما عليها مع ان الشيء لا يعطف على نفسه من قبيل عطف الخاص على العام اشعارا بانه
لشرفه خارج من افراد العام كما في قوله تعالى وملائكته وجبريل وميكال قوله تعالى فيهن خيرات حسان
اي في الجنان الاربع نساء ذوات خير ويدل على هذا المعنى انه لم يقل فيهما وصور بدل من خيرات خيرات
الاخلاق حسان الوجوه وقيل في باطنهن الخير وفي ظاهرهن الحسن قوله وهم
اصحاب الجنتين اي ضمير هم في قوله قبلهم قوله او نمارق جمع نمرقة وهي وسادة صغيرة
وربما سموا









بسم الله الرحمن الرحيم

والطور يريد طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيها موسى كلام الله والطور الجبل بالسريانية او ما طار من اوج الايجاد الى حضيض المواد او من عالم الغيب الى عالم الشهادة وكتاب مسطور مكتوب والسطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او ما كتبه الله في اللوح المحفوظ او الواح موسى او ما في قلوب اوليائه من المعارف والحكم او ما يكتبه الحفظة في رق منشور الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير فيه من الكتاب وتنكيرهما للتعظيم والاشعار بانهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس والبيت المعمور يعني الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين او الضراح وهو في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشية من الملائكة او قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص والسقف المرفوع يعني السماء والبحر المسجور اي المملو وهو المحيط او الموقد من قوله واذا البحار سجرت روي ان الله تعالى يجعل يوم القيمة البحار نارا تسجر بها جهنم او المختلط من السجير وهو الخليط ان عذاب ربك لواقع لنازل ما له من دافع يدفعه ووجه دلالة هذه الامور المقسم بها على ذلك انها امور تدل على كمال قدرته وحكمته وصدق اخباره

اخباره وضبط اعمال العباد للمجازات يوم تمور السماء مورا تضطرب والمور تردد في المجيء والذهاب وقيل تحرك في تموج ويوم ظرف وتسير الجبال سيرا اي تسير عن وجه الارض فتصير هباء فويل يومئذ للمكذبين اذا وقع ذلك اليوم فويل لهم الذين هم في خوض يلعبون اي الخوض في الباطل يوم يدعون الى نار جهنم دعا يدفعون اليها بعنف وذلك بان يغل ايديهم الى اعناقهم ويجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعوا الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر محكية هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي يقال لهم ذلك افسحر هذا اي كنتم تقولون للوحي هذا سحر افهذا المصداق ايضا سحر وتقديم الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ ام انتم لا تبصرون هذا ايضا كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل عليه وهو تقريع وتهكم ام سدت ابصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم حين قلتم انما سكرت ابصارنا اصلوها فاصبروا او لا تصبروا اي ادخلوها على اي وجه شئتم من الصبر وعدمه فانه لا محيص لكم عنها سواء عليكم اي الامران الصبر وعدمه انما تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه سيئين في عدم النفع ان المتقين في جنات ونعيم في اية جنات واي نعيم او في جنات

قوله اكلا وشربا هنيئا
نعت على انه صفة لمصدر محذوف كما انه في الوجه الثاني صفة مفعول محذوف

ونعيم مخصوصة بهم فاكهين ناعمين متلذذين بما اتيهم ربهم
وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو ووقيهم ربهم
عذاب الجحيم عطف على اتاهم ان جعل ما مصدرية او في جنات
او حال باضمار قد من المستكن في الظرف او الحال من فاعل اتى او مفعوله
او منهما كلوا واشربوا هنيئا اى اكلا وشربا هنيئا او طعاما و
شرابا هنيئا وهو الذى لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون ب
او بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا والمعنى هنأكم ما كنتم
تعملون اى جزاؤه متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجنا
هم بحور عين الباء لما في التزويج من معنى الالصاق والوصل او
للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن او لما في التزويج
من معنى الالصاق والقران ولذلك عطف والذين آمنوا على
حور اى قرناهم بازواج حور ورفقاء مؤمنين وقيل انه مبتدا
خبره الحقنا بهم وقوله واتبعتهم ذريتهم بايمان اعتراض
للتعليل وقرأ ابن عامر ويعقوب ذرياتهم بالجمع وضم التاء للمبالغة
في كثرتهم والتصريح بان الذرية تقع على الواحد والكثير وقرأ ابو
عمرو واتبعناهم ذرياتهم اى جعلناهم تابعين لهم في الايمان
وقيل بايمان حال من الضمير او الذرية او منهما وتنكيره للتعظيم
او الاشعار بانه يكفي في الالحاق المتابعة في اصل الايمان الحقنا بهم
ذريتهم في دخول الجنة او الدرجة لما روي انه عليه السلام قال مرفوعا

والذين آمنوا معطوف على حور عين اى قرناهم بالحور العين وبالذين آمنوا بالرفقاء والجلساء منهم كقوله تعالى اخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بمؤانسة الاخوان من المؤمنين واتبعناهم ذرياتهم تفسير كشف

فان قلت ما معنى تنكير الايمان قلت معناه الدلالة على انه ايمان خاص عظيم المنزلة ويجوز ان يراد ايمان الذرية كشاف

قوله اعتراض للتعليل اى وقعت معترضة بين المبتدا والخبر لتعليل الحاق الذرية بالآباء والمراد بالذرية اولادهم الصغار والكبار فان الكبار يلحقون بآبائهم بايمانهم بانفسهم والصغار بايمانهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعا للخبر الابوين اى لمن اسلم منهما نسب ايمانه تبعا يلحق بابيه ايضا ومعنى واتبعتهم ذريتهم تبعوا اهم في الايمان فآمنوا كايمانهم والباء في بايمانهم يجوز ان يكون بمعنى في متعلق باتبع وان يكون على بابها متعلقا بمحذوف هو حال اما من فاعل اتبعتهم ذريتهم او من مفعوله او منهما وعلى التقديرين يراد بالايمان ايمان الذرية والتنكير فيه للتقليل اى بشيء

ان الله تعالى يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه
لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية وقرأ نافع وابن عامر والبصريان
ذرياتهم وما التناهم وما نقصناهم من عملهم من شيء
بهذا الالحاق فانه كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة الآباء او
باعطاء الابناء بعض مثوباتهم يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم وهو
اللائق بكمال لطفه وقرأ ابن كثير بكسر اللام من الت يالت
وعنه لتناهم من لات يليت والتناهم من آلت يولت ولتناهم
من ولت يلت ومعنى الكل واحد كل امرئ بما كسب رهين بعمله
مرهون عند الله فان عمل صالحا فكها والا اهلكها وامددناهم
بفاكهة ولحم مما يشتهون اى زدناهم وقتا بعد وقت ما يشتهون
من انواع النعم يتنازعون فيها يتعاطون هم وجلساؤهم
بتجاذب كاسا خمرا سماها باسم محلها ولذلك انث الضمير في
قوله لا لغو فيها ولا تاثيم لا يتكلمون بلغو الحديث في اثناء شربها
ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله كما هو عادة الشاربين في الدنيا
وذلك مثل قوله لا فيها غول وقرأهما ابن كثير والبصريان بالفتح
ويطوف عليهم اى بالكأس غلمان لهم اى مماليك مخصوصون
بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كانهم لؤلؤ مكنون مصون
في الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه عليه السلام والذى
نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر

هم

تسماها

على الجنة

على سائر الكواكب وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون يسأل بعضهم
بعضاً عن أحواله وأعماله قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين
خائفين من عصيان الله معتنين بطاعة الله أو وجلين من العاقبة
فمنّ الله علينا بالرحمة أو التوفيق ووقانا عذاب السموم عذاب
النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقّانا بالتشديد إنا
كنا من قبل من قبل ذلك في الدنيا ندعوه نعبده أو نسأله الوقاية
إنه هو البر المحسن وقرأ نافع والكسائي بالفتح الرحيم الكثير
الرحمة فذكّر فاثبت على التذكير ولا تكترث بقولهم فما أنت بنعمت
ربك بحمد الله وإنعامه بكاهن ولا مجنون كما يقولون أم يقولون
شاعر نتربص به ريب المنون ما يقلق النفوس من حوادث
الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه إذا قطعه قل تربصوا
فإني معكم من المتربصين أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي
أم تأمرهم أحلامهم عقولهم بهذا التناقض في القول فإن
الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى عقله والشاعر
ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتأتى ذلك من المجنون وأمر الأحلام
به مجاز عن أدائها إليه أم هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد
وقرئ بل هم أم يقولون تقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون
فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم فليأتوا بحديث مثله
مثل القرآن إن كانوا صادقين في زعمهم إذ فيهم كثير ممن

تحدوا فهو رد للأقوال المذكورة بالتحدي ويجوز أن يكون رداً
للتقول فإن سائر الأقسام ظاهر الفساد أم خلقوا من غير شيء
أحدثوا وقدّروا من غير محدث ومقدر فلذلك لا يعبدونه أو من
أجل لا شيء من عبادة ومجازاة أم هم الخالقون يؤيد الأول فإن معناه
أم خلقوا أنفسهم ولذلك عقبه بقوله أم خلقوا السماوات
والأرض وأم في هذه الآية منقطعة ومعنى الهمزة فيها للإنكار
بل لا يوقنون إذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السماوات والأرض
قالوا الله إذ لو أيقنوا ذلك لما أعرضوا عن عبادته أم عندهم
خزائن ربك خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا أو خزائن
علمه حتى يختاروا لها من اختارته الحكمة أم هم المسيطرون الغالبون
على الأشياء يدبرونها كيف شاؤوا أم لهم سلم مرتقى إلى السماء يستمعون
فيه صاعدين فيه إلى كلام الملائكة وما يوحى إليهم من علم الغيب
حتى يعلموا ما هو كائن فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة
واضحة تصدق استماعه أم له البنات ولكم البنون فيه تسفيه
لهم وإشعار بأن من هذا رأيه لا يعد من العقلاء فضلاً عن
أن يكون ممن يترقى بروحه إلى عالم الملكوت فيطلع على الغيوب
أم تسألهم أجراً على تبليغ الرسالة فهم من مغرم من التزام غرم
مثقلون محملون الثقل فلذلك زهدوا في اتباعك أم عندهم
الغيب اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات فهم يكتبون منه

ام يريدون كيدا وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله عليه السلام
فالذين كفروا يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل
على كفرهم والدلالة على انه الموجب للحكم المذكور هم المكيدون هم الذين
يحيق بهم الكيد ويعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر او
المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله يعينهم
ويحرسهم من عذابه سبحان الله عما يشركون عن اشراكهم او
شركة ما يشركونه وان يروا كسفا قطعة من السماء ساقطا
يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم تراكم بعضها
على بعض وهو جواب قولهم فاسقط علينا كسفا من السماء فذرهم
حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وهو عند النفخة الاولى وقرئ يلقوا
وقرأ ابن عامر وعاصم يصعقون على المبني للمفعول من صعقه او اصعقه
يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا اي شيئا من الاغناء في رد العذاب
ولا هم ينصرون لا يمنعون من عذاب الله وان للذين ظلموا يحتمل
العموم والخصوص عذابا دون ذلك اي دون عذاب الآخرة وهو عذاب
القبر او المؤاخذة في الدنيا كقتل بدر والقحط سبع سنين ولكن اكثرهم
لا يعلمون واصبر لحكم ربك بامهالهم وابقائك في عنائهم فانك
باعيننا في حفظنا بحيث نراك ونكلأك وجمع العين لجمع الضمير
والمبالغة لكثرة اسباب الحفظ وسبح بحمد ربك حين تقوم من اي
مكان قمت او من منامك او الى الصلوة ومن الليل فسبحه فان العبا

فان العبادة فيه اشق على النفس وابعد عن الرياء ولذلك
افرده بالذكر وقدمه على الفعل وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم
من آخر الليل وقرئ بالفتح اي في اعقابها اذا غربت او خفيت
وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والطور كان حقا على الله
ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته تمت السورة بعون الله الوهاب

سورة والنجم مكية وآيها احدى او اثنتان وستون

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى اقسم بجنس النجوم
والثريا فانه غلب فيه اذا غرب او انتثر يوم القيمة او انقض
او طلع فانه يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وهويا
بالضم اذا علا وصعد او بالنجم من نجوم القرآن اذا نزل او النبات
اذا سقط على الارض اذا نما وارتفع على قوله ما ضل صاحبكم
ما عدل محمد عليه الصلوة والسلام عن الطريق المستقيم والخطاب
لقريش وما غوى وما اعتقد باطلا والمراد نفي ما ينسبون اليه
وما ينطق عن الهوى وما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى
ان هو ما القرآن او الذي ينطق به الا وحي يوحى اي الا وحي يوحيه
الله اليه واحتج به من لم ير الاجتهاد له واجيب عنه بانه اذا
اوحي اليه بان يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه وحيا وفيه نظر
لان ذلك حينئذ بالوحي لا الوحي علمه شديد القوى ملك شديد قواه
جبرئيل فانه الواسطة في ابداء الخوارق روي انه عليه السلام قلع

قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا
جاثمين ذو مرة حصافة في عقله ورايه فاستوى فاستقام على
صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها قيل ما راه احد من الانبياء
في صورته غير محمد عليه الصلوة والسلام مرتين مرة في السماء ومرة
في الارض وقيل استولى بقوته على ما جعل له من الامر وهو بالافق
الاعلى في افق السماء والضمير لجبرئيل ثم دنى من النبي فتدلى فتعلق
به وهو تمثيل لعروجه بالرسول وقيل ثم تدلى من الافق
الاعلى فدنا من الرسول فيكون اشعارا بانه عرج به غير منفصل
عن محله وتقرير لشدة قوته فان التدلي استرسال مع تعلق
كتدلي الثمرة ويقال دلى رجله من السرير وادلى دلوه والدلى
الثمر المعلق فكان جبرئيل كقولك هو مني كمقعد الازار او المراد
بينهما قاب قوسين مقدارهما او ادنى على تقديركم كقوله او
يزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه
لما يوحى اليه بنفي البعد الملبس فاوحى جبرئيل الى عبده عبد الله
واضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها ما اوحى جبرئيل
وفيه تفخيم للوحي به او الله اليه وقيل الضماير كلها لله تعالى
وهو المعني بشديد القوى كما في قوله هو الرزاق ذو القوة المتين
ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس
القدس ما كذب الفؤاد ما رأى ما راى ببصره من صورة جبرئيل

جبرئيل او الله اي ما كذب بصره بما حكاه له فان الامور القدسية
تدرك اولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر او ما كان قال فؤاده لما
راه لم اعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما راه ببصره
او ما راه بقلبه والمعنى لم تكن كاذبا ويدل عليه انه عليه الصلوة والسلام سئل
هل رأيت ربك فقال رايته بفؤادي ما كذب اي صدقه ولم يشك
فيه افتمارونه على ما يرى افتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة
واشتقاقه من مرى الناقة فان كلا من المتجادلين يمري ما عند صاحبه
وقرأ الكوفيون غير عاصم ويعقوب افتمرونه اي افتغلبونه
في المراء من ماريته فمريته او افتجحدونه من مراه حقه اذا جحده
وعلى لتضمن الفعل معنى الغلبة فان المماري والجاحد يقصدان بفعله
غلبة الخصم ولقد راه نزلة اخرى مرة اخرى فعلة من النزول
اقيمت مقام المرة ونصبت نصبها اشعارا بان الرؤية في هذه
المرة كانت ايضا بنزول ودنو والكلام في المرئي والدنو ما سبق وقيل
تقديره ولقد راه نازلا نزلة اخرى ونصبها على المصدر والمراد به
نفي الريبة عن المرة الاخيرة عند سدرة المنتهى التي ينتهي اليها علم
الخلائق واعمالهم او ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعله
شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق لانهم يجتمعون في ظلها
وروى مرفوعا انها في السماء السابعة عندها جنة المأوى
الجنة التي يأوي اليها المتقون او ارواح الشهداء اذ يغشى السدرة

ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا
يحصيها عد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله
عندها ما زاغ البصر ما مال بصر رسول الله عما رآه وما طغى
وما تجاوزه بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا او ما عدل عن
رؤية العجائب التي امر برؤيتها وما جاوزها لقد رأى اي والله
لقد رأى من آيات ربه الكبرى اي والله لقد رأى الكبرى من آياته
وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقيل انها المعنية بما
رأى ويجوز ان يكون الكبرى صفة للآيات على ان المفعول محذوف
اي شيئا من آيات ربه او من مزيدة افرأيتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى هي اصنام كانت لهم فاللات كانت
لثقيف بالطائف او لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا
يلوون عليها اى يطوفون وقرأ هبة الله عن البزي ورويس
عن يعقوب بالتشديد على انه سمي به لانه صورة رجل كان يلت
السويق بالسمن ويطعم الحاج والعزى سمرة لغطفان كانوا
يعبدونها فبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد
فقطعها واصلها تانيث الاعز ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة
والثقيف وهي فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون
عند القرابين ومنه منى وقرأ مناءة وهي مفعلة من النوء كانهم
يستمطرون الانواء عندها تبركا بها وقوله الثالثة الاخرى

صفتان للتاكيد كقوله يطير بجناحيه او الاخرى من التأخر في الرتبة
الكم الذكر وله الانثى انكار لقولهم الملائكة بنات الله وهذه الاصنام
استوطنها جنات هن بناته او هياكل الملائكة وهو المفعول
الثاني لقوله افرأيتم تلك اذا قسمة ضيزى جائرة حيث جعلتم
له ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم
الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يات وصفا وقرأ ابن كثير
بالهمز من ضأزه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به ان هي الا اسماء
الضمير للاصنام اى ما هي باعتبار الالوهية الا اسماء تطلقونها
عليها لانكم تقولون انها آلهة وليس فيها شيء من معنى الالوهية
او للصفة التي يصفونها بها من كونها آلهة وبنات وشفعاء او للاسماء
المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف
على عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم تستحق ان يتقرب
اليها بالقرابين سميتموها انتم سميتم بها وآباؤكم بهواكم وشهوتكم
ما انزل الله بها من سلطان برهان تتعلقون ان يتبعون وقرأ بالتاء
الا الظن الا توهم ان ما عليه حق تقليدا وتوهما باطلا وما تهوى الانفس
وما تشتهيه انفسهم ولقد جاءهم من ربهم الهدى الرسول او الكتاب
فتركوه ام للانسان ما تمنى ام منقطعة ومعنى الهمزة فيه للانكار والمعنى
ليس له كل ما يتمناه والمراد نفي طمعهم في شفاعة الآلهة وقولهم ولئن
رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقولهم لولا انزل هذا القرآن على

على رجل من القريتين عظيم وكونهما فلله الآخرة والاولى يعطى منهما ما يشاء
لمن يريد وليس لاحد ان يتحكم عليه في شيء منهما وكم من ملك في السموات
لا تغني شفاعتهم شيئا وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم شيئا
ولا تنفع الا من بعد ان يأذن الله في الشفاعة لمن يشاء من الملائكة
ان يشفع او من الناس ان يشفع له ويرضى ويراه اهلا لذلك فكيف تشفع
الاصنام لعبدتهم ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة
اى كل واحد منهم تسمية الانثى بان سموه بنتا وما لهم به من
علم اى بما يقولون وقرئ بها اى بالملائكة او التسمية ان يتبعون
الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فان الحق الذي هو حقيقة
الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار له في المعارف الحقيقية و
انما العبرة به في العمليات وما يكون وصلة اليها فاعرض عمن تولى
عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا فاعرض عن دعوته والاهتمام
بشأنه فان من غفل عن الله واعرض عن ذكره وانهمك في الدنيا
بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه لا يزيده الدعوة الا عنادا و
اصرارا على الباطل ذلك اى امر الدنيا او كونها شهية مبلغهم
من العلم لا يتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر همتهم بالدنيا
وقوله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى
تعليل الامر بالاعراض اى انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب فلا
فلا تتعب نفسك في دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ وقد

وقد بلغت ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا ليجزي
الذين اساؤا بما عملوا بعقاب ما عملوا من او بمثله او بسبب او
بسبب ما عملوا من السوء وهو علة لما دل عليه ما قبله اى خلق
العالم وسواه للجزاء او ميز الضال عن المهتدي وحفظ احوالهم
لذلك ويجزي الذين احسنوا بالحسنى بالمثوبة الحسنى وهو الجنة او
باحسن من اعمالهم او بسبب الاعمال الحسنى الذين يجتنبون كبائر
الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب الوعيد عليه
بخصوصه وقيل ما اوجب الحد وقرأ حمزة والكسائي كبير الاثم على
على ارادة الجنس او الشرك والفواحش ما فحش من الكبائر
خصوصا الا اللمم الا ما قل وصغر فانه مغفور من مجتنبي الكبائر
والاستثناء منقطع ومحل الذين النصب على الصفة او المدح او الرفع
على انه خبر محذوف ان ربك واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر
باجتناب الكبائر او له ان يغفر ما يشاء من الذنوب صغيرها
وكبيرها ولعله عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس
صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله هو
اعلم بكم باحوالكم منكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون
امهاتكم علم احوالكم ومصارف اموركم حين ابتدأ خلقكم من التراب
بخلق آدم وحيث ما صوركم في الارحام فلا تزكوا انفسكم فلا تثنوا
عليها بزكاء العمل وزيادة الخير او بالطهارة عن المعاصي والرذائل هو

هو اعلم بمن اتقى فانه يعلم التقى وغيره منكم قبل ان يخرجكم من صلب
ادم افرءيت الذى تولى عن اتباع الحق والثبات عليه واعطى
قليلا واكدى وقطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية
وهى الصخرة الصلبة فتترك الحفر والاكثر على انها نزلت فى الوليد بن
المغيرة كان يتبع رسول الله فعيره بعض المشركين وقال تركت
دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب
ان اعطى ماله فارتد واعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقى اعنده
علم الغيب فهو يرى يعلم ان صاحبه يتحمل عنه ام لم ينبا بما فى صحف
موسى وابراهيم الذى وفى وفر واتم ما التزمه او امر به او بالغ فى الوفاء
بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود
حتى اتاه جبرئيل حين يلقى فى النار فقال الك حاجة فقال اما اليك
فلا وذبح الولد وانه كان يمشى كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه
اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لان صحفه وهى التورية كانت
اشهر واكثر عندهم الا تزر وازرة وزر اخرى ان هى المخففة من
الثقيلة وهى بما بعدها فى محل الجر بدلا من ما فى صحف موسى او الرفع
على هو ان لا تزر كانه قيل ما فى صحفهما فاجاب به والمعنى انه لا يؤاخذ
احد بذنب غيره ولا يخالف ذلك قوله تعالى كتبنا على بنى اسرائيل انه
من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض فكانما قتل الناس جميعا
وقوله عليه الصلوة والسلام من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر

وزر من عمل بها الى يوم القيمة فان ذلك فى الدلالة والتسبب
الذى هو وزره وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه
سوف يرى الا سعيه كما لا يؤاخذ احد بذنب الغير لا يثاب
بفعله وما جاء فى الاخبار من ان الصدقة والحج ينفعان الميت
فلكون الناوى له كالنائب عنه ثم يجزاه الجزاء الاوفى اى يجزى
العبد سعيه بالجزاء الاوفر فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون مصدرا
وان كان الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزى والجزاء بدل وان الى ربك
المنتهى انتهاء الخلائق ورجوعهم الى الله وقرئ بالكسر على انه
منقطع عما فى الصحف وكذلك ما بعده وانه هو اضحك وابكى
وانه هو امات واحيى لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان
القاتل ينقض البنية والموت يحصل عنده بفعل الله على سبيل
العادة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى
تدفق فى الرحم او تخلق او يقدر منها الولد من منى اذا قدر وان
عليه النشأة الاخرى الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرا ابن
كثير وابو عمرو النشاءة بالمد ايضا مصدر نشأ وهو ايضا
مصدر نشأ وانه هو اغنى واقنى واعطى القنية وهى ما يتأثل
من الاموال وافرادها لانها اشرف الاموال وارضى وتحقيقه جعل
الرضا له قنية وانه هو رب الشعرى يعنى العبور وهى اشد ضياء
من الغميصاء عبدها ابو كبشة احد اجداد الرسول وخالف

قريش في عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول ابن
ابي كبشة ولعل تخصيصها للاشعار بانه عليه السلام وان وافق ابا
كبشة في مخالفتهم خالفه ايضا في عبادتها وانه اهلك عادا
الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد نوح وقيل عاد الاولى
قوم هود وعاد الاخرى ارم وقرئ عادا لولى بحذف الهمزة ونقل
ضمتها الى لام التعريف وقرئ عاد لولى بادغام التنوين في اللام
وثمودا عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرئ عاصم
وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير الف والباقون بالتنوين
ويقفون بالالف فما ابقى الفريقين وقوم نوح ايضا معطوف
عليه من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين
لانهم كانوا يؤذونه وينفرون عنه ويضربونه حتى لا يكون به حراك
والمؤتفكة والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت وهي قرى
قوم لوط اهوى بعد ان رفعها فقلبها فغشيها ما غشى فيه
تهويل وتعميم لما اصابهم فباي الاء ربك تتمارى تتشكك
والخطاب للرسول او لكل احد والمعدودات وان كانت نعما
ونقما سماها الاء من قبل ما في نقم من العبر والمواعظ للمعتبرين
والانتقام للانبياء والمؤمنين هذا نذير من النذر الاولى اي
هذا القران انذار من جنس الانذارات المتقدمة او هذا الرسول
نذير من جنس المنذرين الاولين ازفت الازفة دنت الساعة

الموصوفة

الموصوفة بالدنو في قوله تعالى اقتربت الساعة ليس لها
من دون الله كاشفة ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا
وقعت الا الله لكنها لا يكشفها او الان يؤخرها الا الله
وليس لها كاشفة لوقتها الا الله اذ لا يطلع عليه سواه او
ليس لها من غير الله كشف على انها مصدر كالعافية افمن
هذا الحديث من القران تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء
ولا تبكون تحزنا على فرطتم وانتم سامدون لاهون او
مستكبرون من سمد البعير في مسيره اذا رفع رأسه او
مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود وهو الغناء
فاسجدوا لله واعبدوا اي واعبدوه دون الالهة
عن النبي عليه السلام من قرأ سورة النجم اعطاه الله
عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة
تمت السورة الشريفة بعون الله الملك الوهاب
عن يد يوسف بن ابراهيم عفى الله عنهما
وللمؤمنين والمؤمنات
يوم يقوم الحساب
سنة
١٢٣٦
م م م م